نقض النظريات الكونية

تأليف

أبي نضر محمد بن عبد الله الإمام

دار الآثار
صنعاء



نقض النظريات الكونية

حُقوقُ الطَّبعِ محفُوظةٌ

الطَّبعَةُ الأُولى

١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

رقم الإيداع ٧٥٣/ ٢٠٠٨



www.dar-alathar.com

اليمن: صنعاء- شارع تعز- حي شميلة- مقابل جامع الخير- ص.ب ١٧١٩٠ فاكس ٦٠٣٢٥٦

(١ ٩٦٧+) هاتف: الإدارة ٦١٣٣٦٥ المكتبة ٦٣٣٧١٧ بريد إلكتروني info@dar-alathar.com

- فرع صنعاء: الدائري الغربي - عمارة الخولاني- هاتف ٢٠٥٠٨٥
- فرع عدن: كريتر- بجوار مسجد أبان- هاتف ٢٦٦٩٨٦
- فرع المكلا: الشرج - أسفل المسجد الجامع من جهة القبلة-هاتف٣٠٧١١٢
- فرع دماج: دار الحديث - مقابل مسجد أهل السنة هاتف ٥١٩٣٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فيقول الله في كتابه الكريم: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٥]، وقال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء:١٨] وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣] وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان:٣١].

فهذه الآيات وما كان في معناها، تتضمن أن القرآن الكريم والسنة المطهرة، مقاومان كل مفسد في الأرض، ومزهقان كل مبطلٍ، وفاضحان كل ملبسٍ، فما على وجه الأرض من أحد مخالف للحق إلا وهو مقهور بالحق؛ فحجج القرآن الكريم والسنة وبراهينهما موئل كل طالب للحق، وعدَّه كل مواجه للباطل، وسلاح كل شجاعٍ، وكم كانت مواقف أهل العلم بالحق موضحةً لما يُشكل، ومزيلةً لما يلتبسُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، كما في "مجموع الرسائل الكبرى" (١/ ١٠٢): فصل في جماع الفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغي، وطريق السعادة والنجاة، وطريق الشقاوة والهلاك، أن جميع ما بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، هو الحق الذي يجب اتباعه، وبه يحصل الفرقان والهدى والعلم والإيمان، فيُصدَّقُ بأنه حقٌّ وصدقٌ، وما سواه من كلام سائر الناس يُعرض عليه، فإنْ وافقه

فهو حقٌّ، وإن خالفه فهو باطلٌ، وإن لم يعلم هل وافقه، أو خالفه؛ لكون ذلك الكلام مجملاً، لا يعرف مرادُ صاحبه، أو قد عُرِفَ مراده، ولكن لم يُعرف هل جاء الرسول بتصديقه، أو تكذيبه؛ فإنَّه يمسك فلا يتكلم إلا بعلم، **والعلمُ ما قام عليه الدليل، والنافعُ منه ما جاء به الرسول...**

فالرسول أعلمُ الخلق بها، وأرغبهم في تعريف الخلق بها، وأقدرهم على بيانها وتعريفها؛ فهو فوق كل أحد في العلم والقدرة والإرادة، وهذه الثلاثة بها يتم المقصود، ومن سوى الرسول إما أن يكون في علمه بها نقص أو فساد. اهـ

وقال أيضًا: وهكذا إذا تدبَّر المؤمن العليم سائر مقالات الفلاسفة وغيرهم من الأمم، التي فيها ضلالٌ وكفرٌ، وجد القرآن والسنة كاشفين لأحوالهم، مُبيِّنين لحقهم، مميِّزين بين حق ذلك وباطله. اهـ «نقض المنطق» (ص١١٣).

ولا يخفى عليك أن من أعظم دواعي ظهور الحق للناس، ظهور المعارضين له؛ فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين، وبيان حقيقة أنباء المرسلين، ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ * أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۖ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام:١١٢-١١٥].

وذلك أن الحق إذا جُحد وعُورِض بالشبهات، أقام الله تعالى له مما يُحِقُّ به الحق ويبطل به الباطل من الآيات والبينات، بما يظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة، وفساد ما عارضه من الحجج الداحضة. اهـ «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (١/ ١٣-١٤).

وقال أيضًا: فالدين الحقُّ كلما نظر فيه الناظر، وناظر عنه المناظر، ظهرت له البراهين، وقوي به اليقين، وازداد به إيمان المؤمنين، وأشرق نوره في صدور العالمين،

والدِّين الباطل إذا جادل عنه المجادل، ورام أن يقيم عُوْدَهُ المائل، أقام الله تبارك وتعالى من يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، ويبين أن صاحبه الأحمق كاذب مائق، وظهر فيه من القبح والفساد والحلول والاتحاد والتناقض والإلحاد والكفر والضلال والجهل والمحال، ما يظهر به لعموم الرجال؛ أن أهله من أضل الضلال، حتى يظهر فيه من الفساد ما لم يكن يعرفه أكثر العباد، ويتنبه بذلك من كان غافلا من سنة الرقاد، من كان لا يميز الغي من الرشاد، ويحي بالعلم والإيمان من كان ميت القلب، لا يعرف معروف الذين أنعم الله عليهم، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. اهـ «الجواب الصحيح» (١/ ١٥-١٦).

ألا وإنَّ الفساد والضلال اللاحق بمن أصغى إلى أقوال وكتابة اللاهثين وراء سراب الغرب، عريضٌ لا يزول إلا بمحاكمة تلك الأقوال المقروءة والمسموعة، إلى كتاب ربنا وسنَّة رسولنا؛ ففيهما الخبرُ اليقين والحكمُ الرشيدُ، والبيان الواضح، وتكون المحاكمة على يد من أمر الله بالرجوع إليهم عند كل معضلة، وحلول أي نازلة، وحصول أي مشكلة، ألا وهم علماء الإسلام، أهل الاتباع، رُوَّاد التَّمسك بالشرع الإسلامي الحنيف، ظاهرًا وباطنًا، ودعوةً ودفاعًا، وتحقيقًا وتأليفًا؛ فقد عُلم تاريخيًا أنَّ علماء أهل الحديث ما تصدَّوا لرايةٍ مخالفةٍ للحقِّ إلا أسقطوها، ولا لمقالةٍ إلا أزهقوها، ولا لشبهةٍ إلا دحضوها بإذن الله، وصدق الله القائل: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨].

فتلك ديار فلاسفة المعتزلة، والجهمية، والأشعرية، والحلولية، والباطنية بَلَاقِعُ، دارت الدائرة عليهم، ووجِّهت السِّهام إلى نحورهم، والضرباتُ على بنانهم، والتحذير من مناهجهم، وهكذا المصير لأتباعهم العقلانيين، حملة وباء المستشرقين، وداء الملحدين، أصحاب النظريات الفاسدة، التي غشيت المسلمين، وسطرت في مناهجهم الدراسية، وحرفت من أجل هذه النظريات الآياتُ القرآنيةُ والأحاديثُ النبوية، وادُّعي في هذه النظريات أنَّها إعجازٌ قرآنيٌّ ونبويٌّ، وما أبعدها عن ذلك؟!، ولا يستطيع المسلمون أن يدركوا ذلك إلَّا من خلال القيام بالكشف والفضح، عن تلبيس هؤلاء، وبيان الحقِّ، فرأيتُ من باب الدفاع عن القرآن والسنَّة وعقيدةِ المسلمين،

أَنْ أقوم بالنَّقض لكثيرٍ من نظريات الكفار والملاحدة، المتعلقة بالأرض والسَّماء وما بينهما، وقد وجدت أن هذه النظريات قد احتوت على إنكار ربوبية الله لهذا الكون، خلقًا، وإيجادًا، وملكًا، وتدبيرًا، ووضعت بديلًا عن كُلِّ ما له صلة بالله، وبدينه، ورسله، وأنبيائه، واشتملت على خرافاتٍ وشركياتٍ ومكابرةٍ للحقائقِ المشهودة والمحسوسة، ومعاندةٍ للحقِّ الواضح.

ومع هذا الشَّر العظيم في النظريات، فقد قبلها أبناء جلدتنا المصححون لها، بِعُجَرِهَا وبُجَرِهَا، ودافعوا عنها دفاع المستميتين، وهانَ عليهم أنْ يحرِّفُوا من آيات القرآن وأحاديث الرسول كثيرًا وكثيرًا، فلا للإسلامِ نصروا، ولا للأعداء كسروا، بل جعلوها أصلًا يحاكَمُ القرآنُ والسنَّة إليها، وعند الإشكال يقدمونها عليهما، وقد شغلوا بها المسلمين، وأفسدوا عليهم من دينهم ما أفسدوا.

فلولا حصول هذا منهم، ما قمت بكتابة هذا السَّفر؛ لأن الحياة مع كتب الفلكيين أتْعَسُ حياةٍ؛ لأنها تحتوي على الأوهامِ والظُّنُونِ والتخيلات، بل والأكاذيب في بعض الأحيان، ولهذا كان حليفَ أصحابها التناقضات التي لا حصر لها، ولم يثنِ عزمي من القراءة في كتب الفلكيين صباح مساء، وإشغال الفكر بِتُرَّهَاتِ القوم، وإتعاب الذِّهن بذلك، بل هان هذا عليَّ لَمَّا رأيتُ الحاجة ماسَّة إلى هذا النقض، والفائدة ستكون عظيمةً إن شاء الله.

وقد حرصتُ على نقل نظرياتهم من كتاب «الموسوعة الفلكية»؛ فهي حاويةٌ جامعةٌ لذلك، ورأيت أن هناك فارقًا كبيرًا بين النقل من «الموسوعة»، والنقل من كتب كُتَّابِ المسلمين، وسيأتي إيضاح ذلك قريبًا.

وحرصت على نقل أقوال أهل العلم، فسيجد القارئ ما يسرُّه بإذن الله، وسميته **«نقض النظريات الكونية»**، سائلًا الله أن ينفعني بما كتبت، وأن ينفع بذلك عباده، وأن يكتب القبولَ لهذا السَّفر، وأن يجعله مرجعًا للمسلمين في بابه.

وإني لأدعو علماء الإسلام إلى السعي في صيانة القرآن والسنة من التفسيرات الباطلة والتحريفات المعطلة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.



١

الفصل الأول

علم الأفلاك

وقواعده وأصوله

الأصول التي يقوم عليها علم الأفلاك والهيئة قديمًا وحديثًا




يقوم علم الهيئة على أصول منها:

١) **إيمانهم بالمحسوسات فقط**: وهذا معلومٌ عنهم مشهورٌ، ومعناه: أنهم لا يؤمنون بالغيب؛ فلا يؤمنون بالله، ولا بملائكته، وكتبه، ورسله. والعجيب أنهم يؤمنون بأزلية مادة السَّدم والذرة، وهم لم يروا ذلك، وإنما عندهم توهم بوجودهما.

٢) **الذرة والسَّديم أصل الكون الأعلى والأسفل عندهم**: وهما أيضًا أزليتان عندهم.

ومعنى أزليتين: أن الله لم يخلق هاتين المادتين، ولا يفنيهما.

ونظرية (أفلاطون) ومن تبعه من الفلاسفة المتقدمين: إن وجود الكائنات عن طريق نظرية (الفيض والصدور).

والفيض والصدور: أزليان عند الفلاسفة حتميان، اختلفت الأسماء واتفقت المسمَّيات.

٣) **قولهم بقدم العالم**: وهذا مشهورٌ عنهم، وأول من قال به (أرسطو)، كما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية في أكثر من موضع من كتبه، كما في «مجموع الفتاوى» (١٢/ ١٥٤)، و«الصفدية» (٢/ ١٦٧).

قال في «منهاج السنة النبوية» (١/ ٢٣٧): (وأساطين الفلاسفة قبل (أرسطو) لم يكونوا يقولون بقدم العالم، بل كانوا مقرين بأن الأفلاك مُحْدَثَةٌ).

وفلاسفة النظريات لهم اكتشافات غريبة، تدلُّ على أنهم يرون قدم المادَّة.

٤) **اعتقاد أرباب التنجيم بأزلية الأفلاك**: قال ابن القيم: (قولكم بأنه -أي: الفلك- قديم أبدي، غير قابل للسكون والفساد، ولا يقبل الانحلال، ولا الخرق، ولا

الالتئام، مع كون طبيعة كل جزء منه -صغيرًا أو كبيرًا- مخالفة لطبيعة الجزء الآخر.....)، وأخذ يرد عليهم انظر: «مفتاح دار السعادة» (٣/ ٤٢-٤٣).

قلت: مرادهم بالفلك: البروج. وقد أُشيعَ أن الفلكيين في عصرنا تراجعوا عن الاعتقاد بأزلية الأفلاك، وهذا لم يثبت عندنا بطريق الجزم واليقين، وإن حصل هذا فهو يتناقض مع اعتقادهم بأزلية السديم، وغيرها من أصولهم، وهم يجعلون الكَوْنَ الأعلى والأسفل تابعًا للمواد المتكون منها. فخلاصة القول: أَنَّهُمْ متضاربون في ذلك.

٥) **يتفقون جملةً على أن بعض الكون يدبر بعضه الآخر:** ففلاسفة الأفلاك المتقدمون يعتقدون أن الأجرام السماوية لها تأثير على الكون الأسفل بما فيه، فيسنُدُونَ الحوادث الخاصة والعامة في الأرض إلى الأفلاك، والمتأخرون يسندون تدبير الكون إلى قانون الجاذبية، وقانون السَّببية، وقانون الزَّاوي، وقد أوضحنا هذا في كلامنا على هذه النظريات.

٦) **الاعتماد على آلات الرصد قديمًا وحديثًا:** وهي لا تنفك عن نوع خلل وزلل.

قال العلَّامة ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» (٣/ ٥١): (إن الأرصاد لا تنفك عن نوع الْخَلَلِ وَالزَّلَلِ). اهـ ولقد اخترع المتقدمون جهازًا اسمه: (الأَسْطُرْلَابُ) واستعملوه في تعيين ارتفاع الأجرام السماوية، ومعرفة الجهات الأصلية، وادعوا إحكام ذلك، وحقيقة الأمر أنهم لم يحققوا من ذلك ما يدعون، وفي عصرنا طُوِّرت آلاتُ الرصد، وزادوا استخدام آلات التصوير، وصناعة المراكب الفضائية، التي يشغبون بها، وهي محدودة من جهة الصُّعود في الفضاء؛ فإنها لا تقطع من المسافة التي بين السماء والأرض إلا جزءًا يسيرًا، كما سيأتي إيضاحه، وما ادعاه أربابها أَنَّهُمْ قد اخترقوا بها السماوات فهراءٌ، وهي محدودةٌ من جهة التقاط الصور، فليست كما يدَّعي أصحابها أَنَّهُمْ قد استطاعوا بها، أو من خلالها، تصوير جميع الجهات العلوية، وجميع جهات الأرض.

٧) **جعلهم المتصوَّر في الذهن متحققًا في الخارج:** وهذا لا يلزم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والمقصود هنا أن هؤلاء الفلاسفة كثيرًا ما يظنون الأمور الذهنية المتصورة في الذهن حقائق ثابتة في الخارج، وهذا الأمر غالبٌ عليهم، كثيرٌ في كلامهم، ومَن تفطَّن له تبيَّن له وجه غلطهم في كثيرٍ من مطالبهم).اهـ.

قلت: وهذا عند متأخريهم أكثر منه عند متقدميهم، حتى قال أحد كبارهم وهو السير جينز: (إنَّ هذا الوجود (الكون) ليس وجودًا فعليًّا، بل هو مجرد صورة في أذهاننا، وإننا نعيش في عالم الأوهام). «قصة الخلق» (ص٩٢).

٨) **اعتماد أرباب النظريات الفلكية على التجارب:** وأنت تعلم أنَّ التجارب لا تصلح أن تكون دائمًا عمدةً لأصحابها؛ لأن منها ما يصلح ومنها ما لا يصلح، لأن تفسير نتائج التجربة قائم على الظَّن والتخمين، والظَّن والتخمين لا يُبْنَى عليهما شيءٌ، وقد قال الله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[النجم:٢٨]، وبسبب هذا يكثر فساد النظريات، فإن ادعى أصحابها أنها قائمة على تجربة ناجحة، فيأتي غيره ويكشف ما فيها من زيفٍ، ولهذا لا تكاد تجد نظرية إلا وقد نقضها غير واحدٍ منهم، وقد ذكرنا في بحثنا هذا كثيرًا من الأمثلة على ذلك.

٩) **اعتماد الحساب في تثبيت النظريات،** والحساب لا يعتمد عليه في تثبيت النظرية لأن الموجود في الواقع والمرصود إنما هو نتيجة الحساب، ومن المعلوم أن النتيجة الحسابية تأتي من أكثر من طريق، فمثلًا النتيجة الحسابية ٥٠ يأتي الأول ويقول إنما هي حاصل ١٠×٥ فيرد عليه الأخر بل هي ٢٥× ٢ فيرد عليه ثالث بل هي ١٠٠÷٢.

١٠) **حيودهم عن الاستنتاجات التي لها صلة بالإيمان إلى الاستنتاجات المادية.**

ومما سار عليه الفلكيون التجريبيون أنهم عند استنتاجاتهم للتجارب يرفضون قبولها إذا كانت متصلة بالإيمان ولو كانت أصح على قواعدهم التجريبية، ويقررون صحة الاستنتاجات القائمة على مادية الكون.

قال الدكتور عدنان فقيه: فيحسن بنا أن نتناول مسألة علمية أخرى تعد مثالًا صارخًا عن تحيز الموقف (العلمي) ضد الرؤية الإيمانية، في تفسيره لنتائج التجربة....

إلى أن قال: بل عادة ما تقدم النظرية الأخرى على أنها الاستنتاج العلمي المعتبر؛ لمجرد أن بديلتها توحي بوجود إرادة تدبر هذا الكون، وغاية من وراء وجود الإنسان فيه. مقال «العلم مفتاح الإعجاز».

١١) **التَّقْلِيدُ المَحْضُ**: قال ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» (٣/ ٤٩) وهو يتحدث عن علم الفلك: (إن هذا العلم مع أنه تقليدٌ محضٌ، فليس أيضًا تقليدًا منتظمًا؛ لأنَّ لكل قومٍ فيه مذهبًا، ولكل طائفةٍ فيه مقالةً، فللبابليين فيه مذهبٌ، وللفرس مذهبٌ آخر، وللهند مذهبٌ، وللصين مذهبٌ رابعٌ، والأقوال إذا تعارضت وتعذر الترجيح، كان دليلًا على فسادها وبطلانها).اهـ.

قلت: هذا كلام ابن القيم على المتقدمين، ولا يزال الأمر كذلك عند المتأخرين من هؤلاء.

١٢) **الكذب**: وهذا كثيرٌ ظاهرٌ عند أصحاب النظريات الفلكية، وسيأتي بيان ذلك في كلامنا على فضائحهم.

١٣) **التلبيس**: فهم يحرصون أشدَّ الحرص على أن يكون تلبيسهم قائمًا على الدهاء، وهذا عندهم كثيرٌ جدًّا.

ولهذا قال ابن القيم، وهو يتحدث عن هؤلاء القوم: (... فالله يُعين العقلاء على تلبيسكم ومحالكم، ويثبت عليهم ما وهبهم من العقول التي رغبت بها، ورغبوا عن مثل ما أنتم عليه). اهـ. «مفتاح دار السعادة» (٣/ ١٣٨-١٣٩).

وخلاصة القول: أن أصول أرباب الأفلاك المذكورة هنا وغير المذكورة، أغلبها باطلة، لا يصح أن يعتمد على شيء منها. وعلم خلا من الأصول الصحيحة، وقام على أصولٍ فاسدةٍ، حريٌّ بكل مسلمٍ أن يرفضه ويرفض نتائجه. ويا لله! كم نَفَقَ من باطلٍ؛ بسبب قبول أصل من أصولهم، فكيف لو كانت الأصول الباطلة كما ذكرنا؟!!.

وإذا علمت أصول أهل الإلحاد المتعلقة بالأجرام، حصل لك الاستغراب، ألا

وهو: كيف يلتقي من يدَّعي الإسلام مع هؤلاء، وكيف يتبنَّى أصولهم ويعارض بها ما جاء من عند الله العزيز العليم؟! وكان عليهم -ولا يزال- أن يرفضوا ما عند هؤلاء، من هذه الأصول الكفرية، بل وما هو دونها من الأصول المخالفة للشرع، فنعوذ بالله من الزيغ والضلال!!



قواعد مستجدَّة عند أصحاب النظريات

لقد استجدت أصول عند أصحاب النظريات يسيرون عليها، ومن هذه الأصول الآتي:

١) **كل شيء في هذه الحياة يتطور**؛ تبعًا لأصل مادة الخلق عند الملاحدة وهي السَّديم؛ فإنها متطورة، وألحقوا بذلك التطور في الفكر والدين والعقل والتاريخ.

٢) **كل شيءٍ متحركٌ على الدوام**؛ تبعًا لأصل مادة الخلق عند أصحاب النظريات، وأصل مادة الخلق عندهم: الذَّرة والسَّديم.

٣) **اعتمادهم كثيرًا على التهويل في العدد**؛ بذكر الملايين، ومئات الملايين، وآلاف الملايين، وما بعدها من مليارات، وبلايين البلايين، وهي دعوى لا يعجز عنها كل متهورٍ من هؤلاء.

٤) **الكونُ الأعلى عندهم كله فضاء**، وهم بهذا التأصيل يدَّعون ما يشاءون من الاكتشافات، كما سترى ذلك في فصل: (النظريات المتعلقة بالكون الأعلى).

٥) **كُلُّ شيءٍ يخالف النظريات فهو غير صحيحٍ**، ولا عبرة بصحة شيءٍ إلا بموافقته للنظريات. انظر: «الموسوعة الميسرة» (٢/ ١٠١٢).

٦) **الاكتشافات العصرية، والمعارف الحديثة: هي إحدى صور الوحي المتطور**. انظر: «الموسوعة الميسرة» (٢/ ١٠١٣).

٧) **كُلُّ ما لم يتلاءم مع النظريات من دينٍ أو غيره، إمَّا أن يُصَاغَ من جديدٍ أو يُرْفَض**. انظر: «الموسوعة الميسرة» (٢/ ١٠١٣).

٨) **يقيسون الكون الأعلى على ما في الكون الأسفل**؛ فقد أثبتوا سكانًا في الكون

الأعلى أذكياء عقلاء، وأثبتوا لهم حضارات أعظم من حضارتنا، وأثبتوا بحارًا وجبالًا وأشجارًا وغير ذلك.

٩) غالب نظرياتهم: أنهم يفترضونها افتراضًا.

قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (٥٩٤): (نظرية النَّيازك هي افتراض في مجال كسموجوين مجموعة الكواكب).

وقال أيضًا في المصدر المذكور (ص٣٨٥): (نماذج الكون في كل نظريةٍ عن الكون كَكُلٍّ، تدخل افتراضات محددة).

وقال صاحب كتاب «قصة الخلق» (٩٨): (إنَّ النظريات التي طرحها أصحابها لم تأت -كما قال علماؤنا- نتيجة تحليلٍ أو تجريبٍ أو رؤيةٍ أو مشاهدةٍ، ولا حتى بحث، بل كما ذكرنا أي كلام يفترضون افتراضًا).

١٠) اعتقاد مُدَّعُو الاكتشافات الكونية: أن الدين أساطير.

قال عباس محمود العقاد في كتابه «الله في نشأة العقيدة الإلهية» وهو يتحدث عما وصل إليه أرباب النظريات: (يرى كثيرٌ من العلماء أن الأساطير أصل الدين بين الهَمَجِ). ثم ذكر عددًا من أسماء هؤلاء. نقلًا من كتاب «قصة الخلق» (ص٢٧).

وقال: أثبت العلم أن الدِّين كان أقسى وأسوأ خدعة في التاريخ. اهـ. نقلًا من كتاب «قصة الخلق» (ص٣٥).

المراد بالعلم في هذا المقال: علم النظريات، وهذا الذي قاله أرباب النظريات قامت عليه العلمانية الشيوعية، التي تعتقد أن الدين أفيون الشعوب، والعلمانية الليبرالية التي تعتقد أن الإسلام لا حاجة إليه. حتى قال بعض الحصفاء العلمانيين: (أعطوا الألوهية والربوبية للمكتشفين).

١١) قولهم بأن النظريات قادرة على حلِّ جميع المشاكل.

قال إيرفنج وليام توبلوتش: (يميل بعض المشتغلين بالعلوم في ظل ثقتهم الكبيرة،

إلى الاعتقاد بأن العلوم قادرة على حل جميع المشكلات، فالحياة -من وجهة نظره- ليست إلا مجموعة من القوانين الطبيعية والكيماوية التي تعمل في مجال معين، وقد أخذ هؤلاء يفسرون الظواهر الحيوية المختلفة، الواحدة تلو الأخرى، تفسيرات تقوم على إدراك السبب والنتيجة، والوجود من وجهة نظرهم لا يستهدف غاية، وسوف ينتهي الأمر بعالمنا إلى الزوال، عندما يَنْضُبُ معينُ الطاقة الشَّمْسِيَّةِ، وتصير جميع الأجسام هامدة باردة؛ تبعًا لقوانين الديناميكا الحرارية). اهـ نقلًا من كتاب «قصة الخلق» (ص٣٩-٤٠).

قلت: ولا ينبئك مثل خبير؛ فصاحب المقال يتحدث عن أصحابه المنشغلين بالنظريات، وكونه عبَّر عنهم بالبعض، هذا لا يدل بالتأكيد على عدم السَّير على هذا الذي عليه البعض المذكور، بل المتحقق في ساحة أصحاب النظريات هو: الاستغناء عن كل ما له صلة بالدين الحق.

١٢) **سيرهم على استعمال الألفاظ في اكتشافاتهم التي لا تثبت لله خلقًا ولا إيجادًا ولا تدبيرًا**، كدعواهم أن السَّدم انفجرت؛ فجاءت منها الكواكب، من أرضٍ وشمسٍ وقمرٍ ونجومٍ ومجراتٍ وغير ذلك، وكقولهم بتمددِ الكون وانكماشه، ودعواهم أن الكون سينتهي بانفجار الشمس وغيرها. وخلاصة القول: أن مجموع هذه القواعد تبرز للقارئ أن أصحاب النظريات استغنوا بنظرياتهم عن كل شيء له علاقة بالله وبدينه وبرسله وبعباده، وعدُّوا الدين أساطير وأوهامًا وخرافات، يجب على الناس -بما في ذلك المسلمين- أن يتحرَّروا من ذلك، وَأيضًا استغنوا عما عند الأمم المتقدمة مما هو نافع.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

دسيسة إدخال علم الأفلاك على المسلمين في الماضي

مما لا يخفى على المسلم: أن علم الفلك أجنبيٌّ عن علوم الإسلام؛ فقد عاشت الأمة المسلمة في عافية من البلاء المذكور مدة من الزمان، ثم دخل هذا الشَّر العظيم على الأمة المسلمة في صدر الخلافة العباسية!!!

قال السُّيُوطِيُّ في «تاريخ الخلفاء» (ص٣٢٦): (وقال محمد بن علي الخراساني: المنصور أوَّلُ خليفةٍ قرَّب المنجمين، وعمل بأحكام النجوم، وأوَّل خليفةٍ تُرْجِمَتْ له الكتب السريانية والأعجمية بالعربية، ككتاب «كليلة ودمنة» و«إقليدس»).اهـ.

وقال ابن النَّديم في «الفهرست» (ص٣٤٠-٣٤١): (إن يحيى بن البطريق ترجم المجسطي أيام المنصور).

قلت: «المَجِسْطِيّ» كتاب فلكي لبطليموس.

وقال أيضًا: (... البطريقُ وكان في أيام المنصور، وأمره بنقل أشياء من الكتب القديمة).

وقال صاحب كتاب «رُوَّادُ علم الفلك» (ص٤١-٤٣): (وفي سنة ١٥٥هـ جاءت بعثة من الهند، ومعها كتاب «سدهانتا» الذي يحتوي على معلومات ثمينة عن علم الهيئة، فأمر الخليفة العباسي أبوجعفر المنصور محمدَ بن إبراهيم الفزاري بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية... فالفزاري وزملاؤه درسوا وتفهموا جيدًا أعمال الهنود واليونان والفرس، في علم الفلك فزادوا على نظرياتهم وتفننوا في حلول بعض المسائل المستعصية عليهم، وفوق هذا كله: جعلوا علم الفلك علمًا عربيًّا وإسلاميًّا). اهـ.

وقال المحقق لكتاب «القول في علم النجوم» (ص١١٠): (... وأول من عمل بأحكام المنجمين من الخلفاء: الخليفة العباسي أبوجعفر المنصور، وذكر قصة قدوم

رجلٍ من الهند، ماهرٍ في علم النجوم، ومعه كتاب، قال: فأمر المنصور بترجمة ذلك الكتاب إلى العربية، وأن يؤلف منه كتاب تتخذه العرب أصلاً في حركات الكواكب. فتولى ذلك محمد بن إبراهيم الفزاري وعمل منه كتابًا يسميه المنجمون: «االسِّندهند الكبير») ومعناه الدهر الداهر.

فبان بهذا النَّقل أن أبا جعفر المنصور هو أول خليفة استعمل التنجيم، وقرَّب المنجمين؛ وإنا لله وإنَّا إليه راجعون.

تنبيهٌ: ذكر ابن النَّديم في «الفهرست» (ص٤٩٧): أن أول من ترجمت له كتب النجوم هو: خالد بن يزيد بن معاوية. فلينظر في هذا.

تمكين الخليفة العباسي المأمون لعلم التنجيم

لقد كان المأمون شغوفًا بقراءة كتب الفلاسفة، فاستغل من لهم مكرٌ بالإسلام وأهله الفرصة، باستقدام كتب الفلسفة وعلى وجه الخصوص فلسفة (أرسطو) وأتباعه، وقام بنشر هذه العلوم في وسط أمة الإسلام؛ فظهرت بسبب ذلك الجهمية، والمعتزلة، بل والقرامطة، ثم تفرعت من هذه الفرق فرق أخرى، ومن تلك الفلسفة التي نشرها المأمون، فلسفة علم الأفلاك، التي تعد أساس الفلسفة، ولقد أدخل أرباب الأفلاك في القرن العشرين المأمون ضمن المشاركين في التمكين لعلم الأفلاك ففي الموسوعة الفلكية ص(٤٢٤) بعد ذكر ترجمة المأمون وفي آخرها: (وتقديرًا لجهوده في نهضة العلوم أطلق اسمه على إحدى مناطق الوجه الآخر من سطح القمر)، وقد ملئت كتب التواريخ بذكر هذا التمكين:

قال ابن النَّديم في «الفهرست» (ص٣٩٦): (واتَّسع للصُّنَّاع العمل في الدولة العباسية، منذ أيام المأمون إلى وقتنا هذا؛ فإن المأمون لما أراد الرصد تقدم إلى ابن خلف المروزي؛ فعمل له ذات الحلق...).

وقال جمال الدين القفطي في كتابه «تاريخ الحكماء»: (إن ابن سعيد الجوهري

الفلكي، خبير بصناعة التسيير وحساب الفلك، قام بعمل آلات للرصد، صحب المأمون، وندبه إلى مباشرة الرصد بالشماسة ببغداد، وحقق بعض مواضيع الكواكب السيارة والنيرين).

وفيه أيضًا: (كان ذا مقامٍ كبيرٍ عند الخليفة العباسي المأمون).اهـ. نقلًا من كتاب "رواد علم الفلك" (ص٤٤).

وقال المقريزيُّ في كتاب "الخطط": (وقد كان المأمون لما شغف بالعلوم القديمة، بعث إلى بلاد الروم من عرَّب له كتب الفلاسفة، وأتاه بها في أعوام بضع عشرة ومائتين من الهجرة؛ فانتشرت مذاهب الفلاسفة في الناس، واشتهرت كتبهم بعامة الأمصار، وأقبلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم عليها، وأكثروا من النَّظر فيها والتصفح لها، فانجر على الإسلام وأهله من علوم الفلاسفة ما لا يوصف من البلاء والمحنة في الدين، وعظم بالفلسفة ضلال أهل البدع، وزادتهم كفرًا إلى كفرهم).اهـ.

وقال العلامة ابن القيم في "مفتاح دار السعادة" (٣/ ١٧٥): (وروي أنه دخل الفضل بن سهل على المأمون، في اليوم الذي قتل فيه، وأخبره أنه يقتل بين الماء والنار، وأنكر المأمون ذلك عليه وقوى قلبه، ثم اتفق أنه دخل الحمام، فقتل في الحمام).

قلت: الفضل هذا كان مجوسيًّا، ثم أسلم في خلافة المأمون. انظر ترجمته في: "تاريخ بغداد" (١٢/ ٣٣٦).

وقال ابن النَّديم في "الفهرست" (ص٣٨٣): (سند بن علي اليهودي... أسلم على يد المأمون، وكان منجمًا له، وهو الذي بنى الكنيسة التي في ظهر باب الشماسة، في حريم دار معز الدولة، وعمل في جملة الراصدين، بل كان على الأرصاد كلها).اهـ.

وقال أيضًا (ص٣٨٤): (يحيى بن أبي منصور... وكان أحد أصحاب الأرصاد في أيام المأمون، وله من الكتب كتاب: "الزيج الممتحن").

وقال أيضًا (ص٣٨٢): (ابن أثرى... وكان يهوديًّا في أيام المنصور وإلى أيام المأمون، وكان فاضلًا، أوحد زمانه في علم الأحكام...).

وقال صاحب كتاب "رواد علم الفلك" (ص٤٧): (لازم أبوالعباس الفرغاني الخليفة العباسي المأمون، فكان من المقربين عنده... أسند المأمون إليه دراسات كثيرة تتعلق بعلم الهيئة... كما عينه رئيسًا لرصد الشماسة في بغداد، الذي يعتبر أول مرصدٍ في الإسلام).

وقال أيضًا (ص٤٩-٥١): (وكان الحكيم حبش المروزي، من أقرب الناس للخليفة المأمون؛ حيث أحاطه بضرب من العناية والرعاية... فمن مصنفاته: "الزيج الممتحن" و"الزيج الدمشقي" و"الزيج المأمون" وكتاب "الأبعاد والأجرام").

وقال العلامة ابن القيم في "مفتاح دار السعادة" (٣/ ٧٨-٧٩): (حتى كان في عهد المأمون، فاتفق من رُصَّادهم وحكامهم علماء الفريقين، مثل: خالد بن عبد الملك المروزي، وحسن الزيج المأموني، ومحمد بن الجهم، ويحيى بن أبي منصور، على أنهم امتحنوا رصد الأوائل؛ فوجدوهم غالطين فيما رصدوه، فرصدوهم رصدًا لأنفسهم، وحرروه وسموه: "الرصد الممتحن"، وجعلوه مَبْدَأً ثانيًا بعد ذلك الزمن. وكان لأوائلهم إجماعٌ على صحة رصدهم، ولهؤلاء إجماع على خطئهم فيه، فتضمن ذلك إجماع الأواخر على الأوائل، أنهم كانوا غالطين، وإقرار الأواخر على أنفسهم أنهم كانوا بالعمل به مخطئين).

وقال أيضًا في المصدر نفسه (٣/ ٧٩): (ذكر أبوسعيد بن شاذان بن بحر المنجم في كتاب: "أسرار النجوم" قال: قال أبومعشر: أخبرني محمد بن موسى المنجم الحليس -وليس بالخوارزمي-، قال: حدثني يحيى بن أبي منصور، أو قال: حدثني محمد بن محمد الحليس، قال: دخلت على المأمون وعنده جماعة من المنجمين، وعنده رجل قد تنبأ، وقد دعا القضاة والفقهاء، ولم يحضروا بعد، ونحن لا نعلم، فقال لي ولمن حضر من المنجمين: اذهبوا فخذوا الطَّالع لدعوى رجلٍ في شيءٍ يدعيهِ، وعرِّفوني بما يدله عليه الفلك، من صدقه وكذبه، ولم يعلمنا المأمون أنه متنبئ، فجئنا إلى ناحية من القصر، وأحكمنا أمر الطالع).

وقال الذهبي في "تذكرة الحفاظ" (١/ ٣٢٨-٣٢٩): (لما قتل الأمين، واستخلف

المأمون على رأس المائتين، نجم التشيع، وأبدى صفحته، وبزغ فجر الكلام، وعُرِّبت حكمة الأوائل، ومنطق اليونان، وعمل رصد الكواكب، ونشأ للناس علمٌ جديدٌ، مُرْدٍ مهلك، لا يلائم علم النبوة، ولا يوافق توحيد المؤمنين، قد كانت الأمة منه في عافية -إلى أن قال-: إن من البلاء أن تَعرِفَ ما كنت تنكر، وتُنكِرَ ما كنت تعرف، وتُقَدَّمَ عقول الفلاسفة، ويُعْزَلَ منقول أتباع الرسل، ويُمَارَى في القرآن، ويُتَبَرَّمَ بالسنن والآثار، وتقع الحيرة، فالفرار قبل حلول الدمار، وإياك ومضلات الأهواء، ومجاراة العقول، ومن يعتصم بالله فقد هُدِيَ إلى صراط مستقيم). اهـ

واضحٌ جدًّا من هذه النقولات، أن الخليفة العباسي المأمون، اعتنى بنشر نظريات الأفلاك والنجوم عناية كبيرة: قرَّب المنجمين إليه، وبنى لهم الأرصاد، وأغدق عليهم بالمال، ولا يخفى عليك ما في هذا من إفساد عظيم لعقائد الأمة، وكيف لا؛ وقد قال الرسول ﷺ: «**إذا ذكرت النجوم فأمسكوا...**» رواه الطبراني في الكبير رقم (١٣٢٧)، وأبو نعيم (٤/ ١٠٨) عن ابن مسعود.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف على أمتي في آخر زمانها: النجوم...**» رواه الطبراني في الكبير رقم (٨١١٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أخاف على أمتي بعدي تكذيبًا بالقدر، وصدقًا بالنجوم**» رواه ابن عدي (٤/ ١٣٥٠).

وهذه الأحاديث يقوي بعضها بعضًا؛ فتصلح للاحتجاج. والأدلة كثيرة على تحريم التنجيم، ولا ينبغي أن يغيب عن أذهان المسلمين، أن الناس على دين ملوكهم، إلا من رحم الله، أعني: أن عناية المأمون بعلم التنجيم دفع بعض المسلمين إلى قبول ذلك، تعلمًا، وتعليمًا، وعملًا، ونشرًا، ودفاعًا، وتأليفًا، كلٌّ بحسب قدرته وذكائه، فما أعظمها من مصيبة ظهرت في أمة الإسلام!! وتتابع ملوك وحكام المسلمين المنحرفون على ما سار عليه المأمون، وكانوا سببًا كبيرًا لتأصيل الشرك والخرافة، من تنجيم وسحر، وعبادة الضرائح.

جريمة نسبة علم الأفلاك إلى الأنبياء والرسل وأتباعهم

لقد بلغت المجازفة من قِبَلِ أهل التنجيم القدماء، إلى أن قالوا: إن علمهم هذا مأخوذ عن الأنبياء وأتباعهم، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف:٥].

قال العلامة ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» (٣/ ٢٦١-٢٦٢) وهو يرد على القائلين بهذا القول: (فإن آدم وأولاده كانوا برءاء من ذلك، وأئمتكم معترفون بأن أول من عرف من الكلام في هذا العلم، وتلقيت عنه أصوله وأوضاعه، هو إدريس النبي عليه السلام، وكان بعد بناء هذا العالم بزمن طويل، هذا لو ثبت ذلك عن إدريس، فكيف وهو من الكذب الذي ليس مع صاحبه إلا مجرد القول بلا علم، والكذب على رسول الله عليه السلام، أوليس من الفرية والبهت، أن ينسب هذا العلم إلى أمة موسى في زمنه وبعده؛ فإنهم كانوا مُعَوِّلِيْنَ في مصالحهم على هذا العلم، وكذلك أمة عيسى، وأمة يونس، والذين كانوا مع نوحٍ، ونجوا معه في السفينة. وحسبك بهذا الكذب والافتراء، على تلك الأمة المضبوط أمرها، المحفوظ فعلها، فهل كان النبي ﷺ وأصحابه يعولون على هذا العلم، ويعتمدون عليه في مصالحهم، أو قرن التابعين بفعله، أو قرن تابعي التابعين، وهذه هي خيار قرون العالم على الإطلاق، كما أن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، وهم أعلم الأمم وأعرفها، وأكثر كتبًا وتصانيف، وأعلاها شأنًا وأكملها في كل خير ورشد وصلاح؛ كما ثبت في المسند وغيره، عن النبي ﷺ أنه قال: «**أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها، وأكرمها على الله**».

فهل رأيت خيار قرون هذه الأمة، والموفقين من خلفائها، وملوكها، وساداتها، وكبرائها، معولين على هذا العلم، أو معتمدين عليه في مصالحهم؟!). اهـ.

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عمن يقول: إن السيمياء والكيمياء علمان من علوم الأنبياء والأولياء... فأجاب: (وأما من قال: إن السيمياء من علوم الأنبياء والأولياء. فكاذب مفترٍ، لم يُعرَف عن نبي من الأنبياء أنه تكلم لا في هذا، ولا في هذا، ولا عن وليٍّ مقبول عند الأئمة، أما السيمياء فإنها من السحر ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[طه:٦٩]، ولا ريب أن السحرة قد يشتبهون بالأنبياء والأولياء، ويأتون ما يظن أن يضاهي ما تأتي به الأنبياء) "مجموع الفتاوى" (٢٩/ ٣٨٩-٣٩٠).

قلت: السحر الذي يعتمد أصحابه على الأفلاك كفر؛ لما فيه من الاعتقاد الباطل، أن للأفلاك تأثيرًا على الأحداث في الأرض، فكيف لو عُبِدَتْ، كما يفعل ذلك الفلاسفة الوثنيون؟! **فالمنتسبون إلى الإسلام من أصحاب الأفلاك السابقين، نسبوا إلى الأنبياء علم التنجيم، وأصحاب الهيئة المعاصرون نسبوا علم الأجرام السماوية إلى الإعجاز القرآني والنبوي.** فانظر كيف يلتقي الباطل وأهله، وكلا الفريقين مسيئان إساءةً عظيمةً؛ بنسبة ما لا يجوز بحال إلى الأنبياء، والرسل، والقرآن، والسنة.



العلم بالنجوم على قسمين: أحدهما ممنوع، والآخر مباح

أما المباح فالحساب، وأما الممنوع فالأحكام.

ومن الأدلة على المباح قوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[النحل:١٦]، وقوله تعالى بعد ذكره للشمس والقمر: ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾[الإسراء:١٢]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾[يونس:٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ١٨١): (لا ريب أن النجوم نوعان: حسابٌ وأحكامٌ، فأما الحساب: فهو معرفة أقدار الأفلاك والكواكب، وصفاتها، ومقادير حركاتها، وما يتبع ذلك، فهذا في الأصل علمٌ صحيحٌ لا ريب فيه، كمعرفة الأرض وصفاتها، ونحو ذلك، لكنَّ الجمهور على أن التدقيق منه كثيرُ التَّعب قليل الفائدة... وأما الأحكام التي هي من جنس السحر، فمن الممتنع أن يكون نبيٌّ من الأنبياء ساحرًا... إذ فيه من الكذب والباطل ما ينزه عنه العقلاء، الذين هم دون الأنبياء بكثيرٍ).

وقال أيضًا في نفس المصدر (٢٤/ ٢٥٦): (وأما العلم بالعادة في الكسوف والخسوف، فإنما يعرفه من يعرف حساب جريانها، وليس خبر الحاسب بذلك من باب علم الغيب، ولا من باب ما يخبر به من الأحكام، التي يكون كذبه فيها أعظم من صدقه؛ فإن ذلك قولٌ بلا علم ثابتٍ، وبناءٌ على غير أصلٍ صحيحٍ).

وقال العلامة ابن عثيمين في «القول المفيد على كتاب التوحيد» (٢/ ١٢٧) وهو يتحدث عن علم التَّسيير: (وهذا ينقسم إلى قسمين: الأول: أن يستدل بسيرها على

المصالح الدينية، فهذا مطلوب... الثاني: أن يستدل بسيرها على المصالح الدنيوية، فهذا لا بأس به، وهو نوعان: النوع الأول: أن يستدل بها على الجهات، كمعرفة أن القطب يقع شمالًا، والجدي هو قريبٌ منه يدور حوله شمالًا... وهكذا، فهذا جائز، قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[النحل:١٦]. النوع الثاني: أن يستدل بها على الفصول، وهو ما يعرف بتعلم منازل القمر).

وقال في نفس المصدر (٢/ ١٣٥): (ووجهه: أن علم التنجيم نوع من السحر، فمن صدق به فقد صدق بنوع من السحر).

وقال أيضًا في نفس المصدر (٢/ ٥٨): (إن الأمور التي تدرك بالحساب ليست من الكهانة في شيء، كما لو أخبر عن كسوف الشمس أو خسوف القمر، فهذا ليس من الكهانة؛ لأنه يدرك بالحساب، وكما لو أخبر أن الشمس تغرب في ٢٠ من برج الميزان مثلًا، في الساعة كذا وكذا، فهذا ليس من علم الغيب).

فاتضح من هذا النقل: أن علم الحساب والتسيير جائزان؛ لأنهما لا يتصادمان مع الغيب، وما ينتج عنهما أمرٌ مقدور عليه، من معرفة كسوف الشمس والقمر وخسوفهما، ومعرفة الجهات، ومعرفة الفصول الأربعة، وأما علم الأحكام، وهو الذي يتعاطاه أهل التنجيم والسحر من أحكام، على الأمور النقلية بتأثير الأحوال النجومية، فكفرٌ ودجلٌ.

حقيقة علوم الكفار التي برزوا بها في عصرنا

لقد ظهر في عصر الإلحاد المسمى بعصر النهضة الأوربية علمان، وهما: **الأول**: علم النظريات الكونية. **الثاني**: العلوم الدنيوية.

أما الأول: وهو **النظريات الكونية**، فالأدلة على بطلانه متظافرة شرعًا وعقلًا وحسًّا ومشاهدة، وبالتراجع من قِبَلِ كثير من الكفار القائلين بهذه النظريات، وأيضًا علم بطلانها بمخالفتها الأصول والقواعد والضوابط المعتبرة المتعلقة بالنظريات.

وأما الثاني: وهو **العلوم الدنيوية**، فهذا هو العلم الذي وصفهم القرآن به، قال تعالى مخبرًا عن الكفار: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾[الروم:٧]، وهذا العلم هو حظ الكافرين من سابق ومن لاحق، قال تعالى مخبرًا عن الكفار الماضين: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[غافر:٨٣]، فهذا العلم توسع فيه الكفار أكثر مما سبق، وهذا التوسع أمر مشهود لا ينكره أحد، وهو في غالبه يخدم الكماليات الدنيوية، من وسائل عمران الحياة، من اتصالات وكهربائيات، وطب وحساب وهندسة، وغير ذلك.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

أقسام العلم الدنيوي الحديث والحذر من قبوله بدون تمحيص




إن علوم الكفار -من سابق ومن لاحق- لا تخرج غالبها عن أنها علوم دنيوية، لا تسمن ولا تغني من جوع عن أمور الدين، قال الله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾[الروم:٧]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[غافر:٨٣].

وقد قسم العلماء علوم الكفار المستجدة إلى ثلاثة أقسام، قال العلامة ابن باز رحمه الله في "الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض" (ص٧٤) وهو يتحدث عن علم الهيئة: (يجب أن يقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم: تشهد له الأدلة العلمية بالصحة فهو مقبول. وقسم: تشهد له الأدلة العلمية ببطلانه فهو مردود. والقسم الثالث: لا يوجد في الأدلة العلمية ما يدل على قبوله أو رده، فيكون موقوفًا حتى يجد الناظر في ذلك من أهل العلم من الأدلة ما يرشده إلى قبوله أو رده، أما قبولها مطلقًا من غير فحص ولا نظر، بل بمجرد التقليد لهم، فأمر لا يجوز؛ لما يترتب عليه من الأخطاء الكثيرة، والقول على الله وعلى خلقه بغير علم، في مسائل كثيرة مما يقولون).

قلت: فالناس في العلم الحديث على طرفي نقيض: قسم قبلوا ما جاء به الأعداء مطلقًا، وقسم ردوه مطلقًا، والحق وسط بين الطرفين، كما قاله العلامة ابن باز رحمة الله عليه.

وعلى هذا: يكون الكلام في العلم الحديث بالتفصيل ردًّا وقبولًا، ولا يخفى عليك أن ما كان منه مقبولًا فليس كلامنا في هذا السفر عليه؛ لغرض رده أو إبطاله، فلم نختلف مع من يثبت منه ما هو صحيح، وإنما اختلافنا في ما لا يصح من العلم الحديث، فكيف تفرض صحته على المسلمين، ويحاكم إليه الإسلام؟!!

أشرف العلوم الدنيوية

إن العلوم الدنيوية كثيرة: كعلم الطب، والحساب، وتعلم الصناعات الحربية، وتعلم لغات الكفار؛ لنشر الإسلام فيهم، وما نحا نحوها فهذه أشرف علوم الدنيا، إذا استخدمت وسخرت في صالح الحياة.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في «أضواء البيان» (٦/ ٤٧٩) وهو يتحدث عن مثل هذه العلوم: (واعلم أن المسلمين يجب عليهم تعلم هذه العلوم الدنيوية، كما أوضحنا ذلك غاية الإيضاح في سورة مريم، في الكلام على قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾[مريم:٧٨]. وهذه العلوم الدنيوية التي بينا حقارتها بالنسبة إلى ما غفل عنه أصحابها الكفار، إذا تعلمها المسلمون، وكان كل من تعليمها واستعمالها مطابقًا لما أمر الله به على لسان نبيه ﷺ، كانت من أشرف العلوم وأنفعها؛ لأنها يستعان بها على إعلاء كلمة الله ومرضاته جل وعلا، وإصلاح الدنيا والآخرة؛ فلا عيب فيها إذن، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال:٦٠] فالعمل في إعداد المستطاع من القوة، امتثالاً لأمر الله تعالى، وسعيًا في مرضاته، وإعلاء كلمته، ليس من جنس علم الكفار الغافلين عن الآخرة، كما ترى. والآيات بمثل ذلك كثيرة).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٣/ ١٣٦): (وقد يكون علم من غير الرسول، لكن في أمور دنيوية، مثل: الطب والحساب والفلاحة والتجارة. وأما الأمور الإلهية والمعارف الدينية، فهذه العلم فيها مأخذه عن الرسول).

وقال السيوطي في «الإكليل» (ص١٦) وهو يتحدث عن القرآن: (... وقد احتوى على علوم أخر من علوم الأوائل، مثل: الطب، والجدل، والهيئة، والهندسة،

والجبر، والمقابلة... وغير ذلك).

وقال الله مخبرًا عن تعلم سليمان لمنطق الطير: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾[النمل:١٦].

ومما يجدر التنبيه عليه، هو أن هذه العلوم المذكورة متى استغلت لمحاربة الإسلام لم تقبل ممن استغلها، كاستغلال النصارى مهنة الطب للتنصير، كما هو حاصل في عصرنا، وكذلك لا يجوز الإقبال الكلي عليها، بحيث يترك التعلم لما لابد منه من العلوم الشرعية، أما لو حصل تفضيلها على العلوم الشرعية، فتلك طريقة الغُوَاةِ!!!

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

تعريف النظريات

قال أصحاب «المعجم الوسيط» (٢/ ٩٣٢) وهم يعرِّفون النظريات: (النظرية: قضية تثبت ببرهان). وأشار برمز «مو»، يعني: مولد.

وقالوا في الفلسفة: (طائفة من الآراء، تفسر بها بعض الوقائع العلمية والفنية).

قلت: التعريف الثاني أدقُّ؛ لأن النظرية قد تثبت وقد لا تثبت، وأما التعريف الأول: أن النظرية ما يثبت ببرهان، هذا على حسب دعوى أصحاب النظريات، ولكن أنَّى لهم أن يثبتوا البراهين على كثير من النظريات، كما أوضحناه في محله؟! قُلتُ: والنظرية من النظر، وهذا النظر إما أن يكون بالعقل والإدراك، وإما أن يكون في الآلات المعدة للرصد والكشف وغير ذلك.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

مولد النظريات ونشأتها وانتشارها

أول ما ظهرت النظريات الحديثة في أوربا على يد كوبر نيقوس البولندي، في القرن السادس عشر الميلادي، وقد تلقى دراسته في إيطاليا، ثم في روما، كما في «الموسوعة الفلكية» (٣٩٣).

وجاء بعده (جاليليو جاليليه) الهولندي في القرن السابع عشر الميلادي، وهو الذي مهَّد للنظريات أكثر ممن سبقه، وفي القرن المذكور جاء (نيوتن) الإنجليزي، واكتشف الجاذبية، والميكانيكا الكلاسيكية، وغير ذلك. «الموسوعة الفلكية» (٥٧٧).

واستمر المؤيدون للنظريات يكثرون شيئًا فشيئًا.

وأما انتشار النظريات، فقد قال أصحاب «الموسوعة الميسرة» (٢/ ١٠١٢-١٠١٣): (التجديد في الاصطلاح الغربي يعني: وجهة نظر في الدين، مبنية على اعتقاد بأن التقدم العلمي والثقافة المعاصرة، يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية، على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة، واعتبار أن الدين صحيح، ما لم يتعارض مع التطور... وأول ظهور لهذه الدعوة كان في القرن التاسع وأوائل القرن العشرين، على يد أحبار اليهود في ألمانيا أولًا، مثل: «هولدهايم» و«إبراهام جايجر»، ثم بدأت في فرنسا على يد الراهب الكاثولوكي الفرنسي «لوايزي»، ومنها انتشرت إلى باقي دول أوربا وأمريكا، حيث تأسست لها الجمعيات، وعقدت باسمها المؤتمرات، وأصدرت الصُّحف والنشرات، التي تدعو إلى مبادئها، واتخذت حركات التجديد الغربية، سواء اليهودية، أو النصرانية الغربية «كاثوليك وبروتستانت»، مظاهر عديدة مشتركة).

وقال صاحب كتاب «العلمانية...» (ص١٨٨): (فقد ولدت النظرية في عصر كان فيه الصراع بين العلم والدين على أشده، وكانت الثورة الصناعية قد أخذت تطمس

ملامح المجتمع الأوربي، وتصبغه بصبغة جديدة متحللة من الدين والأخلاق). وقال أيضًا (ص٤٦٢): (إن القرن الثامن عشر لم يخصص للدين، وإنما خصص للعلم والسياسة؛ فلم يعد زعماؤه قُسُسًا مسيحيين... بل فلاسفةً طبيعيين...).

قلت: انتشار النظريات كان بكثرة في آخر القرن التاسع عشر، وأكثر منه في القرن العشرين.



كلمة عامة عن النظريات العصرية




قال صاحب كتاب "الاتجاهات العقلانية الحديثة" (ص١٠٧): (إن هذه النظريات تقول: كل شيء في هذه الحياة يتطور من الحيوانات، والجماد والدين، والفكر، والعقل، والتاريخ. فخلطت الدنيا بالدين، والشهادة بالغيب، وجعلتها في ميزانٍ واحدٍ، ومن ثَمَّ زعمت أن الدين يتطور، كما أن الدنيا تتطور... فأخضع الباحثون لها كل شيء، حتى الأديان والعقائد، أقصد بذلك أن الباحثين في الغرب اتجهوا إلى إخضاع الدين للبحث بدعوى أنه من ثمرات التطور الفكري، والعقلي للبشرية... فقالوا: بأن الدين تطور من التعددية والبدائية، والطوطم عبر المراحل، حتى وصل إلى الاعتقاد بالإله الواحد، والتشريعات المدنية الراقية، بزعمهم).

فهذا المقال يكشف للقارئ الكريم أبعاد ما ترمي إليه النظريات، فما على القارئ الكريم إلا أن يتابع قراءة المواضيع، ويتمعن فيها؛ ليدرك هذه الأبعاد الخطيرة!!!

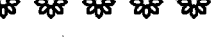

النظريات في بدئها لعبة، ثم صارت دينًا وملةً

الباطل أول ما يظهر يظهر بصورة الحقِّ، وتجعل له الدعاية الجذابة، حتى يصير شيِّقًا، ويسهل على الناس قبوله، وما أكثر ما يكون الداعي إلى الباطل في أول دعوته إليه في شكٍّ من صحة ما يدعو إليه، ومن ثم يصير عنده من المسلَّمات، التي لا تقبل النِّقاش، ومن هؤلاء: مؤسسو النظريات، فحالهم حال من ذكرنا آنفًا.

وأشهرهم في ذلك «جاليليو» الإيطالي؛ فقد ذكر صاحب كتاب «قصة الخلق» (٢٧٤) أن ستيلمان دلال قال: (نوه «جاليليو» في أحد خطاباته إلى أنه أراد نشر نظريته حول المد والجزر، ولو حتى ك(لعبة فكرية شيقة)).

وقال أيْضًا: (هل يعقل أن «هابل» هذا و«جينز» تُدْرَس أقوالهما ونظرياتهما، التي يعتبرونها هم لا شيء، وأنهم كانوا في حيرة والتباس، على طلاب العلم في مدارسنا وجامعاتنا؟!!) المصدر الأول (١٥٢).

وكتب «رنيكوس» أحد تلامذة «كوبرنيكوس» في مقدمة كتاب شيخه «حركات الأجرام السماوية»: إنه يعرض النظرية ليست على أساس ثبت علمي، بل كافتراض قابل للعكس. اهـ «قصة الخلق» (٢٥٨).

وقال جينز: (أمامكم عرض كبير من النظريات المختلفة؛ لتختاروا منها ما تشاءون، ولكني شخصيًّا لا أضع ثقتي في أي منها). اهـ المصدر السابق (١٥٢).

وقد ذكرنا في قواعد أصحاب النظريات: أن أكثرها كان افتراضًا. وهكذا يلعب هؤلاء بالأمم، ويفسدون الدين والدنيا بألاعيبهم.

ذكر عدد من الملاحدة المؤسسين للنظريات




لقد علم أن مؤسسي النظريات في أوربا كانوا ملاحدةً:

❑ ومنهم **"كوبرنيكوس"**؛ فقد ألف كتابًا بعنوان "حركات الأجرام السماوية"، وهو يتألف من ستة أجزاءٍ، أقرَّ فيه بألوهية الشمس ودعا إلى عبادتها، وأحيا في كتابه المذكور أقوال "فيثاغورس" في الأرض وغيرها، وزاد فيه أشياء كقوله: (إن هذه الأجرام لا يحركها محرك من خارجها، بل تتحرك بإرادتها، وبتوجيه من الشمس). اهـ وقرر فيه إنكار كل الظواهر المرئية، واعتبرها نتيجة لدوران الأرض، ولم تنشر هذه النظريات لـ"كوبرنيكوس"؛ خشية التصادم مع النصارى، وبعد موته بثلاث عشرة سنة، نشر كتابه المذكور على يد تلميذه "رينكوس"، وقال التلميذ في مقدمة الكتاب المذكور: (إنه يعرض النظريات ليست على أساس ثبت علمي، بل كافتراض قابل للعكس). اهـ

وقد استمرت نظرياته قرنًا من الزمان، لا يأبه بها.

❑ ومنهم **"جاليليو جاليليه"** جاء بعد "كوبرنيكوس" بقرابة قرنٍ، أي في القرن السابع عشر، وكان مشتغلًا بعلم الأفلاك فأخذ نظريات "كوبرنيكوس" ودعا إليها وفرح بها؛ لأنها معارضة للدين، وقام بتأليف كتابه "الحوار" ضمنه نظريات "كوبرنيكوس"، وتضمن هذا الكتاب التكذيب بالغيب: الجنة والنار والعرش والكرسي والملائكة وغير ذلك. وقد انتشر صيت هذا الرجل وكتابه في عالم النصارى، ثم في المسلمين، واعتُبر "جاليليو" رائد النهضة في أوربا، وأبًا للعلوم الإلحادية آنذاك.

❑ ومنهم **"إسحاق نيوتن"** اليهودي، ولد يوم مات "جاليليو"، وهو من أصحاب النظريات، وقد قام بالانتصار لِمَا دعا إليه "جاليليو"، واكتشف قانون الجاذبية، وهل إثبات الجاذبية إلَّا إنكار لربوبية الله للكون.

❑ ومنهم «أينشتاين»، قال صاحب «قصة الخلق» (ص٤٠): (أينشتاين الذي ذكرنا كلمته التي يعبِّر فيها أن مجرد الشُّعور الديني، دون التقيد بنحلة أو ملة، غاية العبقرية. وهو يدعو لأن يقوم العلم والفن بإحياء هذا الشعور على الدوام، عبر الأجيال).

❑ ومنهم «هيك بهزي» الذي قال: (ائتوني بالهواء وبالماء، وبالأجزاء الكيماوية، وبالوقت، وسأخلق إنسانًا!!). «قصة الخلق» (٣٦).

❑ ومنهم «جينز» الفلكي المتوفى سنة ١٩٤٦، الذي نفى وجود الله!!

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

دخول النظريات بلاد المسلمين

بعد استمرارية المواجهة لإلحاد الفلكيين في بلاد الغرب والشرق، في القرن التاسع عشر والقرن العشرين، انتقلت هذه النظريات إلى بلاد المسلمين في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، عن طريق أصنافٍ من الناس، ومنهم:

١) **الدَّارسون في بلاد الكفار**: فلقد رجع من رجع من أبناء المسلمين الدَّارسين في بلاد الغرب والشرق، وقد فُتِنُوا بحضارة الكفار، ومن ذلك دعوى التَّقدم بالاكتشافات الكونية، فأخذ هذا الصِّنف ينشر هذه النظريات؛ فواجهه علماء المسلمين بالإنكار عليهم والرفض لها؛ فَشَنُّوا الحرب على علماء الإسلام، من رميهم بالجمود، والتحجر، والرجعية، والتخلف، وغير ذلك، وعلماء الشريعة يرون أن هؤلاء الدعاة إلى النظريات على فسوق وضلال وابتداع.

٢) **المستعمرون**: فإنه لما داهمت جيوش الكفار بلاد المسلمين وتغلَّبوا على كثير من المسلمين، ودام بقاء هؤلاء الكفار في بلاد المسلمين مدة من الزمان، قام دعاتهم وعلماؤهم المفتونون بالنظريات بالدعوة إلى التَّسليم بها، وفي خِضَمِّ المعركة والمواجهة من علماء المسلمين لأرباب النظريات، برز فريقٌ من كُتَّابِ المسلمين مناديًا وقائلًا: إن النظريات هذه لا تعارض القرآن، بل القرآن قد جاء بها، أو دل عليها. فَخَفَّتْ مقاومة بعض علماء المسلمين لهذه النظريات، ظانين أن الصنف المدَّعي موافقتها للقرآن قد أصاب، وما علموا أنه سائر على طريقة المبطلين، الذين يرومون الجمع بين الحق والباطل، ولكن الله غالبٌ على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون!!

القواعد التي صار عليها مُصَحِّحُو نظريات الكفار من كُتَّاب المسلمين



لقد قام فريقٌ من جُهَّالِ المسلمين بحال ملاحدة النظريات، بقبول النظريات، ووضعوا لهم قواعد يسيرون عليها، وهي كالآتي:

الأولى: التَّلفيق بين ما جاء به الإسلام والنظريات: ولهذا أكثروا من الاستدلال بالقرآن على سيرهم هذا، وهذه الطريقة طريقة الزنادقة قبلهم، الذين راموا الجمع بين كلام الفلاسفة، وبين الشريعة الإسلامية.

الثانية: الجزم والتسليم بصحة النظريات مطلقًا: وهذا يدل على أنهم ليسوا أهلًا للبحث والتحري، فضلًا عن أن يكونوا أهلًا للدفاع عن الإسلام وحمايته.

الثالثة: التَّصريح بقولهم عند إيراد النظريات: (ثَبَتَ وتَقَرَّرَ وتَحَقَّقَ، وغير ذلك): عندما يُورِدُ فلاسفة المسلمين النظريات كثيرًا ما يقولون: ثَبَتَ كذا، ويذكرون النظرية، أو: قرَّر علماء الكون كذا وكذا، وتحقق لدى أصحاب الاكتشافات كذا وكذا، مع أن من النظريات هذه ما تكون غير ثابتة عند أصحابها، وعلى سبيل المثال:

نظرية المادة المظلمة: لم يكتشفوا حقيقتها، والدكتور مصطفى إبراهيم فهمي في كتابه «علوم القرن الحادي والعشرين»، يقول في هذه النظرية: (وقد ثبت أن كل مجرة يحيط بها هالات ضخمة من المادة المظلمة).

بل بعض النظريات قد تراجع أربابها عنها، وبعضها صرَّحوا بعدم تكامل البحث فيها، وسيجد القارئ تنبيهات على هذا في المناسبات، وهذا التصرف منهم جرأة عجيبة، وضياع للأمانة العلمية، وكأنهم نظروا إلى أن كتب فلاسفة الأفلاك ليست متداولة عند المسلمين، فلو غيروا وبدلوا لم يفتضحوا، ولكن هيهات! هيهات! أن

يتمَّ لهم هذا.

الرابعة: اكتفاؤهم بذكر نظرية واحدة في المسألة، وفيها عدة نظريات، مما اتضح لي ولغيري: أن المخدوعين من المسلمين بما عند الكفار في النظريات، يذكرون نظرية واحدة، ويتركون ما عداها من النظريات في المسألة نفسها، وعلى سبيل المثال دوران الأرض، هو عند المدعين له على ستة أنواع، سيأتي ذكرها في محلها، وأصحابنا ذكروا دورانًا واحدًا.

الخامسة: لا يحرصون على ذكر من رد النظريات من أرباب النظريات، فما من نظرية إلا وقد عورضت من قِبَلِ عدد من الكفار، معارضة تنقضها، أو تبطلها، أو توهنها، أو عورضت بمثلها، فيأتي هؤلاء بالنظرية من وجهٍ، ويتركون ذكر المعارضة لها، وهذا الإهمال منهم إما جهل بالمعارضة، وإما تجاهل منهم ليتوصلوا إلى إقناع المسلمين بسهولة، وكلا الأمرين لا يليقان بهم!!

السادسة: استخدموا مصطلحات مختلقي النظريات: وعلى سبيل المثال: إطلاق ملاحدة النظريات لفظ (السماء) في الكون الأعلى، ويريدون بها الفضاء، والنجوم، والمجرات، فيأتي أصحابنا ويمشُّون هذا الاصطلاح على ما هو عليه، دون تنبيه على ما فيه من فسادٍ عظيمٍ، فيظن القارئ الذي لا خبرة له باصطلاحاتهم، أنهم يثبتون السماء الدنيا وما بعدها، وهم لا يثبتونها.

السابعة: مبادرتهم إلى الاستدلال بالآيات القرآنية على صحة النظريات، دون الرجوع إلى ما قاله علماء التفسير في هذه الآيات؛ جهلًا منهم بأهمية الرجوع إليهم، أو تجاهلًا، وقد سبب لهم هذا التصرف التصادم مع كلام الله، ومع العلماء، وغير ذلك.

الطريق الذي سلكناه في نقض النظريات وإبطالها

لقد سلكت في نقض النظريات وإبطالها طريقةً واضحة المعالم، شامخة الدلائل، ثابتة القواعد، محكمة الضوابط، سليمة العواقب، وهي كالآتي:

الأول: النظريات المتعلقة بخلق السماوات والشمس والقمر والنجوم وبأحوالهن، غير ميسور للبشر العلم بها بدون شرع الله؛ لأن الله لم يمكن للمخلوق البشري التوصل إلى أحكامها وصفاتها عن طريق وسائله، فها هي الأدلة ناطقةٌ بأن الله مكَّن المخلوق البشري في الأرض، قال الله في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾[الأعراف:١٠]، وقال تعالى: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[الأعراف:٢٥]، فدل هذا على أن التمكين لهم في الأرض.

وقال تعالى مخبرًا عن ذي القرنين: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾[الكهف:٨٤]. فهذا الملك أعطي أسبابًا عظيمة، بلغ بها مغرب الشمس ومشرقها، ووصل بها إلى معرفة مكان يأجوج ومأجوج.

وأعطى الله النبي سليمان عليه السلام ملكًا لم يعطه لأحدٍ بعده، وهو التمكين في الأرض، لا في غيرها.

وعلى كلٍّ فهذه الآيات وأمثالها تدل دلالةً واضحةً على أن حياة الإنسان في الأرض وعليها، ففيها سكناه، وفيها تحركاته، زراعةً وتجارةً وترؤُّسًا، فليس له مكانٌ ممكَّنٌ فيه غير الأرض، فالمدعون للاكتشافات في الكون الأعلى غير ممكنين من قِبَلِ الله، فإن سُلِّم لهم رُدَّ القرآنُ، وإن لم يسلَّم لهم -وهو الحقُّ- بقي النظر في الاكتشافات، وعرضها على القرآن والسنة، فما قُبِلَ منها فمقبول، وما ردَّ فمردود،

وبهذا قامت السماوات والأرض.

الثاني: ما اشتمل عليه القرآن الكريم والسنة المطهرة، من إخبار اللطيف الخبير عن خلق السماوات وما فيهن، وخلق الشمس و القمر والنجوم والكواكب، والجنة والنار، والعرش والكرسي، وتفصيل أحوال المذكورات، دليلٌ عظيمٌ على أن العلم بالمذكورات ليس إلا لِلّهِ، وَمِنَ الله، فَمَن رام الوصول إلى هذه المذكورات وأمثالها بوسائله البشرية، فقد رام المُحَالَ، فَلْيَرْبَأْ بنفسه، فمن زين له الشيطان أنه سيصل إلى ما لا قدرة له به، فقد أغواه.

الثالث: الكون الأعلى محفوظٌ محروسٌ، أما حفظه فقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾[الأنبياء:٣٢]، وفي سماء الدنيا الشمس والقمر والنجوم والكواكب، فهن داخلات في حفظ السماء، وأما دليل الحراسة، فقوله تعالى مخبرًا عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[الجن:٨-٩] ، فإذا كان الجن مع ما أعطاهم الله من القدرة على الطيران والصعود في الجو، لا يقدرون على أن يصلوا إلى سماء الدنيا، وإنما يحاولون الاقتراب منها، فمن باب أولى أن يعجز الإنس الذين لم يعطهم الله القدرة التي أعطاها الجن، وإذا كانت غاية الجن أن يتوصلوا إلى استراق السمع فقط، دون الاكتشاف والبقاء والسكن هناك، فمن باب أولى ألَّا يحصل من هذا شيءٌ لأصحاب المكوكات. وفرقٌ كبيرٌ بين قوة الطيران التي أعطاها الله للجن، وبين السُّفن الفضائية؛ فهذه آلات لا تبلغ مبلغ ما أعطاه الله الجن من قوةٍ ذاتية.

ولهذا كم حصل لأصحاب السفن الفضائية من خسائر بدنية ومالية، فتارة ينتهي الأوكسجين، وتارة يختل المركب، وتارة يتيهون في الجو، فهذا أيضًا دليلٌ على عدم التَّمكين لهم في الجو، فضلًا عن التمكين لهم في عالم الملكوت الأعلى، فهذا التقرير مفيدٌ جدًّا في هذا الباب، فَتَنَبَّه.

الرابع: عَرَضْتُ نظرياتهم على القرآن والسنة المطهرة، فوجدت أن كثيرًا من

النظريات منقوضة بحكمها، كما هو مبينٌ في فصول هذا الكتاب.

الخامس: حاكمت النظريات وأصحابها إلى العقل السليم، فوجدت عقول الأمم من لدن آدم عليه السلام إلى وقتنا هذا، لا تقبل كثيرًا من هذه النظريات، ووجدت عقول أهل الحقِّ أشدَّ استنكارًا، وأعظم رفضًا للاكتشافات، إلا ما ثبت منها بيقين.

السادس: رأيت أن أي نظرية عاندت المشهود للناس والمحسوس، فبطلانها أوضح من عين الشمس في رابعة النهار، وما عند صاحب النظرية بعد ذلك إلا المكابرة الساقطة.

السابع: حرصت على نقل النظرية، وما يتعارض معها مما يوهنها، أو ينقضها، وقد وجدت من هذا الشَّيءَ الكثير، وهذا يجعل القارئ اللبيب يتحرى جهة الصواب.

الثامن: نقلت نقولات طيبة عن المعترفين بالحقيقة من أصحاب النظريات، فإذا بهم يُدْلُونَ بحقائق تثبت عدم وصولهم إلى كثير مما يذكر من الاكتشافات؛ فهي حجَّة على أصحاب النظريات.

التاسع: ذكرت اعترافهم بعجز وسائلهم عن إثبات كثير من النظريات بالجزم والتسليم.

نظريات (بطليموس) أكثر النظريات قبولاً عند المنتسبين إلى الإسلام

إن النظريات الفلكية كثيرة، من هندية ويونانية وغير ذلك، ولكن كان التوجه من قبل المقبلين على فلسفة الكواكب والنجوم، على نظرية "بطليموس" أكثر، و"بطليموس" هذا ولد في صعيد مصر، وتعلم في الإسكندرية ونبغ هناك، وتوفي عام ١٦٠ بعد الميلاد، وكان وثنيًا ملحدًا، لا يؤمن بالله، ولا باليوم الآخر، بل كان يعبد الأصنام.

قال العلامة ابن القيم في "مفتاح دار السعادة" (٣/ ٢٤٣): (وإنما الذي ذكرهم بهذه الأحكام المشركون عباد الأصنام والكواكب، مثل بطليموس).

ويقول القفطي في كتابه "تاريخ الحكماء": (وإلى بطليموس هذا انتهى علم حركات النجوم، ومعرفة أسرار الفلك، وعنده اجتمع ما كان متفرقًا من هذه الصناعة بأيدي اليونانيين والروم وغيرهم). والشاهد قوله: (بأيدي اليونانيين والروم....) هؤلاء وثنيون آنذاك.

قلت: وله ترجمةٌ موسعةٌ في كتاب "رواد علم الفلك"، وله كتاب "النظام الفلكي الكبير"، لخَّص فيه أعمال الفلكيين اليونانيين القدماء، وهو المعروف عند العرب والمسلمين "المَجِسْطِي"، وهو المعتمد عليه عندهم.

قال العلامة ابن القيم في "مفتاح دار السعادة" (٣/ ٧٨): (إن هؤلاء القوم قد أقروا على أنفسهم، وشهادة بعضهم على بعض، بفساد أصول هذا العلم وأساسه، فقد كان أوائلهم من الأقدمين وكبار رُصَّادِهم، من عهد "بطليموس" و"طيموحارس" و"مانالاوس"، قد حكموا في الكواكب الثابتة بمقدار، واتفقوا على أنه صحيح الاعتبار، وأقام الأمر على ذلك فوق سبعمائة عام، والناس ليس بأيديهم سوى تقليدهم).

قلت: يريد بالناس المنتسبين إلى الإسلام. ومما يدل على ما قاله الإمام ابن القيم الآتي:

أبوالعباس الفرغاني أحمد بن محمد: ألف كتابًا بعنوان «أصول الفلك» وهو مختصر لكتاب «المجسطي» لـ«بطليموس». «رواد علم الفلك» ص(٤٨).

أبوالعباس الفضل بن حاتم النيريزي، المتوفى سنة ٣١٠هـ: نقل كتاب «المجسطي» لـ«بطليموس» إلى اللغة العربية). انظر «رواد علم الفلك» (ص٥٥-٥٦).

أبوعبدالله محمد بن جابر بن سنان البتاني، المتوفى سنة (٣١٧هـ): قال صاحب كتاب: «رواد علم الفلك» (ص٦٢): (وله العديد من الكتب في الفلك، من بينها: الشرح المختصر لكتب بطليموس الفلكية الأربعة).

أبوالحسن عبدالرحمن الصوفي، المتوفى سنة (٣٧٦هـ): قال صاحب كتاب «رواد علم الفلك» (ص٧٢-٧٣): (اعتمد الصوفي في دراسته لعلم الفلك في بادئ الأمر على كتاب «المجسطي»، لـ«بطليموس»... استند الصوفي على إثبات صورة الثماني والأربعين، وهي التي ذكرها «بطليموس» في مؤلفه «المجسطي»، على المشاهدة الحقيقية).

أبوالوفاء محمد بن يحيى البوزجاني: قال صاحب كتاب «رواد علم الفلك» ص(٧٦): (كتب أبوالوفاء البوزجاني شروحًا كثيرة... وكتاب المجسطي في علم الفلك لـ«بطليموس»...).

أبونصر منصور بن علي بن عراق، توفي سنة (٣٩٠هـ): (اعتكف أبونصر بن عراق في بيته، حتى أنهى كتاب «المجسطي الشاهي» الذي يعتبر موسوعة في علم الفلك). كذا في كتاب «رواد علم الفلك» (ص٨٩).

أبوعمران بن موسى بن يونس، يعرف باسم كمال الدين: توفي سنة (٦٣٩)هـ، (تفنن كمال الدين بن يونس في علم الفلك؛ فشرح كتاب «المجسطي» لـ«بطليموس» شرحًا وافيًا شافيًا) كذا في كتاب «رواد علم الفلك» (ص١١١-١١٢).

وقال صاحب كتاب: «رواد علم الفلك» (ص٢١): (لأن كتابه «المجسطي» الذي

يعتبر دائرة معارف في علمي الفلك والجغرافيا، اعتمد عليه علماء العرب والمسلمين، في نتاجهم في مجال علم الفلك في بادئ الأمر).

أخي القارئ ذكرت هذه الأسماء؛ للتدليل على أن كثيرًا من الفلكيين المنتسبين إلى الإسلام وأهله، اعتمدوا كثيرًا على كتاب "بطليموس" وهو "المجسطي".

بعض قواعد بطليموس

رأيت من باب الفائدة أن أذكر مجموعة من قواعد (بطليموس)، المتعلقة بديانته، ومعتقده، وعبادته، ومنهجه، فمن ذلك:

اعتقاد "بطليموس" أن للنجوم والكواكب تأثيرًا على الأبدان والنفوس، وهذا الاعتقاد شرك

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في "مفتاح دار السعادة" (٣/ ٩٥)، وهو يتكلم عن النجوم والكواكب: (وأما القول بتأثيرها في الأبدان والأنفس فهو قول "بطليموس" وشيعته، وأكثر الأوائل من المنجمين... فزعم "بطليموس" أنه يعلم بهم السعادة).

فاتضح من هذا أن "بطليموس" وأتباعه يعتقدون: أن الكواكب من شمس وقمر ونجوم، هن سبب السعادة والشقاوة، وأن ما في الكون من فساد فهو بسببهن.

قول "بطليموس": إن طبائع الأجرام السماوية واحدة

قال العلامة ابن القيم في "مفتاح دار السعادة" (٣/ ١١١): (والعجب من هؤلاء!! يعلمون قول مقدمهم "بطليموس": أن طبائع الأجرام السماوية واحدة، ثم يحكمون على بعضها بالحرارة، وعلى بعضها بالبرودة، وكذا بالرطوبة واليبوسة).

وأبان ابن القيم بطلان هذا من عدة وجوه، ومن ذلك قوله: (هذا باطل؛ فإن الفارق بين الأجرام في الصفة والحركة وغير ذلك، أكثر من الجامع).

(بطليموس) يرى أن الكواكب الدالة على الصناعات ثلاثة: المريخ وَالزُّهَرَة وَعُطَارِد

قال العلامة ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» (٣/ ١٠٧): (إن (بطليموس) جعل الكواكب الدالة على الصناعات ثلاثة: المريخ والزهرة وعطارد).

ومن مقررات «بطليموس»: القول بثبات الأرض، وجريان الشمس

وسيأتي الكلام على هذه المسألة.

وخلاصة القول: أن الفلكيين من المسلمين قد فتنوا بـ«بطليموس»، افتتانًا عظيمًا، وما هذا إلا لجهلهم، وإلا فما الذي عند «بطليموس» من حقائق؛ حتى يعتمد عليه؟!! فها هو ابن القيم ينقل عن «بطليموس» أن علمهم هذا مبني على غير اليقين.

فقد قال في «مفتاح دار السعادة» (٣/ ١٤٣): (الذي صرح به «بطليموس» أن علم أحكام النجوم، بعد استقصاء معرفة ما ينبغي معرفته، إنما على جهة الحَدْسِ، لا العلم واليقين، فمن ذلك قوله هذا. وبالجملة: فإن جميع علم حال هذا العنصر إنما يستقيم أن يلحق على جهة الظن والحدس، لا على جهة اليقين).

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

نبذة عن «الموسوعة الفلكية» التي اعتمدتها في نقل النظريات

لقد جعلت «الموسوعة الفلكية» الأصل المعول عليه في نقل النظريات؛ لأمور منها:

١) مؤلفا الموسوعة فلكيان من كبارهم:

الأول: (هتسمرمات) أستاذ الفلك بجامعة هامبورج (ألمانيا الشرقية).

والثاني: (مايمرت) أستاذ الفلك بجامعة فريدريك شبلر (ألمانيا الغربية).

٢) احتوت الموسوعة على أكثر من ألفي تعريفٍ واصطلاحٍ لأهل الأفلاك، ولا ريب أن الاستعانة بهذه المصطلحات مفيدةٌ لنا في بحثنا هذا.

٣) حشد فيها مؤلفاها نظرياتٍ كثيرةً قديمةً وحديثةً، وأكثرها في النظريات الحديثة، من بداية عصر النهضة الأوربية، إلى الستينات من القرن العشرين.

٤) قد عزا مؤلفا الموسوعةِ كثيرًا من النظريات إلى أصحابها، أولًا بأول. وهذا يسهِّل علينا معرفة النظريات المتقدمة والمتأخرة، وغير ذلك.

٥) قام مؤلفا الموسوعة ببيان ما وصلت إليه النظريات من قبولٍ أو رد، من تكامل في البحث وعدمه، من نقص وعدمه، من افتراض وعدمه، وهذا هو الذي افتقده كثير من كُتَّاب المسلمين، الذين كتبوا في النظريات، مصححين لها، ولو تحروا وتوسعوا في القراءة وفي النقل لما لفظت شفاه لهم بأن نظرية واحدة إعجاز قرآني أو نبوي؛ فإلى الله المشتكى!!

٦) الموسوعة احتوت على أكثر من خمسمائة صفحة، في الصفحة أكثر من ثلاثين سطرًا ولم يحصل فيها ذكر الله، بلفظ خالق مثلًا أو ربٍّ أو مدبرٍ أو مالكٍ، مع أن

أكثر النظريات في الخلق.

وهذا يدل على أن النظريات الكونية أسست على الإلحاد من زمن بعيد، مع أن مؤلفي الموسوعة من النصارى، ولكن لوجود الإلحاد عندهما انعدم في الموسوعة أي ذكر له صلة بالله، فهذه القضية لا ينبغي تجاهلها من قِبَلِ كتَّاب المسلمين في النظريات!!

٧) قام بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية الدكتور عبد القوي عباد، مع مساعدة محمد جمال الدين الفندي، وقد أثنى عليهما صاحبا الموسوعة، مما يدل هذا على أن الترجمة مرضية عندهما.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

الصعوبات التي يواجهها الصاعدون إلى الفضاء والدارسون للكون الأعلى

لقد أوضح أصحاب النظريات والأرصاد الصعوبات التي تعترضهم حال صعودهم إلى الفضاء، كما يزعمون، قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (٣١٠-٣١١): (الشروط التكنولوجية تُتمثِّلُ العقبة الكبرى بالنسبة لغزو الفضاء، في ضرورة انطلاق مركبات الفضاء من فوق سطح الأرض، بذلك تخضع هذه المركبات لتأثير جذب الأرض، الشيء الذي يتطلب طاقة كبيرة للتغلب عليه، وعند الانطلاق لا بد أن تصل المركبات الفضائية إلى سرعة عالية، وفي وقت قصير بقدر الإمكان).

قوله: (لا بد أن تصل المركبات...) هذه محاولة وكم محاولات باءت بالفشل.

وقال أيضًا (٣٢٥): (وبالنظر إلى كثير من الصعوبات التي تواجهنا في دراسة النجوم العادية، نجد أنه ليس من العجيب في شيء، أننا لا نعرف الكثير حتى اليوم عن النجوم غير العادية. وعمومًا: فإننا نكون سعداء إذا وجدنا تعليلاً كيفيًّا لطريقة حدوث الاختلافات).

وقال أيضًا (ص٣٢٥) وهو يتحدث عن الاضطرابات في النجوم: (وهذه الاضطرابات ممكنة الحدوث أساسًا في حالة النجوم الباردة نسبيًّا، وذات النوع الطيفي المتأخر، التي لم تدرس حتى الآن؛ بسبب صعوبات كبيرة).

وقال أيضًا (ص٣١١) وهو يتحدث عن السرعة الفضائية لمركباتهم: (وتلك السرعة هي ما يسمى بالسرعة المكافئة أو سرعة الإفلات، كما تسمى أيضًا بمرحلة السرعة الكونية الثانية، فإذا ما حصل جسم ما على هذه السرعة تمامًا، فإنه يمكنه الإفلات من قبضة الجاذبية للأرض من فوق مدار على شكل قاطع مكافئ).

وقال أيضًا في نفس الصفحة: (فركبة الفضاء تتحرك أطول وقت من مدارها بدون دفع، وتحت تأثير جذب الأجسام السماوية المجاورة فقط).

قلت: أفادت هذه النظرية أن مراكبهم الفضائية ممكن أن تصل إلى مسافة في الجو لا يقدرون على التحكم فيها، وأنها تحرك بغير أجهزتها، وهذا يدل على عدم الوصول إلى الأجرام نفسها، وقد يقال: جاذبية الأجرام تستجذبهم، حتى يصلوا إليها، فالجواب: قد سبق أن ذكرنا أنه لا جاذبية، ولو كانت الجاذبية موجودة، كما يقولون لجذبتهم جاذبية النجوم أو الشمس أو القمر إليها، وما قدروا على الرجوع إلينا؛ لأنها صارت قاهرة لهم، وصاروا مأخوذين بها، فإن سلم برجوعهم وهو الواقع، فيلزم التسليم بعدم وصولهم إليها، وإذا سلم بعدم وصولهم، سلم بعدم الجذب.

وقال (ص٣١١-٣١٢): (الشروط الواجب توافرها في مركبة الفضاء المأهولة بالإنسان: هناك صعوبات خاصة، تعوق إرسال المركبات المأهولة بالإنسان إلى الفضاء؛ لأن الظروف السائدة خارج الغلاف الجوي الأرضي معادية جدًا لحياة الإنسان، وإحدى هذه الصعوبات يمثلها الفراغ الكامل تقريبًا من الوجهة العملية الذي تحدث فيه رحلات الفضاء، بذلك تفتقد الأكسجين، الذي لا نستطيع الاستغناء عنه في عملية التنفس).

قلت: يكفي القارئ من هذه النظرية قوله فيها: (لأن الظروف السائدة -يعني: الشائعة- خارج الغلاف الجوي، معادية جدًا لحياة الإنسان). اجعل هذه الحقيقة نصب عينيك؛ لأنها تتفق مع الأدلة التي ذكرناها في بيان طريقنا الذي سلكناه في الرد على أصحاب النظريات، ومن ذلك أن الوصول إلى الكون الأعلى غير ميسر لهم.

وقوله: (وإحدى هذه الصعوبات يمثلها الفراغ الكامل). وهذه الحقيقة اجعلها نصب عينيك أيضًا؛ لأنها توضح أنهم يسبحون في الفضاء الذي بين السماء والأرض، ولم يصلوا إلى الأجرام السماوية، ولم يخرجوا عنه وإن كانوا يسمونه الفضاء اللانهائي، والعبرة بالحقائق لا بالشقاشق، فهو فضاء بين السماء والأرض.

وقال (ص٣١٢): (مهمة أخرى هي حماية الإنسان ضد تأثير العوامل غير الأرضية، مثل الخطر الذي يأتي من الإشعاع القوي للشمس في النطاق فوق البنفسجي).

وهذه حقيقة أيضًا، وهي: المعاناة من شعاع الشمس، فإذا كنا نجد حرارة الشمس ونحن في الأرض، فمن باب أولى أن يجدها من كان في الجو أشد؛ لأنه كلما قرب منها كانت حرارتها عليه أشد، وهذا يدل على بطلان قول بعضهم بصلاح الحياة على سطح الشمس والقمر والمريخ وغير ذلك. وشعاع الشمس المذكور مانع حقيقي من الوصول إلى الكون الأعلى، فأضفه إلى ما سبق من قولهم: إن الظروف السائدة خارج الغلاف الجوي الأرض معاديةٌ جدًا لحياة الإنسان.

وقال أيضًا (ص٣١٢): (وعلاوة على ذلك، لابد أن يحتمي رجل الفضاء من أي ارتطام محتمل لشهاب أو نيزك، بجسم المركبة، إلا أن هذا الخطر ليس كبيرًا جدًا بالنسبة للمخاوف السابقة، ولضمان سلامة رجال الفضاء فإن الكبائن تصنع مزدوجة الحائط؛ حتى يمكن بشدة فرملة أي شهاب يحتمل ارتطامه بالسفينة في الطبقة الخارجية، بحيث لا يمكنه الوصول إلى الطبقات الداخلية).

قلت: الرمي بالشهب معلوم بالضرورة، وحاصل لا محالة، وهذه الشهب يرمى بها مسترقو السمع من شياطين الجن، ولكن لا يمنع من أنها تصيب غيرهم كهؤلاء، فكم سيظل هؤلاء يقولون: فلتنا منها، وتارة يقولون: ذهبنا مناطق بعيدة، وغير ذلك من نقولاتهم.

وقال أيضًا في المصدر نفسه (٣١٢): (بجانب هذه الأخطار الخارجية يحدث لرجال الفضاء إجهاد جسمي ونفسي، وهذان يرتبطان على سبيل المثال بفعل العجلة الشديدة التي تحدث في أثناء كل من الانطلاق والهبوط، وكذلك بسبب فقدان الجاذبية أثناء قطع الجزء الإيجابي من المدار، ويرجع الإجهاد النفسي إلى اضطرار طاقم مركبة الفضاء للبقاء فترة زمنية طويلة في أصغر حيز، ومن كون رحلات الفضاء ما زالت مليئة

بالمجازفات، على الرغم من كل الاحتياطات المتبعة).

تأمل ما في هذا المقال من أمور؛ ليزداد علمك بحقيقة ما هم عليه. فكيف إذا سمعت بما يجري لهم، قال صاحب كتاب «قصة الخلق» (٤٥٠): (إن هؤلاء الفضائيين أصيبوا بخيبة أمل، ولكنهم لا يعلنون ذلك، ولكن يقولون: إن السفر إلى القمر سيصبح كأنه رحلة إلى بلد ما على الأرض. وهم كاذبون؛ لأنهم بعدما وجدوا أنه لا جدوى ولا طائل وراء القمر، ولا مقابل للرحلة الشاملة والمكلفة والمهلكة، توقفت رحلاتهم إليه منذ زمن، وراحوا ينفقون الأموال المرصودة لأبحاثهم في رحلات مكوكية حول الكواكب، ودون أن يسافروا فيها لمخاطرها).

وقال صاحب «الموسوعة الفلكية» (ص٣١٤) وهو يتحدث عن طول المسافة التي تقطعها سفنهم: (مثال ذلك: أن الرحلة إلى الزهرة والعودة منها، تستغرق حوالي ٢٥ شهرًا، وإلى المريخ ومنه ٣٢ شهرًا بما في ذلك من أزمنة الانتظار وتستغرق الرحلات إلى الكواكب الأبعد وقتًا أطول مما ذكر بكثير، وبالتالي فإنها تتطلب وقودًا أكثر، وهذا يحد من المسافات التي تستطيع أن تجتازها بالتكنولوجيا الحديثة).

قلت: في المقال المذكور الآتي:

يستبعد جدًا أن يبقى هؤلاء سالمين هذه المدة، لما في ذلك من المخاطر عليهم؛ فإنهم يزعمون أن سفنهم تسير بسرعة عاليةٍ جدًا فكم ستظل على هذه السرعة، وهذه السرعة فيها أضرار على السفن، وعلى الراكبين فيها لا تخفى.

وقد ذكرنا في باب الحياة على الأجرام السماوية، أن منهم من صرح بعدم القدرة على الحياة عليها عمومًا، ومنهم من خص الزهرة بعدم القدرة على الحياة عليها.

وقال في المصدر المذكور: (أما الرحلات في مادة ما بين النجوم وإلى النجوم المجاورة، فإنها لا تزال ضربًا من الخيال؛ بسبب البعد الشاسع، وما يتطلبه من فترات زمنية في السفر، تقدر ببضع مئات السنين).

قلت: لو أنصفوا لصرحوا أن محاولة الوصول إلى الأجرام السماوية ضرب من

الخيال، وأن الفضاء اللانهائي ضرب من الخبال، واللبيب تكفيه هذه الاعترافات الجزئية؛ لتكون دليلًا على بطلان ما يندرج تحت حكمها من غيرها!!

وقال (ص٣٦٠): (فإن الاحتكاك بالهواء يعمل على فرملة الحركة، وبالتالي طاقة حركة القمر -أي: الصناعي- فيقل كل من نصف مداره الأكبر وإهْلِيْجِيَّتِهِ).

قلت: اجعل -أيها القارئ- هذا الحادث مع ما سبق من الموانع نصب عينيك.

وعلى كل: سرد هذه الصعوبات تبيِّن للقراء الكرام أن وصول أصحاب الفضائيات إلى الأجرام السماوية، دونه قطع الأعناق، وأيضًا اتضح أن قضية الوصول إلى أي جِرْم سماوي ليست مثلما تصور في السيديهات أنهم وصلوا وأقاموا لهم حياة، وليست كما يدعي كُتَّابُ النظريات من أبناء جلدتنا أنها من المسلَّمات، ويقولون: أتكذبون وكالة «ناسا» الأمريكية؟! وكأن وكالة «ناسا» كُتِبَتْ لها العصمة!!

وقال (ص٣٦١): (إن حيود الكرة الأرضية عن الشكل الكروي، وعدم توزيع الكتلة في داخلها توزيعًا كرويًّا متماثلًا، يعمل على تغيير وضع مستوى مدار القمر في الفضاء). وهذه من جملة العوائق على حسب زعمهم.

تصريحهم بأن صعودهم إلى الفضاء لإجراء أبحاث تجريبية

ومما يقرِّب للمتحري الحقائق أن يقرأ هذه التصريحات: قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (٣١٣): (فقد أتاح غزو الفضاء فرصة لإجراء تجارب فيما بين الكواكب، يمكن منها استخلاص النتائج عن الظروف الفيزيائية، مثال ذلك: أن نضع جسيمات مشحونة أيونات في منطقة ما بين الكواكب ونستنتج من حركاتها تركيب وشدة المجال المغناطيسي الموجود، وبذلك فإننا نحاكي الظروف السائدة في الذيول المتأينة من المذنبات، أي: أننا نكوِّن مذنبًا صناعيًّا صغيرًا).

تضمنت هذه النظرية أمورًا:

ما يعملونه من الحركات الفضائية هو تجارب فقط فجعلُها أمورًا يقينية؛ ضياعٌ

وأيُّ ضياعٍ، بل جُرأة على العلوم رهيبة.

يصنعون أجسامًا يشحنونها بكهرباء، ويجعلونها مركبة؛ ليحاكوا بها الأجرام، أي: يجعلونها شبيهة بها.

وبعد هذا يسمون هذه الصناعة بما يحلو لهم، كما صنع «نيوتن» هذا الشكل وسماه المجموعة الشمسية، وآخر يسميه المجرات، وآخر... وآخر... فضع هذا الانتهاج في الاعتبار.

وقال (ص٣٥٩) وهو يتحدث عن الأقمار الصناعية: (وعلاوة على ذلك فإنها تستعمل كحاملات لأجهزة الرصد الفلكية، التي يمكن عن طريقها زيادة إمكانيات دراسة الفضاء في المنطقة القريبة من الأرض).

والشاهد من هذه النظرية: أنهم لا يزالون يدرسون الأحوال الفضائية القريبة من الأرض، فأنى لهم أن يتوصلوا إلى حقائق فيما لا يقدرون عليه؟!!



٢

الفصل الثاني

النظريات المتعلقة بالكون الأعلى





تعريف الكون عند أهل اللغة وعند الفلكِيِّين




قال ابن فارس: (الكاف والواو والنون: أصلٌ يدل على الإخبار عن حدوث شيء، إما في زمان ماضٍ، أو زمان راهنٍ، يقولون: كان الشيء يكون كونًا إذا وقع وحضر) "معجم مقاييس اللغة" (٥/ ١٤٨).

وقال ابن منظور: (وكوَّنُ الشيء أحدثه، والله مكوِّن الأشياء، يخرجها من العدم إلى الوجود) "لسان العرب" (١٢/ ١٩٢).

وقال صاحب "مختار الصحاح" ص(٥٨٤): (كوَّنه فتكوَّن أي: أحدثه فحدث).

وقال صاحب كتاب "تاج العروس" (٩/ ٣٣٤): (وكوَّن اللهُ الأشياء تكوينًا أحدثها أَوْجَدَهَا أي: أخرجها من العدم إلى الوجود).

وقال الجرجاني في "التعريفات" (ص٢٦٨): (والكون عند أهل التحقيق عبارة عن وجود العالم من حيث هو عالم...).

وقال ابن الأثير: (كان يكون كونًا أي: وجد واستقر) "النهاية" (٤/ ٢١١).
وتعريف أهل الاصطلاح كتعريف أهل اللغة.

فاتضح من هذا التعريف أن أهل اللغة يعرِّفون الكون: بأنه كل مكون من العدم إلى الوجود، وهكذا أهل الاصطلاح. فالكون على هذا هو: ما سوى الله سبحانه، من الموجودات؛ فيشمل جميع المخلوقات.

والكون على قسمين: سفلي، وعلوي.

أما السفلي: فالأرضين السبع وما فيهن.

وأما العلوي: فالسماوات السبع وما فيهن، والعرش وما دونه.

والكون ينقسم أيضًا إلى قسمين آخرين:

أحدهما: عالم الغيب، وهو ما غاب عنا.

وثانيهما: عالم الشهادة، وهو المشاهد والمحسوس.

وينقسم أيضًا إلى: جمادي، وحيواني.

وأما تعريف الكون عند الفلكيين، فقد قال صاحب "الموسوعة الفلكية" (٤٠٩): (الكون هو كل الفراغ الممتلئ بالمادة).

وقال في (ص٣٢٩): (الفضاء تمامًا مثل الكون ما فوق الغلاف الجوي).

فاتضح من هذا أنهم يريدون بالكون الفضاء، أي: الفراغ الذي فوق الغلاف الجوي. ومن هنا تعلم الفرق بين الاصطلاح الشرعي، واصطلاح الفلكيين، فصار الكون عند الفلكيين: ما ادعوا اكتشافه، لا ما خلقه الله.

وأكثر كلامي هاهنا على القسم الجمادي، وقد أذكر في بعض المواضيع الحيواني استطرادًا، وأيضًا لم أستوعب ما تعلق بالكون الجمادي؛ لحصول الغرض بدون ذلك.



تحدث القرآن والسنة عن خلق الكون ونشأته




وهيا بنا إلى القرآن الكريم والسنة المُطهَّرة؛ لنتلقى منهما أخبار نشأة الكون وإيجاده، فقد خلق الله المخلوقات، وأنشأها من مواد منها ما نعلمها، ومنها ما لا نعلمها، أما ما نعلمها فالآتي:

المادة الأولى: الماء

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾[النور:٤٥]، و﴿كُلَّ﴾ هنا بمعنى: جميع، و﴿دَآبَّةٍ﴾: كل ما يدب على وجه الأرض، من إنس وحيوانات، في البر والبحر، وأدخلوا في ذلك الطيور، وعلى هذا جمهور المفسرين، وبعض العلماء أدخلوا الجن، وهو كذلك. ومن هنا فالراجح في قوله: من ماءٍ أنها لابتداء الغاية، وهي متعلقة بخلق.

وروى الإمام أحمد (٢/ ٢٩٥)، والحاكم (٤/ ١٦٠)، وابن حبان رقم (٢٥٥٩)، عن أبي هريرة ﷺ قال: يا رسول الله، أنبئني عن كل شيء، قال: «**كل شيء خلق من الماء...**». وهو صحيح.

وقال السعدي في تفسير هذه الآية (٣/ ٤٥٩): (ينبه عباده على ما يشاهدونه أنه خلق جميع الدواب التي على وجه الأرض من ماء، أي مادتها كلها الماء، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[الأنبياء:٣٠] فالحيوانات التي تتوالد من الأرض لا تتوالد إلا من الرطوبات المائية، كالحشرات: لا يوجد منها شيء يتولد من غير ماء أبدًا، فالمادة واحدة، ولكن الخلقة مختلفة من وجوهٍ كثيرةٍ).

وقد دلت الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى

سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[هود:٧] على أن الماء قبل المخلوقات، وقد جاء هذا عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كَانَ اللهُ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ -وفي رواية: «مَعَهُ»- وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ». أخرجه البخاري رقم (٧٤١٨)، ومسلم رقم (٢٦٥٣).

قال ابن رجب في «اللطائف» (ص٢٦): (والخلاف في أن الماء: هل هو أول المخلوقات، أم لا؟! مشهورٌ، وحديث أبي هريرة يدل على أن الماء مادة جميع المخلوقات، وقد دل القرآن على أن الماء مادة جميع الحيوانات، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[الأنبياء:٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾[النور:٤٥]).

وقال أيضًا (ص٢٧): (والقرآن دل على خلق جميع ما يدب، وما فيه حياة، من ماء، فعلم بذلك أن أصل جميعها الماء المطلق).

تنبيهٌ: قال ابن رجب في كتابه «لطائف المعارف» (ص٢٦-٢٧) عند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[الأنبياء:٣٠]: (وقول من قال: (إن المراد بالماء النطفة التي يخلق منها الحيوانات) بعيد لوجهين:

أحدهما: أن النطفة لا تسمى ماء مطلقًا، بل مقيدًا؛ لقوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾[الطارق:٦-٧]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾[المرسلات:٢٠].

والثاني: أن من الحيوانات ما يتولد من غير نطفة، كدود الخل والفاكهة، ونحو ذلك، فليس كل حيوان مخلوقًا من نطفة، والقرآن دل على خلق جميع ما يدب وما فيه حياة من ماء، فعلم بذلك أن أصل جميعها الماء المطلق).

قلت: أفاد كلامه رحمه الله أن تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[الأنبياء:٣٠] بالنطفة مرجوح، وهو كذلك؛ لأنه لا ذكر للنطفة هنا، لا من قريب ولا من بعيد.

المادة الثانية: الدخان وهو من الماء

لقد خلق الله الأرض والسماوات من الدخان، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ * فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[فصلت:١١-١٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (٥/ ٥٦٤): (وأهل الملل متفقون على أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وخلق ذلك من مادة كانت موجودة قبل هذه السماوات والأرض، وهو الدخان، الذي هو البخار، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[فصلت:١١] وهذا الدخان هو بخار الماء، الذي كان حينئذ موجودًا، كما جاءت بذلك الآثار عن الصحابة والتابعين، وكما عليه أهل الكتاب).

وقال أيضًا (٦/ ٥٩٩): (خلق الله من بخار ذلك الماء هذه السماوات، وهو الدخان المذكور في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ * فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾[فصلت:١١-١٢]).

وقال ابن رجب في "اللطائف" (ص٢٦): (ثم إن الله تعالى رفع من البحر بخارًا، وهو الدخان الذي ذكره في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾[فصلت:١١] فخلق السماء من الدخان، وخلق الأرض من الماء، والجبال من موج الماء).

وقال العلامة ابن القيم كما في "مفتاح دار السعادة" (٢/ ٢٦): (فانظر إلى هذا البناء العظيم الشديد الواسع... وكيف ابتدأ خلقه من بخار ارتفع من الماء، وهو الدخان).

المادة الثالثة: النور

فقد خلق الله الملائكة من نور، روى مسلم رقم (٢٩٩٦)، عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ**». ولا ندري متى خلقهم الله، وعلى قول من قال: (إن النُّور من الماء)، فيكون خلقه بعد خلق الماء، ومن عكس فيكون خلقه قبل خلق الماء.

قال العلامة ابن رجب كما في "اللطائف" (ص٢٧): (ولا ينافي هذا قوله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾[الحجر:٢٧] وقول النبي ﷺ: «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ**»؛ فإن حديث أبي هريرة ﵁ دلَّ على أن أصل النور والنار الماء، كما أن أصل التراب الذي خلق منه آدم الماء؛ فإن آدم خلق من طين، والطين تراب مختلط بماء، أو التراب خلق من الماء، كما تقدم عن ابن عباس وغيره).

تنبيهٌ: حديث «**يَا جَابِرُ أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ نُورُ نَبِيِّكَ، وَخَلَقَ مِنْ نُورِ نَبِيِّكَ كُلَّ شَيْءٍ**» موضوعٌ. انظر الكلام عليه في كتاب "خصائص المصطفى بين الغلو والجفا" (ص٩٤-٩٦).

المادة الرابعة: النار

لقد خلق الله إبليس من نار، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[الرحمن:١٥]، والمارج: اللهب المختلط بسواد النار، وقال تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾[الحجر:٢٧]، وقال إبليس حاكيًا عن نفسه، كما قال الله: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[ص:٧٦]، وقال الرسول ﷺ: «... **وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ...**» رواه مسلم عن عائشة ﵂، والنار من الماء، كما سبق قول ابن رجب، وأيضًا عموم الأدلة التي ذكرناها، في أن الماء أصل كل المخلوقات. وكون إبليس خُلِقَ من نار، فهذا أصل مادته، لا أنه نار.

المادة الخامسة: التراب

لقد كان بدء خلق الله لآدم أبي البشرية جمعاء من تراب، قال الله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[آل عمران:٥٩] وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾[الروم:٢٠].

وقال رسول الله ﷺ: «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجِنُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**»، رواه مسلم رقم (٢٩٩٦)، عن عائشة.

قال العلامة ابن رجب كما في "اللطائف" (ص٢٧): (ولا ينافي هذا قوله تعالى: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾[الحجر:٢٧] وقول النبي ﷺ: «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ**»؛ فإن حديث أبي هريرة دلَّ على أن أصل النور والنار الماء، كما أن أصل التراب الذي خلق منه آدم الماء؛ فإن آدم خلق من طين، والطين تراب مختلط بماء، أو التراب خلق من الماء، كما تقدم عن ابن عباس وغيره.

قلت: ليس التراب أول مادة خلق منها آدم، ولكنها مادة اختص الله بالخلق منها آدم عليه السلام، مع خلطها بالماء، قال الله مخبرًا عن إبليس أبي الجن أنه قال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾[الإسراء:٦١]، وتأمل سعة ما خلق الله منها وكثرته).

وقال أيضًا مجملًا العناصر المذكورة: (فعناصر العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها وخالقها، يصرِّفها كيف يشاء، ولا يستعصي عليه منها شيء أراده، بل هي طوع مشيئته، مذللةٌ منقادةٌ لقدرته، ومن أنكر هذا فقد جحد ربَّ العالمين، وكفر به، وأنكر ربوبيته).

فالهواء والريح مصاحب للخلق من أول حدوثه، وهذا ظاهر.

فهذه المواد التي ذكرتها أبانت أصول خلق العالم بأسره: العلوي، والسفلي، والجمادي، والحيواني، والشهواني، وغير الشهواني، والمكلف، وغير المكلف، المرئي

لنا، وغير المرئي.

تنبيهٌ: الفلاسفة يعتقدون أن أول ما خلق الله العقل وهو: اعتقادٌ باطلٌ، ولم يصح في ذلك حديثٌ، وكل أحاديث العقل لا يصح منها شيءٌ، كما قاله غير واحد من العلماء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «الرد على المنطقيين» (ص٢٧٦): (والعقل في لغة فلاسفة اليونان: جوهرٌ قائمٌ بنفسه، فأين هذا من هذا؟ ولهذا قال في الحديث -وهذا الحديث لا يصح-: «**فبك أخذ، وبك أعطى، وبك الثواب، وبك العقاب**»، وهذا يقال في عقل بني آدم، وهم يزعمون أن أول ما صدر عن رب العالمين جوهرٌ قائمٌ بنفسه، وأنه ربُّ جميع العالم، وأن العقل العاشر هو ربُّ كل ما تحت فلك القمر، ومنه تنزلت الكتب على الأنبياء).

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

خاصية خلق الله للخلائق التي جهلها الفلاسفة

خاصية الخلق التي اختص الله بها نفسه هي: إيجاده الأشياء من عدم، ثم تحويلها إلى ما شاء، وكيف شاء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ * ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ * فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[الانفطار:٦-٨]، فتفكر في قدرة الله وتدبر في عظمة الله التي حولت المواد المذكورة آنفًا إلى ما تشاهد أو تسمع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "مجموع الفتاوى" (١٧/ ٢٤٨-٢٤٩): (... والقول في خلق الله للأجسام التي يشاهد حدوثها أنه يقلبها ويحيلها من جسم إلى جسم، هو الذي عليه السلف والفقهاء قاطبة والجمهور... والمني الذي في الرحم يقلبه الله علقة، ثم مضغة، وكذلك الثمر يخلق بقلب المادة التي يخرجها من الشجرة من الرطوبة، مع الهواء والماء الذي نزل عليها، وغير ذلك من المواد التي يقلبها ثمرة بمشيئته وقدرته، وكذلك الحبة يفلقها وتنقلب المواد التي يخلقها منها سنبلة وشجرة وغير ذلك، وهكذا خلقه لما يخلقه سبحانه وتعالى، كما خلق آدم من الطين؛ فقلب حقيقة الطين، فجعلها عظمًا ولحمًا وغير ذلك من أجزاء البدن، وكذلك المضغة يقلبها عظامًا وغير عظام، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾[المؤمنون:١٢-١٦] وكذلك النار يخلقها بقلب بعض أجزاء الزناد نارًا، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾[يس:٨٠] فنفس تلك الأجزاء التي خرجت من الشجر الأخضر جعلها الله نارًا، من غير أن يكون في الشجر الأخضر نار أصلًا، كما لم يكن في الشجرة ثمرة

أصلًا، ولا كان في بطن المرأة جنين أصلًا، بل خلق هذا الموجود من مادة غيره بقلبه تلك المادة إلى هذا).

وقال في «النبوات» (١/ ٣٢٠): (والخلق يشهدون إحداث الله لما يحدثه وإفناؤه لما يفنيه، كالمني الذي استحال وفني وتلاشى، وأحدث منه هذا الإنسان، وكالحبة التي فنيت واستحالت وأحدث منها الزرع، وكالهواء الذي استحال وفني وحدث منه النار أو الماء، وكالنار التي استحالت وحدث منها الدخان، فهو سبحانه دائمًا يحدث ما يحدثه ويكونه، ويفني ما يفنيه ويعدمه، والإنسان إذا مات وصار ترابًا فني وعدم، وكذلك سائر ما على الأرض، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[الرحمن:٢٦] ثم يعيده من التراب، كما خلقه ابتداء من التراب، ويخلقه خلقًا جديدًا...).

وقال أيضًا (١/ ٣٢٢): (والمشهود المعلوم للناس إنما هو إحداثه لما يحدثه من غيره، لا إحداثًا من غير مادة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾[مريم:٩] ولم يقل خلقتك لا من شيء، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾[النور:٤٥] ولم يقل خلق كل دابة لا من شيء، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[الأنبياء:٣٠] وهذا هو القدرة التي تبهر العقول، وهو أن يقلب حقائق الموجودات، فيحيل الأول ويفنيه ويلاشيه ويحدث شيئًا آخر، كما قال: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾[الأنعام:٩٥] ويخرج الشجرة الحية، والسنبلة الحية من النواة والحبة الميتة، ويخرج النواة الميتة والحبة الميتة من الشجرة والسنبلة الحية، كما يخرج الإنسان الحي من النطفة الميتة، والنطفة الميتة من الإنسان الحي...).

وقال أيضًا (١/ ٣٢٣-٣٢٥): (وخاصية الخلق إنما هي بقلب جنس إلى جنس، وهذا لا يقدر عليه إلا الله، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ

لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[الحج:٧٣-٧٤] ولا ريب أن النخلة ما هي من جنس النواة، ولا السنبلة من جنس الحبة، ولا الإنسان من جنس المني، ولا المني من جنس الإنسان، وهو يخرج هذا من هذا، فيخرج كل جنس من جنس آخر بعيد عن مماثلته، ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾[لقمان:١١] وهو سبحانه إذا جعل الأبيض أسود أعدم ذلك البياض، وجعل موضعه السواد، لا أن الأجسام تعدم تلك المادة فتحيلها وتلاشيها، وتجعل منها هذا المخلوق الجديد، ويخلق الضد من ضده، كما جعل من الشجر الأخضر نارًا... وخلق الشيء من غير جنسه أبلغ في قدرة القادر الخالق سبحانه وتعالى، كما وصف نفسه بذلك في قوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[آل عمران:٢٦-٢٧]... وأيضًا: فكون الشيء مخلوقًا من مادة وعنصر أبلغ في العبودية من كونه خلق لا من شيء، وأبعد عن مشابهة الربوبية؛ فإن الرب هو أحد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فليس له أصل وجد منه، ولا فرع يحصل عنه، فإذا كان المخلوق له أصل وجد منه كان بمنزلة الولد له، وإذا خلق له شيء آخر كان بمنزلة الوالد، وإذا كان والدًا ومولودًا كان أبعد عن مشابهة الربوبية والصمدية؛ فإنه خرج من غيره، ويخرج منه غيره).

فأصحاب الذرة والسدم لما جعلوهما أزليتين شابهوا الله في ربوبيته، ولما جعلوا مردَّ كل المخلوقات إلى الذرة والسدم جحدوا خاصية الخلق لله، التي اختص بها نفسه، حيث يخلق الأشياء من أشياء، ومن المخلوق الثاني والثالث يخلق منه أشياء، واعتبر بخلق الله لآدم عليه السلام؛ فهو من تراب، وخلق زوجته من ضلعه، وخلق من نطفته أولاده، وخلق عيسى عليه السلام من أمه بدون أب، فسبحانه! من إله قوي قادر له الأمر كله.

وقال العلامة ابن القيم في "شفاء العليل" (ص٤٥٨-٤٥٩) عند قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾[النور:٤٥]: (فتأمل كيف نبَّه سبحانه باختلاف الحيوانات في المشي، مع اشتراكها في المادة، على الاختلاف فيما وراء ذلك من أعضائها وأشكالها وقواها وأفعالها وأغذيتها ومساكنها، فنبَّه على الاشتراك والاختلاف، فيشير إلى يسير منه... وبعد أن ذكر ما في الحيوانات من تعاون عظيم يعجز البشر عن حصره، مع أنها من مادة واحدة وهي الماء قال: وكل من هذه الأنواع له علم وإدراك وتحيل على جلب مصالحه، ودفع مضاره، يعجز كثير منها نوع الإنسان، فمن أعظم الحكم الدالة الظاهرة على معرفة الخالق الواحد المستولي بقوته وقدرته وحكمته على ذلك كله، بحيث جاءت كلها مطيعة منقادة منساقة إلى ما خلقها له على وفق مشيئته وحكمته، وذلك أدل شيء على قوته القاهرة، وحكمته البالغة، وعلمه الشامل، فيعلم إحاطة قدرة واحدة، وعلم واحد، وحكمة واحدة، أعني بالنوع من قادر واحد حكيم واحد بجميع هذه الأنواع وأضعافها، مما لا تعلمه العقول البشرية، كما قال تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل:٨]).

فكلام هذين الإمامين: شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، كافٍ شافٍ في بيان دلالة تنوع الخلق على عظمة الله سبحانه؛ فدعك من تُرَّهَاتِ الملاحدة وأذنابهم.

كثرة النظريات الكونية

لقد كثرت النظريات إلى حد لا يتصور، ولذلك أسباب، ومنها:

١) **تأسيس الاتحاد الدولي:** لقد أقيم الإتحاد الدولي من أجل الأعمال الفلكية قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (ص٤-٥): (الاتحاد الفلكي الدولي اتحاد يضم جميع الفلكيين في كل الدول، بهدف العمل سويًا؛ للنهوض بعلم الفلك، ينعقد مؤتمر الإتحاد الفلكي الدولي كل ثلاث سنوات، ويستمع إلى تقارير عن التقدم في جميع فروع الأبحاث الفلكية، ينقسم العمل العلمي في الإتحاد الفلكي الدولي إلى أكثر من خمسين لجنة علمية، تهتم بالمجالات المختلفة، بجانب ذلك ينعقد عديد من الاجتماعات الدولية العلمية بين حين وآخر).

وقد أسس الاتحاد عام ١٨٦٣م، وكان الاتحاد قبل ذلك مجرد جمعية، كما في المصدر المذكور (١٤٧)، وللمزيد انظر المصدر المذكور.

٢) **المسألة الواحدة يكون فيها عدة نظريات،** كالشمس مثلاً، فيها نظريات كثيرة، ومنها: ما يتعلق بثبوتها، وتحركها، ومركزيتها، وعدم مركزيتها، ودَوَرانِهَا حول نفسها، وهكذا قل في النظريات المتعلقة بالأرض.

النظرية الواحدة يدعي اختراعها عدد من الفلكيين، ويحصل هذا في كثير من النظريات، فبسبب هذا التنافس وبذل الأموال من قِبَلِ الدول وغيرها، كثرت دعوى النظريات، حتى قال «السير جيمس جينز»: (أمامكم عرض كبير من النظريات المختلفة، لتختاروا منها ما تشاءون، ولكني شخصيًا لا أضع ثقتي في أي منها). «قصة الخلق» (ص١٥٢).

٣) كثرة الوكالات الفضائية الأمريكية، والسوفييتية، وغيرها.

٤) كثرة الشركات العاملة في الاكتشافات، حتى بلغت عشرات الآلاف.

٥) تنافس الدول الكبرى على دعوى الاكتشافات، وجعلت هذا غزوًا للفضاء.

فهذا الإكثار من النظريات داعٍ إلى القول بدعوى الاكتشافات، وإلى القول بالدَّس باسم الاكتشافات.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

العلوم بالكونيات له أسباب متعددة

لا يخفى على من له اطلاع، أن العلوم الكونية لها أسباب كثيرة، يتعاطها أصحابها، خاصة في عصرنا هذا؛ فقد كثرت وسائل الاكتشافات المزعومة وسُخِّرت الأموال الطائلة، وتحركت شركات المعامل في البحث والتنقيب من أجل ذلك، وما دامت الاكتشافات قائمة على هذا الذي ذكرت قطعًا، فلا يصلح أن تكون النظريات بحالٍ معجزات؛ لأن المعجزة خاصة بالأنبياء والرسل، ولأن المعجزة لا تتأتى عن طريق الوسائل البشرية.

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول كما في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٣٢٧): (إن علم الدين طلبًا وخبرًا لا ينال إلا من جهة الرسول ﷺ، وأما العلم بالكونيات فأسبابه متعددة، وما اختص به الرسل وورثتهم، أفضل مما شركهم فيه بقية الناس).

وقال أيضًا (١١/ ٣٣٥): (العلم بالكائنات وكشفها له طرائق متعددة: حسيه، وعقلية، وكشفية، وسمعية ضرورية، ونظرية، وغير ذلك، وينقسم إلى قطعي، وظني، وغير ذلك).

فالملاحظ أن أصحاب الأفلاك عندهم أسباب تخصهم، إلى جانب الأسباب المشتركة، وهكذا قل في الجيولوجيين، والطبائعيين، فمن قال: (ما اكتشفه أصحاب الأفلاك، أو أصحاب الأحياء بوسائلهم المتطورة، يكون معجزة)، يلزم من ذلك طرد هذا الحكم في حق كل أصحاب الاكتشافات والتطورات، فيكون صناع وسائل النقل من أعظم الناس تحقيقًا للمعجزات، ويكون أصحاب استخراج المعادن ممن تتحقق على أيديهم معجزات، والمكتشفون لآلات الاتصالات قد سبقوا كثيرًا من أصحاب

المعجزات الاكتشافية، وهكذا قل في التطورات العمرانية، والتقدمات الحربية وغير ذلك، ولا شك أن هذا التعميم من أبطل الباطل عند الجميع، فإذا كان كذلك، فادعاء الإعجاز في بعض الاكتشافات من أبطل الباطل أيضًا؛ إذ لا فرق يعتبر به بين اكتشاف واكتشاف آخر؛ لأن كلها قائم على وسائل حسية ومعنوية، فبان بهذا بُعد القول أن يكون أي اكتشاف معجزة، وسيأتي مزيد لهذا في محله في أواخر الكتاب.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

نظريات نشأة الكون وصفة الكون الأعلى

نظرية نشأة الكون عند أصحاب الهيئة

قال صاحب كتيب "العلم طريق الإيمان" (ص٤٢): (إن نشأة الأرض والكواكب كانت منذ (٥.٤) بليون سنة تقريبًا).

وقال صاحب كتاب "من علم الفلك القرآني" (ص٦١): (فمن المتفق عليه اليوم بين أكثر علماء الفلك، أن الكون ليس أزليًا بل بدأ منذ خمسة عشر مليار سنةً تقريبًا، بكتلة بدائية هائلة، انفجرت وتشتتت في أرجاء الكون، ومنها تكونت لاحقًا النجوم، والكواكب، والمجرات، والسدم، فالنجوم تنشأ من غيمة كونية، خلال ملايين، بل مليارات السنين؛ بفعل تكثف المواد التي تؤلف الغيمة، وتحول جزءًا منها إلى نجم يضيء خلال ملايين، أو مليارات السنين، ثم ينفد وقوده، فيتحول إلى نجم هائل متفجر، ما يلبث أن ينفجر ثم يموت؛ ليرجع كما بدأ غيمة كونية، ثم تعاد الكرة التي تتطلب ملايين السنين، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾[العنكبوت:١٩]...) إلى آخر ما ذكر من الهذيان.

فانظر إلى قوله: (بدأ منذ خمسة عشر مليار سنةٍ بكتلةٍ بدائيةٍ) معناه أن الكون ظل كتلة في بدايته قرابة خمسة عشر مليار سنة، ثم انفجر بعد ذلك، ولن يقدروا على إثبات هذا ببرهان، حتى يلج الجمل في سَمِّ الخياط، وهل تدري ماذا يريدون من هذه المليارات؟ إنهم يريدون أن الكون أزلي، أي: غير مخلوق، فلو عرف هذا الْكُتَّابُ المسلمون المخدوعون بهؤلاء، لكان خيرًا لهم، وماذا على الكفار من خسارة في نظرهم، حينما يأتون بالملايين والمليارات؛ ليتوصلوا إلى إنكار الخالق وتعطيل خالقيته.

وانظر إلى قوله: (انفجرت وتشتتت في أرجاء الكون) هكذا يثبتون وجود الكون في أول أحداثه؛ لأنهم ملاحدة، لا يؤمنون بخالق هذا الكون. ولقد كان كفار العرب أحسن حالًا من هؤلاء؛ فقد كانوا يعترفون أن الله خالق السماوات السبع، والأرض، والشمس، والقمر، والنجوم، والكواكب، وغير ذلك: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل:٨٨].

وقال المَفْتُونُ بالنظريات، وهو صاحب كتيب: "العلم طريق الإيمان" (ص٨٥) مؤيدًا لهؤلاء: (كان الناس يعتقدون أن الكون خلق هكذا كما هو، فالجبال هي الجبال، منذ أن خلقها الله، والبحيرة هي البحيرة، منذ أن خلق الله السماوات والأرض، والهند هي الهند، والإنسان هو الإنسان، والنبات هو النبات، كل شيء كما هو، ومنذ أن خلقه الله سبحانه وتعالى، ولكن في القرن الثامن عشر، قرَّر علماء الجيولوجيا: أن هذه تصورات ساذجة، ليس الأمر هكذا، لقد مر الخلق في أطوار؛ فالسماء لم تكن هكذا، والأرض لم تكن هكذا، والإنسان لم يكن هكذا، والنباتات لم تكن هكذا،...).

قلت: هذا الكلام يتفق مع نظريات (داروين)، التي تنص على تطور الأشياء، ومنها الإنسان، وأنه كان ضفدعًا، ثم صار قردًا، ثم، ثم،... هكذا تطور الإنسان عندهم، فهم لا يعنون بالتطور، الأطوار التي ذكرها الله في كتابه في خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٢-١٤].

وقد ذكر بعضهم العصور التي مرت بها الأرض، فقال: (ومن تلك العصور: العصر البلبستوسين، والعصر الأوردفيشي، والعصر الكربوني، والعصر اليرمي، ويقولون: العصر اليرمي متأخر عن العصور التي قبله، ويحددون مدة التأخر بـ (٢٥٠-٢٧٠) مليون سنة تقريبًا).

وعلى كل: عندي عصر آخر، وهو عصر الشطَّاحين كهؤلاء الجيولوجيين، وأما تطورهم المزعوم فهو تابع لمادة السدم المتطورة عندهم، وقد سبق الكلام على بطلانها، فما بني على باطل فهو باطل.

هذا وقد تراجع كثيرٌ من الملاحدة عن نظرية "داروين"؛ وقالوا بالخلق المباشر دفعة واحدة، وليس عندهم برهان على صحة القول بالخلق المباشر، ولكن لمَّا لم يقبل الناس نظرية التطور في الإنسان، قالوا بنقيضها. انظر كتاب "مصرع الداروينية" (ص١٨٥-١٩١).

وأيضًا نظرية الخلق المذكورة، معارضة بنظريات أخر، نذكرها أجماليًّا قال صاحب كتاب "قصة الخلق من العرش إلى الفرش" (ص٩٥): (فنظريات بدء الخلق قال بها كثيرون "كانت بيير لابلاس"، و"لمولتون"، و"تشامبرليت"، و"جينز"، و"هابل"، و"ليتلبيتون"، و"أوتوشميت"، و"فيسينكوف"، و"إمبارسوميان" وغيرهم وغيرهم، لكل واحد منهم نظريته عن الخلق تسمى باسمه، وكل هؤلاء لم يتَّفقوا على رأي، وكل منهم وضع تصورًا يراه لبدء الخلق، لا شأن له بالنظرية الدينية، ولم يضع أحد منهم في اعتباره وجود إله خالق، ولا يمكن تلخيص هذه الآراء وجمعها في نظرية واحدة).

وعلى كل: الواجبُ على الكُتَّابِ المسلمين أن ينزهوا كتبهم عن هذه الضلالات، ولكنهم ذهبوا يجادلون من يرفض هذه الأباطيل؛ مدعين أنه يحارب العلم الحديث، فحاربوا علم الشريعة، وحرفوا معاني كلام الله وكلام رسوله، فما أسوأ أثرهم على هذا الدين، وصدق من قال: لا للإسلام نصروا، ولا للأعداء كسروا!!

تنبيهٌ: قول صاحب كتاب: "من علم الفلك القرآني": (من المتفق عليه اليوم بين أكثر علماء الفلك أن الكون ليس أزليًا) قولٌ يفتقِرُ إلى التفصيل؛ لأنَّهُ سيأتي قريبًا أنَّهم يقولون بأزليَّةِ مادة الذرة والسَّديم.

نظرية أن أصل الكون الذرة

قال صاحب كتاب «توحيد الخالق» (ص١٧٦): (وإذا سألت عن أصل المادة، أجابك المختصون بأن أصغر شيء في المادة هو الذرة، وأنها أصل كل مادة شوهدت في الأرض أو السماء، إنها لَبِنَةُ البناء في مادة الكون).

ونقل صاحب كتاب «توحيد الخالق» عن (كروم) الألماني من علماء الجيولوجيا، أنه قال: (... اكتشفنا أن أصل الموجودات ترجع إلى الذرات، والذرات ترجع إلى إلكترونات، وبروتونات، ونيوترونات).

وذكر أيضًا في كتيبه «العلم طريق الإيمان» (ص٨٨): (إن جيولوجيًّا ألمانيًّا قال: إن الماء والهواء والنار والتراب، كلها تتكون من ذرات، إلا أنها تختلف في العدد الذري).

وقال صاحب كتاب «تكنولوجيا الفضاء» (ص١٠٩) -وهو يتحدث عن الإنسان-: (لقد مكنته آلاته الحديثة من معرفة الذرات الموجودة في أكثر المجرات المرئية بعدًا عنه، وبفضل هذه الخطوط الضعيفة المنتشرة على الطَّيف عُرِفَ تركيب المجرات، وبُعْدُها، والسرعة التي تنطلق بها،... وأن الذرات التي تراكم في الاثنين تخضع لنفس قوانين الشمس: إن الكون أمام أعين رجال العلم ليس سوى جيش عرمرم من الذرات، التي تجتمع هنا فتؤلف شمسًا وتجتمع هنا فتؤلف نجومًا... فالذرات التي تبني جسم الإنسان ليس عددها بأقل من عدد الأجساد البشرية، التي تلزم لبناء نجم من النجوم).

ومن أنواع الذرة الأزلية الأيدروجين الأزلي أيضًا، قال صاحب كتاب «تكنولوجيا الفضاء» (ص٢٥٧): (ثم خلق عنصر الأيدروجين وهو أبسط أنواع الذرات؛ لأن ذرته مكونة من نواة واحدة... والأيدروجين لا يزال يكون ٩٣ % من حجم المادة في الكون، كما يكوّن ٧٦ % من وزن المواد كلها).

فإن أردت المعرفة أكثر بالذرة المذكورة وتركيبها فارجع إلى "الموسوعة الفلكية" (ص١٠٩-١١٢).

أقول: إثباتهم للذرة هو اصطلاح عندهم لما تتكون منه الكائنات، وكون الذرة عندهم أصل تكوَّنَ منها الكون لا يقدرون على إثبات هذا بهذه الشقاشق، من ذرات ومكوناتها (بروتونات ونيوترونات وإلكترونات)، لأن الله يقول: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف:٥١].

فإثباتهم لحقيقتها وصفاتها لا يقدرون عليه. فكيف لو علمت أن هؤلاء لا يثبتون خلق الله للذرة؟

وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية على أمثال هؤلاء فقال: (القول بأن جواهر العالم أزلية، وهو القول بقدم المادة، وكانت متحركة على غير نظام، فاتفق اجتماعها وانتظامها، فحدث هذا العالم، قول في غاية الفساد).

وبقوله أيضًا: (فحقيقة أصل أهل الكلام المتبعين للجهمية، أنه لا يُحْدِثُ شيئًا، ولا يُفْنِي شيئًا، بل يَحْدُثُ كل شيء بنفسه، ويفنى بنفسه) "النبوات" (١/ ٣١٩).

فكلام شيخ الإسلام ابن تيمية ينطبق على القائلين بأن أصل الكون الذرة ثم السديم، وأنها مادة أزلية باقية عندهم، أحدثت الكون، واسمها عند الفلاسفة المتقدمين: "الجوهر". وهؤلاء سموها "الذرة".

وقال أيضًا في المصدر نفسه (٢/ ١٠٩٨-١٠٩٩)، وهو يرد على أهل الكلام: (والخلق عندهم الموجود في زماننا وقبل زماننا، إنما هو جمع وتفريق لا ابتداع عين وجوهر قائم بنفسه، ولا خلق الشيء قائم بنفسه، لا إنسان ولا غيره، وإنما يخلق أعراضًا، ويقولون: كل ما نشاهده من الأعيان فإنها مركبة من جواهر، كل جوهر منها لا يتميز يمينه عن شماله... فهذا أصل علمهم ودينهم ومعقولهم، الذي بنوا عليه حدوث العالم، وإثبات الصانع، وهو مخالفٌ للحسّ والعقل).

وقال أيضًا في "درء تعارض العقل والنقل" (١/ ٣٠٧-٣٠٨) يرد على الرَّازي:

(يعني بذلك: ما يُحْدِثُهُ الله في العالم من الحيوان، والنبات، والمعدن، والسحاب، والمطر، وغير ذلك، وهو إنما سمَّى ذلك حدوث الصفات متابعة لغيره، ممن يثبت الجوهر الفرد، ويقول بتماثل الأجسام، وإن ما يحدثه الله تعالى من الحوادث، إنما هو تحويل الجواهر التي هي أجسام من صفة إلى صفة، مع بقاء أعيانها، وهؤلاء ينكرون الاستحالة، وجمهور العقلاء وأهل العلم من الفقهاء وغيرهم متفقون على بطلان قولهم، وأن الله يُحْدِثُ الأعيان ويبدعها، وإن كان يحيل الجسم الأول إلى جسم آخر، فلا يقولون إن جِرْم النطفة باقٍ في بدن الإنسان، ولا جِرْم النواة باقٍ في النخلةِ).

وقال الألوسي في "روح المعاني" (٣٠/ ٣٤): (وللفلاسفة المحدثين كلام في أمر الأرض، وكيفية بدئها، لا مستند لهم فيه، إلا آثار أرضية، يزعمون دلالتها على ذلك، هي في أسفل الأرض عن ساحة القبول).

فكيف استساغ صاحب كتاب "توحيد الخالق" وأمثاله إيراد هذه الأقوال التي هي نهاية في تعطيل أفعال الله؟! وكيف سلَّم لما هو باطل، دون الرد على القائلين بذلك؟! بل كيف جعلها اكتشافات عصرية؟! ولا يكفي أنه خالفهم في أن الذرة مخلوقة، وهم يعتقدون أزليتها.

وخلاصة الكلام في مسألة الذرة: أن الذرة المذكورة ليست من عناصر خلق العالم ومواده؛ لعدم وجود دليلٍ يدل على ذلك، لا حسي ولا عقلي ولا نقلي، فجعلها أصلًا لوجود المخلوقات باطلٌ.

نظرية أن الأصل الثاني للكون: السديم

فريق الملاحدة يرى أن أصل المخلوقات غير الحيَّة: هو السديم. ويطلقون عليه الضَّباب، أو الغبار، أو الدُّخان، وهذه المادة الغازية يقولون: كانت تدور بسرعة، فتكونت منها الشموس، فانفصلت منها الكواكب، ومنها الأرض، وصارت هذه المنفصلات تدور بنفس الطريقة والوجهة التي عليها المادة الأولى...، وبعد الملايين

والبلايين من السنين بردت الأرض، وتصلبت وصارت صالحة للحياة.

وهذه نظرية اليهودي الملحد "إسحاق نيوتن"، وقد ذكرها غير واحدٍ، كصاحب كتاب "توحيد الخالق" وغيره.

ونظرية أخرى لـ"إبلاس": (إن المادة التي تكونت منها الشمس والكواكب وتوابعها، كانت عبارة عن جسم غازي ملتهب (سديم)، كان يدور حول نفسه (السبب غير معروف)، وسبب تجاذب مكوناته: بدأ السديم يتكاثف عند مركزه، وقد أدى هذا إلى تكوين الشمس، وفي البداية كانت الشمس ما تزال مغلفة بالسديم الذي كان يدور حولها...).

وبقيت نظريات لـ"كانت" و"مولتون" و"فريد هابل" ذكرها صاحب كتاب "قصة الخلق" (ص٩٩-١٠٠)، وهي موافقة في مجملها لما سبق.

فانظر إلى ما تضمنه الكلام هذا من إنكار خلق الله للكون، وهذا هو الإلحاد بعينه، الذي عرفناه عند الشيوعيين، ومن سار على سيرهم؛ فالسديم هو رب المعتقدين لفاعليته في الكون، فقد ذكر صاحب كتاب "توحيد الخالق" (ص٣٢١) قول ملاحدة السديم: (أن السديم أولٌ بلا بدايةٍ، وأنه لا خالقَ له)!!

قلت: صدق الله إذ يقول في كتابه العزيز: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[الكهف:٥١].

وقال صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني" (ص١٠٤): (والسدم أجرامٌ سماويةٌ هائلةٌ يقدر عددها في الكون بالملايين... وهناك سدائم غازية تحتوي على العديد من النجوم).

ومنه سديم الوردية قال صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني" (ص٢٣٧): (سديم الوردية:... كتلة من الغازات المضيئة، التي تسبح فيها آلاف الملايين من النجوم، وهو من أقرب السدم إلى مجرتنا).

وقال أيضًا (ص١٠٥): (ليست السدم الغازية موزعة توزيعًا متساويًا في جميع مناطق السماء، فهي تتمركز في مناطق السكان في المجرات في نواة المجرات). وسيأتي ذكر أنواع السدم، في آخر هذا الفصل.

وهذه الدعاوى سهلٌ قِيلُهَا، ولكن دون إثباتها خَرْطُ القَتَادِ، فادع الله أن يحفظ عليك عقلك؛ فإن المروجين لهذه التُّرَهَات من كُتَّاب المسلمين قد سلبت عقولهم، وإلا لو كان لهم عقول ما سطروها وجعلوها نظريات صحيحة. نسأل الله ألَّا يخسف بعقولنا، كما خسف بعقول هؤلاء المروجين لهذه الخرافات!!!

نظرية أن الكون انفجر انفجارًا، فصار كونًا

قال في «الموسوعة الفلكية» (٣٧٨): (ومن الظاهر أن سحبًا كبيرة مركبة تنكمش، أولًا ثم تتفكك إلى نجوم أولية منفردة).

وقال صاحب كتاب «العلاج هو الإسلام» (ص٧١): (وأن هذا الكون بدأ بانفجارٍ هائلٍ، وهذا الانفجار الذي جعل هذه الأجزاء لا تزال تتباعد في الكون وفي الوجود إلى يومنا هذا، ولا تزال السماء تتسع).

انظر فساد هذا الكلام، وكيف جعل الكون حدث بدون تدبيرٍ إلهي، ومعنى كلامهم: أن مادة السدم تجمعت ثم انفجرت، كما سبق ذكر هذا، وبعد هذا الانفجار صارت السماء سماءً، والأرض أرضًا، وهلم جرًّا، ولا غرابة أن يقول الملاحدة هذا؛ لأنهم لا يؤمنون بالله العظيم، الذي أتقن كل شيء. ولكن الغريب كيف جُعِلَ هذا من منجزات العلم الحديث، بل من معجزات القرآن عند هذا الكاتب وأمثاله. أفلا يعقلون؟!!

وذكر صاحب كتيب: «العلم طريق الإيمان» (ص٤٢): (إن انفصال الأرض والكواكب من غازات وأتربة كانت تدور في الكون).

قلت: لعل هذا الكلام مأخوذٌ من كلام الفلكي الشهير «جيمس جينز»، قال

"جيمس جينز": (لا غرابة إذا كانت أرضنا قد جاءت صدفة؛ نتيجة بعض الحوادث، وإذا بقي كوننا على حالته الراهنة لمدة حدوثه صدفة، فلا تستبعد حدوث أي شيء يمكننا قياسه على الأرض). "قصة الخلق" (٣٦).

فقوله: (لمدة حدوثه صدفة) صريحٌ في إلحاد "جينز"، وكثير من أصحاب النظريات على هذا الإلحاد، ففي المصدر المذكور، وهو يتحدث عن كثرة الملاحدة هؤلاء، قال: (وما قلناه وما ذكرناه من أقوالهم غيض من فيض، وإلا فإنه لم يشذ من رجال عصر النهضة إلا النزر القليل، وهذا القليل كان أغلبهم منتهى إيمانه أن يعترف بالكاد بوجود خالق الكون وكفى، وهذا إيمان لا يرقى أحسن أحواله عن إيمان أبي جهل وأبي لهب؛ فقد كانا يؤمنان بوجود الله، وبأكثر من ذلك، ورغم هذا فلم يعتبرا من المؤمنين...).

وهذا الكلام قائم -كما ترى- على عقيدتهم في السُّدُمِ أنها أصل الكون، والكون تفجر منها، وقد أوضحنا بطلان هذا.

وقال صاحب كتاب "من علم الفلك القرآني" (ص٦١): (فمن المتفق عليه اليوم بين أكثر علماء الفلك، أن الكون ليس أزليًّا، بل بدأ منذ خمسة عشر مليار سنةٍ تقريبًا، بكتلة بدائية هائلة، انفجرت وتشتتت في أرجاء الكون، ومنها تكونت لاحقًا النجوم، والكواكب، والمجرات، والسدم. فالنجوم تنشأ من غيمة كونية، خلال ملايين، بل مليارات السنين؛ بفعل تكثف المواد التي تؤلف الغيمة، وتحول جزءًا منها إلى نجم يضيء خلال ملايين، أو مليارات السنين، ثم ينفد وقوده، فيتحول إلى نجم هائل متفجر، ما يلبث أن ينفجر ثم يموت؛ ليرجع كما بدأ غيمة كونية، ثم تعاد الكرة التي تتطلب ملايين السنين...).

وقال صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني" (ص١١٨): (لقد تجزأ الغاز الكوني الأول إلى كتل عظمى بأقدار المجرات، وتجمع كل منها ثم فتق بالقوى الطاردة المركزية إلى كتل نجمية، من حواف دوائرها الاستوائية، ثم أخذ كل منها

يجري في مسار دائري متطاول).

أخي القارئ، هل تجد في كلام الطبائعيين هؤلاء كلمة واحدة فيها اعتراف بالله الواحد القهار، وبإيجاده للكون؟! اللهم لا. إذًا: فهذا هو التعطيل لربوبية الله، وهو أخبث أنواع التعطيل، وهو من مظاهر الملاحدة، فما الفرق بين هؤلاء وبين الملاحدة الشيوعيين، الذين عطلوا ربوبية الله، فضلًا عن ألوهيته، وقالوا: (لا إله، والحياة مادة)؟!! فلم التناقض الواضح من قِبَلِ بعض أبناء جلدتنا المعلنين الحرب على الشيوعيين الملاحدة، وبالمقابل يدافعون عن إخوان الشيوعيين ملاحدة النظريات في الشرق والغرب؟!!

نظرية أن الكون كله متحرك

قال في "الموسوعة الفلكية" (٣٧٦): (ولو أخذنا المعلومات المؤكدة عن الكون في الاعتبار، فإننا نجد أن كونًا ثابتًا (أي: عديم التغيير) لا وجود له).

وقال أيضًا في (ص٣٨٣): (تطوُّرُ الكون ككل تتطلب كثيرًا من نماذج الكون، التي تحتوي على نظريات عن حالة الكون ككل، إما انكماش، أو تعدد، أي: تغيير في حجم الكون يمكن اعتباره تطورًا طويل الزمن للكون كله). وقد سَلَّمَ كُتَّابُ النظرياتِ من المسلمين بهذا التحرك.

قال صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني": (ولكن الكون دائب الحركة؛ فالنجوم والسدم والمجرات لا تعرف السكون، وحركاتها لا يمكن وصفها إلا بنسبة بعضها إلى بعض؛ إذ ليس في الفضاء اتجاه أولى من اتجاه، ولا حد أولى من حد).

وقال أيضًا (ص٢٣٩-٢٤٠): (... ومجرتنا -كالمجرات الأخرى- تدور حول نفسها، ولها زمنٌ كونيٌّ مقداره آلاف الملايين من السنين، بالنسبة إلى ما يعرفه البشر، وهي -أي: مجرتنا- كباقي المجرات منطلقة في الفضاء متباعدة عن أخواتها،... وهكذا فكل مكانٍ في الكون إن هو إلا في حالة حركة، بالنسبة للكون ككل).

وقال أيضًا (ص٨٨): (... فإن كلَّ الأجرام السماوية، كالكواكب، والكويكبات، والمذنبات، والنيازك،[1] والنجوم، وحتى جميع المجرات تدور؛ لأن الحقيقة تقول: إن جميع الأجرام السماوية تدور، وإنَّ دورانها هو حالةٌ طبيعيةٌ جدًّا).

وقال أيضًا (ص٨٩): (وإنه لمن المستحيل أن نتخيل وجود جِرْمٍ سماوي مهما صغر، لا يدور في الفضاء...).

فماذا تريد بعد أن تَطِنَّ أُذُنُكَ من قول صاحب المقال: (إنه لمن المستحيل...).

وقال عبدالرزاق نوفل في كتابه: "الإسلام وارتياد القمر" (ص٢٧): (... ولقد سُلِخَ البشرُ عشرات القرون، وهم يعتقدون أن من النجوم متحركًا، وأن منها ثابتًا لا يروم مكانه، ولكن العلم اليوم أثبت أن الكواكب كلها متحركة، وجارية، وإن لم تدرك بالعين المجردة حركتها...).

ويدخل في نظريتهم هذه الأرض؛ لأنها كوكب عند أصحاب النظريات.

وعلى كل: هذه الأقوال كافيةٌ في إثبات: أن الكون كله متحركٌ عند أصحاب النظريات الكونية، ومعلوم عند المسلمين أن أعظم أجزاء الكون ثوابت: فالأرضين السبع، والسماوات السبع، والكرسي، والعرش، والجنة، والنار ثوابت لا يتحرك واحد من هذه إلَّا لعارض، وقد دلت الأدلة الكثيرة على ثبوتها، وقد قام الإجماع على ذلك، وقد حصل خلافٌ من بعض المسلمين المتأخرين في دوران الأرض، ولكنه خلافٌ لا يعتد به، ولم يأتِ القائلون بدورانها بدليل يعتمد عليه فيما ادعوه، وسيأتي هذا مفصلًا في الفصل الثالث.

وقول الفلكيين: (إن الكون كله متحركٌ) مبنيٌّ على أصولهم الباطلة، من سُدُمٍ وجاذبية وغير ذلك؛ فهم يدَّعون تحركها على الدوام، والكون تبعٌ لها.

---

(١) الكويكبات: هي قطع متناثرة من جراء تصادم أجرام سماوية أكبر يطبق عليها قانون بقاء كمية التحرك. والمذنبات: هي أجرام سماوية لها ذنب غازي مضيء يدور حول الشمس في فلك بيضي، ويظهر من حين لآخر. والنيازك: هي قطع نجومية من بقايا التصادم بينها وبين نجوم أعظم منها. انظر "المعجم الوسيط" (١/ ٣١٦).

وخلاصة القول: أن جعلهم الثابت من الكون متحركًا، فيه رد لما جاء في الكتاب وصحيح السنة.

نظرية أن الكون الأعلى كله فضاء لا نهاية له

لقد كثر في كلام الطبائعيين تكرار: أن ما فوق الغلاف الجوي الأرضي فضاء لا نهاية له، ويسمى أيضًا بالغلاف الخارجي، وقد سبق في تعريفهم للكون أنه فضاء، ومؤسس هذه النظرية هو "جاليليو" المُلْحِدُ، وتبعه على ذلك "نيوتن"، و"أينشتاين" اليهوديان. انظر كتاب "قصة الخلق" (ص١٧٣).

وهاهو "جورج جاموف" يؤلف كتابًا بعنوان "بداية بلا نهاية"، وهو من فلكيي القرن العشرين.

وهاهو صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني" يقول (ص١٣٩) عن أحد الفضائيين وهو يتحدث عن نفسه: (لم يكن في وسعي لولا اللحظات التي لا تنسى لحظات إطلاق سفينة الفضاء... وأنا أرقب السفينة في مدارها، وأنا سابح في فضاء لا نهاية له...).

وقال صاحب كتاب "من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم" (ص٦٣) وهو يتحدث عن السماء: (والمفهوم العلمي لمصطلح (سماء) هو الحيِّز، أو الفضاء اللانهائي، الذي يحيط بكوكب الأرض من جميع الجهات، وتسبح جميع المجرات، والسدم، والكوكبات، والنجوم، والكواكب، والأقمار، في هذا الفضاء اللانهائي).

وقال صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني" (ص٢٣٨): (ولا يجوز تطبيق القواعد الرياضية في الكميات المحدودة على اللانهائيات؛ ذلك لأن كوكبنا الأرضي ليس إلا كحبة رمل صغيرة، بالنسبة إلى المجموعة التي تشمل الشمس والكواكب والأقمار...).

وبسبب القول بالفضاء اللانهائي قامت الكنيسة الإيطالية في روما: بالحكم بالقتل

حرقًا على الفلكي الإيطالي "جيردانو برونو" عام ١٩٠٠م، في روما؛ بسبب اعتقاده بعدم نهاية الفضاء. نقلًا من كتاب "قصة الخلق" (ص١٧٢).

فهذه الأقوال كافيةٌ في الاستدلال على أن الكون عند الفلكيين العصريين عبارة عن فضاء لا منتهى له. وإثبات هذا القول واعتماده يتضمن أمورًا في غاية الضلال:

ومنها: أبدية الكون: وقد أخبر الله في كتابه في آيات كثيرة أنه سبحانه سيُبَدِّل السماوات والأرض وما بينهما وذلك عند قيام الساعة، قال الله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[إبراهيم:٤٨]، فإثبات فضاء لا نهاية له مردود بصريح القرآن الكريم والسنة المطهرة.

ومنها: إنكار وجود السماوات السبع الطباق، وما فوقها من جنة وكرسي وعرش: وهذا تكذيب واضح للقرآن الكريم والسنة المطهرة، والمتأثرون من أبناء جلدتنا بما تضمنه كلام هؤلاء يجعلون هذا إعجازًا علميًّا، وهو عجز جهلي عصري!!

تنبيـــهٌ: لما رأى أصحاب النظريات القائلون بالفضاء اللانهائي ما حدث للفلكي الإيطالي "جردانو برونو" من الحكم عليه قتلًا بالإحراق، اتخذوا اصطلاحات تؤدي معنى اللانهائي، كتوزيعهم البلايين وبلايين البلايين على النجوم والمجرات، فليتنبه لهذا.

وقد وجدت نظريات تخالف ما سبق، ففي "الموسوعة الفلكية" (٣٨٥): (وعلى الرغم من كون الفضاء متناهيًا، إلا أنه غير محدود).

وفي (ص٣٨٧) ما نصه: (ثم أوضح كل من "نوي مان" (١٨٩٦م) و"فون سيليجر" (١٨٩٥م) أنه تنتج صعوبات من اعتبار الكون لا نهائيًّا...؛ وذلك لأن القوة التي تؤثر على كل نقطة تكون في هذه الحالة غير محدودة تمامًا).

وإلى جانب هذا التعارض فليست هذه النظرية مما يجزم بها، بل وصلوا إلى باب مسدود، كما سيأتي في الفصل الأخير.

نظرية أن الكون في تمدد رهيب واتساع مخيف والإجماع على ذلك

يزعم بعض أصحاب النظريات أن الكون في اتساعٍ مستمر، وهذه النظرية اشتهر بها "أينشتاين" اليهودي، و"فريدمان لامتر" و"هبل".

ومما قال صاحب الموسوعة (٣٨٢) في التمدد: (ثم أدى التأني إلى تمدد تلك المادة، حتى أصبح الفضاء بين الكواكب الأولى مكتسحًا).

والتأني عرفه صاحب الموسوعة (٨٩) قائلًا: (هو تألف النجوم، ويتكون من تأرجحات سريعة).

قلت: إذا كان التَّمدد المزعوم قد اكتسح الكون عندهم، وهي الكواكب الأولى، فأين تتواجد الكواكب والنجوم والمجرات المتمددة باستمرار؟!! وقد لهج أبناء المسلمين، المقبلون على هذه النظريات، بهذه النظرية المكتسحة للكون.

قال صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني" (ص٧١): (ولقد كان يظن إلى عهد قريب أن الكون استاتيكي (راكد)، ذو حجم لا يتغير، ولكن طلع علينا في الآونة الأخيرة عالم رياضي بلجيكي...، ومؤدى نظريته أن نطاق الكون يتسع، وحيزه آخذ في النُّمو والتَّمدد).

وقال أيضًا (ص٣٤٧): (إن الكون أرحب وأعظم مما كنا نتخيله، وإن الأجزاء النائية من الكون تندفع في الفضاء بعيدًا بسرعة مخيفة).

وقال صاحب كتاب "العلاج هو الإسلام" (ص٧٢) وهو يتحدث عن الجيولوجيين: (فدرسوا الكون ووجدوا أنه ما زال يتسع ويتباعد، وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[الذاريات:٤٧] أي لا زلنا نوسع في بناء هذا الكون).

وقال صاحب كتاب: "تكنولوجيا الفضاء" مقررًا ما يقوله الفضائيون: (ونحن لا نندهش أن القرآن جاء بحقيقة نهائية ومطلقة، لا تقبل الجدل عن تمدد الكون

واتساعه).

وقال أيضًا (ص٢٥٥-٢٥٦): (أما تمدد الكون واتساعه فقد أشارت إليه الآية الكريمة ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[الذاريات:٤٧]، وتبارك الله الذي يزيد في الخلق ما يشاء، إن الله على كل شيء قدير. ومما تقدم لا نستطيع أن نحصر السماوات بحسب رؤيتنا في سبع سماوات فحسب؛ لأنها تبلغ بلايين البلايين في الأجرام الفضائية).

انظر كيف حرَّف معنى الآية إلى بلايين البلايين من الأجرام الفضائية.

وقال أيضًا: (والعلماء يحصلون على قياسات لسرعات اتساع أبعاد حدود الكون المنظور، وهي التي توجد على مسافات تبعد عنا بما يزيد عن ستة بلايين سنة ضوئية، وعلى هذا البعد تتحرك المجرات بعيدًا عنا بسرعةِ (٩٠,٠٠٠) ميل في الثانية، أي: بسرعة تبلغ نصف سرعة الضوء تقريبًا).

وقال أيضًا (ص٥٥): (أما سعة الكون الآن فتبلغ آلاف البلايين من السنين الضوئية، وهو يتمدد الآن بسرعة أكثر من مائة ميل في الثانية الواحدة، وقد بلغ حجم الكون الآن عشرةَ أضعافِ ما كان عليه منذ بدء الخلق).

وقال صاحب كتاب "توحيد الخالق" (ص٢٦٦): (وقد كشف التقدم العلمي أن الكون في تمدد مستمر...).

بل ادَّعى بعض المؤلفين من هؤلاء إجماع الفلكيين على التمدد المذكور، ففي كتاب "الكون المصور" ما نصه: (أجمع الفلكيون المعاصرون على أن الكون يتسع باستمرار...) "قصة الخلق" (٤٩١).

وادعاؤهم تمدد الكون مبنيٌّ على العقيدة الدهرية، أن مادة الذرة والسدم أزليتان، وأنهما في تجمُّع رهيب، وتفجر كثير، ويبنون على باطلهم هذا أن الكون تبعٌ لأصله، فلا بد عندهم أن يكون كله في اتساعٍ ونموٍّ.

قال صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني" (ص٧١) وهو يتحدث عن السُّدُمِ: (كانت محتشدة كلها في حيزٍ ضيقٍ واحدٍ، ولبثت كذلك حقبة من الأزل، ثم أخذت تتمدد، وتنتفخ منه بضعة مليارات من السنين).

وكما رأيت من خلال سرد كلام أصحاب النظريات، أنهم ليس عندهم دليل على تمدد الكون واتساعه باستمرار، ولكن قام أشخاصٌ من جهلة عصرنا، واستدلوا بالآية المذكورة، وهي: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[الذاريات:٤٧] وليس في الآية دليل على ما قالوه؛ لأن الآية في خلق السماوات، وهم جعلوها في المجرات وغيرها، وأيضًا جعلهم الآية دليلًا على تمدد السماوات لا يصح ذلك؛ لأن معناها مُوْسِعُونَ، أي: جعلناها واسعةً، كما هو قول المفسرين، وسيأتي زيادة إيضاح في فصل تحريف معاني الآيات من أجل النظريات.

نظرية مركز الكون وتناقضهم فيها

مركز الكون عند المسلمين هو الأرض، وأما عند أصحاب النظريات فهم متناقضون في الجزم بمركز الكون:

❑ **فمن قائل: إنها الشمس**، قال "كوبرنيقوس"، في كتابه "حركات الأجرام السماوية": (فهذا المعبد الكبير من ذا الذي يستطيع أن يضع تلك الشعلة المضيئة في مكان آخر سوى المركز؛ حيث تضيء كل الأشياء في وقت واحد، فهذه الشمس هي نور العالم، بل هي روحه، بل هي التي تتحكم فيه، وهي جالسة على عرشها القدسي، ترشد أسرة الكواكب إلى طريقها). نقلًا من كتاب "قصة الخلق" (ص٢٥٥).

❑ **ومن قائل: إن مركز الكون: "مجرة التبانة"**. قال في "الموسوعة الفلكية" (٤٣٧): (في أثناء دوران الشمس حول مركز المجرة، يحدث دوران لنظام الإحداثيات).

وقال في المصدر نفسه: (من الفترة الزمنية لدوران الشمس حول مركز الطريق

اللبني، يمكننا عن طريق قانون كبلر الثالث تحديد الكتلة على وجه التقريب). والطريق اللبني هو مجرة التبانة.

ولحق بهم في هذا التناقض صاحب كتاب «من الإعجاز العلمي» (١/ ٩٧) قال: (واقترح العلماء أن المجموعة الشمسية تستغرق (٢٠٠) مليون سنة؛ لكي تتم دورة واحدة كاملة حول مركز درب التبانة، وأن المجموعة الشمسية قد دارت في مدارها منذ نشأتها حتى اليوم نحو (٢٠) دورة، فما بالنا بمقدار دورة الكون كله حول مركزه!!).

والمراد بدرب التبانة: المجرة. كما في «الرائد»، و«الموسوعة الفلكية» (٤٣١-١٣٩).

وقال صاحب كتاب «الظلال» (٥/ ٣٠٩٠): (أما المجرة التي تتبعها الشمس فقطرها نحو من مائة ألف سنة ضوئية، والسنة الضوئية تعنى مسافة ستمائة مليون ميل؛ لأن سرعة الضوء هي ستة وثمانون ومائة ألف ميل في الثانية).

والشاهد من هذا الكلام قوله: (أما المجرة التي تتبعها الشمس...) فجعلت الشمس تابعة للمجرة، وأصحاب الأفلاك القائلون بدوران الأرض يجعلون الشمس هي مركز الكون، فجاء أصحاب المجرات فحولوا مركز الكون إلى المجرات، وكلا الفريقين على خلاف الحق، وسيأتي بيان ذلك.

❑ ومن قائل: إن مركز الكون مجهول يتحكم فيه «قانون الزاوي» قال صاحب كتاب «تكنولوجيا الفضاء الكوني» (ص٨٩) وهو يتحدث عن قانون الزاوي الذي يدَّعون أن الكون كله خاضع له: (وإنه لمن المستحيل أن نتخيل وجود جِرْمٍ سماوي مهما صغر، لا يدور في الفضاء، بحسب هذا القانون الفيزيائي الهام).

قلت: أفاد هذا المقال أن قانون الزاوي أحد القوى المركزية التي تتحكم في الكون، وهذه النظرية ليست من النظريات المشهورة عند أرباب النظريات، فضلاً عن أن تكون صحيحة، وهي تعد من جملة النظريات التي تصادم ربوبية الله في تدبير الكون، وهي أفسد من نظرية الجاذبية.

ومن خلال هذه الأقوال يتضح للقارئ، أن أصحاب النظريات العصرية مضطربون أيما اضطراب، في تحديد مركز الكون، فمنهم من يقول: إن المركز المجرات، وهم متفقون على أن المجرات متحركة، فكيف تكون مركزًا وهي متحركة؟! وتقدم أنهم يعتقدون أن الكون كله متحرك، وعليه فلا مركز أصلًا! ومنهم من يقول: إن المركز للكون يتحكم فيه قانون الزاوي، وهو من أجهل المجهولات.

وعلى كلٍّ: فهذه النظريات ينقض بعضها بعضًا، فلا عمدة على واحدة منهن، وهكذا غالب النظريات التي تتحدث عن خلق الكون الأعلى، وقد كفانا الله من هذا التيهان بما أوضحه لنا في كتابه الكريم من الأخبار عن الكون خلقًا وإيجادًا وتدبيرًا وبدايةً ونهايةً، فمن أراد أن يقف على هذه الحقائق الكونية فعليه بالإقبال على تدبر القرآن وما في سنة سيد الأنام.

نظرية سعة الكون المزعوم واحتقار الكون المعلوم

الكون العظيم عند أصحاب النظريات غير الكون الذي تحدث عنه القرآن والسنة، وغير الذي نراه، فالكون الذي يدعيه أصحاب النظريات يحتقر بجانبه الكون الذي ملئ القرآن والسنة بذكره، والذي يُشاهد منه ما يُشاهد.

قال في «الموسوعة» (٤٠٩): (الكون هو كل الفراغ المتلئ بالمادة).

ولقد شغب كُتَّابُ العجز الجهلي في كتبهم في هذا الاتساع، قال صاحب كتاب «الإعجاز الإلهي» (ص١١٢): (من المعجزات الإلهية الكثيرة الموجودة في أجواز الفضاء: ما اكتشفه العلماء في الآونة الأخيرة، لقد اكتشفوا بوسائلهم العملاقة المتطورة مجرتين هائلتين...، ولا يختلفان عن بعضهما في شيءٍ، علمًا أن في كل منهما مليارات المجموعات الشمسية، التي تعد مجموعتنا بالمقارنة بها كذرة غبار متناهية في الصغر، في كون فسيح مترامي الأطراف).

سيأتي الكلام على مجرتنا، وهي مجرة درب التبانة، وكيف يهولونها وهاهم هنا

يجعلونها كذرة غبار، فماذا تقع الشمس والأرض بجانب الغبار المذكور؟!

وقال صاحب كتاب: "تكنولوجيا الفضاء": (... نعم إن الكون فراغ هائل لا تنتشر فيه المادة، إلا في نقاط صغيرة منعزلة لا متناهية).

وقال أيضًا (ص٢٧٢): (كوكبة تتزاحم بلايين النجوم فيها، حتى استحالت سديمًا منتشرًا يرى بالعين المجردة... يبلغ قطرها (١٢٠) سنة ضوئية بها نجم اسمه العملاق الأعظم، له أكبر قدر مطلق معروف، يربو ضياؤه على ضياء الشمس...).

وقال أيضًا (ص١٠٧): (وليست مجرتنا ومجرة "أندروميد" والمجرات الأخرى سوى جزر صغيرة في محيط الفضاء الكوني الهائل، ذلك المحيط المتناهي في الاتساع، بدرجة تبدو معها المسافة من مجرة إلى أخرى شيئًا لا يذكر أمامه، وفي هذا المحيط اللامتناهي تنتشر المجرات كبقع ضئيلة، لا تكاد ترى خلال آلات الرصد الضخمة إلا بصعوبة).

وقال أيضًا (ص٣٤٧): (وهكذا اكتسب العلماء فهمًا جديدًا لأمور كانت غامضة عليهم، ونفوذًا إلى أبعاد سحيقة في الكون، تبلغ عشرة آلاف مليون سنة ضوئية أو قد تزيد، ووصل الإنسان بأدوات الرصد الراديوي إلى أجرام يفوق حجم بعضها إلى حجم سديم عظيم).

انظر إلى قوله: (إلى أجرام يفوق حجم بعضها إلى حجم سديم عظيم) وقد تقدم عند كلامنا على السديم أنهم يدعون أنه أكبر من المجرات على حسب زعمهم، فكيف صار المتفرع عن الأصل أكبر من الأصل؟! مع أننا نعلم علم اليقين أن السديم عديم لا وجود له بهذه الصورة، إلا بمجرد الدعاوى والأكاذيب.

وانظر أيضًا إلى ما في هذا النقل من مزاعم! ومنها: إنما يوجد من الكون ليس إلا كذرة غبار بجانب ما اكتشفوه، وقد سبق أننا ذكرنا أن الفلكيين هؤلاء لما حوكموا بسبب قولهم بفضاء ليس له نهاية، غيروا مصطلحاتهم وصاروا يدعون مجرات بالمليارات، وأن الواحدة منهن تفوق ما هو معلوم من الكون من سماوات وغيرها،

وهذا هو مؤدى القول بفضاء لا نهاية له.

فلا يغرنك كلام كُتَّابِ المسلمين في تعظيم الكون؛ فهم إنما يعظمون الكون المتخيل لهم المكذوب به عليهم من قبل أعدائنا، وبقدر ما يحصل من تصديق وتعظيم لما يقوله أصحاب النظريات في الكون المتخيل، يضعف ويذهب منهم تعظيم الكون الذي تحدث عنه القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[غافر:٥٧] وقال سبحانه: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾[النازعات:٢٧]. فهذا حال من أقبل على نظريات الأعداء من أبناء جلدتنا، وهي عقوبة من الله عليهم؛ أن عظموا الأوهام والتخيلات المكذوبة على حساب ترك التعظيم للآيات الكونية المعلومة، نقلًا وعقلًا وحسًّا ومشاهدةً.

نظرية أن الكون مجرات

يقول صاحب كتاب "من الإعجاز العلمي" (١/ ١٢٦): (وفي السماء مجرات بعيدة جدًّا عن الأرض، بصورة تفوق الخيال البشري، وينبعث من هذه المجرات أشعة ضوئية خافتة؛ ذلك لأنها تبعد عن الأرض بنحو ألف مليون بارسك (١٩,٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) ميل، ومن بينها مجرة السحابة المجلانية (Magellanic Cloud)، ومجرة قنو العذراء (Virgo Cluster) وهي من أقوى الحشود المجرية القريبة إلينا، وتشتمل على نحو (٢,٥٠٠) مجرة داخلة فيها المجرات اللولبية، أو الحلزونية الشكل، ويتراوح قطر المجرة الواحدة منها: من (١٥٠,٠٠٠) إلى (١٥,٠٠٠) سنة ضوئية، وتزداد اتساعًا في القسم الأوسط منها، بينما يقل اتساعها عند أطرافها، وتتولد الكثير من النجوم الجديدة في المجرات ومن بينها النجوم الجديدة القصيرة العمر الشديدة اللمعان، والتي تسهل عملية رصدها باستخدام المراقب الفلكية المطورة؛ نظرًا لوقوعها عند أطراف المجرة، ويحيط بالنواة الوسطى...). انظر إلى هذا الهراء!!

وقال صاحب كتاب "الإعجاز الإلهي" (ص١١٢): (من المعجزات الإلهية الكثيرة الموجودة في أجواز الفضاء ما اكتشفه العلماء في الآونة الأخيرة، لقد اكتشفوا بوسائلهم العملاقة المتطورة مجرتين هائلتين...، ولا يختلفان عن بعضهما في شيء، علمًا أن في كل منهما مليارات المجموعات الشمسية، التي تعد مجموعتنا بالمقارنة بها كذرة غبار متناهية في الصغر، في كون فسيح مترامي الأطراف...). يريدون: أن لا نهاية له.

وقال سيد قطب في "الظلال" (٥/ ٣٠٩٠) عند قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾[غافر:٥٧]: (وهذه الشمس واحدة من نحو مائة مليون من الشموس في المجرة القريبة منا، والتي نحن منها، وقد كشف البشر حتى اليوم نحو مائة مليون من هذه المجرات متناثرة في الفضاء الهائل من حولها، تكاد تكون تائهة فيه، والذي كشفه البشر جانب ضئيلٌ صغيرٌ لا يكاد يذكر من بناء الكون، وهو على ضآلته هائلٌ شاسعٌ يدير الرءوس مجرد تصوره؛ فالمسافة بيننا وبين الشمس نحو من ثلاثة وتسعين مليونًا من الأميال؛ ذلك أنها رأس أسرة كوكبنا الأرضي الصغير، بل هي على الأرجح أمُّ هذه الأرض الصغيرة... أما المجرة التي تتبعها الشمس فقطرها نحو من مائة ألف مليون سنة ضوئية، والسنة الضوئية تعني مسافة ستمائة مليون ميل...، وأقرب المجرات الأخرى إلى مجرتنا تبعد عنا نحو خمسين وسبعمائة ألف سنة ضوئية، ونذكر مرة أخرى أن هذه المسافات وهذه الأبعاد وهذه الأحجام هي التي استطاع علم البشر الضئيل أن يكشف عنها، وعلم البشر هذا يعترف أن ما كشفه قطاع صغير في هذا الكون العريض...).

وقال صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني" (ص١٠٤): (إن المراصد الحديثة أوضحت لنا وجود أكثر من (٢) بليون مجرة في هذا الكون العظيم، وأن المسافات بين النجوم هائلة داخل المجرة، وأن المجرات تفصلها مسافات تفوق الوصف والخيال...).

وقال أيضًا (ص١٠٧): (كم مجرة استطعنا الحصول على صور فوتوغرافية لها؟...

حوالي (٦٠) مليون مجرة منتشرة في كل مكان تحت قبة الفلك).

وقال أيضًا (ص٢٥٩): (في مجرتنا وحدها (١٣٠) ألف مليون نجم... رأينا مجرتنا تتنازل عن مجدها كأكبر مجرة في الكون، لتحتل مكانًا متواضعًا بين شقيقاتها المجرات المتواضعات).

وقال (ص٢٧٤): (جزء من المجرة التي تحتوي على حشدٍ نجومي رهيب مقداره (١٠٠) ألف مليون نجم، تقع خلف مجرتنا مباشرة).

وقال أيضًا (ص٢٦١): (... إن هذه الكرة تحتوي على (١,٦٠٠) مليون مجرة بمعدل المجرة الواحدة في كل (٢٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) سنة ضوئية مكعبة... مع مسافة متوسطة بين كل مجرتين متجاورتين تقدر بمليون سنة ضوئية).

أيها القارئ، تأمل في الكلمات الآتية التي سأذكرها من مقالاتهم المذكورة هاهنا:

فقولهم: (مجرات بعيدة جدًّا عن الأرض) هذا كلام فيه غاية التجهيل للناس، فقولهم بعيدة جدًّا عن الأرض أين هي؟! أهي فوق السماوات؟! فإن قالوا: هي فوق السماوات فهو كذب صراح؛ لأن مناظيرهم محجوبة بالسماء الدنيا، وأيضًا الذي فوق السماوات هو الجنة، والعرش، وليس مجرات.

وإن قالوا: فوق الأرض، فقد كذبوا؛ لأن فوق الأرض السماء، وبينهما الفضاء.

وإن قالوا: خارج عنهما، فقد بالغوا في الكذب؛ لأن ما كان خارج السماوات والأرض فليس في مقدور البشر أن يدركوه.

وقولهم: (والمجرة القريبة منا تشتمل على نحو (٢,٥٠٠) مجرة داخلة فيها...) أين هي؟! فما دامت قريبةً منا فدلونا عليها، وإن لم فلا أقل من أن نقول: هذا تناقضٌ منهم؛ حيث أخبرونا عن مجرات بعيدة لا دليل على ذلك لا عقلًا ولا نقلًا ولا حسًّا ولا مشاهدةً، وأخبرونا عن مجرات قريبة منا بدون أي برهان، فهم يحيلون الناس على معدوم حقيقةً، موجود ادعاءً.

وقولهم: (وتتوالد النجوم الجديدة الكثيرة) هذا مبنيٌّ على قاعدة من قواعدهم الوهمية، وهي: أن السدم مادةٌ أزليةٌ متحركةٌ تتوالد منها النجوم وغيرها.

وقولهم في المجرتين: (وفي كل منهما مليارات من المجموعات الشمسية) كذب، لا أوسع منه منذ أن ظهر الكذابون، وكيف لا؛ والمجرة الواحدة فيها مليارات من المجموعات الشمسية، على حسب زعمهم، والواحدة من المليارات الشمسية تفوق ما نشاهده من عظائم الكون، كالأرض والسماء فكيف بالمئات بل بملايين ومليارات من المجموعة الشمسية؟!!

وقولهم: (التي تعد مجموعتنا بالمقارنة بها كذرة في غبار متناهية في الصغر). انظر كيف صاروا محتقرين للآيات الكونية العظيمة، التي لا تقوم حياة العالم إلا بها، فالسماوات وما فيهن، والأرض وما فيها، عند هؤلاء الملاحدة ما تقعان بجانب مجموعتهم التي اكتشفوها -كما يزعمون-، إلا كذرة غبارٍ بجانب المجرات الأخرى، فكيف سلَّم كتَّابُ عصرنا لهؤلاء، وسطروا نظرياتهم في كتبهم؟! بل كيف جعلوها من المعجزات للقرآن الكريم والسنة المطهرة، وفيها التكذيب والتعطيل؟!، اللهم سَلِّمْ! سَلِّمْ! فما أرى هؤلاء الكتَّاب إلا تاركين عقولهم، ومتحدثين بعقول الكفرة!

نظرية أن الكون الأعلى كله يخضع لقانون التَّحرك الزاوي السَّرمدي

قال صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني" (ص٨٩): (ولنربط بين هذا -أي: الزاوي- والأجرام السماوية الرئيسية، من الأقمار إلى المجرات قد تكثفت مادتها خارج سحب الغاز والغبار الكوني البدائية الهائلة الاتساع، وقد انكمشت هذه المادة وتكثفت، حتى صارت كوكبًا، أو نجمًا، وبحسب قانون: (بقاء كمية التحرك الزاوي) فإن كمية التحرك الزاوي سوف تزداد، كلما ازداد انكماش السحابة الكونية الأساسية على نفسها، في بيئة الاحتكاك الحرة في الفضاء، وإنه لمن المستحيل أن نتخيل وجود

جِرْمٍ سماوي مهما صغر لا يدور في الفضاء بحسب هذا القانون الفيزيائي الهام، حتى السحابة الكونية التي هي بحجم مجرة، والتي تدور حول نفسها مرة كل عشرة آلاف مليون عام، سيكون لها كمية تحرك زاوي، تحفظها كلما زاد انكماشها حول نفسها، وحتى الكويكبات... التي هي قطع متناثرة؛ من جراء تصادم أجرام سماوية أكبر، يطبق عليها قانون بقاء كمية التحرك الزاوي كجرم سماوي كبير متجمع يدور).

وقال أيضًا (ص٨٨-٨٩): (ودوران الأجرام في الكون يخضع لقانون هامٍّ في الفيزياء يُدعى "بقاء كمية التحرك الزاوي"، وينص هذا القانون على أن: كمية التحرك الزاوي لأي جِرْم تقدر على أساس نسبة دوران الجرم، ونصف قطره على محور دورانه، وتبقى هذه الكمية محفوظة في حال انعدام أي تأثير لقوى خارجية، وإذا تغيرت هذه الكمية فسوف يكيف النظام نفسه آليًّا، ولتبقى كمية التحرك الزاوي على حالها دائمًا).

قلت: المتحرك الزاوي من جملة القوى الأزلية الأبدية عند القائلين به من أصحاب الأفلاك المعاصرين، كما دل على ذلك لفظ (دائمًا).

ودلائل بطلان هذه النظرية كثيرة، ويكفي في ذلك أنها تفتقر إلى برهان يدل عليها، ولا برهان، فكيف وبطلانها ظاهر كظهور الشمس في رابعة النهار؟!! ألا ترى دعواهم أنها ديمومية، فلمن الديمومية؟ لله الواحد القهار، أم لقانون الزاوي؟! وأيضًا هي ناقضة لنظرية الجاذبية، ونظرية الجاذبية ناقضة لهذه؛ لأن كلا النظريتين يدعى فيهما السيطرة التامة والقهر لجميع الأجرام السماوية، فإثباتهما داعٍ إلى التناقض بينهما.

وهما باطلتان بحكم الشرع؛ لأن الله هو الذي يسير المتحركات، ويمسك الثابتات، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف:٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر:٤١].

نظرية الجاذبية للكون وأنها أزلية

من الأصول التي يقوم عليها الكون عند أصحاب النظريات: الجاذبية وتسمى: المادة المظلمة، وهي التي تتحكم في الكون، وهي من الأزليات عند أصحابها، وصاحب هذه النظرية هو: «إسحاق نيوتن»، انظر «الموسوعة الفلكية» (١٤٣). وفي هذا المصدر قال صاحب «الموسوعة» في تعريفها: (الجاذبية: الجذب العام للكتلة، وهذه خاصية تشترك فيها كل مادة).

قال صاحب كتاب: «تكنولوجيا الفضاء الكوني» (ص١١٥): (رأينا أن أقدم رفيقٍ للإنسان على سطح الأرض وأدومه هو: الجاذبية الأرضية، فهي القوة المركزية التي تنظم حياتنا، وهي التي تحدد تلك الرحلات السنوية التي تقوم بها الكواكب، كما أنها ترسي قواعد البناء الشامخ لهذا الكون العجيب، إن لهذه القوة أصابع خفية تمتد في الفضاء إلى آفاق لا منتهى لها، كل شيء في فضاء الكون من النجوم والسديمات إلى أدق الصواريخ، عليه أن يخضع لقوانين الجاذبية، ولا يمكن لشيءٍ ما أن يعفى من سلطانها، فلا يهرب منها حجر يقذف في الهواء، ولا ينجو من جذبها نجم ينفجر في أجواء الفضاء).

وقال أيضًا (ص٨٦): (إن الجاذبية العامة: هي بلا منازعٍ القانون الأول في دستور الكون، ولقد خلقنا الله على كوكب الأرض، ونحمد الله على الجاذبية الأرضية التي تسمح لنا بالتحرك على سطح الأرض دون صعوبةٍ؛ فجاذبية الأرض تحدد قيمة وزنك...).

تأمل ما في هذه الكلمات تجدها محتوية على الضلال والشرك؛ من جهة جعل الجاذبية هي المسيِّرة للكون، فماذا أبقوا لله إذا كانت الجاذبية تسير الكون حسب زعمهم، وقد ادَّعى ملاحدة هذه النظرية أنها أزليةٌ أبديةٌ؟!!

قال «أينشتاين» وهو يتحدث عنها: (إن هذا الحجم بما فيه من مادة، لا يزيد،

ولا ينقص، ولا يضيق، ولا يتسع، منذ الأزل، وإلى الأبد) المصدر الأول (ص٦٥).

وقال أيضًا مبينًا عملها المزعوم: (والعلم يقول: إن قوة الجاذبية: هي التي تجعل الشمس تمسك بالأرض، فتدور حولها، وهي التي جعلت الشمس تمسك بعطارد، والزهرة، وكل كواكب المجموعة الشمسية، وجعلتها جميعًا حول الشمس تدور، إن الأرض تجذب الإنسان، وكذلك يجذب الإنسان الأرض، إن الأرض تجذب الإنسان بمقدار جِرْمِها (أي: حجمها)، ولهذا يظهر جذبها أما الإنسان؛ فإنه يجذب الأرض بمقدار جرمه، وأين جرمه من جرمها؟! وعلى ضآلة قوة الجاذبية وأثرها القليل في حركة الناس على الأرض، فإنها جبارةٌ عارمةٌ في السماء حيث الكتل عظيمةٌ هائلةٌ، وهي هناك نافعةٌ؛ إذ بها تمسك أجرام السماء بعضها بعضًا، وإلا انفرط نظامها ومدبر الكون لم يقدر لها انفراطًا، وإذا أنت طلبت برهانًا على وحدة هذا الوجود كله وانتظامه في سلكٍ واحدٍ، كان من أول البراهين قانون هذا الكون الذي يعمل في صمتٍ في أرضٍ وسماءٍ وهواءٍ وماءٍ، وهو يعمل في كل ذي حياةٍ وكلِّ جمادٍ). المصدر السابق (٦١-٦٢).

وقال أيضًا في (ص٦٢) وهو يتحدث عن ضخامة الجاذبية: (لا تراها بالرغم من أنها أضخم وأقوى ما في الوجود).

قلت: هذا كذبٌ وافتراءٌ؛ لأنها لو كانت أقوى وأضخم ما في الكون لأخبرنا الله بذلك؛ فقد أخبرنا سبحانه عن أعظم المخلوقات المرئية، كالسماء والأرض، وغير المرئية كالعرش، والكرسي، والجنة، والنار، فكونه سبحانه لم يخبرنا عن هذه الجاذبية، ولا حتى بالإشارة، ولم يخبرنا أنه أطلع عليها بعض أنبيائه ورسله، ولم يستنبط علماء التفسير من كتاب الله ما يدلُّ على هذه النظرية، دلَّ هذا على أنه لا جاذبية تدبر الكون، وإنما قالوا هذا سيرًا على إلحادهم: أنهم لا يعترفون بوجود الله، فضلًا عن الاعتراف بتدبيره الكائنات.

ومما يدل على انعدامها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا

وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾[فاطر:٤١]. فالثابت من الكون يمسكه الله، والمتحرك من الكون أو في الكون سخره الله، وأمسكه؛ فقد قال في الأجرام السماوية: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ﴾ [إبراهيم:٣٣]، وقال الله: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾[يس:٣٨]، وقال الله: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[النحل:٧٩]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ﴾[الملك:١٩]، فلو كانت الجاذبية هي التي تنظم سير الأجرام والمتحركات -كما يزعمون- لما قدرت الطيور أن تطير في الهواء، ولا الجنُّ، ولا الطائرات، وأنواع المتحركات في الجو؛ لأن الجاذبية ستأخذها بقوة الجذب إلى الأسفل، وكيف لا؛ وهم يقولون: إن تحركنا على سطح الأرض كان بإذن من الجاذبية؟!!

وأَبْطَلُ من هذا قولهم: إن الإنسان يجذب الأرض، وعليه فالإنسان فيه قوة الجاذبية. وهذا منهم تناقض؛ ففي المقال الثاني الذي نقلته قبل قليل: إن الجاذبية أرضية، وإنها سمحت للإنسان بالتحرك، فظاهره أن الإنسان ليس فيه جاذبية، وهنا أثبتها في الإنسان.

وأشنع من هذا قولهم: إن الإنسان فيه جاذبية تجذب الأرض. أخبار يرفضها السَّمع بداهةً، فهل يقدر أحدٌ أن يتصور جذب الإنسان للأرض والعكس، فكيف جعل هؤلاء للأرض سلطانًا على الإنسان، وللإنسان سلطانًا على الأرض؟! وقد نقض بعض هؤلاء هذه السلطة للجاذبية.

ففي كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني" (ص١٢٢) سرد مجموعة من الصور تحكي قهر عدد من الفضائيين للجاذبية، وسلامتهم من إصابتها بأي سوء، مع تنقلهم في أرجاءٍ فضائيةٍ كثيرةٍ، على حسب زعمهم.

ومما ينقض جاذبيتهم أيضًا: قولهم بانفجارِ الكونِ، قال صاحب كتاب "آيات طبيعية في القرآن" (ص١٠): (إن الكون يتسع باستمرارٍ؛ بفعل قوى التدافع

الانفجارية، وقوى التدافع الانفجارية... تعاكس قوى التجاذبية المادية).

ومما يدل على بطلان نظرية الجذب: ما قاله صاحب النظرية "نيوتن" كما في "الموسوعة الفلكية" (١٤٣): (إن كتلة الجسم كلما ازدادت، زادت قوته في جذب الأجسام الأخرى إليه).

فيقال: إن السماوات أكبر من الأرض قطعًا، ومع هذا لم تجذب السماوات الأرض إليها، والشمس أكبر من القمر قطعًا، وهما في سماء الدنيا، ومع هذا لم تجذبه إليها، بل كثيرٌ من أصحاب الهيئةِ يقولون: إن القمر تابعٌ للأرض، وأيضًا الشمس أكبر من الأرض -على حد زعمهم-، ولم تجتذبها.

ومن عجيب حال أصحاب الجاذبية، أنهم يجهلون حقيقة الجاذبية. قال الدكتور "صبري الدمرداش": (إن الجاذبية من أهم قوانين الطبيعة، رغم أن الجاذبية نفسها ما زالت لغزًا عميقًا مجهولًا). نقلًا من كتاب "قصة الخلق" (ص٤٩٩).

وسيأتي الكلام على "أينشتاين" اليهودي في النسبية، وهي من جملة النواقض لنظرية الجاذبية.

وخلاصة القول: أن نظرية الجذب المذكورة إلحادية، وهي عند أصحابها أزليةٌ أبديةٌ، وهذا كافٍ في إبطالها بدون ترددٍ، ولا تأخرٍ ولا بحثٍ، وحقيقتها عند المسلمين: سلبُ ما لِلّه من تدبيرٍ للخلقِ والكونِ، وجعل ذلك للجاذبية؛ فهي قريبةٌ من نظرية الشيوعيين: (لا إله، والحياة مادة) وهذه: (لا إله إلا الجاذبية) فإياك! إياك! أن تغتر بمن يروِّج لها.

تنبيـــهٌ: لسنا ننكر أيَّ شيءٍ يقال جذب أو جاذب أو جاذبية، وإنما أنكرنا النظرية المذكورة؛ فتنبه!

تنبيـــهٌ آخر: إذا انتصرت الجاذبية على الكون، ماذا سيحصل للكون؟

الجواب: ما قاله صاحب كتاب "آيات طبيعية في القرآن" (ص١٠): (وقتًا ما

ستتساوى فيه قوى التدافع الانفجارية، مع قوى التجاذب المادية، وعندها سوف ينتهي التوسع الكوني، وتنقلب الآية، حيث تتغلب قوى التجاذب المادية على قوى التدافع الانفجارية، ويبدأ العد العكسي في حركة الكون وتطوره، إلى أن يعود الكون إلى ما كان عليه قبل الانفجار).

تأمل هذا الكلام تجده شبيهًا بكلام الخرافيين!!

نظرية أن للكون الأعلى سَلَالِيمَ

لقد حاول بعض المغلوبين على تصحيح أباطيل الكفار في الكون أن لا يدعوا شاردةً ولا واردةً من نظريات الكفار إلا ذكروها، مشيدين بها، جازمين بصحتها.

ومن ذلك: ما قاله صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني" (ص٢٤٨-٢٤٩) وهو يتحدث عن الإسراء والمعراج برسولنا ﷺ: (وإذا كان قد أراد أن يعرج به إلى السماء؛ ليريه من آياته الكبرى، أيخصص له سلمًا يصعد به... أيكون ذلك؟! ومن حولنا (٣٠٠) ألف مليون سلم تحيط بنا من كل جانب، هي الذبذبات التي أصبحت معروفةً في الطبيعة).

قلت: هذا الكلام فيه أمور خطيرة:

منها: إبطال معجزةٍ من معجزات الرسول ﷺ، ألا وهي: اختصاصه بالعروج إلى السماوات العلى؛ فمعلوم أنه لا يقدر مخلوقٌ بشريٌّ على الصعود إلى السماوات إلا بآيةٍ معجزةٍ، فصاحب المقال يثبت سلاليم عددها مئات آلاف الملايين، توصل إلى الكون الأعلى، والرسول قد صعد عليها، وعلى هذا لم يبق العروج معجزة لرسولنا ﷺ، وكفى بهذا المقال فسادًا!!

ومنها: قلة أدب صاحب المقال؛ باستعماله الاستنكار على الله؛ إذ خص نبيه بشيءٍ، ألا ترى أنه قال: (أيخصص له سلمًا يصعد به... أيكون ذلك؟!).

ومنها: قوله في السلاليم: (تحيط بنا من كل جانبٍ...) كلام متهافت.

ومنها: قوله في بيان السلاليم: (هي الذبذبات)، ذكر صاحب "المعجم الوسيط" (١/ ٣٠٩)، في تعريف الذباذب: (هي المسافة التي يقطعها جسم يتحرك حركة تذبذبية، من أقصى نقطة على أحد جانبي محور التماثل، حتى يعود إلى هذه النقطة ثانية). فالذباذب: جسم متحرك بالحركة المذكورة. فكيف تكون هذه الحركة سلاليم؟!!

وتعريف السلم، كما في "المعجم الوسيط" (١/ ٤٤٦): (السلم: ما يصعد عليه إلى الأمكنة العالية).

ومنها: ادعاء صاحب المقال لعلم لم يطلع اللهُ نبيَّهُ عليه، ألا ترى أنه ادعى معرفة السلاليم المذكورة، والرسول لم يعرفها؟! فيفهم من كلام صاحب المقال أَنَّهُمْ قد سبقوا الرسول ﷺ؛ حيث إنه لم يعرفها، وأما هم فيعلمون مئات الملايين من السلاليم!!

ومنها: قوله: (التي أصبحت معروفة في الطبيعة)، قلت: كلا، ليست موجودة، فضلًا عن أن تعرف، وكم يكررون هذا الأسلوب، وهو: إثبات شيءٍ لا وجود له في الحقيقة!

وإليك ذِكْرَ ما سماه صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني" (سلم القياس الكوني) قال (ص٢٦٦): (رسوم بيانية؛ توضح سلم القياس الكوني لجزءٍ بسيطٍ من ملكوت السماوات...، وهذا السلم ترقاه الملائكة في يوم مقداره خمسون ألف سنة، من سني الأرض... وتظهر هذه الرسوم البيانية سعة سلم القياس الكوني، نرى فيها أوَّلًا المنطقة التي بالإمكان مراقبتها بصريًّا في مجرتنا في هذا السلم، تكفي نقطة مجهرية؛ لتمثيل النظام الشمسي بكامله، ترى في هذا النظام نجوم، وعناقيد، نجوم وتجمعات نجمية، وسدم غازية، كسديم الوردية، وسديم الجوزاء م[٤٢]، أعطيت المسافات هنا بآلاف السنين الضوئية، بحيث يمثل الخط الأبيض الخارجي مسافة (١٠,٠٠٠) سنة ضوئية، بعدًا عن الشمس، ثم نرى المجموعة المحلية من المجرات، وهي تحتوي على (٢٤) عضوًا، أكبرها المجرة اللولبية م[٣١] في (المرأة المسلسلة) ثم مجرتنا ثم اللولب

المثلث م[٣٣]، وأخيرًا غيمتا ماجلان، اللتان هما رفيقتا مجرتنا، أما الأعضاء الأخرى من المجموعة المحلية، كالأسد(١)، أو الأسد(٢)، فهي مجرات قزمة، أعطيت المسافات هنا بملايين السنوات الضوئية، قد تكون المجرتان ما في (١)، وما في (٢)، المكتشفتان حديثًا عضوين أيضًا في المجموعة المحلية، إلا أن الغبار الكثيف الحاجز بينهما وبيننا في مستوى مجرتنا، يجعل دراستهما صعبة. لا يبدو أن مجرات المجموعة المحلية تبتعد عنا.

المنطقة الثالثة تبعد أكثر من (٧٥٠) مليون سنة ضوئية، وهي تحتوي على العديد من عناقيد المجرات، كعنقود العذراء الغني بالمجرات.

أما المنطقة الرابعة التي يزيد بعدها على (١٠,٠٠٠) مليون سنة ضوئية، فليس بالإمكان حتى الآن رصدها لا بالوسائل البصرية، ولا بالوسائل الإشعاعية؛ فالكوازارات ذاتها، وهي أبعد الأجرام عنًا ليست بعيدةً إلى هذا الحد).

فقولهم: (إنهم قد راقبوا سلم الملائكة) غير صحيح؛ لأن الأدلة دلت على أن الملائكة تطير بأجنحتها إلى السماوات العلى، قال تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾[فاطر:١]، وأيضًا لو كانت السلاليم المذكورة موجودةً حقًا لذكرت في القرآن أو السنة؛ لأنها من المخلوقات العظيمة، ولصعد الرسول عليها حينما عرج به إلى السماوات، فلما لم تذكر دلَّ هذا على بطلان دعوى وجودها، ولكن هؤلاء أصحاب تخيلات!!!

نظرية عمر الكون وأيامه

قال صاحب "الموسوعة الفلكية" (٩٤): (تحديد العمر، توجد طرق كثيرة تختلف عن بعضها؛ لتحديد أعمار الأجرام السماوية، ونتائجها موثوق بها إلى حد ما، وهي أنه حتى الآن ليس هناك جسم سماوي يزيد عمره عن ١٢-١٥ بليون سنة، ولكنه توجد أعمارٌ دنيا تختلف جزئيًا عن بعضها، وليس من الممكن مقارنتها مع بعضها).

وقال (ص٩٦): (وتقدر أعمار الحشود المختلفة بين ٢-٣ مليون سنة، و ٥-٦ بليون سنة).

واعلم أنهم ليس عندهم مثقال ذرة من علم عن هذا التقدير، ولا يزالون يتخبطون إلى الآن؛ باحثين عن طرقٍ لتحديد عمر الكون.

فبعد أن ذكر صاحب «الموسوعة» (٧) طرق استخدمت لمعرفة عمر الكون، قال: (ويمكن الحصول على معلومات تتاعي حالة الكون قبل ذلك تحت فروض كثيرة لم يمكن التأكد من صحتها بالمشاهدة، وتطابق عمر الكون مع أعمار أقدم الأجسام فيه، شيء لا يجب إغفاله).

وبالرغم من هذا التيهان عند هؤلاء الكفار، فقد قام حماة دجل الفلكيين المستوردون له بإثبات عمر الكون جملةً وتفصيلًا.

قال صاحب كتاب «تكنولوجيا الفضاء الكوني» (ص٢٣٩-٢٤٠): (ومجرتنا كالمجرات الأخرى؛ تدور حول نفسها، ولها زمنٌ كونيٌّ مقداره آلاف الملايين من السنين، بالنسبة إلى ما يعرفه البشر).

وقال صاحب كتاب «من الإعجاز العلمي» (٢/ ٥٧): (إن دوران الأرض حول محورها يشكل تضاريس سطح الأرض، ثم ذكر بعض الجبال وأنها تجمعت لفتراتٍ طويلةٍ من الزمن، تصل إلى مئات الملايين من السنين، وبفعل النَّشاط النووي في باطن الأرض، تعرضت هذه الرواسب بحركات رفع تكتونية أدت إلى ظهورها على سطح الأرض على شكل طبقات رسوبية ملتوية، متخذة شكل السلاسل الجبلية، والهضاب العالية).

وقال صاحب كتاب «تكنولوجيا الفضاء الكوني» (ص٢٥٥): (وما عمر الإنسان -وإن طال- إلا ذرةً في عمر الكون، الذي ابتدأ منذ آلاف الملايين من السنين الضوئية).

وقال صاحب كتيب «العلم طريق الإيمان» (ص٤٢): (إن نشأة الأرض والكواكب

كانت منذ (٤,٥) بليون سنة تقريبًا).

واضح جدًّا من كلام هؤلاء، أن عمر الكون من البداية يعنى عند أن كان سديمًا، إلى أن صار صالحًا لاستمرارية الحياة عليه، يقدر بالآتي:

١- ملايين السنين ٢- مئات الملايين ٣- بلايين السنين.

وهذا التقدير هو في قضية واحدةٍ، وهي نشأة الأرض والسماء وما فيهما.

ولا يخفاك أن هذا التقدير جهلٌ بحتٌ؛ لأنه لا دليل عليه، وأعظم الجهل في هذا المقال هو التناقض؛ إذ كيف يسلم لهم بهذه المقادير، وهي متناقضةٌ تناقضًا بيّنًا، ألا ترى كم الفارق بين الملايين، ومئات الملايين. وأبعدُ من ذلك التقدير بالبلايين؛ لأنها بعد الملايين، فكيف يكون هذا التباعد الرهيب بين تقديرات عمر الكون صحيحًا؟! ألا يقال جزمًا: كل هؤلاء يتسابقون في توسيع دائرة الكذب البلوني.

والذي نعلمه من ديننا هو أن الرسول ﷺ قال: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ». رواه مسلم رقم (٢٦٥٣).

وجاء عند الترمذي (٢٨٨٢) أن الرسول ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَامٍ...».

وعند أحمد من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما (٢/ ١٦٩) مرفوعًا بلفظ: «قَدَّرَ اللهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ».

فهذه أكبر مدةٍ زمنيةٍ بين تقدير المقادير وخلق السماوات والأرض، وأما خلق السماوات والأرض وما بينهما، فقد خلق الله ذلك في ستة أيامٍ، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[ق:٣٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» (١٨/ ١٨): (وهذا هو الصواب؛ لأنه قد ثبت بالتواتر، أن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة

أيامٍ...).

وقد اختلف في الأيام الستة المذكورة، أهي من أيام الدنيا، أم لا؟! وقد رجح أكثر أهل العلم أنها من أيام الدنيا، وآخرون على أنها أيام غير أيام الدنيا؛ لأن أيام الدنيا خلقت بعد خلق السماوات والأرض. والقول الأول أرجح؛ لأدلةٍ ليس هذا محلُّ بسطها، ومنها قول الرسول ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ»، رواه مسلم، برقم (٨٥٤).

نظرية أن الكون أكثره مجهول

لقد تقدم أن ذكرنا للقارئ تضخيم ما يسمونه بالاكتشافات الكونية، حتى صار أعظم من الكون الذي هو معلوم للناس، بل صوَّروا الكون المشهود والمذكور في القرآن والسنة، بجانب ما اكتشفوه، كذرة غبارٍ، ثم ادَّعوا أن ما اكتشفوه ليس بشيءٍ بجانب ما لم يكتشفوه.

قال صاحب كتاب «قصة الخلق» (٤٣٧): (وعندما أرسل إبليس «جاليليو»... قال: إن الكون إنما هو فراغٌ شاسعٌ)، وإنما يقصد بذلك أنه لا نهائي، كما صرح مقدمو كتابه «الحوار».

وقال في المصدر المذكور وهو يتحدث عما فعله إبليس بأصحاب النظريات: (ثم محا مفردات أخرى: كالعرش، والكرسي، والسماوات، والملائكة، والجنة، والنار، وأتى ببدائل لها كالأسرار، والغموض، والمجهول، واللانهاية، وأودعها في السماء، بدلًا من سابقتها).

وقد تقدم أن صاحب «الموسوعة الفلكية» عرَّف الكون: بأنه الفراغ الممتلئ بالمادة.

وسبق أيضًا أنهم قالوا: إن النجوم الأُوَلَ قد اكتسحت الفضاء، ولهم غير ذلك من النظريات المتضاربة، والتي حقيقتها كالسراب، لكن اليائسون أخذوا النظريات بدون تروٍّ، وسطروها في كتبهم، جاعلينها إعجازًا!!

قال صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني" (ص٢٣٨): (ذلك لأن كوكبنا الأرضي ليس إلا كحبة رملٍ صغيرةٍ، بالنسبة إلى المجموعة التي تشمل الشمس والكواكب والأقمار، وهذه المجموعة لا تعدُّ شيئًا مذكورًا بالنسبة إلى الفراغ الهائل الخارج عن نطاقها، وفيه تتناثر ملايين النجوم).

وقال أيضًا (ص٢٥٥): (وما هذا الكوكب الأرضي إلا ذرة في المجموعة الشمسية، وما هي الأخرى إلا ذرة في المجرة، وما المجرة إلا ذرة في رحاب الكون الفسيح).

وقال صاحب كتاب "الإعجاز الإلهي" (ص١١٢): (من المعجزات الإلهية الكثيرة الموجودة في أجواز الفضاء: ما اكتشفه العلماء في الآونة الأخيرة، لقد اكتشفوا بوسائلهم العملاقة المتطورة مجرتين هائلتين متقاربتين...، ولا يختلفان عن بعضهما في شيءٍ، علمًا أن في كل منهما مليارات المجموعات الشمسية، التي تعد مجموعتنا بالمقارنة بها كذرة غبار متناهية في الصغر، في كون فسيحٍ مترامي الأطراف).

انظر إلى قوله في المجموعات الشمسية عندما قارنها بالمجهول من الكون عندهم: (كذرة غبار متناهية في الصغر في كون فسيح مترامي الأطراف).

وقال صاحب كتاب "الظلال" (٥/ ٣٠٩٠): (والذي كشفه البشر جانبٌ ضئيلٌ صغيرٌ، لا يكاد يذكر من بناء الكون، وهو على ضآلته هائلٌ شاسعٌ، يديرُ الرءوسَ مجردُ تصوره).

وقال صاحب كتاب "علم الفلك القرآني" (ص١٢٥): (... فالإنسان حتى الآن لم يكتشف من الفضاء إلا مقدار نقطة ماء من محيط...).

أخي القارئ الكريم، تأمل ما تضمنته هذه المقالات التي سردناها، وخلاصتها الآتي:

○ **الآيات الكونية المشهودة لنا وغير المشهودة، مما صحت الأخبار به، ليست عند أصحاب النظريات شيئًا يذكر، وهذا فيه نهاية التحقير لما فيه أعظم دليل على عظمة الله.**

○ جعل ما اكتشفوه من مجرات وغيرها هي الآيات العظمى، التي يحرف من أجلها القرآن، وبسببها تعطل الآيات الكونية.

○ دعواهم أن هذه الضخامة في الاكتشاف ليست بشيء بجانب ما هم قادمون على اكتشافه، وليس عندنا من شكٍّ أنهم ما عندهم إلا الشطح المؤدي إلى التصديق بالباطل، والتكذيب بالحق.

والذي عليه المسلمون أن أكبر المخلوقات المشهودة السماوات والأرض؛ قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[غافر:٥٧].

وأما ما كان من الكون غير المشهود لنا، مما أخبر الله عنه أو رسوله، فهو أعظم وأعظم من المشهود كالعرش، والكرسي، والجنة، والنار، فالله يقول: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[البقرة:٢٥٥]. فإذا كانت هذه عظمة الكرسي، فكيف بعظمة العرش، الذي استوى الرحمن عليه؟!

قال الله مبينًا عظمة الجنة: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾[آل عمران:١٣٣]، فإذا كان هذا عرض الجنة، فكيف بطولها وارتفاعها؟ فقد قال الرسول ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» رواه البخاري رقم (٢٧٩٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وكيف بالنار التي أخبر الرسول ﷺ بأن ضرس الكافر فيها مثل أحد. انظر «السلسلة الصحيحة» (٣/ ٩٤-٩٦) رقم (١١٠٥).

فهذا الكون المرئي وغير المرئي، كأنه لا شيء عند ضلال الأفلاك، فما أخطره من تعطيل لآيات الله الكونية الدالة على ربوبية الله وألوهيته!! وإني لأرى أن المتأثرين بنظريات الكفار من أبناء جلدتنا قد جرفتهم أقوال الملاحدة، فتاهوا مع كثير منها. اللهُمَّ سَلِّمْ! سَلِّمْ!

نظرية انكماش الكون الأعلى

جاء "أينشتاين" بنظرية وهي قوله: (نحن نتعامل مع ظاهرة انكماش الفضاء ذاته، حيث تنكمش جميع الأجسام المتحركة فيه بنفس السرعة وبنفس الطريقة، وذلك ببساطة؛ لأنها موجودة في الفضاء المنكمش).

وقبله الفلكي (فينزجيرالد) أول عالم فيزيائي أصدر قانون انكماش الفضاء.

وأيضًا قال (أينشتاين): (إن الفضاء الطبيعي ينحني كلما اقترب من الكتل الكبيرة). نقلًا من كتاب "قصة الخلق" (٤٨٢). وقال صاحب "الموسوعة الفلكية" ص(٣٨٦): (تسمح المعادلات الرياضية الأساسية بوجود تمدد وانكماش للكون، فعلى سبيل المثال: من الممكن أن يكون هناك تمدد، أَوَّلًا، ثم ينعكس بعد وقت محدود إلى انكماش يؤدي إلى تجمع الكون... أو أن يكون الكون قد انكمش ما لا نهاية إلى أصغر حجم له، ثم أخذ بعد ذلك في التمدد. اهـ وكرر هذا في أكثر من موضع من "الموسوعة".

قلت: نظرية انكماش الكون نقضت نظرية تمدد الكون واتساعه، ولا يعني هذا أن نظرية انكماش الكون صحيحة؛ وكيف تكون صحيحة وهي تخالف المشهود منه؟! وأيضًا الكون الأعلى محفوظٌ كما بَيَّنَّا هذا في نقض نظرية تمدد الكون واتساعه، وأيضًا لا دليل على هذا الانكماش من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وأخطر مما سبق أن نظرية انكماش الكون الأعلى تثبت ربوبية الكون لنفسه بنفسه، كنظرية الجاذبية التي تدبر الكون وتُسَيِّرُهُ، وهذا محض الإلحاد؛ لأن الله هو الذي سخر الكون ودبره، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[البقرة:٢٥٥].

ومن عجيب تناقض هؤلاء: نقل بعضهم إجماع أصحاب النظريات على تمدد الكون واتساعه، ونقل الإجماع على انكماش الكون ففي كتاب: "الكون المصور"

الآتي: (وأجمع الفلكيون المعاصرون على أن الكون يتسع باستمرار، واتفقت أراء جميع الفلكيين على أن الكون يبدأ باستمرار، ويفنى باستمرار، بينما تخلق قوة غامضة). نقلاً من كتاب «قصة الخلق» (ص٤٩١).

نظرية شموس الكون

قال الألوسي في كتابه «ما دلَّ عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة» (ص٦٨): (إن النجوم الثوابت يعد كل واحد منها شمسًا...).

وقال محمد رشيد رضا في «تفسيره» (٧/ ٦٣٧): (وإننا نقتبس مما نقل عن علماء الهيئة كلمة في أبعاد بعض النجوم الثوابت، التي هي شموس من جنس شمسنا).

وقال في (ص٦٣٨): (ومن الاعتبار قول صاحب «المقتطف» لما أنهى على النظام الشمسي، ورجح أنه لا يصلح شيء من سياراته لحياة البشر غير الأرض، وأنه يحتمل أن تكون سيارات سائر الشموس كذلك، وكلها أكبر من هذه الشمس).

قلت: رُدَّتْ هذه النظرية بالآتي:

١) الفلكيون المتأخرون أصحاب النظريات الحديثة يُخَطِّئُونَ الفلكيين المتقدمين القائلين بوجود نجوم ثوابت، بنوا ذلك على أصولهم الباطلة، ولهذا رد ذلك صاحب «الموسوعة الفلكية» (٥٣٠)، بعد أن ذكر النجوم الثوابت قال : (وفي الحقيقة يتغير مكان النجوم الثوابت أيضًا على الكرة السماوية، وكذلك -ولكن ببطئ- مكانها بالنسبة لبعضها).

وذكر في مكان آخر أنهم اصطلحوا على أن اسم نجم هو الذي كان يقال له: الثابت، فحذفوا كلمة ثابت. والمراد من هذا: أنَّ أصحاب النظريات خالفوا المتقدِّمين في النجوم الثوابت بدون برهان، وخالفوهم بوجود أكثر من شمس بدون برهان.

٢) لا يوجد في الأدلة القرآنية والنبوية إلا شمس واحدة، وهذا يقطع كل دعوى فيها تعدد الشموس؛ لأن الله يقول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الملك:١٤].

٣) عندما تُذكر الشمس في القرآن والسنة لا تُقرن بالنجوم والكواكب، وإنما بالقمر، ومع هذا لا يُقال للقمر شمس بل قمرٌ فقط، فكيف يُقال لما لم يقترن بها شمس؟!

٤) الذين يدعون وجود شموس يلزمهم أن تكون ظاهرة مرئية، وأن تكون متوهجة مثل الشمس، فإن ادعوا أنهم أدركوها بمناظيرهم خصموا؛ لأنهم يقولون: إنها أكبر من الشمس، فإذا كانت كذلك فكيف لا تُرى؟! وهذا حجمها؟! والجميع في سماء الدنيا، وكيف لا نرى واحدة من هذه الشموس وهي كثيرةٌ حسب زعمهم؟!

وخلاصة القول: أنَّ الفلكِيِّين سمَّوُا النجوم شموسًا؛ فيكون هذا اصطلاحًا خاصًّا بهم، وهو مردود بما سبق.

نظرية أقمار الكون

لقد ادَّعى أصحاب الرصد والزيجات: أن الأقمار متعددة. قال صاحب "الموسوعة الفلكية" (٨٧): (ونعرف من الأقمار التوابع (٤٣) موزعة على جميع الكواكب، باستثناء الكوكبين الداخليين ويمكن اعتبار الأجسام المنعزلة في حلقات زحل أيضًا كتوابع، وإن كانت غير داخلة في العدد السابق، وتتراوح أقطار الأقمار غير مؤكدة من حوالي (١٠كم) إلى أكثر من قطر عطارد).

وذكر محمد فريد وجدي في كتابه "دائرة المعارف" الأقمار قائلًا: (الأقمار عشرون: واحد للأرض، واثنان للمريخ، وأربعة للمشتري، وثمانية لزحل، وأربعة لأورانوس، وواحد لنبتون).

وكثيرًا ما يذكرون الأقمار مع النجوم، والكواكب، والشمس، والمجرات، ومن ذلك ما قاله صاحب كتاب "من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم" (ص٦٣) وهو يتحدث عن السماء: (والمفهوم العلمي لمصطلح (سماء): هو الحيز والفضاء اللانهائي، الذي يحيط بكوكب الأرض من جميع الجهات، وتسبح جميع المجرات، والسُّدُمِ،

والكوكبات، والنجوم، والكواكب، والأقمار، في هذا الفضاء اللانهائي).

وقال صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني" (ص١٥١) وهو يتحدث عن نجم أورانوس: (... اكتشف العلماء أن الكوكب له خمسة أقمار هي ١- (ميراندا) ٢- (أرييل) ٣- (مبرييل) ٤- (تيتانيا) ٥- (أوبيرون)، وهي كلها مرشحة لاحتمال وجود الحياة عليها).

والرد عليهم هو الرد على القائلين بتعدد الشموس؛ فقد تقدم أن الأدلة من اللغة العربية والقرآن والسنة وما يشاهد بالعيان، لا تثبت إلا شمسًا واحدةً وهي منطبقة على القمر، فلا يوجد إلا قمرٌ واحدٌ، وهكذا الأمم لا تعرف إلا قمرًا واحدًا.

وأيضًا مما يبطل نظريات تعدد الأقمار الاختلاف في عددها، كما يرى القارئ. وعندما يقول العلماء: (القمران) فمرادهم بذلك الشمس والقمر.

وعلى هذا فلا مجال لقبول دعوى القائلين بتعدد الأقمار؛ لمخالفتها القرآن والسنة والإجماع والمُشَاهَد.

وقال في "الموسوعة الفلكية" (١٤٤) عند ترجمة "جاليليو"، وهو يتحدث عن منظاره: (وأدخله لأول مرة في الأرصاد الفلكية، فاكتشف بذلك الجبال القمرية، وأقمار المشتري (أقمار جاليلي)).

وذكر صاحب "الموسوعة الفلكية" (٥٨١) أقمار جاليلي في ترجمة "هيجنز" الهولندي المتوفى عام (١٦٩٥م) قائلًا: (وقد قام "هيجنز" بأخذ أرصاد فلكية اكتشف منها "تيتان" أحد أقمار زحل).

وقال صاحب كتاب "قصة الخلق" (ص٤٠٥): (ويقولون: أن للمريخ قمرين، وللمشتري (١٦) قمرًا، وزحل (٢٣) قمرًا، حتى عدُّوا أكثر من ستين قمرًا في الفضاء).

قلت: المشتري وزحل من الكواكب العظيمة، لكنها دون القمر بكثير.

وأما الأقمار المذكورة فهي مردودة من جهات عدة:

الأولى: لا يحتاج المريخ وزحل إلى الأقمار أصلًا، ولا تحتاج الأرض إلى قمر زيادةً على القمر المعلوم.

الثانية: تظافرت الأدلة أنه ليس في السماء إلا قمر واحد، وهذا دليل قائم بنفسه؛ لا يحتاج إلى دليل آخر.

الثالثة: إن المشاهد هو قمر واحد، وهذا أيضًا دليل قائم بنفسه.

الرابعة: لو كانت الأقمار المذكورة موجودة ما خفيت على أصحاب الأفلاك منذ زمنٍ قديمٍ.

الخامسة: لو كان اكتشاف الأقمار المذكورة صحيحًا لما حصل الاختلاف في عددها، وهو اختلاف مؤثر؛ لأنه لا قمر إلا المعلوم، فزيادة واحدة عليه دعوى لا بد لها من برهان، فكيف بدعوى أكثر من ذلك؟!!

نظرية نجوم الكون

قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (ص٤٣٨) وهو يتحدث عن الشمس والمجموعة الشمسية: (حتى أصبح الفضاء بين الكواكب الأولى مكتسحًا).

وقال أيضًا (ص٣٨٣): (وتتطلب دراسة توزيع المادة في الكون الحالي الاكتفاء بالتجمعات الكبيرة، أي بالمجموعة النجومية، وتوزيعها في الفضاء).

وقال صاحب «قصة الخلق» (٤٣٨) وهو يتحدث عن بعض النظريات عن نجوم الكون: (فقد كانوا يقولون: إن عدد نجوم السماء مثل عدد ذرات الرمال الموجودة على سواحل البحار في الدنيا كلها، منها ما هو أكبر بقليل من الأرض، ولكن أكثرها كبير جدًا، حتى يمكن أن نضع في واحد من ملايين هذه النجوم مثل ملايين حجم الأرض، ويبقى فيها مكان خال، وقال بعضهم: إن هذا الكون يتألف من خمسمائة مليون من مجاميع النجوم، مضروبًا هذا العدد في (٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) من الملايين وفي كل مجموعة منها يوجد (مائة مليار) من النجوم، وأقرب مجموعة هي

مجموعة درب التبانة، ومنهم من كان أكرم من هذا؛ فقال أرقامًا في كتابتها مشقة؛ فآثرت السلامة).

وقال صاحب كتاب «تكنولوجيا الفضاء الكوني» (ص٦٨): (فالنجوم تؤلف غابة كثيفة...، وآخر التقديرات التي لدينا تجعلنا نعطي لهذه الغابة أكثر من (٤٠) مليار نجمة، ولغابة النجوم هذه شكل قرص منتفخ قليلًا عند وسطه...).

قلت: هذا مبنيٌّ على أصلهم الفاسد (السديم)؛ فإنها تنتفخ على حد زعمهم، وتتفجر نجومًا.

وقال صاحب كتاب «الفرقان» (ص٤٠٧): (هذه الشمس ليست هي أكبر ما في السماء من الأجرام، بل هناك ملايين الملايين من النجوم، وفيها ما هو أكبر من الشمس، وأشد حرارةً وضوءًا؛ فالشِّعرَى اليمانية أثقل من الشمس عشرين مرةً، ونورها يعدل خمسين ضعفًا من نور الشمس، والسماك الرامح حجمه يعدل حجم الشمس ثمانين مرةً، ونوره يعدل ثمانية آلاف ضعف من نور الشمس وحرارتها، وأما سهيل فهو أقوى من الشمس بألفين وخمسمائة مرة).

وقال عبدالرزاق نوفل في كتابه «الإسلام وارتياد القمر» (ص٢٧): (وما الشمس إلا كوكب من مئات ألوف المليارات من النجوم، التي تدور في خضم الفضاء الواسع، وقد اكتشفوا كوكبًا هو أكبر من المجموعة الشمسية كلها بثمانية وأربعين مليون مرة).

انظر هذا المقال تراه شطحات بعضها أوسع من بعض، وهذه الشطحات قد تنفق عند غير المتأمل في فسادها، ويكفيك أن تتأمل قول عبدالرزاق نوفل: (وقد اكتشفوا كوكبًا هو أكبر من المجموعة الشمسية كلها بثمانية وأربعين مليون مرة).

وقال صاحب كتاب «من علم الفلك القرآني» (ص٦١): (... أكثر علماء الفلك أن الكون ليس أزليًّا، بل بدأ منذ خمسة عشر مليار سنة تقريبًا، بكتلةٍ بدائيةٍ هائلةٍ انفجرت وتشتتت في أرجاء الكون، ومنها تكونت لاحقًا النجوم، والكواكب،

والمجرات، والسدم، فالنجوم تنشأ من غيمة كونية خلال ملايين، بل مليارات السنين؛ بفعل تكثف المواد التي تؤلف الغيمة وتحول جزءًا منها إلى نجمٍ يضيء خلال ملايين أو مليارات السنين، ثم ينفد وقوده؛ فيتحول إلى نجمٍ هائل منفجر، ما يلبث أن ينفجر ثم يموت ليرجع كما بدأ غيمةً كونيةً، ثم تعاد الكرة التي تتطلب ملايين السنين...).

قُلْتُ: من غريب الشطح في هذا المقال: أنَّ النجوم تموت، وأغرب منه: أن يعود بعد الموت كما كان قبل الموت.

وقال صاحب كتاب "توحيد الخالق": (ص٣٥٠): (إن التقدم العلمي جاء ليبيِّن الأبعاد لمواقع النجوم، وذلك ما جهله الإنسان طويلًا، فالشمس تبعد عنا مسافة (٩٣) مليون ميل تقريبًا، ويقطع الضوء هذه المسافة في ثمان دقائق؛ لأن سرعة الضوء (٣٠٠) ألف كيلومتر في الثانية، والضوء يقطع المسافة بيننا وبين أقرب نجم إلينا في مدة أربع سنوات وربع، ومنها ما يبعد عنا مسافة يقطعها الضوء في مائة سنة، ومنها ما يسافر منها الضوء إلينا في ألف سنة، ومنها ما يبقى الضوء مسافرًا منها إلينا في مدة مليون سنة، ومنها ما يبقى الضوء مسافرًا منها إلينا في (٣٤٠) مليون سنة، ومنها ما يبقى الضوء مسافرًا منها إلينا في مدة ملايين السنين).

وقال أيضًا (ص٣٦٤): (من الخطإ اعتقاد أن الأرض مركز الكون، أو أنها شيء هام في هذا الملكوت، مع إجماع علماء الفلك على أن الأرض بين النجوم لا تساوي نقطة ماء في المحيط، وإذن فما قيمة كل من يعيش عليها في هذا الملكوت العظيم).

قلت: هذا المقال فيه جحود لما في القرآن من تعظيم الأرض بسعتها وكبرها وعظيم منافعها. فانظر إلى قوله: (أنَّ الأرض بين النجوم لا تساوي نقطة ماء في محيط)!!! والله! والله! لقد ازددنا يقينًا بأن النظريات هذه تُحارِبُ الحقائق المعلومة من النقل والمشاهدة.

وقال أيضًا في (ص٣٧٤) وهو يتحدث عن الاكتشاف: (مع العلم أن بيننا وبين

بعض هذه النجوم مسافة لا يقطعها الضوء إلا في ستة بلايين سنة ضوئية، والضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمائة ألف كيلو متر).

قلت: ضوء الشمس يصل إلينا في خلال ثمان دقائق على حسب تقديرهم، وهي في سماء الدنيا، والنجوم في سماء الدنيا، كما أخبر الله بذلك في كتابه، فمن أين جاءت الساعات وما بعدها، فكيف يدعون بلايين السنين الضوئية؟! فما رأيت كذبًا أوسع من كذب هؤلاء.

وخلاصة الكلام على النجوم المزعومة: هذا ادعاء قائم على أسس باطلة:

الأول: أن مادة السدم الأزلية عندهم، لا تزال تتولد منها النجوم والشموس والكواكب، ولا تزال تتجمع لمليارات السنين، على حسب زعمهم ثم تنفجر، وعلى هذا التأصيل يشبه قول الدهريِّينَ؛ فليدَّعُوا ما يشاءون.

الثاني: أن الكون عندهم فضاء لا نهاية له؛ فهو قابل لاختراع نجوم، وكواكب، ومجرات، وشموس، بدون حدود في هذا الفضاء المزعوم.

الثالث: أن الكون في تمدد رهيب؛ فنسبة تمدده لا تتحقق في نظرهم إلا بادعاء هذه الاختراعات المزيفة، ولا يخفى عليك أن ما يُبنَى على باطل فهو باطل.

والذي جاء به القرآن والسنة أن النجوم والكواكب كثيرة، خلقها الله في السماء لحكم عظيمة معلومة، قال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾[الصافات:٦]، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ * ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾[الطارق:١-٣] وقال تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا﴾ [فصلت:١٢]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[النحل:١٦].

نظرية وجود سكان في الكون الأعلى من الإنس

قال صاحب "الموسوعة الفلكية" (١٦٨): (فإن الآراء العلمية الحديثة تستنتج أن الاحتمال كبير لإمكان وجود تطور وحياة راقية، شبيهة بالإنسان تقريبًا، فوق عدد

كبير من الكواكب في الطريق اللبني والمجموعات النجومية الأخرى، وبالإضافة إلى ذلك: فإن اكتشاف الجزئيات، مثل الماء، وأمونيا، والفومالدهايد في غاز ما بين النجوم، يوضح لنا أن ظروف تكوين المركبات الهامة لنشأة الكائنات الحية في الكون ملائمة جدًا).

وقرر صاحب «الموسوعة» في (ص١٦٧) أنه لا حياة إلا على المريخ، والزهرة، ونفاها عن الشمس، والقمر، والنجوم البعيدة عن الشمس، كالمشتري، وزحل وغيرهما، وعن النجوم القريبة منها كعطارد؛ لقربه الشديد منها، حيث تصبح الحرارة عالية جدًا. ولم يأت صاحب الموسوعة بأي دليل على هذه الحياة المستثناة.

ونأسف لما ابتلي به من أقحموا أنفسهم في تلقي النظريات المذكورة، فها هو فريق منهم يرددون ما قاله أصحاب النظريات، من وجود حياة راقية على الكواكب والنجوم:

قال صاحب كتاب «تكنولوجيا الفضاء» (ص٣٩٧) وهو يتحدث عن السكنى هناك: (هم كثيرون... موزعون على كواكب المجرات العديدة في الكون الفسيح، ولكنهم جميعًا ماثلون أمام عظمة الله عبيدًا... وسيحشرون وينطبق عليهم العدل الإلهي عند الحساب... سيحشرون بأعدادهم الفقيرة... رغم هول المسافات التي تفصل بين كواكب كل جماعة والأخرى... ورغم كثافة السكان الكونية الهائلة...).

قوله: (ولكنهم جميعًا ماثلون أمام عظمة الله عبيدًا...) كلام تهويلي، وإلا لا وجود لهم هناك، ولا هم ماثلون حسب تعبيره.

وخلاصة القول أن أصحاب الهيئة الجديدة يقرر أكثرهم وجود سكان في الكواكب، والشمس، والقمر، والمجرات، وأن هؤلاء السكان من البشر وغيرهم، وأن السكان في هذه المذكورات يعيشون كما نعيش، يعني على الأكل، والشرب، والنكاح، وقولهم هذا له وجهان:

الأول: أنه من باب القياس على سكان الأرض، فإن كان كذلك فهو غاية في

الجهل والبطلان؛ فقد قضى الله أن تكون الأرض خاصة بالحياة البشرية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[الأعراف:١٠]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[البقرة:٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾[فصلت:١٠]، وقال تعالى: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾[الملك:١٥]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾[الحجر:٢٠]، بل قال الله: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[الأعراف:٢٥]، وقال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[طه:٥٥].

فهذه الأدلة ظاهرة في أن حياة المخلوق البشري في الأرض، بل لا وصول له في حياته الدنيا إلى العالم العلوي، من شمس، وقمر، وكواكب، وسماوات، فضلًا عن أن يسكنوا فيها.

الثاني: دعوى أنهم وجدوا في الأجرام السماوية مثلما يوجد في الأرض من بحار، وأنهار، وأشجار، وجبال، ووِهَادٍ، وغير ذلك، وهؤلاء حقيقة أمرهم أنهم ذهبوا إلى بعض الغابات، وصوروا أنواعًا من المذكورات مدعين أنها مصورة من الأجرام السماوية، ولا يتوقف كل عاقل عن الحكم عليهم بأنهم دجالون، والفضح حليفهم بإذن الله.

والكون الأعلى على قسمين: قسم ساكنٌ لا يتحرك، كالسماوات. وقسم متحركٌ كالشمس، والقمر، والنجوم. وكلا القسمين غير صالحٍ لسكنى البشر فيه:

أما الشمس والقمر والكواكب فهي متحركات في الليل والنهار إلى قيام الساعة. فكيف يتأتَّى لهم السكن عليها؟!! قال العلامة ابن القيم في "مفتاح دار السعادة" (٣/ ٤١): (ومن العجب جواب بعض الإحكاميين عن هذا، بأن الكواكب حيوانات ناطقة فاعلة بالقصد والاختيار، فلذلك تصدر عنها الأفعال المختلفة، وهذا مكابرة من هؤلاء ظاهرة؛ فإن دلائل التسخير والاضطرار عليها من لزومها حركة لا سبيل

لها إلى الخروج عنها، ولزومها موضعًا في الفلك لا تتمكن من الانتقال عنه، واطراد سيرها على وجه مخصوص لا تفارقه البتة، أَبْيَنُ دليل على أنها مسخرة مقهورة على حركاتها، محركة بتحريك قاهر لها لا متحركة بإرادتها واختيارها، كما قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]). اهـ

وأيضًا وجود حرارة الشمس والقمر والنجوم، وهم يزعمون أن النجوم لها حرارة منها البيضاء ومنها الحمراء ومنها السوداء، فكيف يسكن فيها البشر؟ وعلى كل حال: ليس هناك أي دليل شرعي، أو عقلي، أو مشهود، على صحة القول بصلاحية السماوات السبع وما فيهن لسكنى البشر، بل الأدلة قاضية ببطلان هذا القول كما سبق. فالحمد لله الذي بصرنا بالحق، ورضَّانا به.

نظرية أن سكان الأجرام السماوية لهم لغات ولهجات ويتجسسون على أهل الأرض

قال صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء" (ص٣٩٦) وهو يتحدث عن سكان العالم العلوي: (هم يتحدثون ولهم لهجات ولغات متعددة، قد تكون مسموعة أو غير مسموعة، مفهومة أو غير مفهومة...).

وقال (ص٣٥٨) بعد أن ذكر أقوالاً للملاحدة في سكن الكون الأعلى: (وإذا صدق ذلك وتأكدنا منه... سيكون التفسير الوحيد أن **عقلاء** منتشرين في كواكب الكون، يتجسسون على كوكبنا المسكين الذي تقتله صراعات أهله من بني جنسه).

قوله: (يتجسسون) دليلٌ على أنهم يقيسون الكون الأعلى على الكون الأسفل، وهذا ضلال فَلَكِيِّيْ عصرنا.

نظرية أن النجوم والكواكب زاخرات بالسكان العاقلة والحضارات المليونية

لقد كثرت أقوال أصحاب الفضاء الدالة على أن العالم العلوي مليء بالسكان العاقلة، وأنه قائم على حضارة أحسن من حضارتنا، وإليك نبذة من أقوالهم:

قال صاحب كتاب «تكنولوجيا الفضاء الكوني» (ص٤١٢): (وفي رأي عدة علماء مشهورين، أن هذا التشابه في الهيئة الخارجية للأحياء العاقلين الآتين من العوالم الأخرى -بالضبط-، يتوجب علينا قبوله كأمر واقع تمامًا).

وقال أيضًا (ص٣٣٩): (... أما الآن فإن عددًا كبيرًا من علماء الفلك يعتقد أن كل نجم من النجوم له كوكب، أو أكثر صالح للحياة).

وقال أيضًا (ص٣٦٢): نقلًا عن الفلكي «ليدرمان»: (ليس هناك أدنى مجال للشك في احتمال وجود سكان للنجوم والكواكب البعيدة المنتشرة في الفضاء، وأن هؤلاء السكان على درجة كبيرة من الثقافة الفكرية).

قوله: (وإن هؤلاء السكان على درجة كبيرة من الثقافة الفكرية) دليل على أن سكان الأجرام السماوية بشر، فلا يتوهمَنَّ متوهم أنهم يعنون بالسكان الملائكة، مع أن الملائكة لا تسكن الأجرام، وإنما تسكن في السماوات السبع الشداد.

وقال أيضًا (ص٣٧٤): (ومن المتفق عليه أن هناك من مائة ألف إلى مليون حضارة تكنولوجية في «الطريق اللبني»، وتبعد كل حضارة عن الأخرى بعدد من مئات السنين الضوئية، وكل واحدة تستطيع أن ترسل إلى الأخرى إشارات لاسلكية مفهومة).

الحضارة معناها هنا مظاهر الرقي العلمي والأدبي والاجتماعي في المدن والقرى، ومع أن هذا الكلام باطل، إلا أن بطلانه يتضح للقارئ أكثر من قول صاحب المقال: (إن هناك من مائة ألف إلى مليون حضارة تكنولوجية) انظر إلى الفارق في التقدير

من مائة ألف إلى مليون، لتعلم أنها مجازفة واضحة، وانظر إلى قوله: (تكنولوجية) يعني أنها حديثة، وهذا إما أنهم يقيسون الكون الأعلى على ما في الكون الأسفل وهذا باطل، وإما أنهم يكذبون اختراعًا، وهذا هو الأقرب. وهم يدعون المراسلة بين عالم ساكني الكواكب وعالم الأرض.

قال صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني" (ص٤٢) وهو يتحدث عن المراسلة: (... وعلينا أن نصير عشرات، أو مئات، أو آلاف، أو ملايين، أو بلايين السنين؛ لنتلقى الرد من كواكب أخرى، وهذا أمر طبيعي تمليه علينا المسافات الشاسعة بين النجوم).

قلت: دعوى أن الكون الأعلى من شمس، وقمر، ونجوم، وكواكب فيه سكان من البشر، ولهم حضارات إلى آخره، يفتح بابًا للتساؤلات الكثيرة عن أحوال هؤلاء السكان، ومن ذلك أهم من ذرية آدم، أم من غيره؟ وما دينهم؟ ومن رسولهم؟ وهل هم مؤمنون أم كافرون؟ وغير ذلك، وهذه الأسئلة تزيد دعواهم بطلانًا؛ لأن وجود ما يزعمون يستلزم أمورًا كثيرة لا قدرة لِهَؤلاءِ على إثبات شيء منها.

نظرية وجود الأمراض في سكان الأجرام السماوية

قال صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني" (ص٤٥٠): (ولقد حملت النيازك معها ملايين من "البكتيريا" المستطيلة، التي لا تشبه السلالات الموجودة على الأرض، ألا يشير ذلك إلى وجود الحياة بشكل ما في جنبات الكون الفسيحة؟).

نظرية أن سكان الكون الأعلى بشر أذكياء

قال صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني" (ص٣٨٣): (ويقول (زيجل): إنني أتفق تمامًا مع العالم الأكاديمي (كوبر فيتش) على أن هذه القنوات هي من عمل ذكي، وأن كميات المياه المحدودة في المريخ تستهلك بطريقة حكيمة، تدعونا إلى القول أو الاعتقاد بأن هناك مخلوقات، أو بشرًا غاية في الذكاء والحكمة).

وقال أيضًا (ص٣٩٨): (ولقد اعتقد المفسرون أن هذه العوالم هي الإنس والجن والملائكة، ولم يفكروا في وجود عوالم ذكية عاقلة في كواكب أخرى...).

قلت: المراد بالمفسرين المذكورين في المقال: أصحاب النظريات الذين لا يعوَّل على تفسيرهم؛ لكثرة تخبطاتهم ومخالفتهم، وأما قول صاحب المقال: إن في المريخ بشرًا أذكياء، وفي قول الآخر: إن العوالم في المريخ وغيرها هم الجن والإنس فقولٌ مردودٌ؛ لأن المعلوم قطعًا أن جميع ذرية آدم يسكنون في الأرض، قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[طه:٥٥]، وكذا الجن فسكناهم في الأرض، وإنما يصعد بعضهم لاستراق السمع من السماء، فترسل عليهم الشهب، كما هو معلوم، وأما ذكرهم للملائكة، فإن كان كلامهم ناجمًا عن دعوى رؤيتهم لهم فكذب؛ لأن الملائكة -سواء كانت في الأرض أو في السماء- لا يراها البشر، إلا من اختصه الله بذلك، كالأنبياء والرسل.

نظرية وجود البحار والجبال والأحجار والأشجار في الكون الأعلى

قال صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني" (ص٣٧٩) نقلًا عن الفلكي (كيروفيتش): (إن بحار المريخ لا تنتشر فيها نباتات "الألجا"، ولكن بها نباتات مزروعة، وعلينا -والأمر كذلك- أن نتحدث عن مخلوقات المريخ، التي زرعت هذه النباتات وحصدتها، ومن المعروف أن النباتات الدنيئة كـ"الألجا"، لا تتأثر بالتغيير الموسمي للألوان، وهي تنمو ببطء شديد، مجرد عدة ملليمترات في العام الواحد... وهذا يدعو العلماء إلى الاعتقاد بأن نباتات المريخ لا يمكن أن تكون من الأنواع الدنيئة أو البسيطة كـ"الألجا" أو "الطحالب"، ولكن على العكس فهي نباتات من الأنواع الراقية، وتشبه كثيرًا نباتات الكرة الأرضية).

وقال أيضًا (ص٤٤٩): (ولقد تكررت الأنباء التي تنبئ باعتراف العلماء بوجود حياة نباتية على المريخ وغيره... هذه الحياة النباتية تمتاز بالتنظيم والإعداد، مما يدعم

احتمال وجود أحياء...).

وقال أيضًا (ص٣٨٩-٣٩١) نقلًا عن الفلكي (وليم هرشل): (إنه لا حاجة بنا إلى التردد في الاعتراف بأن الشمس تزخر بما عليها من سكان... يكفي أن نعرف أن عناصر الذهب والفضة والبلاتين التي نعرفها في الأرض موجودة أيضًا في الشمس، وكذلك الكوبلت والأكسجين والصوديوم والفسفور والأيدروجين والهليوم والكربون والبوتاسيوم والزنك والرصاص والنتروجين... هذه العناصر كلها التي نعرفها على الأرض وجدها العلماء في سائر الكواكب والشمس... اختلفت نسب التوزيع بينها).

وذكر محمود الألوسي في كتابه «ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة» (ص١٠٩): (غير أن أهل الأرصاد اليوم كشفوا في القمر جبالًا ووهادًا وأودية، وهكذا الشمس وسائر السيارات، وظنوا أن فيها مخلوقات نحو سكنة الأرض، وزعموا أن فيها بحارًا وأنهارًا).

وذكر محمد فريد وجدي أن «غاليليه» هو الذي اخترع المنظار الفلكي، فرصد به القمر، فرأى فيه الجبال، والأودية، والتلال الكثيفة الممتدة على سهوله.

وذكر صاحب كتاب «توحيد الخالق» (ص٢٣٢): أن النجوم لها مدن.

وخلاصة الرد على نظريات السكنى على الأجرام السماوية الآتي:

تقدم أننا بيَّنَّا بطلان ذلك من عدةِ وجوه، وزيادة على ذلك لو كان كلامهم صحيحًا لذهبوا يسكنون هناك، وكيف لا يذهبون وهم يزعمون أن حضارة سكان الكون الأعلى أرقى من حضارتهم في الأرض، فلِمَ لم يذهبوا؟!!

وأيضًا بعض النظريات تنص على أن الحياة على الأجرام تشبه حياة الإنسان. انظر «الموسوعة الفلكية» (١٦٨).

وبعضها تنص على وجود حياة للجن والإنس، فنظريات حالها هكذا ترد ولا كرامة، والبائس من يجعلها معجزات قرآنية!!!

نظرية السماح بالتجول في الكون الأعلى دون الإصابة بأي ضرر

قال صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني" (ص٣٥٨): (وتكون سفن فضاء هؤلاء (الزوار) قد نجت من شواظ النار وبخار النحاس؛ لسبب بسيط هو: أنهم قادمون من مناطق قريبة منا آلاف السنين الضوئية... بحيث لم يمروا بالمناطق المحرمة...؛ لأنها بعيدة ببلايين بلايين السنين الضوئية، وسيكون من المؤكد أنهم لم يحاولوا استراق السمع... وإلا هلكوا... ولكنهم فقط جاءوا إلينا يرصدون حركات التطور التكنولوجي لبني البشر، ومدى استخدامهم للسلطان الذي كشف الله لهم عنه، وأذن لهم باستخدامه في النطاق المحدد والمرسوم في القانون الإلهي العام...).

قلت: ادعاء القائلين بالسماح بالتجول في الكون الأعلى ولا يصابون بوهج الشمس، ولا بالشهب من النجوم، ولا بغير ذلك، هو مبني على قاعدتهم الباطلة، ألا وهي: أن الكون الأعلى كله فضاء، وما دام كذلك فهم يسبحون في الأماكن التي لا ينالهم فيها أذى، وقد علمت أن القول بفضائية الكون هو تعطيل للكون الأعلى كالسماوات السبع الطباق، ومما يدل من كلام صاحب المقال على ما قلت: قوله: (قادمون من مناطق قريبة منا، بحيث لم يمروا بالمناطق المحرمة...؛ لأنها بعيدة عنا ببلايين بلايين السنين الضوئية).

والذي علمناه مشاهدةً ودلالةً هو: أن سماء الدنيا محيطة بالأرض من كل جهة، وأن كل سماء محيطة بالتي تليها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "مجموع الفتاوى" (٦/ ٥٦٧): (وكل من يعلم أن الأفلاك مستديرة، يعلم أن المحيط هو العالي على المركز من كل جانب...).

ومراد شيخ الإسلام بالأفلاك السماوات، وبالمركز الأرض. وإذا اتضح هذا دل على أن الأرض محاطة من فوقها ومن جميع جوانبها بالسماء الدنيا، فأنى لهم أن يسبحوا في فضاء لا نهاية له؟!!

وقال العلامة ابن باز وهو يرد على من استدل بآية الرحمن على الوصول إلى سطح القمر: (ومما ذكرنا يتضح أنه لا حجة في الآية لمن قال: إنها تدل على إمكان الصعود إلى الكواكب) "الأدلة العقلية والنقلية" (ص١٤).

نظرية نفي السماوات السبع

قال صاحب "الموسوعة الفلكية" (٢٨٦): (علم السماء هو علم الفلك، وعلم الفلك هو علم المادة، من حيث توزيعها، وحركاتها، وحالاتها الطبيعية، وتركيبها، وتطورها في الكون).

فانظر كيف جعلوا العلم بالأفلاك علمًا بالسماء؛ لأن السماء عندهم فضاء لا بناء يشاهد بالأبصار، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾[ق:٦].

وعلى كل: لقد سيرت طرفي في "الموسوعة الفلكية" الجامعة للنظريات، فلم أجد لفظًا فيه ذكر السماء الدنيا، وكل لفظ السماء فيها فهو من جنس ما ذكرنا، "كأطلس السماء" فالمراد به: المجموعة المتكاملة من الخرائط النجومية. انظر المصدر السابق (ص١٦٩).

وكقولهم: "خرائط السماء" هي خرائط نجومية. انظر (١٦٩).

وكقولهم: "الدوران اليومي الظاهري للسماء" أي: النجوم.

وبهذا البيان يتضح للقارئ الكريم: أن الفلكيين لا يثبتون السماوات السبع التي ذكرها الله في كتابه في أكثر من مائة وثمانين موضعًا، ولا يثبتون السماء الدنيا المشهودة للناس، والمعلومة عند جميع الأمم ولا غرابة أن ينكروهن؛ فقد أنكروا وجود الله، ولكن الغريب أن كثيرًا من كُتَّاب المسلمين يتابعون هؤلاء الملاحدة في إنكار سبع سماوات طباقًا، ويحاولون أن يجادلوا بالباطل، ويقولوا: كونهن سبع، لا يلزم هذا العدد الحصر، فقد يَكُنَّ أكثر. وظنُّوا أن تلبيسهم هذا يثبت لهم النجاة من الانتصار

لكفريات الفلكيين. وليعلم أبناء جلدتنا أن لا سماء ثامنة؛ لأن فوق السبع الطباق الجنة، وفوق الجنة العرش، وفوق العرش جبار السماوات والأرض، وإن أثبتوها تحت سماء الدنيا فما تحتها إلا الأرض، فهذا حصر لعددهن فليربئوا بأنفسهم عن مواطن الكفر والضلال، ولا نعلم أنه خالف في هذا الحصر إلا الفلاسفة والمنجمون السابقون.

قال عبدالقاهر البغدادي في «الفرق بين الفرق» (٣٥٥): (وأجمعوا على أن السماوات سبع طباق، خلاف قول من زعم من الفلاسفة والمنجمين أنها تسع، وأجمعوا أنها ليست بِكُرَيَّةٍ تدور حول الأرض، خلاف من زعم أنها كرات بعضها في جوف بعض، وأن الأرض في وسطها كمركز الكرة في جوفها، ومن قال بهذا لم يثبت فوق السماوات عرشًا، ولا ملائكةً، ولا شيئًا مما تثبته موجودًا فوق السماوات).

فالمنكرون للسماوات السبع الطباق مكذبون بآيات الله القرآنية، وبأحاديث رسول الله المتواترة، فيا له من علم يضل بأصحابه، ويلج بهم في غياهب الكفر، عياذًا بالله!!



نظريات أخر تنفي وجود السماء الدنيا وما فوقها

مما يحتاج إلى أن يعلمه المشتغلون بالنظريات: أن أربابها حينما يذكرون السماء لا يعنون بذلك السماء الدنيا التي هي سقف الأرض، وحينما يذكرون سبع سماوات لا يعنون بذلك السبع الطباق، وإنما يريدون كواكب ونجومًا، وحينما يذكرون سماوات بدون تحديد فهم يريدون بذلك مجرات وفضاء لا نهاية له وغير ذلك، وهأنا أسرد عدة نظريات من نظريات الكفار، فيها لفظ سماء، وليس في واحدة منها إثبات سماء الدنيا، فضلًا عن إثبات بقية السماوات السبع.

لا وجود للعرش والكرسي وغيرهما في نظر أصحاب النظريات

لقد سبق أن ذكرنا نفي أصحاب النظريات للسماوات السبع الطباق، أما العرش والكرسي فلا ذكر لهما عندهم البتة، ولا يهمنا أن يدركوهما؛ لأنهم غير قادرين على ذلك، لكنهم يعلمون أن الكتب المنزلة من عند الله قد أخبرت بذلك، فإنكارهم للسماوات؛ لأن القرآن أخبر بهن، وهكذا قل في العرش والكرسي والجنة، وقد جاء أتباع أصحاب النظريات من كُتَّابِ المسلمين، وأقروا ما عليه عَبَدَةُ الشيطان.

قال صاحب كتاب "قصة السماوات والأرض" (ص١٧): (السماوات هذا التحديد للنوع مما خلق الله سبحانه فوقنا، من هواء، وشهب، ونيازك، وأقمار، ومذنبات، وكواكب، وشموس، يعلو بعضها بعضًا، ويتألف منها عوالم الكون، أو طباق السماوات).

انظر قوله في السماوات: (لتحديد النوع) فهذا صرف واضح للتحديد بالعدد والوصف إلى التحديد بالنوع، وبيَّن النوع عنده بما بعده.

وقال صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني" (ص٢٣٨) وهو يتحدث عن معراج الرسول ﷺ: (ولقد مر محمد عليه الصلاة والسلام بهذه النجوم سماء بعد سماء...).

انظر كيف جعل صاحب المقال مرور النبي ﷺ بنجم بعد نجم، لا سماء بعد سماء، ومعلوم أن الرسول ﷺ مر بالسماوات السبع لا بالنجوم، وفي الأحاديث الصحيحة أن جبريل عليه السلام ومعه الرسول ﷺ افتتح كل سماء ورحبت بهما الملائكة في كل سماء، ووجد نبينا في كل سماء نبيًّا أو أكثر، فرحبوا به وتخاطبوا معه، ودار الحوار بين رسولنا ﷺ وبين موسى عليه السلام في السماء السادسة حول فرض الصلاة، ولكن هؤلاء المفتونون بنظريات الأعداء سلبت عقولهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله!!

وقال صاحب كتاب "من الإعجاز العلمي" (١/ ٧٢): (... ثم يعلو هذه الطبقات الغازية الخمس السماء الدنيا التي تسبح فيها المجرات، ومنها مجرة درب التبانة التي تعد شمسنا وكواكبها جزءًا منها، ويعلو هذه السماء الدنيا سماء سابعة هائلة الامتداد، فيها السُّدُمُ وما وراءها. والله أعلم).

وشاهدنا من هذا المقال قوله: (ويعلو هذه السماء الدنيا سماء سابعة هائلة الامتداد، فيها السُّدُمُ وما وراءها) فلا تفهم من ذكر السماء السابعة أنها السابعة التي ذكرها القرآن، والتي فوقها الجنة والعرش، لا، وإنما هي: سماء سابعة على حسب مغالطتهم لنا، وتقسيماتهم الخاصة بهم، ولهذا وصفها صاحب المقال بأنها: (هائلة الامتداد، فيها السدم)، فتدرك من هذا القول أن جهة العلو عندهم سدم، فأين العرش؟! وهم لا يثبتون إلا السدم؛ لأنها تتوالد المجرات في الفضاء الذي لا حدود له، ولهذا قال: (وما وراءها) يعني: أن ما وراء السماء السابعة على حسب تقسيمهم هو الفضاء الذي يزعمونه لامتداد السدم، والسدم مادة غازية، وما وراءها فضاء لا نهاية له، وعلى هذا فلا عرش عندهم، ولا كرسي ولا جنة، وهكذا الإلحاد.

وقال صاحب كتاب "الإعجاز الإلهي" (ص١١٢): (من المعجزات الإلهية الكثيرة

في أجواز الفضاء ما اكتشفه العلماء في الآونة الأخيرة، لقد اكتشفوا بوسائلهم العملاقة المتطورة مجرتين هائلتين متقاربتين من بعضهما بعضًا، كل منهما صنو للآخر، أو نسخة طبق الأصل عنه، ولا يختلفان عن بعضهما في شيء، علمًا أن في كل منهما مليارات المجموعات الشمسية، التي تعد مجموعتنا بالمقارنة بها كذرة غبار متناهية في الصغر، في كونٍ فسيحٍ مترامي الأطراف).

قلت: إذا كان في كلٍّ مجرة مليارات من المجموعات الشمسية، وبعض الشموس أكبر من الأرض بل ومن الشمس بمليارات، فأين سيكون العرش والكرسي؟! وأيضًا زعمهم أنهم اكتشفوا هاتين المجرتين مؤخرًا يدل على أنهما بعيدتان عن الكون المشهود، ومعلوم أن الجنة والكرسي والعرش هي أبعد أجزاء الكون العلوي عنًا، فهذا يدل على أن هؤلاء لا يقرون بوجود العرش والكرسي، اللذين ذكرهما الله في كتابه، والرسول ﷺ في سنته، وأيضًا إذا كانوا قد نفوا السماوات السبع ذات الطباق، ومنهن المشهودة لنا بالعيان، فمن باب أولى أن ينفوا ما هو أبعد من ذلك عن مشاهدتنا، وأيضًا سبق أن ذكرنا كلامهم المصرح فيه أن الكون العلوي كله فضاء، أفلا تكون هذه الدلائل متضمنة عدم إثباتهم العرش والكرسي والجنة؟!

نظرية أن السماء هي الانطباع البصري

قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (٢٢١): (السماء: هو الانطباع البصري الذي يراه مشاهد على شكل قبة، يبدو بعدها أصغر ما يكون في اتجاه سمت الرأس، وأبعد ما يكون في اتجاه الأفق).

أيها القارئ، هذه النظرية عرفتنا بحقيقة سماء الدنيا عند الفلكيين، وأنها مجرد ما يراه البصر، وليست البناء العظيم الذي جعله الله سقف الأرض محيطًا بها من جميع الجهات، كما هو معلوم، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾[الأنبياء:٣٢] وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[الذاريات:٤٧].

نظرية أن السماوات بلايين البلايين

لما قرر ملاحدة الأفلاك أنه لا سماوات طباقًا، قام المخدوعون بما هم عليه، وأعلنوا بذلك في كتبهم متجاهلين خطر هذا التسليم للأعداء.

قال صاحب كتاب: «من علم الفلك القرآني» (ص٦١): (السماء بمعنى الكون، وإذا عنينا بالسماء الكون، وما فيه من نجوم ومجرات، وما بينها من غيوم، فكلُّ شيءٍ في الكون يرجع إلى ما كان عليه).

انظر إلى هذا الانحراف في تفسير السماء، فالسماء ليست بمعنى الكون لا في الشرع، ولا في اللغة، ولا في العرف.

وقال صاحب كتاب «تكنولوجيا الفضاء الكوني» (ص٢٥٦-٢٥٧): (لا نستطيع أن نحصر السماوات بحسب رؤيتنا البسيطة في سبع سماوات فحسب؛ لأنها تبلغ بلايين البلايين في الأجرام الفضائية، والقرآن صادق؛ لأنه تنزيل من حكيمٍ حميدٍ، وقد حدده في أكثر من آية بسبع سماوات... والواقع أنه لا تعارض بين ما ذكره القرآن، وما وافانا به العلم الحديث؛ فقد يكون المقصود بالسماوات السبع أصنافًا سبعة من السماوات تنقسم إليها جميع الأجرام الكونية، ويندرج تحت كل منها ملايين الملايين من الأنواع المختلفة، هذه الأصناف السبعة هي: ١-السُّدُمُ، ٢-المجرات، ٣-الشموس، ٤-المذنبات، ٥-الكواكب، ٦-الأقمار، ٧-الغبار الكوني بما فيه من شهب ونيازك...).

واستمر في سرد كلام يناقض بعضه بعضًا، قاتلك الله يا صاحب المقال، كيف تقول: لا تعارض بين الآيات التي فيها ذكر السماوات السبع، وبين قول الملاحدة أن السماوات بلايين البلايين؟! والتنصيص على سبع سماوات طباقًا، والتنصيص على ما فوق السبع وما تحتهُنَّ قد أفاد الحصر؛ فقد جعل الله السماوات طباقًا، كل واحدة فوق الأخرى، وبعد السماء السابعة الجنة، فهذا حصر من جهة العلو، وبعد سماء

الدنيا الأرض، فهذا حصر من جهة السفل، وأيضًا السماوات السبع لهن خصائص لا توجد في النجوم والكواكب، ومن ذلك: أن كل واحدة سقف ما تحتها، وأن لهن أبوابًا، وأنهن مسكن للملائكة، وأن الأمر يتنزل بينهن وغير ذلك، وصاحب هذا التلبيس يعتبر هذا منه أسلوبًا حكيمًا؛ لأنه رد القرآن بلطف، وهو أسلوب شيطاني!!

وقال صاحب كتاب "توحيد الخالق" (ص٣٥٤): (... أثبت التقدم العلمي أن أجرام السماء كأحجار في بناء واحد، يشد بعضه بعضًا، ويقوم كلٌّ على الآخر، فإذا اختل النظام في جِرْمٍ، أو أجرام، اختل البناء كله...).

فهذا النَّص ينفي وجود سماوات ذات طباق، ويثبت سماوات ذات أجرام، والسماوات ليست أجرامًا، ومما يزيد هذا وضوحًا أن صاحب المقال قال: (فإذا اختل النظام في جِرْم أو أجرام، اختل البناء كله). انظر كيف أثبت الاختلال للأجرام، مع أن الأجرام من شمس وقمر وكواكب ونجوم ليست بناء، إنما البناء هو للسماء، كما قال الله: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾[النازعات:٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[الذاريات:٤٧]. فصاحب المقال استعمل التلبيس؛ مسايرة منه لما عليه أصحاب النظريات، وكم له من مثل هذا التلبيس!!

وقال صاحب كتاب "من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم" (ص٥٨): (فالسماء بالنسبة للإنسان الذي يعيش على سطح الأرض هي كل هذا الوجود، والتي تقع فوق الأرض). يعني بفوق الأرض: الفضاء.

وقال أيضًا (ص٦١): (الكرة السَّماوية: هي كرة وهمية، تقع الأرض في مركزها، بالنسبة لكل الأجرام، والنجوم والكواكب الأخرى في الفضاء...). فانظر كيف حكم صاحب المقال على أن السماء ذات الطباق قضية وهمية.

وقال أيضًا (ص٦٣): (والمفهوم العلمي لمصطلح "سماء" هو الحيز والفضاء اللانهائي، الذي يحيط بكوكب الأرض من جميع الجهات، وتسبح جميع المجرات، والسدم، والكوكبات، والنجوم، والكواكب، والأقمار، في هذا الفضاء اللانهائي).

وهذا المقال في غاية الصراحة، أن السماء عند كثير من أصحاب الأفلاك فضاء لا حدود له. فافهم هذا يا لبيب.

وخلاصة القول: أنهم يطلقون على السماوات السبع أسماءً وألقابًا، ومن تلك الأسماء: أنهم تارة يطلقون عليها الكواكب السبعة، وتارة سبع طبقات غازية، وتارة يقولون: هي كل ما فوق الأرض، وتارة يقولون: هي فوق المجرات. وما فوق المجرات ممتنعٌ أن يكون سماواتٍ سبعًا؛ لأن المجرات تتوالد، والكون يتسع، والمجرات لا حصر لها، وبعض المجرات فيها مليارات المجرات على زعمهم. فهذه -يا أخا الإسلام- حقيقة السماء عندهم.

وأيضًا إثباتهم للسماوات بالطرق المذكورة يؤدي إلى الآتي:

١- تجاهل السماوات السبع التي ذكرها القرآن، وتجاهل عظمتهن.

٢- فيه انتصار منهم للقول بأن الكون الأعلى فضاء لا نهاية له.

٣- فيه نقض لما عليه المسلمون كافة، من أنه لا يعلم سبع سماوات إلا الطباق التي أخبرنا الله بها في كتابه، ورسوله في سنته، ولا يمكن إثبات سماوات غير ما ذكره القرآن والسنة، بمجرد الدعاوى والشطح، أو بالظن والتخمين، فمن باب أولى أن لا تثبت سماوات غير ما ذكره الشرع، إذا كان الغرض من ذلك جحود السماوات السبع. فنعوذ بالله من الضلال والإلحاد، فإنكار السماوات السبع كفر ظاهر.

نظرية أن السماء الدنيا هي لمعان من تشتت أشعة الشمس

لما كان أصحاب النظريات ينكرون وجود السماء الدنيا وما فوقها، جعلوا ما نشاهده فيها من لمعان هو من أشعة الشمس، ففي «الموسوعة الفلكية» (٢٢٢) ما نصه: (ولمعان السماء أثناء النهار ينتج من تشتت أشعة الشمس في جو الأرض، وينشأ لون السماء الأزرق أثناء النهار من اعتماد التشتت بواسطة الجزئيات على طول الموجة...؛ فإن الأشعة المتشتتة تحتوي موجات قصيرة أكثر من أشعة الشمس

الأصلية، ولهذا السبب تظهر السماء زرقاء... ولمعان السماء العام في الليل له أسباب كثيرة). وذكر في ضوء المساء أثناء الليل، وعرفه بأنه الإضاءة الدائمة التي تشاهد في الليل وأبان أنه ينشأ من إشعاع الغلاف الجوي للأرض. انظر "الموسوعة الفلكية" (ص٢٦٢-٢٦٣).

معلوم -أيها المسلم- أن اللون الأزرق الذي في السماء هو لونها، لا أنه أشعة الشمس، الشمس ليست زرقاء حتى يقال: إنه لونها، والشمس سائرة، وأما سماء الدنيا فواقفة، ولونها ذلك اللون الجذاب الأزرق، وأيضًا لو كان اللون المذكور من أشعة الشمس لكان في الأرض كما أن سراجها في الأرض، وانظر كيف جعل لون السماء في الليل من أشعة الغلاف الجوي الأرضي، فهل هذا إلا تخلص من إثبات السماء الدنيا؟!! فافهم هذا.

إثبات استدارة السماوات

الأدلة على استدارة السماوات كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[الأنبياء:٣٢]، وكون السماء سقفًا للأرض فهو دليلٌ على استدارتها؛ لأن الأرض كروية، والسماء محيطة بها، وهذا هو المشاهد.

وقوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[يس:٤٠]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[الأنبياء:٣٣]، دليلٌ على ما قلنا؛ لأن فيها الأفلاك، التي تسبح فيها الشمس والقمر والنجوم.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "مجموع الفتاوى" (٦/٥٨٦-٥٨٧): (سئل عن رجلين تنازعا في كيفية السماء والأرض: هل هما جسمان كريان؟ فقال أحدهما: كريان. وأنكر الآخر هذه المقالة، وقال: ليس لها أصل. وردها، فما الصواب؟ فأجاب: السماوات مستديرة عند علماء المسلمين، وقد حكى إجماع المسلمين

على ذلك غير واحد من العلماء أئمة الإسلام، مثل أبي الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي...، وحكى الإجماع على ذلك الإمام أبومحمد بن حزم، وأبوالفرج بن الجوزي، وروى علماء ذلك بالأسانيد المعروفة عن الصحابة والتابعين...، ولا أعلم في علماء المسلمين المعروفين من أنكر ذلك، إلا فرقة يسيرة من أهل الجدل...، فقد اتفق أهل التفسير واللغة على أن الفلك هو المستدير، والمعرفة لمعاني كتاب الله إنما تؤخذ من هذين الطريقين: من أهل التفسير الموثوق بهم من السلف، ومن اللغة التي نزل القرآن بها، وهي لغة العرب). مع أنَّ ابن تيمية له قولٌ يُخالف هذا فَلْيُنظر.

وقال أيضًا ٢٥/ ١٩٤-١٩٥: (وأما إجماع العلماء فقال إياس بن معاوية الإمام المشهور، قاضي البصرة من التابعين: السماء على مثل القبة).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (٤/ ٤٢٨-٤٢٩): (فالسماء الدنيا محيطةٌ بجميع الأرض، وما حولها من الماء والهواء، من جميع نواحيها، وجهاتها، وأرجائها، مرتفعة عليها من كل جانب على السواء، وبُعد ما بينها وبين الأرض من كل ناحية مسيرة خمسمائة عام، وسمكها في نفسها مسيرة خمسمائة عام، ثم السماء الثانية محيطة بالسماء الدنيا، وما حوت وبينهما من بُعد المسير خمسمائة عام، وسمكها خمسمائة عام، وهكذا الثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢] الآية).

وإثبات استدارة السماوات السبع فيه رد على من زعم أن السماوات فلك واحد.

نظرية أن الكرة السماوية والقبة السماوية هي مساقط النجوم

قال في "الموسوعة الفلكية" (٣٧٥): (الكرة السماوية: هي كرة خيالية تبدو عليها مساقط النجوم من مكان المشاهدة، ويمكن اختيار نصف قطر الكرة السماوية بحرية، كما يمكن أيضًا أن يكون لا نهائيًا).

وقال في القبة السماوية (٣٤١): (القبة السماوية: هي الكرة السماوية). الظاهر

للقارئ من لفظ (كرة سماوية)، و(قبة سماوية)، أن المراد بذلك السماء الدنيا، ولكن القارئ عند التعريف لها يفاجأ بقولهم: (هي كرة خيالية، تبدو عليها مساقط النجوم). انظر كيف جعلوا نظريتهم في كرة السماء: هي الفضاء المعروف عندنا بالجو والهواء، وعندهم بالغلاف الجوي، فهو الذي تسقط فيه النجوم، كما نشاهدها.

نظرية أن في السماء نجومًا نارية

قال صاحب كتاب "توحيد الخالق" (ص٢٤٤): (قبل ثلاث سنوات في عام (١٩٧٣م) اكتشف الباحثون أن في السماء نجومًا سوداء، وأنها أشد حرارةً من النجوم المشتعلة بلون أبيض، وأن النجوم البيضاء أشد حرارةً من النجوم الحمراء، التي تشتعل بلون أحمر، وهكذا عرف الباحثون أن النار السوداء هي أشد أنواع الحرارة التي عرفت حتى اليوم، ولقد أخبر الرسول ﷺ بحديث يحمل هذه الحقيقة، في وقت ما كان يتصور فيه أحد من البشر أن هناك نارًا سوداء على الإطلاق، قال عليه الصلاة والسلام: «**أُوقِدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ؛ فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ**»).

وقبل أن أتكلم على ما تضمنه المقال المذكور من طَوامَّ، أحب أن تعلم أن الحديث المستدل به ضعيفٌ، وسبب ضعفه أن في إسناده شريكًا القاضي وهو سَيِّئُ الحفظ، وقد اضطرب في الحديث، فرواه مرفوعًا، ورواه موقوفًا، وتارة يقول: عن أبي صالح، وتارة يشك، يقول: عن أبي صالح، أو عن رجل آخر، فهذا دليلٌ على عدم ضبطه للحديث.

وأما ما تضمنه المقال من مجازفات، فمنها: حمله الحديث المذكور في نار جهنم على النجوم المذكورة مع الفارق بينهما والحامل له على هذا أنه هو وأمثاله يقحمون الأدلة في غير مواضعها تثبيتًا للنظريات، والواجب عليهم عرض النظريات على الأدلة الشرعية، فإن قبلتها الأدلة قبلت وإن لم تقبلها ردت، وبقيت الأدلة مصانة محفوظة.

ومنها: أن هذه النظرية في النجوم المشتعلة تخالف ما هو المعلوم من الأدلة وبالمشاهدة والإحساس، أن أعظم السيارات في السماء حرارة هي الشمس، فلو كانت الحرارة المذكورة في النجوم لكان لها تأثير محسوس.

وعلى كل: كم أتمنى أن كاتب المقال وضع في حسبانه أن النظريات تعرض على القرآن والسنة وليس العكس، فكأني به يَلْهَثُ وراء آيةٍ أو حديثٍ ليصحح به باطل الكفار!!

نظرية الأجرام السماوية

قال في «الموسوعة الفلكية» (٥١٨): (وتقاس مواقع الأجرام السماوية في أي نظام اختياري من الإحداثيات، على أن يكون المستوى الأساسي، إما مستوى أفق المكان، أو مستوى خط الاستواء السماوي، أو مستوى البروج).

وقال أيضًا (١٥٢): (الحركة الظاهرية للأجرام السماوية تعتمد على حركة الجِرْمِ السماوي في الفضاء، كما تعتمد على حركة مكان المشاهدة الذي يظهر منه الجرم السماوي مسقطًا على الكرة السماوية).

قلت: قد يتبادر إلى ذهن القارئ أنهم يريدون بالأجرام السماوية السماء الدنيا، التي فيها النجوم التي نراها فيها، كما أخبر الله في كتابه بقوله: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾[الصافات:٦]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾[الفرقان:٦١]، وهم يصرحون أنهم ما أرادوا ذلك، وإنما أرادوا الفضاء، ولهذا قالوا: (في الفضاء).

وقالوا: (يظهر منه الجِرْمُ السماوي مسقطًا على الكرة السماوية). والكرة السماوية عندهم هي الفارغ الخالي.

نظرية عمر الضوء

قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (٢١٩): (إن أبعاد النجوم الثوابت كبيرة جدًا، بحيث إن الضوء يحتاج على أقل تقدير بضع سنين حتى يصل إلى الأرض، على الرغم من سرعته الهائلة، ويبلغ ذلك في حالة المجموعات النجومية بضع ملايين السنين).

ومعنى هذا الكلام أن للضوء عمرًا يتجاوز ملايين السنين يستمر فيها سائرًا حتى يصل إلى الأرض، وهذا دون إثباته خرط القتاد، فلو كان الضوء يُعمَّر هذه المدة لاستغنينا بضوء الشمس في النهار عن الإضاءة الصناعية ليلًا.

ويلزم من ذلك أيضًا أن أبانا آدم والأوائل من ذريته لم يكونوا يرون أكثر النجوم، لأن الضوء المنبعث منها يحتاج إلى ملايين السنين حتى يصل إليهم، وهذا ينافي تسخير الله النجوم لمصالح البشر من الاهتداء بها في ظلمات البر والبحر وغير ذلك.

نظرية تقدير المسافة بين الأجرام السماوية بالسنين الضوئية

مما استجد عند أرباب النظريات: اكتشاف بعضهم مقاييس جديدة، ومنها: السنة الضوئية، وكان أول مُدَّعٍ لذلك الفلكي الدانمركي «رومر» عام ١٦٧٦م. وادعى الفلكي الإنجليزي «برادلي» عام ١٧٢٨م اكتشاف سرعة الضوء، بمعونة زيغ ضوء النجوم. نقلًا من كتاب «الموسوعة الفلكية» (٢١٩).

وقال صاحب المصدر المذكور في المصدر نفسه: (إن أبعاد النجوم الثوابت كبيرة جدًا، بحيث إن الضوء يحتاج على أقل تقدير بضع سنين حتى يصل إلى الأرض، على الرغم من سرعته الهائلة، ويبلغ ذلك في حالة المجموعات النجومية بضع ملايين السنين).

قلت: هذه النظرية لا دليل يثبتها لا من القرآن ولا من السنة، بل الواقع بخلافها، وذلك أننا نرى ضوء الشمس والقمر يصل إلينا بدون تقدير زمني، وتقديرهم وصول ضوء القمر إلينا بعد ثانية، والشمس بعد ثمان دقائق، تقدير على غير أساس؛ لما سبق ذكره، ومما يدل على بطلان النظرية المذكورة أنهم جعلوا ضوء بعض النجوم

يحتاج إلى بضع سنين حتى يصل إلى الأرض، مع العلم أن المسافة بين الأرض والنجوم تقريبًا كالمسافة بين الأرض والشمس والقمر؛ لأن الله يقول: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾[الفرقان:٦١]. على قول من فسر البروج بالكواكب، وأصرح من هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾[الصافات:٦].

فكيف حصل هذا التفاوت عندهم من ثمان دقائق إلى بضع سنين، مع أن الكل في سماء الدنيا، ووجود شيء من التباعد بين النجوم والشمس هذا حاصل ولكن لا يفيد أصحاب النظرية شيئًا؛ لأن الشمس والقمر والنجوم في سماء الدنيا، وما بين الأرض وسماء الدنيا من المسافة مقدار خمسمائة عام، فكيف يمكن أن يصير هذا التباعد صوابًا مع تقارب المذكورات في هذه المسافة.

وأما قولهم: (ويبلغ ذلك في حالة المجموعات النجومية بضع ملايين السنين)، فشطح جنوني ابتلي به هؤلاء، وكأني بهم يقولون لما انتهت الأرقام التي تقدر بها المسافة بين الأجرام: لجأنا إلى اختلاق السنين الضوئية، وإذا انتهت الأرقام بالسنين الضوئية، فبماذا يقدرون؟!

ابتكروا وحدة قياس جديدة سموها البارسك، قال في الموسوعة الفلكية: البارسك: وحدة طول فلكية لقياس أبعاد النجوم... ١ بارسك =٣.٢٦١٥ سنة ضوئية.

نظرية حارس السماء

قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (٢٢٢) وهو يتحدث عن حارس السماء: (السماك الرامح، أو حارس السماء: هو ألمع نجم في كوكبة الحواء).

من المعلوم أن الله جعل حراسًا للسماء الدنيا، قال تعالى مخبرًا عما قاله الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾[الجن:٨]، فتظن أن أصحاب النظريات عنوا بالسماء التي ذكرها القرآن، ثم ظهر لك أنهم عنوا ألمع نجم، وهل يقال لألمع نجم حارس السماء؟! الجواب: لا.

النظريات المتعلقة بالشمس

تمهيد

لقد كثرت النظريات عن الشمس، حتى إنه يصعب ذكرها بأجمعها، والسبب في هذه الكثرة، هو ما قاله صاحب «الموسوعة الفلكية» (ص٢٨): (تجري الأبحاث المستمرة على الشمس على وجه الخصوص... فقد تكونت مجموعة دولية لمراقبة الشمس، حتى لا تترك أية ظاهرة بدون رصد، علاوة على ذلك فقد تخصصت أعداد كاملة في المراصد في دراسة الشمس، وعلى سبيل المثال معهد «فراونهوفر» بمدينة «فرايبورج بريجدورف» في ألمانيا الغربية، والمرصد «الأيدجنوزي» بمدينة «زيورخ» في سويسرا، وفي ألمانيا الديمقراطية تؤخذ أرصاد الشمس في المعهد المركزي لفيزياء الشمس، وفي جمهورية مصر العربية يتم بانتظام أخذ أرصاد الشمس في مرصد حلوان التابع لأكاديمية البحث العلمي، وتواجه أرصاد الشمس مشكلات مختلفة عن الأرصاد الفلكية... ومما يعمل على تعكير صفو الأرصاد الشمسية ضوء الشمس الشديد المتشتت؛ بفعل الغلاف الجوي الأرضي، وكذلك عدم استقرار الهواء الذي يختلف أثناء إضاءة الشمس وقت النهار عنه أثناء الليل).

وأيضًا اختلاف المناظر لرصد الشمس، فهي من جملة الأسباب المانعة من الوصول إلى ذلك، فقد ذكر صاحب «الموسوعة» هذا الاختلاف وأطال الكلام في بيانه (١٧-٢٥)، ولكن الشيطان راكب على الفلكيين، فكلما فضحوا في نظرياتهم ادعوا أنهم سيطورون المراصد والمناظير، والواقع يثبت أن تطوير المناظير والمراصد مهما بلغ لن يأتي بجديد مفيد، وها نحن نضع عددًا من النظريات عن الشمس، بعد الوصول إلى تطوير وسائل الرصد بين يدي القارئ؛ ليدرك زيفها.

نظرية نشأة الشمس ووجودها

قال صاحب "الموسوعة الفلكية" (٣٨٠-٣٨١): (أما الفيزيائي "فون فيراكر" فقد واصل تفكيره حول أن الشمس والكواكب قد نشأت من نفس السديم الأولي، وذلك في نظريته الاضطرابية حوالي عام (١٩٤٤م)، وتقتضي هذه النظرية: بأنه سادت في السديم القرص الدوار حركة اضطرابية... نتج عنها تكوين الكواكب الأولى).

وقال أيضًا (ص٣٨١-٣٨٢): (وتعد أحسن نظرية حاليًا ما طوره الأمريكي "كيبر" عن كسموجونية المجموعة الكوكبية...، بعد أن تكونت الكواكب الأولى، وصلت الشمس في انكماشها إلى حالة تعادل، شبيهة بحالتها الحالية، ومنها أصبحت الشمس تشع قدرًا كافيًا من الطاقة... فدارت الشمس بسرعة ما، ودار معها مجالها المغناطيسي...، ولا بد من التأكيد، بأن نظرية "كيبر" لم يكتمل حسابها تمامًا بأي حال من الأحوال؛ إذ يوجد بها كثير من الافتراضات التي تعوزها الأدلة، ويذهب غالبية الباحثين إلى أن الكواكب الأولى لم تنشأ على أساس الحركة العشوائية في داخل ما أحاط بالشمس الأولى من قرص غازي، وإنما ينطلق هذا الفريق من أن درجة الحرارة في الغاز كانت منخفضةً نسبيًا؛ بسبب انخفاض درجة الحرارة عند سطح الشمس الأولى).

من هذه النظريات ندرك الآتي:

١) أن الفلكيين في القرن العشرين صاروا على شبه اتفاق أن الشمس تكونت من مادة السديم الغازية، واختلفوا في اشتداد الحرارة وانخفاضها، حال وجود الشمس منها.

٢) في النظرية الأولى، التصريح بأن الشمس جاءت من مادة السديم الأولى، ويفهم من كلمة (الأولى): أن المادة التي تكونت منها الشمس هي الأولى، وأن الشمس وجدت قبل غيرها، وبعدها الكائنات الأخر، ومعلوم في القرآن الكريم

والسنة المطهرة، أن الله خلق قبل الشمس مخلوقات كثيرة، كالعرش، والماء، والقلم، والأرض، والسماوات، وخلقت الشمس تبعًا لخلق السماوات، فالسدم، وما السدم، جعلت أصحابها جاهلين بالحقائق الكونية من جهة، ومكابرين لها وجاحدين من جهة أخرى.

٣) في النظريات المذكورة نسبة خلق الشمس ووجودها إلى تفجر مادة السديم، وهي مجهولة، بل مكذوبة لا أصل لوجودها، ولكن اخترعت ليتوصلوا إلى إنكار خَلْقِ الله للخلائق، فهل رأيت مثل هذا الإلحاد؟! فلماذا سكت عنه، بل تبناه حملة النظريات من المسلمين.

٤) هذه النظريات ليس هناك شيء منها صار مجزومًا به عندهم، ولكن التائهون من كُتَّاب المسلمين جعلوها محلَّ وفاقٍ، ومحلَّ جزمٍ بها.

فُهِم من النظريات المذكورة: أن الشمس مركبة من ذرات وسُدُمٍ وغير ذلك، وأمَّا في ظاهر القرآن فليست مركبة. وظاهر القرآن الكريم أن الله خلق الشمس في اليومين الذين خلق الله فيهما السماوات السبع.

نظرية أن الشمس ثابتة

هذه النظرية هي أمهات النظريات الكونية المتعلقة بالكون الأعلى، وأول من قال بثبوت الشمس اثنان، وهذا كان قبل ميلاد المسيح عليه السلام وهما: «فيثاغورس» اليوناني وهذا مشهورٌ عنه، و«أريستارخُس» الإسكندراني، ولم يقبل هذا القول منهما، بل بقي مهجورًا إلى أن جاء «كوبرنيكوس» البولندي في القرن السادس عشر الميلادي، وأحيا هذه المقالة، وجعلها إحدى النظريات في كتابه «حركات الأجرام السماوية»، ولم تقبل منه ولم تنتشر، فجاء «جاليليو» الإيطالي في القرن السابع عشر الميلادي، ودعا إلى هذه النظرية، وسطرها في كتابه «الحوار»، وتراجع عنها بعد محاكمته، وظلَّت مهجورةً غير مقبولةٍ عند النصارى واليهود، إلى آخر القرن التاسع عشر بدأت

تنتشر، وفي بداية القرن العشرين انتشرت انتشارًا واسعًا وسُلِّم بصحتها، حتى أدخلت في المناهج الدراسية، وقد دُرِّست في بلاد المسلمين، حتى إن الطلاب كان يأتي أحدهم من المدرسة، ويقول لوالده: يا أبت، درسنا اليوم أن الشمس واقفة. فيقول الأب: ها هي تجري نراها بأم أعيننا!!

وعلى كل: ظلَّ علماء الإسلام متنكرين لنظرية وقوف الشمس؛ لأنها مكابرة واضحة للمعلوم يقينًا بالمشاهدة والأدلة، ولا يعلم أن أمة من الأمم تعتقد خلاف سيرها وجريانها، وحكم غير واحد من العلماء على من قال بثبوت الشمس بالكفر؛ لتكذيبه لصريح الأدلة القرآنية، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ * لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[يس:٣٨-٤٠].

انظر كم في هذه الآية من أدلةٍ صريحةٍ على جريان الشمس، وأمثالها كثير، وسيأتي بيان أن الفلكيين تراجعوا عن القول بوقوفها، وقالوا بدورانها -من باب الحيلة والمكر- حول المجرات.

نظرية أن الشمس تجري حول درب التبانة وفي داخلها

وبعد مرور مدة من الزمن من قبول نظرية "كوبرنيكوس"، وهي: أن الشمس واقفة ثابتة، ظهر بعض أصحاب النظريات في آخر القرن العشرين وقالوا: أثبت العلم أن الشمس تجري حول درب التبانة، فاعتبر كثير من علماء المسلمين هذه النظرية انتصارًا للقرآن، ودرب التبانة مجرة نجومية.

وقال علماء الإسلام لأصحاب النظرية: لم لا تجري حول الأرض، كما هو معلوم؟ قالوا: هكذا أثبت العلم. وكم تدور الشمس حول درب التبانة؟ قالوا: في (٢٥٠) مليون سنة. وهنا ترك دعاة التغريب علماء الإسلام يضربون أخماسًا في أسداس.

وقال صاحب كتاب "الموسوعة الفلكية" (٤٣١) وهو يتحدث عن مجرة التبانة:

(مجموعة نجومية تنتمي إليها مجموعتنا الشمسية، ومعها الأرض وحوالي ١٠٠ بليون نجم آخر...، وتتواجد الشمس وما يتبعها من الكواكب داخل مجرة سكة التبانة، بالقرب من مستوى التماثل، أو مستوى المجرة...). ففي هذا المقال ادَّعوا أن الشمس في داخل المجرة، وهذا يعني أنها منها، وليست مجرد تابعة لها.

وفي المصدر السابق (٤٣٣) ما نصُّه: (لا توجد الشمس في مستوى المجرة تمامًا... وجد أن الشمس تقع على بعد حوالي ١٥ بارسك شمال مستوى المجرة، كذلك لا توجد الشمس في مركز المجرة، ولا حتى بالقرب منه، وإنما بعيدًا إلى الخارج). انظر إلى هذا الكلام كيف ينقض بعضه بعضًا، وينقض ما سبق.

وهذا الذي يقولونه من جريان الشمس حول مجرة التبانة هو غير محقق؛ ففي المصدر السابق (٤٣١) ما نصه: (ومن توزيع النجوم الظاهري في السماء، فإننا نحاول استنتاج توزيع النجوم في الفضاء، ومكان الشمس في مجموعة سكة التبانة). فالمحاولة على حسب زعمهم جارية، وما قد حصل شيء يعتمد عليه، ولن يحصل قط فلسنا منتظرين ليحصل.

وصفوة القول: أن قول الملاحدة بجريان الشمس حول مجرة التبانة أدى إلى خلافٍ كبيرٍ بين علماء الإسلام، فالمقلد لهم يسلم بجريانها المذكور، والمتحرر من اتباع تخبطاتهم يرفض ذلك، ويثبت الحق أنها تجري حول الأرض.

نظرية الحركة الذاتية للشمس

من النظريات الشمسية التي اكتشفها "هرشل فريدريك ويليام" الفلكي عام (١٧٨٣) حركة الشمس الذاتية في اتجاه كوكبه الجائي. انظر "الموسوعة الفلكية" (٥٧٩).

ومعنى ذاتية، أنها من نفس الشمس، لا من غيرها، وهذا فيه إنكار تسخير الله لها.

وأيضًا هذه النظرية تخالف النظرية التي ذكرها صاحب "الموسوعة الفلكية" (٢٣٨)

قال وهو يتحدث عن حركة الشمس: (فالحركة الحقيقية تتكون من جزأين، هما بالتحديد حركة بالنسبة للنجوم الثوابت القريبة، وحركة دوران بالنسبة لمركز مجرة سكة التبانة). فهذه النظرية تناقض نظرية دورانها حول نفسها فأيُّ حركة حقيقية من هذه الحركات؟! وسيأتي قريبًا ذكر نظرية دورانها حول مجرة التبانة.

نظرية جاذبية الشمس

وضع "كبلر يوحنا" الفلكي المتوفى (١٦٣٠م) قوانين، ومنها ما ذكره صاحب الموسوعة (٢٩٣) عنه أنه قال: (هناك قوة تخرج من الشمس وترغم الكواكب على البقاء في مداراتها، إلا أنه لم يوفق في المجيء بدليل على ذلك).

وقال أيضًا في المصدر المذكور (٢٣٦) وهو يتحدث عن جاذبية الشمس: (وعن طريق قبض جاذبيتها، فإن الشمس تمسك بالأجسام الأخرى في المجموعة الشمسية، ومنها الأرض أيضًا في مداراتها).

وفي (ص٢٣٩): (الشمس عبارة عن كرة غازية، تتماسك مادتها؛ بفعل قبضة الجاذبية، والجزء الأكبر داخلها).

قوله: إن "كبلر" (لم يوفق في المجيء بدليل على ذلك) قلت: وكذلك "نيوتن" اليهودي، الذي اخترع الجاذبية في المجموعة الشمسية وغيرها، لم يأت بدليل، وإلى جانب ما في دعوى إثبات الجاذبية من إلحاد، ففيها من التعقيدات والأمور المعكوسة، ما يجعل القدح فيها نافذًا.

وقد ذكرنا بعض النظريات التي نقضت هذه النظرية، ونحن نعلم علم اليقين، أن الشمس يأتي منها الضياء لا الجاذبية، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾[يونس:٥]، وأن ضياءها سراجًا وهاجًا، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾[النبأ:١٣]، وأن الشمس يسيرها الله بجعلها مسخرة للحركة الدائبة، فالقرآن مليء بالآيات التي تخبر عن تسخير الله الشمس والقمر وغيرها، ولم يأتِ ما يدل على

أن للشمس جاذبية لا شرعًا، ولا عقلًا، ولا حسًّا، ولا مشاهدةً، فلو كان للشمس جاذبية لدلت عليها الأدلة النقلية، والعقلية، والحسية، والمشهودة، كما دلت على ضيائها، ولكن لما كانت منعدمة انعدم دليلها.

نظرية أن كثيرًا من الحوادث الأرضية بسبب الشمس

قال في «الموسوعة الفلكية» (٢٧٨): (الظواهر الشمسية الأرضية هي ظواهر معينة، تحدث في جو الأرض بسبب الشمس، إن الشمس تؤثر بجاذبيتها وإشعاعها، بطرقٍ كثيرةٍ على الحوادث الأرضية، فمن خلال قوة جذب الشمس تبقى الأرض في مدارها، وبهذا فإنها تبقى بانتظام في منطقة إشعاع الشمس الذي يجعل الحياة على سطح الأرض ممكنة، وذلك بفعل مكوناته من الضوء والتدفئة، كما أن جاذبية الشمس تشارك أيضًا في نشأة المد والجزر، يفهم تحت الظواهر الشمسية الأرضية كل الأحداث بالتغيير في النشاط الشمسي، وفي هذا الشأن، فإن مناطق الاضطراب على الشمس تؤثر بإشعاعها المتغير).

قلت: عظَّمت هذه النظرية أمورًا:

ومنها: **نسبة الأحداث في الأرض إلى جاذبية الشمس وإشعاعها.** أما جاذبية الشمس فقد أوضحنا قريبًا أنه لا دليل عليها لا شرعًا ولا عقلًا ولا حسًّا ولا مشاهدةً، ولو كانت ثَمَّ جاذبية هذا شأنها، لأخبرنا الله عنها، وأما إشعاع الشمس فوجوده معلوم بالضرورة، ولكنه ليس سببًا للحوادث، بل هو سبب لمنافع كثيرة، وما أظن هؤلاء الفلكيين إلَّا عُبَّادًا للشمس، أو يرون عبادتها.

ومنها: **جعلهم دوران الأرض متحققًا بجذب الشمس لها،** وهذا إلحادٌ؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾[فاطر:٤١]، ومن الأدلة على أن الحوادث في الأرض يحدثها الله قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ

أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[سبأ:٩] وقال تعالى مخبرًا عن قارون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾[القصص:٨١] وأظن لو علم القائلون من المسلمين بدوران الأرض: أن أصحاب النظريات عنوا أن الشمس تدير الأرض؛ لتراجعوا عن التَّسليم بدورانها.

نظرية أن الشمس أكبر من الأرض ونظرية أن الأرض قزم

اعلم أن الفلكيين قديمًا وحديثًا، يزعمون أن الشمس أكبر من الأرض، وقد اختلف المتقدمون في تحديد مقدار الكبر، فمنهم من قال: إنها أكبر منها بألف مرة، وثلاثمائة مرة، وعشرين ألف مرة ومنهم من قال بتسعين مرة، قلت هذا الاختلاف عند المتقدمين، وقال الألوسي في "روح المعاني" (٧/ ٢٠٢): (والذي عليه المحققون أهل الهيئة أنها -أي الشمس- مائة وستون مثلًا وربع، وثمن مثل الأرض)، وهو اختلاف مؤثر، ولا يحصل هذا الاختلاف إلا بسبب عدم وجود برهان حسابي صحيح.

أما الاختلاف عند المتأخرين في حجم الشمس فهو أشد مما هو عند المتقدمين:

ففي "الموسوعة الفلكية" (ص٢٣٧) وهو يتحدث عن كتلة الشمس قال: (وحسب قانون "كبلر" الثالث، تم حساب كتلة الشمس وجدت:

١,٩٩×٣٣١٠ جرام = ٣٣٣,٠٠٠ مرة قدر كتلة الأرض

وتعتبر الشمس بذلك حوالي ٧٥٠ مرة أكبر من كتلة جميع الأجسام الأخرى في المجموعة الشمسية مجتمعة).

وذكر صاحب كتاب "قصة الخلق" (٣٥٣)، وهو يتحدث عن أقوال بعض أصحاب النظريات: (وإن الشمس تفضل عليها -أي: الأرض- بمليون مرة).

قال صاحب كتاب "سنريهم آياتنا في الآفاق": (إن الشمس أكبر من الأرض ملايين المرات). انظر إلى شطح صاحبنا، وجزمه بالكبر، بل بأبعده وهو بالملايين!!

ومع وجود هذا الاختلاف، فقد قام بعض الكتاب المدندنين، بأن القرآن لا يتعارض مع النظريات بذكر هذا الكبر.

إن الاختلاف قائم بين الفلكيين المتقدمين وبين المتأخرين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، اختلاف المتأخرين في تقدير كبر حجم الشمس على الأرض، أوسع من اختلاف المتقدمين، وهذا يدل على أن تطوير وسائل الرصد لم يحقق تصحيحًا إلا ما ندر، وكلام الفريقين لا حجة له على الآخر، فأنى لهم حجة على من أغناهم الله بالقرآن والسنة، **ونرى أن كبر الشمس على الأرض مجرد دعوى لا دليل على صحتها، بل قد صحت الأدلة عندنا على نقضها**، وإليك بيان ذلك:

أولًا: بَيَّن الله في كتابه أن الشمس أكبر من القمر، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[الأنعام:٧٨]، قال ابن كثير (٣/ ٢٩١) عند قوله: ﴿هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ [الأنعام:٧٨]: (أي: جرمًا من النجم ومن القمر).

والمفسرون على مثل الذي قاله ابن كثير.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "مجموع الفتاوى" (١٦/ ٢٣٠): (والسماء والأرض أعظم من الشمس والقمر، والليل والنهار). ولا شك أنه الحق وهو المشاهد للعيان.

الثاني: بيَّن الله في كتابه أن الأرض والسماوات هما أكبر المخلوقات المشهودة، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾[غافر:٥٧]، ووجه الاستدلال بهذه الآية هو أن الله جعل السماوات والأرض أكبر المخلوقات المشهودة، ومعلوم أن الشمس والقمر والنجوم مشهودات.

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾[البقرة:٢٩]، فبدأ الله بخلق الأرض؛ لأنها أساس لما فوقها من سماوات وغيرها، وذكر خلق السماوات بعد خلق الأرض دون غيرها من الشمس والقمر، فدل هذا على أن الأرض أكبر من الشمس؛ إذ لو كانت الشمس أكبر من الأرض لجعلها سبحانه هي المذكورة مكان خلق السماوات مقابلة لها؛ لأن

الذي يقابل الأرض السماوات، لكن الله لم يذكر خلق الشمس والليل والنهار والقمر والنجوم إلا تبعًا لخلق السماوات.

وأيضًا لو كانت الشمس أكبر من الأرض ولو مرة واحدة، لكانت تملأ حيزًا كبيرًا من السماء؛ لأنها سقف الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾[الأنبياء:٣٢]، والمشاهد دالٌّ على أن حجم الشمس ليس كما قال المتهوكون!!

الثالث: لقد خلق الله الأرض قبل السماوات، وقطعًا قبل الشمس، قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾[فصلت:٩] إلى قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾[فصلت:١١]. ثم خلق السماوات في يومين، وجعل خلقه للشمس تبعًا لخلقه السماوات، فَخَلْقُهُ سبحانه للشمس تبعًا للسماوات يدل على أن شأنها كشأن القمر والكواكب، لا كشأن الأرض.

الرابع: ومما يدل على أن الشمس أصغر من الأرض، أن الله جعلها ضياء للأرض، وأهلها كالنور في البيت، ومعلوم عند الناس جميعًا أن السراج يكون أصغر حجمًا بكثير من المسرج فيه، فإنارة البيوت والأماكن لا تقاس بما نورته فضلًا عن أن تكون أكبر من ذلك.

الخامس: تناقض آخر: يدعي أصحاب الأفلاك أن القمر دون الأرض بتسعة وأربعين مرة، فإذا كان القمر دون حجم الأرض بما ذكر، وهو في الكبر في رؤيا العين قريب من كبر الشمس، دل على أن الشمس كبيرة في حجمها من القمر لا من الأرض، فمن أين جاءت الملايين في كبرها على الأرض؟!

السادس: تناقض آخر: قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٢/ ٦٨٢): (ومما نقض ابن العربي وغيره أنهم يزعمون أن الشمس لا تنكسف على الحقيقة، وإنما يحول القمر بينها وبين أهل الأرض عند اجتماعهما في العقدتين، فقال: هم يزعمون أن الشمس أضعاف القمر في الجرم فكيف يحجب الصغير الكبير إذا قابله؟ أم كيف يظلم الكثير

بالقليل، ولا سِيَّما وهو من جنسه؟ وكيف تحجب الأرض نور الشمس، وهي في زاوية منها؛ لأنهم يزعمون أن الشمس أكبر من الأرض بتسعين ضعفًا).

السابع: حديث «**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ثَوْرَانِ عَقِيرَانِ فِي النَّارِ**» عن أنس ﷺ، عند الطحاوي وأبي يعلى، وصححه العلامة الألباني في الصحيحة، رقم (١٢٤). ووجه الاستدلال أن جهنم لا ذكر لامتلائها بالشمس والقمر مع عظمتها، وإنما تمتلئ بالكفار من الجن والإنس، فيدل هذا على صغر حجم الشمس؛ لكونها في جزء من النار صغير.

وهكذا ترى القوم في غاية من التهافت، فلا يليق بمسلم أن يعتمد عليهم، فضلًا عن أن يعتمد عليهم من يدعي العلم بشريعة الإسلام.

ومما ينقض دعواهم هذه نظرية «هرتز سبرنج رسل» قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (٢٤٣): (والقوة الإشعاعية، أي: أن الشمس عبارة عن قزم عادي في شكل «هرتز سبرنج رسل» فوق التتابع الرئيسي).

وبهذا اتضح أن ما عند أصحاب الهيئة إنما هو تعطيل لما جاء به القرآن والسنة، مكابرةً للمعقول والمحسوس والمشاهد، وهذه حقيقة بضاعة القوم.

نظرية أن حركة الشمس تنشأ بسبب دوران الأرض حولها

في «الموسوعة الفلكية» (٢٣٨) ما نَصُّهُ: (حركات الشمس: تقوم الشمس بحركة ظاهرية؛ تنشأ من دوران الأرض حول محورها (الدوران) من ناحية، وفي مدارها على هيئة قطع ناقص حول الشمس من ناحية أخرى، الحركة المدارية).

قلت: هذه النظرية باطلة؛ لأن الأدلة على عدم دوران الأرض كثيرة وواضحة، كما بيَّنا هذا في كلامنا على ثبات الأرض، وأيضًا قولهم بأن حركة الشمس ظاهرية فقط غير مسلم به لأن هذا منهم بسبب جعل الشمس مركز الكون، فلو قالوا بحركتها الحقيقية تناقضوا مع قولهم بمركزيتها، والصحيح أنها حركة حقيقية لا دليل لهم على

نفيها إلا بدعواهم بما ذكرنا، وقد قالوا بدوران الشمس حول المجرة دورانًا حقيقيًا، مع أن هذا لا وجود له حقيقة.

نظرية أن الشمس تبتلع الأرض لأنها تتطور

من النظريات العصرية، نظرية ابتلاع الشمس للأرض بعد خمسة مليارات سنة. (قال "بروس باليك": الألعاب النارية هذه تعطي فكرة عن المرحلة الأخيرة من حياة الشمس، والشمس هي نجمة تتطور أيضًا تتمدد عبر إخراج الغاز، وقد يصل قطرها يومًا ما إلى أكثر بـ(٢٠٠) مرة، مما هي عليه حاليًا، وستغطي بالتالي أكثر من ٣٠٪ من السماء، بالنسبة لسكان الأرض، وأوضح "هواردبوند" أن الحرارة التي ستبعثها الشمس بعد خمسة مليارات سنة ستكون قوية جدًا، بحيث قد تحرق كل شيء على الأرض، وسيتبخر الغلاف الجوي، وستبتلع الأرض التي قد تلتف حول ما تبقى من الشمس) "المسيح المنتظر ونهاية العالم" (ص٣٤٤).

قلت: هذا الكلام مبنيٌّ على قاعدتهم الخرافية: أن كل شيء في الكون يتطور تبعًا لأصله مادة السديم؛ لأنها تتطور باستمرار، ويتفجر منها أنواع من الكتل الغازية، على حد زعمهم هذا، ونحن نقول لهم: الأرض ستتطور أيضًا؛ لأنها تابعة لمادتها الغازية على حسب كلامهم، فستكبر فلن تبتلعها الشمس، ومما يؤكد أن الشمس لن تبتلع الأرض، أنهم قالوا: إن الأرض في تطور مستمر، ذكرنا هذه النظرية عند كلامنا على انفجار الأرض وتمدده.

وعلى هذا فهم محجوجون بقاعدتهم ونظريتهم، فلا داعي للتهويل على الناس، وإرعابهم بالأباطيل؛ إذ إننا على يقينٍ من بطلان التطور لأصل المادة وما تفرع عنها، كما سبق أكثر من مرة، وقد ذكرنا في نظرية نهاية الأرض قولهم: إن نهاية الأرض بسبب ثلاثة أشياء، ومنها: أنها تصدم بنجم ذي ذَنَبٍ، فهذا يدل على عدم ابتلاع الشمس لها، ولا تسلم بالتصادم المذكور أيضًا.

نظرية أن الشمس مركز الأرض وبقية المجموعة الشمسية

قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (٤٤٠): (المجموعة الشمسية: هي الشمس، وكل الأجسام الصغيرة التي تدور حولها، وكذلك الفضاء الذي يوجد به مدارات الأجسام الدائرة حول الشمس، وكثيرًا ما يستخدم بدلًا من ذلك اصطلاح مجموعة الكواكب...، إلى قوله في الشمس: وهي تتحكم في ميزانية طاقة الأجسام الأخرى من المجموعة الشمسية).

وذكر في المصدر المذكور (٤١٣) أن «لابلاس سيمون» الفرنسي الفلكي المتوفى عام (١٨٢٧م)، قام يبحث حول نشأة المجموعة الشمسية، وأنها من النظرية السَّدِيميَّة الكسموجوني.

والتناقض في هذه النظرية يتضح بالآتي:

١) لو كانت الشمس مركزًا للأرض أو للمجموعة الشمسية، لكانت واقفة ثابتة، ولكن هاهم يثبتون تحركها، ويثبتون أن مادتها السدم، وهي غازية متحركة متفجرة.

٢) ذكرنا قريبًا أن نظرية أخرى تنصُّ على أن الشمس تدور حول مجرة التَّبانة، فهذه النظرية تعارض مركزية الشمس، وتعارض تحكمها في نفسها، فمن باب أولى عدم تحكمها في المجموعة الشمسية.

٣) قولهم: إن الشمس تتحكم في سير المجموعة الشمسية، هذا اعتماد منهم على نظرية الجاذبية في الشمس، وقد بينا قريبًا بطلانها.

٤) تسميتهم الشمس بالنجم خطأ، وأيضًا تسميتهم النجوم شموسًا غير صحيح، وأيضًا اختلفوا في قوانين حركات المجموعة الشمسية، فمن قائلٍ الاعتماد في ذلك على قوانين «كبلر» التي اكتشفها، ومن قائل: إنها قوانين جاذبية «نيوتن». انظر هذا الاختلاف في «الموسوعة الفلكية» (٣٦٤). يسبب هذا أنهم يعتمدون على أدوات أرصاد ومناظير لا يكاد يصح منها شيء.

تناقض آخر كبير، ألا وهو أن "كوبر نيكوس" و"جاليليو" و"نيوتن" وغيرهم من أرباب النظريات، كانوا يقولون: إن الشمس مركز الكون؛ لأنها واقفة لا تتحرك، فجاء في القرن العشرين عدد من أصحاب النظريات، وقالوا: إن الشمس تدور، واختلفوا في ذلك، فمن قائل تدور حول نفسها، ومن قائل تدور حول المجرة، وهلم جرًا.

نظرية أن الشمس تدور حول الأرض

في "الموسوعة الفلكية" (٧٨) في ترجمة الفلكي "براهي الدانماركي" المتوفى في بداية القرن السابع عشر الميلادي، ما نَصُّهُ: (...طوَّر "براهي" نظريته الكوكبية التي تقضي أيضًا بحركة الكواكب حول الشمس، لكنه جعل الشمس ذاتها تدور حول الأرض).

قلت: "براهي" قال بدوران الشمس حول الأرض، في العصر الذي ظهرت فيه نظرية القول بوقوف الشمس ودوران الأرض، فهذا دليلٌ على توصله إلى أن الأرض ثابتة، والشمس عليها دائرة، وهو الْحَقُّ.

نظرية شموس الكون

قال بعض المفسرين العصريين: (وهذه الشمس واحدة من نحو مائة مليون شمس من المجرة القريبة منا، والتي نحن منها).

وقال صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني" (ص٦٢): (ويقول العلماء: إن في السماوات شموسًا أكبر من شمسنا آلاف المرات).

وقال أيضًا (ص٦٢): (تأمل أيها الإنسان هذه الأعمدة التي تدعم وتحمل كل هذه الشموس والكواكب التي لا حصر لها، والتي يزيد حجمها عن أرضنا ملايين المرات).

وذكر الشيخ/ عبد الكريم الحميد، في كتابه "الفرقان" (ص٤٠٤) نقلًا عن مجلة "هنا لندن" قولها: (وهذه المجرة مجرتنا، تحتوي على مائة ألف مليون شمس،

والمسافات بينها شاسعة جدًا...).

قلت: إثبات شمس أخرى زيادة على الشمس التي نراها دونه خَرْطُ القَتَادِ، وإليك بيان ذلك:

لا يوجد في اللغة العربية ذكر أكثر من شمس تسير في سماء الدنيا، وهذا خلاصة ما قاله أهل اللغة، كصاحب «لسان العرب» (٧/ ١٩٣)، وصاحب «مختار الصحاح» (٣٤٦)، و«الصحاح» (٢/ ٧٩٤) وغيرهم، من أن الشمس هي: (العين التي في السماء، تجري في الفلك، والجمع شموس).

والنحاة يمثلون للنكرة التي لا نظير لها في الخارج بالشمس. انظر «الكواكب الدرية».

وأما القرآن الكريم، فالمسلمون يعلمون أنه لم يذكر إلا شمسًا واحدة، وأما السُّنة فلم أجد حديثًا واحدًا صحيحًا يذكر أكثر من شمس، مع كثرة الأحاديث الواردة في ذلك، بل لم أجد حديثًا ضعيفًا أو موضوعًا يخبر أن شمس السماء شموس، مع أنه لو وجد وهو ضعيف، لما قامت به حجة.

ومما يدل على أن الشمس واحدة، اقتران ذكرها بالقمر كثيرًا في القرآن والسنة، ومن المعلوم قطعًا أن القمر واحد.

ومما يدل على أن الشمس واحدة، أن الله نفى عن أهل الجنة شمسًا واحدة، قال تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان:١٣].

ومن أوضح الدلالة على عدم وجود شمس ثانية، أن الناس قديمًا وحديثًا لم يروا في كبد السماء إلا شمسًا واحدة، فلم يحصل ولو بطريق خرق العادة يومًا من الدهر أن ظهرت شمس أخرى ثم اختفت. وعند قيام الساعة تتحول الشمس الموجودة المرئية للناس، وتطلع من المغرب، كما دلت على هذا الأحاديث الصحيحة.

وأيضًا ادعاؤهم لهذا العدد ادعاء غير صحيح؛ لأنهم يقولون: إن الشمس التي

نراها أكبر من الأرض ملايين المرات، فالسماء لن تسع هذه الشمس التي هي أكبر من الأرض ملايين المرات، فكيف ستسع السماء مائة مليون من هذه الشموس؟ وأبعد من هذا قولهم: إن الشموس الأخرى أكبر من شمسنا آلاف المرات. ويعلم من إثباتهم للشموس إثبات دعواهم أن الفضاء لا نهاية له، ويفهم من إثباتهم أيضًا للشموس المذكورة عدم وجود سبع سماوات طباقًا؛ لأنها لا تتسع لمائة مليون شمس، الواحدة منهن أكبر من شمسنا آلاف المرات.

ولو قال قائل منهم: (نحن نعني بالشموس: النجوم، والنجوم كثيرة).

يقال له: أنتم تجعلون النجوم في المجرات، وتجعلون المجرة تستوعب ملايين النجوم، فلا يقبل منكم هذا التناقض. وأيضًا لا يقال للنجوم شموس؛ لأنها دون الشمس في الإضاءة.

وبهذا الإيضاح القائم على الأدلة النقلية والعقلية والمحسوسة والمشهودة، يبطل القول بتعدد الشموس. وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ.



خمس عشرة نظرية في الشمس من جنس ما سبق

النظريات حول الشمس كثيرة وهي من جنس ما سبق، وقد رأيت أن أذكر ما أردت ذكره هاهنا جملة:

الأولى: نظرية حركة الشمس الشاذة

في «الموسوعة» (٢٣٨) ما نَصُّهُ: (تتحرك الشمس بالنسبة للنجوم الثوابت القريبة سرعة ١٩,٤كم/ث الحركة الشاذة). قلت: هم الشَّاذون.

الثانية: نظرية أن حركة الشمس تفاوتية

ففي «الموسوعة الفلكية» (٢٣٩) قوله: (ولا تدور الشمس كجسم متماسك، وإنما دورانها تفاوتيٌّ). قلت: الشمس لها جريان وسير في فلكها والفلك الطويل، ومنها القصير يعرف هذا من خلال سيرها في الصيف والشتاء والخريف.

الثالثة: قولهم: (إن الشمس تشابه النجوم الثوابت، وهي واحد من حوالي مائة بليون نجم في مجرة سكة التَّبانة)

«الموسوعة الفلكية» (٢٣٨).

قلت: الشمس لا تشبه النجوم لا الثوابت ولا المتحركات، فبينها وبين النجوم فوارق كثيرة، ومنها الآتي:

○ اسمها الشمس، وتلك نجوم وكواكب، فلا يقال لها: كوكب؛ لأننا لم نجد في كتاب ربنا تسميتها إلا بالشمس، حتى عند قيام الساعة، قال الله: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ

كُوِّرَتْ * وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾[التكوير:١-٢].

- أنها سراج وَهَّاجٌ، والنجوم ليست كذلك، كما هو مشاهد ومعلوم.
- أنها أكبر من النجوم بكثير، كما هو مشاهد ومنصوص عليه في القرآن.
- أن الشمس لها فلك، والنجوم ليس لها أفلاك؛ إذ لم يخبرنا الله بفلك النجوم، مع تصريح القرآن بفلك الشمس في غيرما آية.
- النجوم جعلها الله رجومًا للشياطين، بخلاف الشمس فليست كذلك، كما هو معلوم.
- النجوم كثيرة، وأما الشمس فواحدة لا ثاني لها؛ لأن القرآن والسنة لم يذكرا إلا شمسًا واحدة، ولو كانت شمس ثانية لذكراها، ولا نشاهد إلا واحدة.
- النجوم على قسمين: ثوابت، وجوارٍ. وأما الشمس فتجري لمستقر لها إلى قيام الساعة.

فهذه الفوارق الواضحة المهمة تفيد: أن الشمس ليست نجمًا، فتسميتها بالنجم لذلك دواعي عند أرباب الفلكيين:

ومنها: أن تكون تابعة للمجرات المزعومة كشأن النجوم.

ومنها: أنها ليست مختصة بالكبر من بين المتحركات، بل بعض النجوم والكواكب عندهم أكبر منها.

الرابعة: نظرية تركيب الشمس

ففي «الموسوعة الفلكية» (٢٣٩): (يمكن بمساعدة الأبعاد المقاسة حساب تركيب الشمس تبعًا لنظرية التركيب الداخلي للنجوم).

قلت: الشمس قرص مستدير خلقها الله هكذا، فدعوى تركيبها من الهيدروجين والهليوم وغير ذلك من أقاويل أصحاب النظريات التي لا خطام لها ولا زمام؛ فلا قبول لذلك.

الخامسة: نظرية ضغط الشمس

قال صاحب "الموسوعة الفلكية" (٢٣٩) وهو يتحدث عن ضغط الشمس: (ويبلغ الضغط بضع مئات البلايين ضغط جوي).

قلت: هذا الضغط المذكور بالرغم من سعة الشطح فيه، إلا أنه لا وجود له إلا في أذهانهم، ومما يدل على عدم وجوده: عدم معرفة الناس به، فضلًا عن أن يكون له ذكر في القرآن والسنة.

السادسة: نظرية أن في الشمس طاقة نووية

ففي "الموسوعة الفلكية" (ص٢٤٠): (تنشأ الطاقة التي تشعها الشمس على الدوام في المناطق القريبة من مركزها فهناك تدور عمليات نووية، بالتحديد: اندماجات نووية، تتحول معها الكتلة إلى طاقة).

قلت: هذه النظرية صرحت بأن الشمس تنتج طاقة نووية في مناطق قريبة من مركز الشمس، ومعلوم أن الشمس تنتج الحرارة فإثباتهم التفاعل النووي يحتاج إلى دليل، فدعوى إنتاج الشمس لذلك دعوى لا تستند إلى برهان، ومما يدل على فساد هذه النظرية المذكورة أنهم جعلوا هذا التفاعل قريبًا من مركز الشمس، ولا سبيل لهم إلى الوصول إلى مركز للشمس إلا بمجرد الافتراضات والاستنتاجات، وأيضًا قولهم هذا مبني على أن الشمس مادة سدمية غازية، تبعًا لأصلها الأول المادة السدمية، وهذا قد عرف بطلانه.

وليست مصيبتنا في أقوال الملاحدة كمصيبتنا في الكتَّاب الطائشين من المسلمين، فها هو السبيعي في كتابه "سنريهم آياتنا"، يذكر هذه النظرية بهذا العنوان (الشمس مفاعل نووي هائل)، ثم شرح هذا المفاعل النووي الهائل، وأطال في ذلك وأخذ يهذي بأشياء شبيهة بالأساطير. وانظر إلى التجاوز في العنوان حينما قال: الشمس مفاعل، وأصحاب النظرية لم يقولوا: إن الشمس مفاعل وإنما أخبروا أنه يحصل ذلك

في مناطقها القريبة. وقال السبيعي: هائل، ولم تكن النظرية بهذا الحجم، فالخطأ يكون من أصحاب النظريات ذراعًا، وهؤلاء الكتَّاب يجعلونه باعًا.

السابعة: نظرية التحبب الشمسي

قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (٢٤١): (التحبب الشمسي وهذا عبارة عن مناطق صغيرة لامعة حبيبات، ترتفع عن الخلفية الداكنة والقطر الظاهري للحبيبات الذي يوجد منها فوق سطح الشمس حوالي ٢ مليون).

قلت: جعل للشمس مناطق هذا من تشقيقات أصحاب الأفلاك، وجعل المناطق هذه فيها المادة اللامعة من جعبة أصحاب النظرية؛ لأن قائلها لم يأت ببرهان، ومجرد دعوى النظرية لا يكفي لثبوتها.

الثامنة: نظرية خطوط امتصاص أشعة الشمس وردها إليها

قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (ص٢٤٣): (اكتشف «وولاستون» خطوط «فراونهوفر» -وهو أول من اشتغل بدراسة هذه الخطوط- مصنفًا يحتوى على (٥٦٧) خطًّا، وحاليًّا فإن المصنفات الحديثة مثل «الرولاندية» و«الأتريختية»، تحتوي على أكثر من (٢٠,٠٠٠) خطًّا طيفيًّا للشمس، وبالنسبة لأشد الخطوط الطيفية الشمسية لا يزال معمولًا حتى الآن، بالتسمية بالحروف التي أدخلها «فراونهوفر»).

قلت: أظن أن صاحب النظرية حينما اختلقها لم يتنبه إلى أن الشمس جعلها الله سراجًا وهاجًا، فالتوهج صادر منها، وحصل فيها بدون حاجة إلى شيء خارجي، وعلى هذا السير في اكتشاف المختلفات ممكن يأتي فلكي آخر، ويدعي أنه اكتشف خطوطًا أخر تمتص الأشعة، وتردها إلى المتحركات الفلكية!!

التاسعة: نظرية بعث الشمس بإشعاع راديوي

قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (٢٤٤): (تبعث الشمس بالإضافة إلى إشعاعها

البصري بإشعاع راديوي، تم اكتشافه عام (١٩٤٢م) وبالمقارنة نجد أن الإشعاع الراديوي أقل من الإشعاع البصري).

قلت: الإشعاع المذكور من النظريات الحديثة، وبعد هذا الاكتشاف ادعوا أنه ضل في المجموعة الشمسية والنجوم كلها، وهم مختلفون فيه من جهة تقسيمه، ومن جهة نشأته، ومن جهة تواجده، ونحن في غنى عن هذا كله؛ فالشمس والقمر لكل واحد منهما نوره وضياؤه المعروف.

العاشرة: نظرية المغناطيس الشمسية

قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (ص٢٤٧): (ولا بد في حالة الشمس أن نميز بين نوعين من المجالات المغناطيسية: مجال مغناطيسي عام، يشمل كل الشمس...، وتقدر شدة المجال المغناطيسي العام بالتأكيد حوالي واحد جاوس فقط، وقد أعطت الأرصاد المختلفة قيمًا متباينة للمجال المغناطيسي العام، كما أعتقد باكتشاف تغيير في اتجاه المجال المغناطيسي -أي انعكاس في قطبيته- ولكن هذه المسألة لا تزال غير واضحةٍ تمامًا؛ بسبب صغر شدة المجال. وذكر الخاص فقال: توجد على الشمس مجالات مغناطيسية تقتصر على مناطق محدودة منها، وتظهر لفترات زمنية قصيرة... نجد مناطق فوق قرص الشمس فيها المجال المغناطيسي أحادي القطب «مناطقUM»، وكذلك مناطق فيها مجالان مغناطيسيان مختلفا القطبين، مناطق مزدوجة القطبين «مناطقBM»).

قلت: هذه النظرية محتملة عندهم فقط، وليست ثابتة؛ كما في المصدر المذكور، والتقدير فيها متباين كما في النظرية، وما دامت التقديرات فيها متباينة فلِمَ تجعل نظرية ويشغل بها الناس، وعهدي بهؤلاء الخراصين هو أن أحدهم يقول: اكتشفت في الجهة الفلانية والمنطقة الفلانية ليظهر عدم الجرأة والتهور، وهي حيلة كذا وكذا في المكان الفلاني.

الحادية عشرة: نظرية البقع الشمسية

قال صاحب كتاب "الموسوعة الفلكية" (ص٧٩) وهو يتحدث عن البقعة الشمسية: (هي مناطقة اضطراب تظهر داكنة، إما فردية أو جماعية، فوق فوتوسفير الشمس).

وقال: (إن أصغر البقع الشمسية التي تراها تبلغ في قطرها بضع ألاف الكيلومترات، وتبدو كحفر داكنة وليس لها شبه ظل، كما يصل قطر أكبر البقع الشمسية إلى (٢٠٠,٠٠٠) كم، أي أكثر من (١٥) مرة مثل قطر الأرض).

قلت: ليس هناك بقع شمسية إلا عند هؤلاء، وإثباتهم للبقع المذكورة ناجم عن دعواهم أن الشمس مركبة، ففيها البقع بهذا الاعتبار. ومما يوهن النظرية أكثر قوله في أكبر قطع البقع: (أكبر من (١٥) مرة مثل قطر الأرض) فإذا كانت هذه البقعة بهذا الحجم، فكم سيكون حجم كل البقع؟ وكم سيكون حجم الشمس كلها؟ اللهم سلم سلم. وأيضًا يوهنها قوله: (وتبدو كحفر داكنة) فكأني بهؤلاء في صحراء يتحدثون عنها.

الثانية عشرة: نظرية الرياح الشمسية

في "الموسوعة الفلكية" (١٩٠) ما نَصُّهُ: (الرياح الشمسية هي إشعاع جُسَيمِيٌّ، ينبعث من الشمس باستمرار، وفي جميع الاتجاهات).

قلت: الشمس لا يتأتى منها الرياح، وإنما الأشعة الضوئية، وقويت الشطحة في هذه الكذبة، فقال: (في كل الاتجاهات) وقال: (باستمرار)، فلو كان الأمر كما قال لوصل إلينا رياحها، كما وصل إلينا ضياؤها، ولم يخبرنا الله أن الرياح آتية من الشمس، ولا من القمر، ولا من النجوم.

الثالثة عشرة: نظرية الطفح الشمسي

قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (٢٦٦): (الطفح الشمسي هو الزيادة السريعة والقصيرة الزمن، في لمعان منطقة محدودة... ينشأ الطفح على مناطق الشمس التي تظهر فيها المشاعل والبقع الشمسية، وفي الغالب بين البقع الأساسية في حالة مجموعات الكلف الكبيرة... ويقدر عدده من (٥-١٠) طفحة في اليوم).

الرابعة عشرة: نظرية أن الشمس ستكف عن إضاءتها

قال صاحب «قصة الخلق من العرش إلى الفرش»: (أليست كارثة أن نقرأ ما يقوله بعض علمائنا الأفاضل: إن العلم أثبت أن الشمس ستكف عن إرسال أشعتها بعد (٥٠) بليون سنة).

قلت: لو تناطحت الجبال بين أيدي أصحاب هذه النظرية ما قدروا أن يثبتوا المدة التي يزعمون أنه عند انتهائها ستكف الشمس عن ضيائها. وأيضًا انظر إلى نسبتهم الكف إلى الشمس، ونحن نعلم جميعًا أن الشمس مدبرة بتدبير الله، لن تكف عن ضيائها إلا بأمر الله، وذلك عند قيام الساعة تكور، قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[التكوير:١]، وقال: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ * وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ * وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾[القيامة:٧-٩]، فقولهم بكف الشمس عن ضيائها فقط خلاف ما دل عليه القرآن والسنة من الخسف والتكوير لها في النار.

وانظر نظرية نشأة الكواكب والنجوم فترى التناقض الواضح الذي يدلك أن هذا العلم ليس قائمًا على أصول ثابتة.

الخامسة عشرة: نظرية أن الشمس تتحكم في العالم

ومن نظريات «كوبرنيكوس» قوله: (فهذه الشمس هي نور العالم، بل هي روحه، بل هي التي تتحكم فيه، وهي جالسة على عرشها القدسي، ترشد أسرة الكواكب إلى

طريقها). نقلًا من كتاب "قصة الخلق" (ص٢٥٥).

وفي "الموسوعة الفلكية" (٢٣٦): (فإن الشمس تمسك بالأجسام الأخرى في المجموعة الشمسية، ومنها الأرض أيضًا وفي مداراتها).

وقال في كتاب "حركات الأجرام السماوية": (إن هذه الكرات لا يحركها محرك من خارجها، بل تتحرك بإرادتها، وبتوجيه من الشمس). المصدر السابق (٢٦١).

انظر -أيها المسلم- إلى هذه النظرية، تراها صريحة في إثبات ربوبية الشمس للكون: تدبره، وتسيره، وتحفظه، بل جعلها صاحبها أصل وجوده، وانظر إلى وصفها بالجلوس على عرشها القدسي؛ لتدرك أن صاحب النظرية جاد في الدعوة إلى الإلحاد باسم النظريات، وأنت تعلم أن الله يدبر الشمس وكل المخلوقات، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[الأعراف:٥٤] والآيات على أنه سبحانه هو الذي يُسَيِّرُ الشمس وسخرها للعباد. فقول صاحب النظرية: إنها تتحكم في العالم. قول يوافق عُبَّاد الشمس المتقدمين، فالحياة في عصر النهضة لا تعني الخلاص من الشركيات. وكتاب "كوبرنيكوس" المذكور مليء بهذه الكفريات.

السادسة عشرة: نظرية أن الشمس آهلة بالسكان

حنانيك بعض الشر أهون من بعض؛ فدعوى الوصول إلى القمر وراءها ما هو أدهى منها وأمر، وهو الوصول إلى الشمس وغيرها والادعاء أنها مليئة بالسكان، ذكر صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني" (ص٣٨٩-٣٩١) نقلًا لكلام "وليم هرشل" أنه قال: (وأعتقد أني محق أن أقترح على أسس فلكية أن الشمس عالمٌ مأهولٌ... إنه لا حاجة بنا إلى التردد في الاعتراف بأن الشمس تزخر بما عليها من سكان... ويكفي أن نعرف أن عناصر الذهب، والفضة، والبلاتين التي نعرفها في الأرض موجودة أيضًا في الشمس، وكذا الكوبلت، والأكسجين، والصوديوم، والفسفور، والأيدروجين، والهليوم، والكربون، والبوتاسيوم، والزنك، والرصاص،

والنتروجين...، هذه العناصر كلها التي نعرفها على الأرض وجدها العلماء في سائر الكواكب والشمس... وإن اختلفت نسب التوزيع بينها).

لو أن الكاتب اطلع على النظريات الكثيرة المتعلقة بصعوبات، يعاني منها أصحاب الأرصاد الشمسية، ونظريات تدل على عدم وجود سكان بالقرب من الشمس، بل في الأجرام كلها، ما وقع في التسليم للأمر المذكور، ولكن الجهل داء قاتل.

قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (٢٣٦): (إن الشمس تمسك بالأجسام الأخرى في المجموعة الشمسية، ومنها الأرض أيضًا... وبالإضافة إلى جاذبيتها فإن الشمس تؤثر بإشعاعها على الأرض من نواحي كثيرة).

فأفادت هذه النظرية أمرين: الأول: أن الشمس تؤثر بجاذبيتها على حسب زعمهم. الثاني: أن الشمس تؤثر بإشعاعها -وهذا حق-، وحرارتها معلومة لأهل الأرض، فكيف بمن اقترب منها؟!! فكيف لو جئنا إلى الانفجارات الإشعاعية للشمس على حسب نظرياتهم؟!!

قال صاحب «الموسوعة» (٢٤٥) وهو يتحدث عن الشمس: (تحدث كثيرًا انفجارات إشعاعية، تزيد من شدة الإشعاع بدرجة كبيرة).

وعلى كل: دعوى تواجد السكان عند الشمس دعوى بالغة حد الاستحالة؛ لأن الشمس شديدة الوهج، تحرق ما بعد عنها بمسافات شاسعة، بل هي تكاد تحرق الناس في الأرض، وأيضًا هم يقولون: إن الشمس لو اقتربت منَّا قليلًا، لأحرقت ما على الأرض، فما بالهم سلموا هاهنا بأنها آهلة بالسكان؟!! وما بالهم سلموا للفلكيين أنهم قد وصلوا إليها، وهم يدعون أنهم وصلوا إلى القمر لقربه من الأرض؟! ألا فاعتبروا يا أولي الأبصار. ولا نشتغل بتفاصيل ما يدعونه من مقومات السكنى في الأجرام السماوية؛ لظهور بطلان ذلك.

مسألة: مكان الفلك الذي تسبح فيه الشمس والقمر

لقد دلَّت البراهين القرآنية والنبوية وأقوال أهل العلم، على أن الشمس والقمر في سماء الدنيا، قال تعالى مبينًا أن الشمس والقمر في سماء الدنيا، لا تحتها: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾[الفرقان:٦١]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[نوح:١٦]، وأكثر المفسرين على أن القمر والشمس في سماء الدنيا، وأن الجمع بين قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ﴾، وبين قوله سبحانه: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، هو أن ﴿فِيهِنَّ﴾ المراد به بعضهن وهذا سائغ في اللغة العربية، وأيضًا فإننا نشاهد الشمس والقمر في سماء الدنيا، ولو كانا في غيرها لما شاهدناهما؛ لأننا لا نقدر على مشاهدة ما فوق سماء الدنيا من السماوات؛ لأن كل سماء تحجب ما فوقها، والشمس والقمر يجريان في فلكيهما، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[الأنبياء:٣٣].

وقال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[يس:٤٠]. قال ابن كثير (٦/ ٥٧٩): (يعني الليل والنهار والشمس والقمر، كلهم يسبحون، أي يدورون في فلك السماء. قاله ابن عباس، وعكرمة، والضحاك، والحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني...، قال ابن عباس وغير واحد من السلف: في فلكة كفلكة المغزل).

وقال الألوسي في "روح المعاني" (١٧/ ٤٠) بعد أن ذكر أقوالًا في تفسير الفلك: (والمراد به هنا: ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما والسدي السماء).

فالذي عليه أهل اللغة: أن الأفلاك مدار النجوم، أي: التي تدور فيها النجوم، قال أبوعبيد: (قوله: ﴿فِى فَلَكٍ﴾ فيه قولان فالذي تعرفه العامة؛ فإنه شبهه بفلك السماء الذي تدور عليه النجوم، وهو الذي يقال له القطب، شبه بقطب الرحى). ذكر هذا غير واحدٍ من أهل اللغة، ومما يقوي هذا أن السماء مدورة محيطة بجميع

الأرض.

وأيضًا يقوي هذا ما قاله بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾[المؤمنون:١٧] أن السماء سميت بطرائق؛ لأنها طريق للملائكة، والنجوم، والشمس، والقمر.

وأما القول بأن الأفلاك بين السماء والأرض، فهو قولٌ مرجوحٌ، نسب إلى عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، قال ابن كثير (٦/ ٥٧٩) بعد ذكره هذا القول: (وهو غريبٌ جدًا، بل منكر).

قلت: وقد جاء أيضًا عن حسان بن عطية، إلا أن سنده ضعيف. وإذا اتضح لك هذا ظهر خطأ ما قاله النسفي في «تفسيره» (٢/ ٦٠٣): (والجمهور على أن الفلك موجٌ مكفوف تحت السماء، تجري فيه الشمس والقمر والنجوم).

وقد تبعه على ذلك أبوحيَّان وآخرون.

وهذا القول بني عليه القول بإمكان وصول فلاسفة الفضاء إلى سطح القمر، وهو مرجوحٌ كما ترى.

وأما ما عليه فلاسفة الأفلاك قديمًا من جعل الشمس في الفلك الرابع، ويريدون به السماء الرابعة، والقمر هو أدنى الأفلاك إلى الأرض، فهو تفصيل باطل يرده القرآن الكريم؛ فالشمس والقمر كلاهما في سماء الدنيا.

قال الآلوسي في تفسير ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ﴾[ق:٦]: وما ذكره الفلاسفة المتقدمون من أن الأفلاك أجرام صلبة شفافة لا ترى غير مسلم أصلًا، وكذا كون السماوات السبع هي الأفلاك السبعة غير مسلم عند المحققين.

النظريات المتعلقة بالقمر

نظرية تكوُّن القمر ونشأته

من النظريات التي تحكي تكوُّن القمر، ما ذكره صاحب "الموسوعة الفلكية" (ص٣٤٧): (إن القمر ليس له مجال مغناطيسي، إلا أنه اتضح من دراسة صخور القمر، أنه عند تكوين هذه الصخور من الحمم السائلة منه، من ٣-٤ بليون سنة، كان للقمر مجال مغناطيسي).

وفي نفس المصدر (٣٥٥): (أصبحت دراسة أرض القمر ممكنة؛ منذ أدخلت السفن التي تستطيع النزول فوق سطحه، والعودة إلى الأرض ثانية، وكذلك نزول الإنسان عليه، من خلال ذلك تأكدت المزاعم والافتراضات التي أدت إليها أرصاد أخرى، من أن سطح القمر مغطى بطبقة مسامية ترابية التكوين، ومتكببة نسبيًّا، وفي هذه الطبقة يوجد أيضًا دفين من حطام الصخور، التي تكونت على غرار البازلت الأرضي، أي: من مصهور الصخور، إن ما درس حتى الآن من صخور القمر، يتكون من معادن معروفة على سطح الأرض، إلا أنه وجدت أيضًا بعض المعادن غير المعروفة، وفيما جلبته أبوللو ١١ من عيّنات أرضية بحر الهدوء؛ فإن كل من التيتانيوم، والأسكانديوم، والزركونيوم، واليتريوم، من بين العناصر الشائعة، وعلى النقيض من ذلك: يندر وجود عناصر كل من الصوديوم، والبوتاسيوم، والروبيديوم).

وقال في (٣٥٨): (وعن نشأة القمر، فإننا لا نعرف شيئًا مؤكدًا وقديمًا نوقش كثيرًا، ما يسمى بنظرية المدّ والجزر، وتبعًا لتلك النظرية، فإن القمر انشطر من مجسم الأرض أو جسمها الصلب)، وذكر احتمالات أخر.

وقال في (٤٥٦): (تركت قوى المدّ والجزر بصماتها على القمر، قبل تجمده، أيام أن كان عبارة عن سائل لزج، فكونت فوقه جبال فيضان، تباعدت دوريًّا عن بعضها البعض).

أخي القارئ، ارْمِ بهذه البلايين خلف البحر؛ لأنه مستحيل أن يعرفوا بداية وجود الكون من قمر وغيره؛ لأن الله يقول: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[الكهف:٥١]، وأيضًا لا يمكن معرفة تكون القمر من خلال الدراسات لعيناته؛ لأربعة أمور:

أحدها: لا قدرة لهؤلاء على الوصول إليه حتى يأخذوا من عيناته.

ثانيها: إن المواد التي ادعوا أن القمر تكون منها هي مواد أرضية مختلف فيها.

ثالثها: إن القمر وغيره من المخلوقات لم تركب من هذه المكورات، ولم تخلق منها.

رابعها: كل ما ذكروهُ من تكوين القمر تخرُّصات نطق بها صاحب "الموسوعة"، حيث قال: (وعن نشأةِ القمر، فإننا لا نعرف شيئًا مؤكدًا)، كما سبق؛ فيكفينا أن نأخذ بهذه الحقيقة.

نظرية أرض القمر وأنواع تضاريسها

قال في "الموسوعة الفلكية" (٣٨): (أرض القمر إحدى تضاريس سطح القمر).

وفي المصدر (٤٠) ما نَصُّهُ: (الاستحكامات القمرية من تضاريس سطح القمر).

ومن تضاريسه الخنادق. انظر "الموسوعة الفلكية" (ص١٧٢) و(٢٣٢) ومن تضاريس سطح القمر الحزوز القمرية. انظر "الموسوعة الفلكية" (ص١٥٧).

ومن تضاريسه البحار. انظر "الموسوعة الفلكية" (ص٧٧).

قلت: التضاريس: هي الهضاب والآكام والمرتفعات والنتوء، وهذه لا وجود لها إلا على الأرض، ولكن هؤلاء قوم خرَّاصون ودجالون، بنوا هذا الادعاء على أمور،

ومنها: قياس الكون الأعلى على الكون الأسفل، وهو قياسٌ أبطل من الباطل.

وأيضًا بنوا هذه الدعوى على المحال، قال صاحب "الموسوعة الفلكية" (ص١٥٧): (أحدثت الأرض على سطح القمر وقت أن كان سائلًا موجات جزر، عملت على الإبطاء من سرعة دورانه الأصلية، إلى أن بقيت قمة الموجة فوق نفس المكان من سطح القمر).

قلت: لا يمكن أن يصح هذا؛ لأن الله خلق الأرض قبل خلق السماء، والقمر والشمس والنجوم خلقت مع خلق السماء، ثم إن قولهم: أحدثت الأرض... سائلًا، هذا مبنيٌّ على باطل، وهو أن الأرض جاءت وانفصلت عن السديم المزعوم -الذي لا وجود له حقيقة إلا في تخيلاتهم-، فكم أتعبوا أنفسهم بمثل هذه السفاسف؟!!

نظرية أن القمر يتصدع

وإن تعجب فعجب قول الفلكيين: إن القمر يتصدع، قال في "الموسوعة الفلكية" (٣٥٤): (يوجد أيضًا على سطح القمر تصدعات، أكبرها شهرة هو الحائط الكبير).

قال صاحب كتيب "العلم طريق الإيمان" (ص١٢٨) تحت عنوان "انشقاق القمر الذي جعل رائد الفضاء يعلن إسلامه": (... وعلماء الفلك اليوم يرون أن القمر قد تصدع ويجمعون على هذه الحقيقة).

قلت: انشقاق القمر فلقتين للنبي ﷺ وهو في مكة أمر لا خلاف في إثبات ذلك عند أهل العلم؛ لتصريح القرآن بذلك، وتواتر الأحاديث فيه، قال الله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[القمر:١].

وأما الأحاديث فقد سردها ابن كثير في "تفسيره" (٧/ ٤٧٢) قال وهو يتحدث عن انشقاق القمر: (قد كان هذا في زمان الرسول ﷺ، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وهذا أمر متفقٌ عليه بين العلماء: أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات).

وقال القاضي عياض في "الشفاء" (١/ ٥٨٤): (وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه).

وقال شارح "الشفاء" (٣/ ٤٧٣): (وقال السُّبكي رحمه الله: إنه متواتر، لا يجوز إنكاره).

وكلام العلماء في هذا واضحٌ جدًّا، وخلاصته: أن انشقاق القمر قد حصل في مكة معجزة للنبي ﷺ، ولا غرابة أن ينشق القمر، ليكون ذلك معجزة يؤيد الله بها رسوله محمدًا ﷺ، فقد وقفت الشمس ليوشع بن نون، كما في البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، وانشقاقه آية رآها من رآها من المسلمين والكفار، وقد حصل أن بعض ذوي الأهواء طعن في هذه المعجزة، وأما الفلاسفة الذين يبطنون الزندقة فلا تنتظر منهم أن يقبلوا هذا.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/ ٢٣٢-٢٣٣): (وقد أنكر جمهور الفلاسفة انشقاق القمر؛ متمسكين بأن الآيات العلوية لا يتهيأ فيها الانخراق والالتئام، وكذا قالوا في فتح أبواب السماء ليلة الإسراء، إلى غير ذلك من إنكارهم ما يكون يوم القيامة).

تنبيهٌ: قال بعض المتأولين: إن قوله: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾، أي سينشق، كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾[النحل:١] أي سيأتي، وهذا تأويل مردود بما بعد الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾[القمر:٢] فأفادت الآية أن كفار قريش رأوا انشقاقه، وكابروا بقولهم: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾.

لطيفة: ذكر صاحب كتاب "نسيم الرياض شرح شفاء القاضي عياض" (٣/ ٤٧٣) أن أبا بكر بن الطيب، لَمَّا أرسل رسولًا لملك الروم بقسطنطينية، وقيل له: إنه أَجَلُّ علماء الإسلام، أحضر بعض بطارقته لمناظرته، فقال له: تزعمون أن القمر انشق لنبيكم، فهل للقمر قرابة منكم، حتى ترونه دون غيركم، فقال له: وهل بينكم وبين المائدة أخوة ونسب إذ رأيتموها، ولم ترها اليهود، ويونان، والمجوس، الذين أنكروها، وهم في جواركم، فأفحم ولم يفه بشيء).

أما المآخذ على صاحب المقال في مقاله، فهذا بيانها:

أما ذكره لإجماع علماء الأفلاك، فيقال له: قد سبق أن ذكرنا أن جمهور الفلاسفة أنكروا انشقاق القمر لرسول الله ﷺ، مع أن انشقاقه حق؛ لأنه معجزة للنبي ﷺ، وقد علَّلوا أن الآيات هذه أحكمها الله، فلا يجري لها تغير، وبهذا انتقضت دعوى الإجماع.

وأيضًا لا يلزم من قول بعضهم بانشقاقه موافقة البعض الآخر، وأيضًا سيأتي الكلام على أنه لا عبرة بإجماعهم.

وأما قوله بتصدع القمر، فلو حصل ذلك لرأيناه، كما نرى كسوفه كليًّا أو جزئيًّا، ولأننا نراه هلالًا ابن ليلةٍ فأكثر، فلو تصدع لرأيناه بأعيننا، وإن لم فبالمكبرات، فإذا لم يحصل لنا رؤية تصدعه دلت على عدم وجود تصدع فيه، وأيضًا أخبر الله باستمرارية سلامة الشمس والقمر إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ﴾[إبراهيم:٣٣] ولم يخبر الله عن حدوث تغير في القمر إلا عند قيام الساعة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ * وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ﴾[القيامة:٧-٨]، سوى ما سبق ذكره من كسوفه، ومن انشقاقه معجزة لرسول الله ﷺ، إضافة إلى أن القائلين بتصدعه لم يقيموا على ذلك أي حجة، بل الحجة عليهم كما رأيت.

فمن خلال ما ذكر بَانَ بطلان قول الفلكيين العصريين: إن القمر يتصدع. وهكذا يكون مصير العلوم القائمة على شفا جرفٍ هارٍ، الإزهاق والإبطال!!

نظرية اضطراب القمر في سيره

في «الموسوعة الفلكية» (٤٣) ما نَصُّهُ: (إسراع القمر اضطراب في حركة القمر).

وقال (ص١٥٦): (إن اضطرابات مدار القمر عديدة، ونورد منها الحركة التراجعية لخط العقد، والحركة التبادرية لخط الأوج والحضيض، وذكر أن حركات القمر في مداره السريعة أو البطيئة عملًا بقوانين «كبلر»، وذكر أن التأرجحات

الصغيرة في حركته اكتشفها "تيكوبراهي"، وقال: وأما الاضطرابات غير الدورية فهو اختلاف حركة القمر؛ نتيجة لما اكتشفه "هالي" من إسراع "قرني" (عجلة) يجعل القمر يسبق في حركته بحوالي (٨) كل مائة سنة عما تعطيه النظرية).

والنقض لهذه النظرية بالآتي:

هم وضعوا قوانين تفسر حركة القمر ولما كانت هذه القوانين غير منطبقة تمامًا على حركة القمر المشاهدة، حاروا في أمرهم وتيقنوا خطأ هذه القوانين التي وضعوها، واستكبروا عن أن يصرحوا بهذا فسموا هذه الاختلافات بين القوانين التي وضعوها اضطرابات في حركة القمر، فقاتلهم الله جعلوا ما اخترعوا ووضعوه هو الأصل، جعلوا الحركة المرئية للقمر فرعًا عنها، نسبوا الخلل والاضطراب إلى صنع الله الذي اتقن كل شيء، الخل والاضطراب إنما هو في قوانينهم واختراعاتهم ونظرياتهم. ويكفي كل منصف أن الله عز وجل هو الذي أتقن وأحكم حركة القمر فجعلها في فلك لا تخرج عن ذلك وجعلها دائبة إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء:٣٣].

فلو حصل الاضطراب المذكور للقمر، لأدى ذلك إلى خلل في سيره وأدركنا ذلك، كأن يتأخر غروبه، أو طلوعه، أو يخرج عن فلكه، أو غير ذلك، وليس قولهم هذا بأول خطل في نظرياتهم حول القمر فقد قالوا ما هوأعظم من هذا تصدع القمر بل ادعوا الإجماع على ذلكن والتصدع حقيقة في نظرياتهم لا في صنع الله الذي أتقن كل شيء.

وأيضًا نظريتهم هذه فيها إثبات الضدين (السرعة والبطء) في سير القمر مع أن سيره واحد.

ولا يخفى على القارئ اللبيب ما في هذه النظريات من التهوين من الآيات الكبرى التي أتقن الله خلقها وتسخيرها، أما إنكار بعضهم لخلق الله وتسخيره لها؛ فأمر معلوم متواتر تواصوا به.

نظرية دوران القمر حول نفسه وحول الأرض وحول الشمس

قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (ص١٥٧): (ودوران القمر مقيد، أي: أن مدة دورته حول نفسه مساوية لزمن دورته حول الأرض).

وقال في نفس المصدر والصفحة: (أحدثت الأرض على سطح القمر وقت أن كان سائلًا موجات جزر، عملت على الإبطاء من سرعة دورانه الأصلية، إلى أن بقيت قمة الموجة فوق نفس المكان من سطح القمر).

وقال أيضًا (ص١٥٥): (يتحرك القمر حول الأرض حركة يمينية، في مدار على شكل قطع ناقص قريب الشبه بالدائرة).

وقال أيضًا (ص١٥٥): (لا بد للقمر بعد دورة نجمية كاملة أن يلحق بالشمس التي تحركت أثناء الدورة، في نفس اتجاه حركة القمر).

وقال (ص١٥٥): (ولو نظرنا إلى القمر على اعتبار مركزية الشمس نجده يتحرك في مدار شديد الاضطراب حول الشمس).

قلت: نصَّت هذه النظريات على ثلاث دورات للقمر:

الأولى: حول نفسه.

والثانية: حول الأرض.

والثالثة: حول الشمس.

والذي أدى بهؤلاء إلى أن يقولوا بهذا القول هو إلحاقهم القمر بأصل مادته التي جاء منها -على حسب زعمهم- وهي مادة السدم؛ لأنها تدور حول نفسها، فجعلوا القمر كذلك، أما قولهم بدورانه حول الشمس فهذا من أغلاطهم، لأن الشمس تسير في فلكها الذي جعله الله لها وهو يسير في فلكه، لأن الله يقول فيهما: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[يس:٤٠]، وكونهم جعلوه يدور حولها هو بسبب إلحاقهم دوران القمر بدوران الأرض حول الشمس، باعتبار الجاذبية التي بنوا عليها هذا الدوران؛ لأنهم

يزعمون أن جاذبية الأرض أقوى من جاذبية القمر فجذبته إليها، وجاذبية الشمس أقوى من جاذبية الأرض فجذبتها إليها.

والحق في هذه المسألة الذي دلت عليه الأدلة النقلية والعقلية، هو أن القمر يدور حول الأرض، فهو وإن كان تابعًا لسماء الدنيا وجودًا؛ لأنه فيها، إلا أنه وجد ليضيء لأهل الأرض، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾[الإسراء:١٢].

نظرية الحياة على القمر والتناقض فيها

قال في «الموسوعة الفلكية» (١٦٧): (وعلى القمر لا توجد حياة؛ فغلافه الجوي في غاية من الرقة، ولا يوجد عليه ماء).

قلت: لا شك أنه لا حياة للإنس والجن إلا في الأرض، ولكن تعليلهم لعدم الحياة؛ برقة غلافه الجوي تعليل باطل، وليتهم بقوا على هذه النظرية؛ فإنَّ فيها بعضًا من الصواب، ولكنهم نقضوها بنظريات أخرى سبق ذكر بعضها من أن الحياة ممكنة على سطحه، وأنه يوجد هناك جبال وبحار وخنادق وغير ذلك، وإثبات هذه يدل على صلاح الحياة عليه.

النظرية الثانية: قول صاحب الموسوعة (٣٥٨): (لقد احتل القمر في الزمن الأخير أهمية كبيرة في الأبحاث الفلكية؛ حيث أصبح الوصول إليه ممكنًا برحلات الفضاء، وقد كانت الخطوات الفاصلة في ذلك هي نزول مَلَّاحَي الفضاء الأمريكيين «نيل آرمسترونج»، و«إدويت ألوريت»، في (٢٠/ يوليو/ ١٩٦٩م) عند (١٧ و ٢٠) بالتوقيت العالمي، وذلك في بحر الهدوء، حوالي ١٠ كم إلى الجنوب، من فوهة «سابينا» ثم نزول محطة الفضاء السوفييتية الأوتوماتيكية «لونا» (١٦) في بحر «فوكونديتايتس» يوم (٢٠ سبتمبر ١٩٧٠م) عند (١٨ق/ ٥س) بالتوقيت العالمي، والتي أحضرت الرحلة العائدة معها عينات من صخور سطح القمر إلى الأرض، وكذلك أنزل الإتحاد السوفييتي في

(١٧ نوفمبر ١٩٧٠م) للعربة القمرية «لونوخود» الموجهة أرضيًّا على سطح القمر).

قُلتُ: هذا النزول حقيقة هو نزول إلى بعض الصحاري، كما سيأتي إبطال دعوى نزولهم سطح القمر قريبًا بما لا يدع مجالًا للشك أنَّهم لم ينزلوا سطح القمر.

نظرية جاذبية القمر

قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (٣٦١): (وعجلة الجاذبية التي تؤثر على القمر الموجود على مسافة محدودة من مركز الأرض، تعتمد على مكان القمر فوق سطح الأرض، وعجلة الجاذبية فوق خط الاستواء أكبر منها فوق القطب لنفس البعد عن مركز الأرض، وتسبب فلطحة الأرض في حدوث حركة سبق لمدار القمر).

قلت: نظرية الجاذبية نظرية إلحادية؛ لأنها تسند حركات الكون إلى تجاذب بعضه بعضًا، وإلى تسيير نفسه بنفسه، وهذا هو شرك التعطيل لربوبية الله، قال تعالى في السماوات السبع: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[فصلت:١٢]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾[الفرقان:٦١]، حتى لو قال أصحاب النظريات نحن ما قصدنا التعطيل، إنما هذا حسب ما توصلنا إليه، فالجواب: ما توصلتم إليه باطل، ومؤداه إلى التعطيل المذكور، ولو قلنا نظريتكم باطلة؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ﴾[فاطر:٤١]، لقلتم: الماسك لها الجاذبية، ولو قلتم: خلق الله الجاذبية وهي الماسكة للكون، قلنا لكم: لا نسلم لكم بذلك؛ لأمور، ومنها: أن نظرية الجاذبية لم تثبت لا نقلًا ولا عقلًا ولا حسًّا، وأيضًا قد نقضت بغيرها من جنسها من النظريات، وأعظم مما سبق قد نقضها القرآن والسنة، فأين تذهبون؟!

أكذوبة الوصول إلى سطح القمر

لقد انتشر في ربوع العالم أن روَّاد الفضاء قد وصلوا إلى سطح القمر، والدعاوي سهل قيلها ونشرها، والشأن في إثبات الدعوى بالبراهين النقلية والعقلية.

فها هو صاحب «الموسوعة الفلكية» (٣٥٨) يقول: (لقد احتل القمر في الزمن الأخير أهمية كبيرة في الأبحاث الفلكية؛ حيث أصبح الوصول إليه ممكنًا برحلات الفضاء).

وقوله: (ممكنًا) دليلٌ على عدم تحقق الوصول، أضف إلى ذلك أن صاحب «الموسوعة» ذكر موانع كقوله: (ويتعرض سطح القمر لكل هذه المؤثرات، في حين لا يعمل الغلاف الجوي الرقيق كدرع واقٍ، كما هو الحال في الغلاف الجوي الأرضي).

وغير ذلك من الموانع، ولما كانت هذه الدعوى غريبة على العالم، وأغرب منها غزو الفضاء، كثر الخوض فيها قبولًا وردًّا، وأسعد الناس من حاكم هذه الشطحة إلى القرآن، والسنة، والمعقول، والمحسوس، والمشاهد.

وقد انقسم الناس في هذه المسألة إلى ثلاثة أقسام: قسم ردها، وقسم قبلها، وقسم توقف في قبولها، وإليك أدلة القائلين بردها ورفضها، النقلية، والعقلية، والمحسوسة، والمشهودة:

قال الله في كتابه الكريم: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[نوح:١٦]، و﴿وَجَعَلَ﴾ هنا بمعنى صيَّر، فالله صيَّر القمر في السماء لا في غيرها، وأكثر المفسرين أن القمر في سماء الدنيا، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾[الفرقان:٦١].

وقالوا في قوله: ﴿فِيهِنَّ﴾: أن المراد بذلك الجزء، كما يقال: زيد في المدينة. وهو في ناحية من نواحيها. وقد ذكرنا أن فلك الشمس والقمر في سماء الدنيا وليسا منفصلين عنها، وأنهما مما شملهما الحفظ لهما من شياطين الجن، كما حفظت السماء.

فإذا اتَّضح أن القمر في سماء الدنيا؛ فقد دلت البراهين على أن البشر عاجزون عن الوصول إليها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾[الحجر:١٤-١٥]، وجه الاستدلال بهذه الآية: أن الله أخبر أن صعود الكفار إلى ملكوت السماوات لا يكون إلا معجزة من المعجزات؛ لأنهم لا يقدرون على الوصول إلى هذا العالم العلوي إلا بهذا.

ومن الأدلة أيضًا، قوله تعالى مخاطبًا الكفار: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾[الطور:٣٨]، وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ * جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [ص:١٠-١١]. فقوله: ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟﴾: هو أمر تعجيز، و﴿ٱلْأَسْبَٰبِ﴾: الطرق والوسائل التي توصل إلى السماوات، وقوله: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ﴾: فـ(ما) هاهنا تفيد العموم، أي: أي جند يصل إلى ذلك المكان، وهو سماء الدنيا، فهو مهزوم، فالهزيمة متحققة لمن يريد الوصول إلى سماء الدنيا.

وهذه الآية تخاطب الكفار المناوئين لرسول الله ﷺ قديمًا وحديثًا؛ فيدخل فيها ملاحدة الأفلاك في هذا العصر بلا ريب.

ومن البراهين أيضًا: قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ * لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[الصافات:٦-١٠]، وقال تعالى: ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ * إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾[الحجر:١٧-١٨]، وقال تعالى مخبرًا عن الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[الجن:٩].

فهذه الآيات تتحدث عن أنه شدَّد على الجن، الذين يصلون إلى سماء الدنيا؛ ليسترقوا السمع، وأنهم يطردون من السماء، بل ترسل عليهم الشهب المحرقة لهم، فلو وصل إليها شياطين الإنس، لأرسلت عليهم الشهب أيضًا، وقد يقول قائل: هذه

الآيات تنصُّ على أن الشهب ترسل على شياطين الجن، فكيف جعلتها أيضًا في شياطين الإنس؟ والجواب: الآية شاملة للإنس والجن، وكونها نصَّت على الجن، هو باعتبار أنهم يقدرون على الوصول إلى القرب من سماء الدنيا، بخلاف الإنس؛ فهم لا يقدرون على ذلك قديمًا وحديثًا.

فمن أثبت وصولهم قلنا له: ما المانع أن يحصل لهم ما حصل لإخوانهم من شياطين الجن؛ لشمول الحكم عليهم، بأنهم شياطين مردة.

ومما يدل على عدم الوصول إلى سطح القمر أن المسافة التي بين الأرض والسماء خمسمائة سنة، كما جاء ذلك في أحاديث، وهي بمجموعها صالحة للاحتجاج.

والآلات الفضائية التي معهم لا تتجاوز عشر معشار هذه المسافة؛ لأن مسافة صعودهم بمقدار عشرة أيام، وهناك من يزيد أو ينقص على هذا، وهي مسافة ضئيلة جدًّا بجانب خمسمائة عام.

تنبيهٌ: رواية: «**إِنَّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ سَنَة**» ضعيفة؛ لأنها من طريق عبد الله بن عَمِيرَةَ، وهو مجهول عين؛ لم يروِ عنه سوى سماك.

ومما يدل على عدم وصول فلاسفة الأفلاك إلى سطح القمر: أنهم تحدثوا عما وجدوه في سطح القمر بأقوال في غاية البطلان، ومن ذلك ما قاله صاحب كتيب «العلم طريق الإيمان» (ص١٥): (تقدم البحث الآن... فماذا وجدوا؟ فبعد أن نزلوا في محطات في الكواكب في المجموعة الشمسية ماذا وجدوا؟ وجدوا أن القمر في حالة تمثل حالة الأرض قبل ثلاثة بلايين عام، وأن الكواكب كلها تعتبر في حالة بدائية جدًّا بالنسبة للأرض، فإذا رجعنا بعجلة الزمن إلى الخلف نرجع ثلاثة بلايين سنة، حتى تكون الأرض كالقمر، فكيف كان القمر؟ وكيف كانت الأرض؟ كانت في حالة سديمية دخانية، هذا ما ذكره لي مدير مرصد طوكيو، بروفيسور «يوشدوكوازي»).

قلت: لقد تضمن هذا الكلام أباطيل، ومنها ما يخص موضوعنا هذا وهو قولهم: إن القمر الآن على الحالة البدائية، أليس الله يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً

وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾[يونس:٥]، ويقول: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾[الفرقان:٦١]، فمن نصدق: ربنا الذي أخبر عما خلق وهو اللطيف الخبير، أم هؤلاء؟!! فربنا أخبر أن القمر نور، وهو كذلك منذ جعله الله قمرًا، ونحن نشاهد ذلك بأم أعيننا، فإذا قبلنا كلامهم المذكور بطلت العلوم الشرعية، والدلائل الأخرى العقلية والحسية والمرئية، بل نحن نشاهد القمر في حال ضعفه وقوته من أول بداية الشهر إلى آخره، وهذه المشاهدة هي المتفقة مع القرآن، قال الله: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾[يس:٣٩].

ومما يدل على أنهم واهمون في دعوى وصولهم إلى القمر قول أحد رواد الفضاء الروس: (ولكن يجب أن يعلم الجميع: أن القمر جِرْمٌ صغير تابع للأرض، وكأنما هو ضاحية قريبة من ضواحيها؛ إذ لا يبعد عنا بأكثر من (٢٤٠) ألف كيلو متر). نقلًا من كتاب "تكنولوجيا الفضاء" (ص٢٢٥).

قلت: بين الأرض والقمر مسافة خمسمائة عام تقريبًا، كما تقدم أن المسافة بين السماء والأرض خمسمائة عام، والشمس والقمر في سماء الدنيا وليسا معلقين في الجو، فإذا تقرر أن القمر في سماء الدنيا، فالمسافة بين السماء والأرض بتقدير أهل عصرنا تبلغ أكثر من سبعة ملايين، وبعضهم قدرها بتسعة ملايين كيلو متر، فانظر كم الفارق بين ما ادعاه صاحب المقال، وبين ما جاء عن الرسول ﷺ.

ومما يدل على عدم وصولهم إلى سطح القمر: أن القمر ليس له سطح، وإنما له فلك يجري فيه، قال الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[الأنبياء:٣٣]، فالقمر له فلك يجري فيه، طلوعًا وغروبًا، هلالًا وبدرًا واستسرارًا، فإن عنوا بالسطح الفلك الذي يجري فيه القمر، قلنا لهم: الفلك لا يقال له سطح، لا لغةً، ولا عرفًا، وكيف يكون فلكُ القمر سطحًا، وهم يدعون أنه يوجد في سطح القمر أشياء أرضية، من جبال وبحار وغير ذلك؟!! كما في "الموسوعة الفلكية" (٣٥٣-٣٥٥).

ومما يدل على فساد قولهم: أنهم وصلوا إلى سطح القمر، أن رواد الفضاء أجمعوا على أن القمر يتصدع، وهم المتصدعون أما القمر فلا تصدع فيه إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ﴾[إبراهيم:٣٣]. ومما يدل على ذلك أيضًا: أنهم يدعون أنهم سيسكنون عند القمر، وأنهم ستصير لهم مدن، وهذا غير صحيح؛ لأن الله جعل محل السكنى للإنسان في الأرض، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ﴾[الأعراف:١٠]، وقال تعالى: ﴿فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ﴾[الأعراف:٢٥]، وأيضًا الشمس والقمر سيارات في أفلاكهن، فكيف يمكن أن يسكن في الفلك أحد من الخلق.

ومما يدل على تخبطهم ما ذكره صاحب "الموسوعة الفلكية" (٣٤٩) وهو يتحدث عن تواجدهم عند سطح القمر: (فقد أمكن على سبيل المثال مشاهدة انفجار غازي في فوهة القوس)، أي: في أماكن البراكين. ومما يدل على عدم وصولهم إليه: دعواهم أنهم وجدوا زجاجات، قال في "الموسوعة الفلكية": (٣٥٦): (تحتوي أرض القمر على الكثير من الأجسام الزجاجية).

وأيضًا قولهم: إنهم وجدوا النيازك التي ارتطمت بسطح القمر. المصدر السابق. والنيازك: هي قطع النجوم المتناثرة، ويلزمهم على هذا: أن القمر مركز.

ومما يدل على ضعف ادعائهم هذا: أنهم يذكرون أنهم وصلوا إلى سطح القمر، ولا يذكرون أنهم وصلوا إلى الشمس، فلزمهم التناقض؛ لأن الشمس والقمر كلاهما في سماء الدنيا، وكلاهما يجريان طلوعًا وغروبًا في فلكيهما، ولكلٍّ منهما منازل في المشرق والمغرب.

ومما يدل على عدم وصولهم إلى القمر: أنهم بنوا هذه الدعوى على قول فاسد، ألا وهو أن القمر قريب من الأرض، بخلاف قرينه الشمس، فهي عندهم بعيدة، مع أن حقيقة الأمر بخلاف هذا، فبعد القمر عن الأرض كبعد الشمس، هذا ظاهر الأدلة، ولا عبرة بقول أصحاب الأفلاك: إن الشمس في الفلك الرابع، أو الخامس. يعني:

في السماء الرابعة أو الخامسة، والقمر في الفلك الأول. ولا ننفي وجود تباعد بينهما مع أنهما جميعًا في سماء الدنيا.

فكيف تكون الشمس في السماء الرابعة، ونحن نشاهد الشمس بأبصارنا في السماء الدنيا؟!! وأما دعواهم أن السماوات شفافة فهذا ينافي أنها بناء وينافي أنها سميكة، قال الله في كتابه الكريم ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾[النازعات:٢٨]، والسمك هو الثخن.

ومما يبطل زعمهم في وصولهم إلى القمر: نظرية الجاذبية فهم يقولون: لا يفلت منها أحد، فكيف فلتوا منها، حتى وصلوا إليه، فهذا تناقض منهم، وهكذا نظرية تنقض الأخرى.

وقد رد زعمهم الباطل في الوصول إلى سطح القمر الخبير بكذبهم، ألا وهو "بلكسنج" الغربي في كتابه "لم نهبط على القمر"، ومما قاله في كتابه "الفرقان" (ص٣٠٧-٣٠٨): (إن المشاهد المتعلقة بهذه المرحلة إنما هي مثل إعداد تصوير الأفلام السينمائية في "هوليود" تمامًا، ولقد أنفقت الولايات المتحدة مبلغ ثلاثين بليون دولار لإعداد العربات، والبيئة القمرية، ومشاهد الأرض الفوتوغرافية، مما مكنها من إقناع العالم، بأنها حقيقة لا خيال، ولقد أدهشت العالم وحريته).

وقبلها قال: (وَتَمَّ تصوير وتسجيل هذه المشاهد وكل الأحداث شبه الخيالية، من تجول ركاب السفينة على سطح القمر... قبل عدة أشهر من المهمة في منطقة تبعد (٣٢) ميلًا شرقي صحراء "نيفادا"، وكان الاسم السري الذي أطلق على هذه العملية "مشروع أبوللو المثير").

وفي المصدر نفسه (٣٠٥) أن "سميسون" الغربي قال: (إن قضية الوصول إلى سطح القمر خدعة، وإن عشرين مليونًا من الأمريكيين ينكرون الوصول إليه).

وأيضًا ردت عليهم مجلة "هنا لندن" بقولها: (وحيال هذه الأرقام التي تفوق التصور، يحسن بالناس عندما يتحدثون عن غزو الفضاء بمركبات فيها أحياء من

الأرض أن يقللوا من غلوائهم، ويعرفوا قدر أنفسهم).

قال صاحب كتاب "قصة الخلق" (ص٤٥٠): (إن هؤلاء الفضائيين أصيبوا بخيبة أمل ولكنهم لا يعلنون ذلك، ولكن يقولون: إن السفر إلى القمر سيصبح كأنه رحلة إلى بلد ما على الأرض، وهم كاذبون؛ لأنهم بعدما وجدوا أنه لا جدوى، ولا طائل وراء القمر، ولا مقابل للرحلة الشاملة، والمكلفة والمهلكة، توقفت رحلاتهم إليه منذ زمن، وراحوا ينفقون الأموال المرصودة لأبحاثهم، في رحلات مكوكية حول الكواكب، ودون أن يسافروا فيها لمخاطرها).

وقد رد على القائلين بالوصول إلى سطح القمر غير واحد من العلماء، المؤلفين في الرد عليهم كالشيخ التويجري في كتابه "الصواعق الشديدة" (١١٤-١١٥)، والشيخ عبد الكريم بن صالح الحميد في كتابه "الفرقان في بيان إعجاز القرآن" (ص٣٤٥)، والشيخ يحي الحجوري في كتابه "الصبح الشارق".

فبهذا الإيضاح والبيان، يتحقق لدى الباحث عن الحق أن دعوى الوصول إلى سطح القمر دعوى مردودة، بنصوص الكتاب، والسنة، والعقل، والحس، والمشاهدة، وبكلام أهل العلم، وبكلام الباحثين عن الحقائق من أهلها، فهل يبقى عند أحد شكٌّ في هذا؟! فكم قضايا ترد، بل وتحارب، وأدلتها أقل من هذه بكثير!!!

وعلى كل: من تحرى الصواب في هذه المسألة وجده أبلج من نور الفجر، ووالله! ما ازددنا بعد البحث والتحري إلا اقتناعًا بفساد هذه الدعوى، وهل يرد الباطل إلا سلوك هذا الطريق، التحري والبحث وإنشاد الحقيقة.

وأما الذين توقفوا في قبول كلام فلاسفة الأفلاك في الوصول إلى سطح القمر فالسبب في توقفهم، أنهم لم يجدوا عند القائلين بالصعود إلى سطح القمر حجة قوية تقنعهم، وأيضًا ظنُّوا أن هذا يحصل بالإمكان، فهذا الصنف ما بينه وبين الرفض لهذه الأكذوبة إلا إيضاح الحقيقة له، ولا أظن أنه بعد الإيضاح المذكور يتأخر عن الجزم ببطلان دعوى الوصول إلى سطح القمر.

وأما الذين قالوا بصحة كلام الواصلين إلى سطح القمر، فلم يأتوا بدليلٍ يصلح للاحتجاج، وكان غاية ما عندهم الاستدلال بدعوى الوصول إليه، وقد أخطئوا خطأين:

الأول: تسليمهم لمدعي ذلك، قبل التحقق من صحة ذلك بالأدلة والبراهين.

الثاني: وهو أكبر من سابقه: أنهم ذهبوا يبحثون عن آيات؛ ليستدلوا بها على تصحيح الدعوى المذكورة، دون النظر إلى سباق تلك الآيات وسياقها وما بعدها، ودون الرجوع إلى كلام أهل التفسير، فأتعبوا أنفسهم، وأتعبوا العلماء في بيان خطئهم، وتجاوزوا الحدود الشرعية في الاستدلال بكلام الله، وكلام رسوله ﷺ على باطل، وبالغ بعضهم فجعل من يرد على أصحاب الهيئة عدوًّا لكل جديدٍ، وحكموا بالجهل على من لم يفهم فهمهم.

وإليك بيان ما استدلوا به من القرآن، وهم غالطون في ذلك كله:

فما استدلوا به: قوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾[الرحمن:٣٣]، وأكثر المفسرين على أن الآية تتحدث عن يوم القيامة، بدليل سباقها، وسياقها، وما بعدها، وأن السلطان فيها الراجح أنه: القوة. وأن الصعود إلى الفضاء ليس سلطانًا.

وهذا شيءٌ من الإيضاح لذلك:

فالآية في سياق أحداث يوم القيامة؛ بدليل ما قبلها، قال تعالى: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾[الرحمن:٣١]، وبالإجماع أن هذا يوم القيامة، والآية المذكورة في استدلالهم بعد الآية التي ذكرتها، وبعد آية النفوذ، قوله تعالى: ﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾[الرحمن:٣٥]، واستمرت الآيات في ذكر أحداث يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ﴾[الأنعام:١٢٨] خطاب للجن، وقدم ذكرهم على الإنس؛ لأنهم أقدم من الإنس زمانًا، وهم الذين يقدرون على الطيران، وسرعة الحركة.

وقوله: ﴿وَٱلْإِنسِ﴾[الأنعام:١٣٠] خطاب للإنس السابقين، واللاحقين، وأصحاب الفضاء إنما هم أفراد في عصرنا، فكم من أمم الإنس لم يحصل هذا لواحد منهم؟!! فلا يجوز حصر الخطاب عليهم. وقوله: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[الرحمن:٣٣] معناها: أنهم لا يستطيعون، مع العلم أن الجن يقدرون على الطيران إلى قرب السماء الدنيا، وهذا في الدنيا، ويهربون من الشهب في نواحي الأرض، فلو كانت الآية تتحدث عن النفوذ والصعود في الدنيا، لكانت معارضة بالآيات التي تتحدث عن وصول الجن إلى محل يسترقون السمع، قال تعالى مخبرًا عنهم: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[الجن:٨-٩].

والقرآن ينزه عن أن يكون متعارضًا بعضه مع بعض، وقوله: ﴿أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الرحمن:٣٣] النفوذ هنا هو: الخروج، والأقطار: النواحي والجهات والأطراف، وهذا النفوذ لم يقدر عليه لا الجن ولا الإنس في الدنيا ولا في الآخرة، فلم يجعل أصحاب التلبيس الصعود إلى الجو نفوذًا؟! الجواب: لأنهم يجعلون السماوات التي في الآية أجرامًا وليس طباقًا، ويجعلون الفراغ الذي بين السماوات والأرض فضاء لا نهاية له، فهم بهذا التحريف قد خرجوا من الغلاف الجوي الأرضي، وهذا عندهم خروج من أقطارها، وسبحوا في الفضاء المزعوم.

وعلى هذا: فالاستدلال بالآية ليس مراد المستدلين بها على ما سبق ذكره، ولكن يلبسون على الناس أنهم لا يخرجون عن القرآن والسنة، وإذا كانوا قد حملوا السماوات على ما ذكرنا، والأقطار على ما قلنا، فلا يحاجون بالآية أصلًا، ويبطل ما عندهم بأدلة أخرى سبق ذكرها).

وقوله سبحانه: ﴿فَٱنفُذُوا۟﴾[الرحمن:٣٣] تعجيز لهم، معناه: أنهم لن يقدروا أبدًا، وهذا هو الحق. وقوله: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾[الرحمن:٣٣] ولا سلطان لهم، فإن قال الذين يشغبون على الآية: السلطان: القدرة بالسفن الفضائية، قيل لهم: قدرة

الجن على الطيران أعظم من قدرة المكوك بأضعاف مضاعفة، ومع هذا لم يعتبر سلطانًا، وهذا يدل على أن الآية في يوم القيامة. وقوله: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾[الرحمن:٣٥] دليل أن هذا يوم القيامة؛ لأن الجن عندما يصعدون في الدنيا إلى السماء ترسل عليهم الشهب، وهي النجوم المحرقة، لا الشواظ من نار، فالتفريق بين ما يرسل عليهم في الدنيا، وبين ما يرسل عليهم في الآخرة، دليل على أن الآية تتحدث عن يوم القيامة. وقوله: ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾[الرحمن:٣٥] دليل على عجزهم، وهذا في يوم القيامة، أما في الدنيا فهاهم الجن يهربون في بعض الأحايين، وينجون من الشهب.

أخيرًا: انظر كيف يتلاعب بكلام الله من حرم التوفيق والسداد!!

ومما استدلوا به على صعود القمر: قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[الانشقاق:١٩] زاعمين أن معنى الآية: لتركبن أيها الناس طبقًا أي: سماء بعد سماء، عن طريق الاختراق لهن بمراكب الفضاء، المراد بالسماء هنا: الأجرام، لا الطباق السبع، وعلى هذا فلا يصلح الاستدلال بالآية؛ لأن الأجرام ليست طباقًا. وأكثر المفسرين المتقدمين والمتأخرين أن الآية تعني حال الإنسان من حين يولد إلى دخوله الجنة والنار، ولم يحصل أن المفسرين أشاروا إلى أن الآية المذكورة تدل على ما قال المقلدون للأعداء أرباب النظريات، ثم إن الآية على زعمهم تتحدث عن السماوات السبع، وهم يدعون أنهم قد اخترقوها، فهذه دعوى أوسع من دعوى الوصول إلى سطح القمر؛ لأنهم يهونون على الناس بقولهم: إن القمر قريب من الأرض، فما لهم قالوا شططًا هاهنا؟!! فالآية ليس فيها أدنى إشارة إلى ما قالوا.

ومما استدلوا به أيضًا: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾[الشورى:٢٩] قلت: يقال في المثل: (الغريق يتشبث بطحلب). وهؤلاء يتهافتون ويهجمون على الآيات هجومًا، فيفسدون معناها، وسيأتي أن المفسرين أجمعوا على أن هذه الآية في الحشر يوم القيامة. فما لهم وللقرآن والسنة، وهم جاهلون بمعانيهما؟!! وسيأتي إيضاح

لهذه الآيات التي ذكرناها هنا، في فصل تحريف معاني الآيات من أجل النظريات.

وبقيت استدلالات أبعد مما ذكرنا، فلا نشغل أنفسنا بها، ولولا أننا نرى أن من يحسن الظن بهؤلاء الكُتَّابِ قد يتأثر بكلامهم، لما رددنا عليهم؛ لظهور باطلهم.

وكثر الكلام والنقض في الفترة الأخيرة لهذه الأكذوبة في الغرب، وكان أكثر ما اعتمد عليه الرادُّون لهذه الأكذوبة الصور التي تزعم وكالة ناسا الأمريكية أنها التقطت لسطح القمر، فهذه الصور تبَيَّنَ بعد الفحص والتدقيق أنها ملفقة وليست صورًا حقيقية، ومن أهم ما طعن به هؤلاء في هذه الصور الآتي:

- عدم وجود نجوم بالتوزيع المعروف للنجوم في سماء الصور الملتقطة.

- عدم توزع الإضاءة على سطح القمر المصور بشكل متساوي، مع أن مصدر الإضاءة على سطح القمر عندهم إنما هو الشمس، ومن المعلوم أن الشمس عندما تضيء فإن الإضاءة تتوزع على كل الجهات المواجهة لها بشكل متساوٍ. استدل بذلك على أن الإضاءة لم تكن من الشمس ولكن من مصادر أضواء السينما التي تركز الإضاءة في جهات معينة وتخلو منها جهات أخرى.

- وجود لمعان على حذاء صور أحد الفضائيين المزعومة وهذا اللمعان إنما يكون عن مصدر إضاءة قريب ولا يكون من الشمس.

- توزيع الظلال على سطح القمر في الصور ليس متكافئًا، فظل أحد الفضائيين أكبر بمقدار ٢٠% من ظل رفيقه، وهذا لا يحصل بضوء الشمس، وإنما يحصل إذا كان مصدر الضوء قريبًا.

- المستوى الذي يقف عليه أحد الفضائيين يميل بدرجة كبيرة عن الأفق الذي يرى خلفه.

-وجود إضاءة في مواضع من الصور، يفترض أن تكون مظلمة لأن الظل أمامها.

- وجود تماثل تمام في صور كثير من الصخور، مما يعني أنه تم تكرارها عمدًا عند

المونتاج.

- أثر حذاء الفضائيين بقي ثابتًا في الصور، وهذا لا يحصل إلا في وجود الماء، وهم يقولون لا ماء على القمر.

- العلم الأمريكي يرفرف على سطح القمر، ولا وجود للرياح في القمر حتى يرفرف العلم.

- وجد في أكثر الصور بعد الفحص علامات (+)، وهي التي تستخدم في المونتاج وضم صورة إلى أخرى، ووجد أن بعض هذه العلامات مغطاة جزئيًا ببعض أجزاء الصورة (كالمركبة التي ادعوا أنهم أنزلوها على سطح القمر)، مما يدل على بصمات التلاعب بالصور.

- الصخور التي ادعوا أنهم أتوا بها من القمر تحتوي على الماء أيضًا، وهم يقولون لا ماء في القمر.

وقد كثرث المواقع على الإنترنت التي تفضح هذه الأكذوبة، وكذلك صدرت أفلام تسجيل تبين التلفيق الذي تم للصور، وصدر في ذلك كتاب أيضًا ولكن وكالة ناسا الفضائية قامت بسحب الكتاب من السوق، حسبما نشر في موقع BBC على الإنترنت.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

النظريات المتعلقة بالنجوم والكواكب

نظرية نشأة الكواكب والنجوم وكيفية وجودها

قال صاحب كتاب «الموسوعة الفلكية» (٤٣٩) ما نصه: (ليست هناك نظرية متكاملة عن نشأة مجموعة سكة التبانة، ولكن توجد فقط وجهات نظر نوعية معينة... فقد نشأت مجموعة سكة التبانة عن طريق انكماش كرة غازية كبيرة مكونة أساسًا من الهيدروجين، وخليط بسيط من العناصر الأخرى، أغلبها الهليوم، وذلك منذ حوالي ١٠-١٥ بليون سنة).

وذكر في الصفحة نفسها أنها نشأت بتفاعل نووي داخل النجوم.

وفي المصدر السابق (ص٣٧٧) ما نَصُّهُ: (إن نظرية نشأة النجوم لا تزال حتى الآن غير مستكملة... ولا بد من محاولة البحث عن بعض العمليات التي يمكن أن تلعب دورًا أثناء نشأة النجوم، من ذلك ما يفترض الآن من أن النجوم نشأت من مادة مبعثرة، وبتواجد كل من الغاز والغبار المبعثرين حاليًا).

وفي المصدر نفسه (٣٨٠) قال وهو يتحدث عن نظرية نشأة الكواكب: (أما نظرية «لابلاس» والتي تسمى أيضًا بنظرية السديم، فتفترض أن الكواكب نشأت تباعًا أثناء انكماش سحابة بطيئة الدوران، وتحت تأثير جاذبيتها).

وقال: (أما الفيزيائي «فون فيراكر» فقد واصل تفكيره حول أن الشمس والكواكب قد نشأتا من نفس السديم، وذلك في نظريته الاضطرابية حوالي عام ١٩٤٤م).

وقال أيضًا في المصدر نفسه (٣٨١): (وتعد أحسن نظرية حاليًا: ما طوره الأمريكي «كيبر» عن كسموجنية المجموعة الكوكبية، وتبعًا لتلك النظرية فإن عنصرًا كرويًا يمثل

السديم الأول، انفصل عن مادة ما بين النجوم التي تسود فيها حركة داخلية عشوائية، وكانت الكتلة في هذا العنصر أكبر من كتلة المجموعة الشمسية كلها، ويمكن بسهولة إيضاح أن هذه الكتلة كنتيجة للدوران وتأثير الجاذبية والاحتكاك الداخلي للغازات، قد انكمشت بسرعة عالية نسبيًا إلى قرص عدسي الشكل تمثل أجزاؤه القريبة من المركز الشمس الأولى).

قلت: هذه النظريات دلت على أن نشأة النجوم جاءت عن طريق المواد والعوامل الآتية:

١- السديم. ٢- الغاز. ٣- الغبار. ٤- الجاذبية. ٥- مواد أخرى.

فهذه المواد يذكرون أيضًا أن غير النجوم أنشئت منها؛ فليست خاصة بالنجوم، وخلق النجوم والكواكب ونشأتها من المذكورات، ليس فيه أي ذكر أن الله خلقها وأنشأها، وهذا هو الإلحاد. وأيضًا يذكرون المواد التي أنشئت منها النجوم، ولا يذكرون دليلًا على ذلك. وهذا هو التكلُّم بجهل، والبناء على باطل. وأيضًا اختلاف النظرية في المواد التي أنشئت منها النجوم مَرَدُّهُ إلى مادة السديم، وقوة الجاذبية، وقد تقدم أنهما أساس ضلال أصحاب النظريات، ولا وجود حقيقة لهما إلَّا في تخيُّلِ أصحابها.

أما خلق النجوم في القرآن فهو تابع لخلق السماوات في يومين، قال الله في خلقه السماوات: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[فصلت:١٢]،.

نظرية حركات النجوم والكواكب واضطرابات مدارها

قال صاحب "الموسوعة الفلكية" (٥٧٨) وهو يترجم للفلكي الإنجليزي "هالي إدموند": (... واكتشف الحركة الذاتية للنجوم الثوابت).

وقال أيضًا (ص٧٥) في ترجمة "أويلر": (وبجانب أعماله الفذة المتنوعة في الرياضيات، قام "أويلر" ببحوث فلكية، مثلًا عن اضطرابات مدارات الكواكب).

وقال أيضًا (ص٤٥٦): (يجب التمييز بين المدار الحقيقي للجِرْمِ السماوي، أي: الطريق الذي يسلكه حقيقة في الكون، وبين المدار الظاهري أي: الطريق الذي رسمه ظاهريًّا على الكرة السماوية).

وقال في (ص٤٤٢) ما نَصُّهُ: (من خلال الاضطراب الدائم الذي تحدثه الكواكب الكبيرة، وعلى وجه الخصوص المشتري كبير الكتلة، على مدارات الكواكب التي تظل معظم الوقت بالقرب منها، أي: في الأجزاء الداخلية من المجموعة الشمسية، تكونت علاقة وطيدة بين مدارات الكواكب الكبيرة ومدارات الكويكبات، أو بين الكواكب وبعض المذنبات).

قلت: لا يصلح أن ينسب إلى النجوم والكواكب الاضطرابات لمخالفة هذا لما علم من إتقان الله لهذه المخلوقات، والاضطراب ينافي هذا، وأيضًا قال الله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾[الواقعة:٧٥] فعلى أن المراد بالنجوم: النجوم السيارة، فلو كانت مضطربة لما وصلت إلى مواقعها، وأيضًا لو كانت مضطربة لما تحقق للناس الاهتداء بها، والاضطراب حقيقة هو في هؤلاء الفلكيين، وفي وسائلهم المتطورة زعموا، فهم الجديرون بذلك، وأيضًا إخبارهم أن الكواكب كوَّنت علاقةً وطيدة بينها وبين الكويكبات والمذنبات، هو من جملة الدلائل على إنكارهم ربوبية الله لها.

نظرية المجموعات النجومية وما يتعلق بها

قال صاحب: "الموسوعة الفلكية" (ص٤٤٤) معرفًا المجموعة النجومية: (هي تجمعات من ملايين قليلة إلى مئات البلايين من النجوم).

ضع -أيها القارئ- الملايين المذكورة ومئات البلايين في حسبانك؛ لأنه سيأتي أن النجوم غير المجتمعة أعداد كبيرة، والمجرات بالمليارات، وانظر إلى لفظة (تجمعات) ينسبون تجمعها إليها؛ لأنها عندهم مدبرة لنفسها.

تقسيم المجموعات النجمية عند الفلكِيِّينَ

قال في "الموسوعة الفلكية" (٤٤٤-٤٤٥): (التقسيم في أثناء تنظيم المجموعات النجومية إلى أقسام معينة... بذلك قسم "هبل" المجموعات النجومية إلى نوعين كبيرين، إحداها: المجموعات النجومية المنتظمة. وثانيها: المجموعات النجومية الغير منتظمة، وتنقسم المنتظمة إلى نوعين: ١- السدم الأهليجية. ٢- المجموعات النجومية الحلزونية). وذكر في (ص٤٤٥) تقسيمًا "لمورجن" قريبًا من هذا.

والمجموعة الحلزونية قال فيها صاحب "الموسوعة الفلكية" (٤٤٠): (هي مجموعة نجومية ينتظم حول نواتها اثنان أو أكثر من الأذرع الحلزونية).

وقال في الأذرع: (هي أحد الأشكال المميزة لمجموعة معينة من المجموعات النجومية) (ص٢٦).

قُلتُ: وهذا التقسيم أسنده الفلكيون إلى النجوم نفسها، وهو يُنافي اعترافهم بربوبيَّةِ الله.

عدد المجاميع النجومية

قال في "الموسوعة الفلكية" (٤٤٦): (تأكد أن مجموعة سكة التبانة واحدة من ملايين المجموعات النجومية).

وقال في (ص٤٥١): (يتضح من المعلومات الإحصائية لمجموعات "هبل" النجومية أن عدد المجموعات يزداد كلما زاد العرض المجري).

قلت: إذا كانت المجموعات بالملايين، فكم ستكون النجوم التي تزيد في كل مجموعة؟! وإذا كانت حسب كلامهم؛ فكم ستكون مع هذه الزيادة، وأنت تعلم أنَّهُ لا زيادة في خلق النجوم وغيرها من الكائنات، وليس عندهم أي دليل على ذلك إلَّا الإلحاد أنَّ مادة السديم تنتفخ وتتفجَّر.

المجموعات النجومية المريضة

قال في "الموسوعة الفلكية" (٤٤٦): (وهناك بعض المجموعات النجومية غير المنتظمة، التي يغلب على تكوينها أجسام الجمهرة، ولما كنَّا حتى الآن لا نجد أي تعليل لهذا التكوين، فإن هذه المجموعات النجومية تسمى أحيانًا بالمجموعات المريضة).

قلت: المراد بالجمهرة المتشابهة، كما في "الموسوعة الفلكية" (١٤٧)، وهذا الاصطلاح أدخله الفلكي "باري" عام (١٩٤٤م)، كما في "الموسوعة الفلكية" (١٤٨).

ونحن لا نسلم بأن النجوم منتظمة وغير منتظمة، بل نسلم بأن النجوم خلقها الله بإحكام وإتقان عجيب، وجعلها ما بين مجتمعة ومتفرقة ومتقاربة ومتباعدة، وهي كلها في السماء الدنيا؛ لأن الآيات الكثيرة تنص على أن النجوم زينة السماء الدنيا.

تحديد المسافات بين المجامع النجومية:

قال في "الموسوعة الفلكية" (٤٤٧): (يمكن تحديد المسافات بالنسبة للمجموعات النجومية التي يزيد بعدها عن حوالي ١٥ مليون بارسك، من مجموعة سكة التبانة).

وقال: (فإن المسافات المقاسة للمجموعة النجومية مليئة بالأخطاء الكبيرة، وبالنسبة لأبعد المجموعات النجومية عن مجموعة سكة التبانة تلك المجموعات التي لا نكاد نصل إليها بالمناظير الموجودة حاليًا).

والبارسك: قال فيه صاحب "الموسوعة الفلكية" (٧٦) وهو يعرفه: (وحدة طول فلكية لقياس أبعاد النجوم) وهذا البارسك يقاس بالسنة الضوئية -على حسب زعمهم-، فإذا كان هذا التباعد بين المجموعات النجومية عن درب التبانة يقدر بخمسة عشر مليونَ بارسكٍ، فلن تكون هذه المجموعات في السماء وما بينها؛ لأنهم قدروا المسافة بين الأرض وسماء الدنيا بسبعة مليون، وبعضهم بتسعة مليون كيلومتر،

وهم قدروا هذا التقدير باعتبار أن المجامع في الفضاء اللانهائي، وعلى هذا فلا تستغرب من سرعة جرأتهم بذكر الملايين البارسكية؛ لأنهم يحيلون الناس إلى ما لا نهاية له عندهم، ففي نظرهم إنه لا خطر عليهم في توزيع بلايينهم، وأما المسلمون المدركون لهذه التناقضات فلا يقبلون هذه التقديرات؛ لأن الفلكيين لا يقدرون على تحقيقها، وأيضًا لا يشاهدون هذا التباعد بين النجوم، ولم يأتهم نبأ من عند الله، ولا من عند رسوله، في إثبات هذا التباعد.

نظرية أعمار النجوم والكواكب

قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (١٢١): (إن الكثير من النجوم ينهي مشوار عمره كأقزام بيضاء، وهذا ممكن فقط عندما تفقد هذه النجوم قبل ذلك جزءًا كبيرًا من كتلتها الأصلية).

وقال في (١٢٣-١٢٤): (تعد الحشود الكروية أكبر الحشود عمرًا... إن كل نجم يفقد أولًا في أثناء إشعاعه للطاقة كل ثانية كتلة كبيرة بالنسبة للمقاييس الأرضية).

وقال (ص٩٤): (تحديد العمر، توجد طرق كثيرة تختلف عن بعضها؛ لتحديد أعمار الأجرام السماوية، ونتائجها موثوق بها، إلى حد ما. إن جميع هذه الطرق تتفق في النتيجة الهامة، وهي: أنه حتى الآن ليس هناك جسم سماوي يزيد عمره عن ١٢-١٥بليون سنة، ولكنه توجد أعمار دنيا تختلف جزئيًا عن بعضها...).

وفي (ص٩٥): (ويمكن كذلك حساب عمر نجوم هالة مجرتنا، مستنيرين بتطور تلك النجوم، وعليه فلا بد أن تبلغ أعمارها من ١٠٠إلى ١٢ بليون سنة، وهذا عبارة أيضًا عن العمر التقديري لمجرتنا).

وفي (ص٩٦): (وتقدر أعمار الحشود المختلفة بهذه الطريق بين ٢-٣ مليون سنة و٥-٦ بليون سنة). وذكر في الصفحة المذكورة أعمارًا أخرى قدرت بـ(٢٠٠) مليون سنة وبليون سنة.

أخي القارئ، نستخلص من نظريات أعمار النجوم الآتي:

جعلهم أعمار النجوم متفاوتة، وهذا عندهم باعتبار أنها تفاوتت في نشأتها، وليس عندهم أي برهان على التفاوت الزمني في نشأتها، إلَّا التسليم بأنَّ تفاوتها هو بسبب مادة السديم التي تُنْتِج ما بين الحين والآخر نجومًا عن طريق تفجُّرِها زعموا، وأما من جهة دلالة القرآن الكريم، فقد دلَّ على أن النجوم أوجدها الله تبعًا لإيجاده السماوات السبع في يومين، قال تعالى مخبرًا عن خلق السماوات: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[فصلت:١٢]، فبطل التفاوت المزعوم.

اختلافهم في تقدير النوع الواحد من النجوم كاختلافهم في أعمار الحشود النجومية؛ حيث قدروها من مليونين إلى ثلاثة، ومن خمسة بليون إلى ستة بليون، فالفارق هنا مليارات من السنين، ولا دليل البتة على هذا الفارق إلا الجهل.

في هذه النظريات أثبتوا تناقص أعمار النجوم مع التفاوت في ذلك، وهذا يؤدي إلى نهايتها في أزمان مختلفة، والذي دل عليه القرآن أنها تذهب كلها في وقت واحد هو قيام الساعة، قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ * وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾[الانفطار:١-٢].

نظرية المجامع النجومية

قال بعض الفلكيين: (إن هذا الكون يتألف من خمسمائة مليون من مجاميع النجوم، مضروبًا هذا العدد في (٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) من الملايين، في كل مجموعة منها يوجد -مائة مليار- من النجوم...) «قصة الخلق» (٤٣٨).

وقال بعضهم: (إن عدد نجوم السماء... منها ما هو أكبر بقليل من الأرض، ولكن أكثرها كبير جدًّا، حتى يمكن أن نضع في واحد من ملايين هذه النجوم مثل ملايين حجم الأرض، ويبقى فيها مكان خال). المصدر السابق.

قلت: تحديدهم المجامع النجومية بخمسمائة مليون سنة لا يقدرون على إثباته؛ لأنه

لا يمكن أن يتحقق من هذا إلا بالوصول إلى النجوم، وهم لم يصلوا إليها، وتحديدهم أن كل مجموعة نجومية مائة مليار أيضًا لا يقدرون على إثباته إلا بعدّها، وهم لم يصلوا إليها، فكيف حصل الزعم المذكور؟!

وهاهو صاحب «الموسوعة الفلكية» (٤٩٦) يبين الطريقة التي يستخدمونها؛ لعد النجوم، قال: (المناطق المختارة هي (٢٠٦) منطقة موزعة بانتظام، وتماثل حول مستوى التماس المجري في السماء، ويضاف إليها (٤٦) منقطة أخرى من مناطق خاصة من الطريق اللبني، وفي هذه المناطق يتم إحصاء النجوم، ودراسة خصائصها الفيزيائية والكينماتيكية، حسبما اقترح «كابتين» وما نحصل عليه من تعداد النجوم في هذه المناطق المختارة يتخذ نمطًا لجميع أجزاء السماء، ويمثل أسس الإحصاء النجمي الحديث، ولا بد لنا من الاكتفاء بالمناطق المختارة؛ حيث إن عدد النجوم يزداد بدرجة كبيرة كلما قل اللمعان، لدرجة أنه حتى بالوسائل الحديثة لا يمكن استيعاب جميع السماء، وحجم المنطقة المختارة عبارة عن ٧٥×٧٥). «الموسوعة الفلكية» (٤٩٦).

أفاد هذا المقال أن إحصاء النجوم في مناطق مختارة فقط على حسب زعمهم، وأفاد بالتصريح بقوله: (ولا بد لنا من الاكتفاء بالمناطق المختارة؛ حيث إن عدد النجوم يزداد بدرجة كبيرة...) أي: إنهم لا يقدرون على إحصائها في المناطق غير المختارة، ونحن نقول: لا يقدرون على إحصائها حتى في المناطق المختارة.

قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (٩٣): (فإن التجمعات النجومية تعاني من تفكك سريع في خلال من ١٠-٢٠ مليون سنة).

وأيضًا لو نظرنا إلى وسائلهم التي يحصون بها النجوم، فهي مراصد ومناظير في الأرض، أضف إلى ذلك؛ وجود موانع أخرى من الوصول إلى ذلك، أوضحناها في غير هذا المكان.

وأيضًا جعلهم أكثر النجوم أكبر من الأرض بكثير جدًا كلام باطل؛ لأن الله يقول: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر:٥٧]. فلو كانت

النجوم بهذا الحجم المذكور لكانت أكبر من السماء، ومعلوم أن جميع النجوم زينة للسماء، فليست بمجموعها مثلها، فضلًا عن أن تكون أكبر منها، وكيف يكون أكثرها أكبر من الأرض وهي تدور حولها، وأيضًا جميع الناس المبصرين يرون أن النجوم أصغر من القمر، فهل نترك ما نشاهده؛ من أجل أن نثبت مزاعم هؤلاء؟!

نظرية الكتل النجومية

قال في «الموسوعة الفلكية» (٣٧٣): (نستطيع الحصول على كتلة كل نجم على حدة، إذا كان من الممكن تحديد مدار كل منهما على حدة حول مركز الثقل المشترك).

وقال (ص٣٧٤): (وقد حسب «ترميلر» في حالة النوع الأخير كتل النجوم تصل بين ٥٧-٤٠٠ مرة قدر كتلة الشمس، وإن كان من غير المحتمل صحة هذه القيم).

وقال أيضًا في نفس الصفحة: (والحد الأكبر للكتلة، تبعًا للدراسات النظرية، يبلغ حوالي ٦٠ مرة قدر كتلة الشمس).

وقال (ص٣٧٣): (ويمكننا الحصول على معلومات دقيقة عن كتل النجوم بواسطة المزوجات القريبة من الشمس؛ حيث إن الأخطاء في تحديد المسافة تكون في هذه الحالة أقل ما يمكن... لا يمكن تحديد الكتلة صافية، وإنما مضروبة في عامل معين يدخل فيه الميل الغير معروف للمدار بالنسبة للمستوى... إلا أن قيمة كل كتلة على حدة مرتبطة بالمعامل المجهول).

قلت: إثبات الكتل المذكورة محال؛ لأنه اعتماد منهم على ما لم يتقرر بالبرهان، وإنما اعتمدوا على قوانين كبلر ونيوتن.

وأيضًا تقديرهم الكتل النجومية بالحجم المذكور الذي يفوق كتلة الشمس إلى ٤٠٠ مرة غير صحيح؛ لما سبق ذكره، ولأن حجم النجوم صغير بالنسبة للشمس، وإذا صغر حجم النجوم لزم صغر كتلها المزعومة.

نظرية تطور النجوم وتغيرها

قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (١١٤) وهو يعرف تطور النجوم: (تطور النجوم هو التغيير الذي يحدث للنجوم مع الزمن، وبصورة غير دورية... تتغير فقط في غضون فترات زمنية تقاس ببلايين السنين).

وقال أيضًا في المصدر السَّابق: (يتضح من النظرية أن السبب الأساسي لمعظم التغيرات في تركيب النجم، يكمن في إشعاع الطاقة الكبير، وتأتي هذه الطاقة من المخازن الكبرى جدًّا، والمتجددة أيضًا، الموجودة في داخل النجم).

وقال (ص٥٤١) وهو يتحدث عن النجوم المتغيرة: (هي نجوم ثوابت، يتغير لمعانها مع الزمن بشدة).

وقال (ص١٢١): (ويتطور النجم بطيئًا بالمقياس الزمني النووي، عن طريق استنفاد التفاعلات النووية التدريجي للهيدروجين في المنطقة المركزية، ويتطلب النجم في ذلك وقتًا أطول).

قلت: التطور المزعوم، سواء كان في حجم النجوم، أو في سيرها، أو في إضاءتها، أو في اجتماعها وافتراقها، أو في ظهورها وخفائها، ليس قائمًا على أساس؛ لأنهم قالوا به؛ إلحاقًا للنجوم بأصل مادتها السديمية المتطورة، وقد أوضحنا أنها مادة مجهولة، فما بُنِيَ على مجهول فهو مجهول.

نظرية أن النجوم لها أعمدة داخلية فيها معدة للجذب

قال عبد المجيد الزنداني في كتابه «توحيد الخالق» (ص٢٤٣-٢٤٤): (وكشف التقدم العلمي، أن لكل كوكب ولكل نجم في السماء مركز ثقل في داخله، غالبًا ما يكون قريبًا من وسط جوفه، وبالرغم من أن هذه الكواكب والنجوم في حركة مستمرة، إلا أن المسافة بين مراكز الثقل بين هذه الكواكب والنجوم ثابتة لا تزيد ولا تنقص، مما يشير إلى أن هناك عمودًا للجذب لا يرى، يحفظ مراكز الثقل في

أجرام السماء على مسافات ثابتة من بعضها، بالرغم من الحركة التي تشمل كل هذه الأجرام، ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الأعمدة التي لا ترى، في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[الرعد:٢]).

قد يستغرب القارئ من استدلال صاحب المقال بالآية المذكورة عن أعمدة النجوم، والآية لا تتحدث عن النجوم أصلًا، وإنما أخبر الله فيها أن السماوات بغير عمدٍ، ولكن ينبغي أن تفهم أن صاحب المقال استدل بالآية على أعمدة النجوم، والآية واردة في السماوات؛ لأنه وأمثاله ممن استهوتهم نظريات الكفار، يرون أن السماوات كواكب ونجوم، وليست طباقًا سبعًا شدادًا، وإن كان لا يصرح بهذا، كما يصرح به غيره، ومن خلال التأمل في كلامه يدرك هذا، فهو يوافق ما عليه المنكرون لوجود السماوات السبع.

أما مسألة: هل للسماء أعمدة أم لا؟!

فالمسألة خلافية، وقد رجح عدم وجود الأعمدة ابن كثير، والشنقيطي، وتوسع الشنقيطي في الانتصار لهذا القول. انظر تفسيره «أضواء البيان» (٣/ ٨٩-٩٠).

فالراجح عدم وجود أعمدة للسماء؛ لأننا لا نراها، ولأن قيام السماوات بغير أعمدة أعظم في إثبات كمال قدرة الله، وأما زعمه أن لكل نجم عمودًا للجذب في داخله، فهذا غاية في البطلان؛ لأنه لا يمكن أن يعلموا هذا؛ لأنهم يقولون: من النجوم ما هو أكبر من الأرض بمليارات المرات، ومنها ما هو أكبر من الشمس بأضعاف مضاعفة، مع أن كبر الشمس عندهم على الأرض بمليارات المرات، فما الذي يقدرهم على اكتشاف ما داخل النجم، وأيضًا لا يقدرون على الاقتراب منها؛ لأنها متوهجة، بل يزعمون أن بعض النجوم حرارتها أشد من حرارة الشمس، كما ذكرنا هذا عند كلامنا على النار السوداء، وقولهم: (إن لكلِّ نجمٍ عمودًا في داخله)، هذا يتنافى مع قولهم: (إن النجوم سيارات)؛ لأن العمود ثابت وهي تدور حوله، وإذا

كانت دائرة فقط فهي غير سائرة وغير جارية، ومقتضى الدوران: أن النجوم لا تشرق ولا تغرب، ونحن نشاهد شروقها وغروبها، بل نشاهد النجوم التي جعلها الله رجومًا للشياطين، عندما تخر سقوطًا، فلم هنا لم يجذبها العمود والثقل المركزي المزعوم، وهكذا لا تكاد تجد عند هؤلاء في كتبهم إلا التناقض تلو التناقض!!!

نظرية النجوم العمالقة والأقزام البيضاء والسوداء

قال صاحب "الموسوعة الفلكية" (٥٧٩) في ترجمة الفلكي "هرتز": (وترجع شهرة "هرتز" قبل كل شيء، إلى اكتشافه النجوم العمالقة والأقزام ١٩٠٥م).

وقال في (ص٥٥): (كما يمكن أن يحدث نقصًا مستمرًا في الكتلة، وذلك عندما يصير النجم في أثناء تطوره عملاقًا، أو فوق عملاق... وفي حالة النجوم المزدوجة، هناك إمكانية أخرى؛ كي تصل هذه المركبة إلى حالة العمالقة).

قلت: من المعلوم أن النجوم والكواكب متفاوتة في أحجامها وفي نورها، وهذا التفاوت هو منذ خلقها الله، وهي عليه إلى قيام الساعة، لا يزاد فيها ولا ينقص منها، أما النجوم العمالقة المذكورة في النظرية، فقد رأيت أنها لم تصل إلى ذلك إلا بتطورها شيئًا فشيئًا في نظرهم، وهذا التطور منسوبٌ إليها وإلى موادهم الغازية من سدم وغيرها.

وأما **الأقزام البيضاء** فهي كما قال صاحب "الموسوعة الفلكية" (ص٥٤): (الأقزام البيضاء: نجومٌ صغيرةُ القطر جدًا، إلا أنها ذات درجة حرارية فعالة عالية جدًا، وقطر الأقزام البيضاء صغيرٌ جدًا، لدرجة أن أقطارها أقرب إلى أقطار الكواكب منها إلى أقطار النجوم... وتكشف الأقزام البيضاء على أساس هذه الخواص، أو على أساس معامل لونها المميز).

وقال في النجوم الأقزام أيضًا: (ولا تخضع لقوانين الغاز المثالي، وذلك بسبب التأين التام والعالي).

وتعتبر الأقزام البيضاء آخر مرحلة في تطور النجوم في نظرهم.

وأما **الأقزام السوداء** فقد قال صاحب "الموسوعة الفلكية" (٥٦): (الأقزام السوداء: أجسامٌ شبيهةٌ بالنجوم، لها كتلٌ صغيرةٌ جدًا، ولا يحدث في داخلها تفاعلات نووية تؤدي إلى إنتاج طاقة. تتمثل المرحلة الأولى من تطور النجوم في انكماش المادة التي يتكون منها النجوم).

لاحظ -أيها القارئ- أن النظرية جعلت الأقزام النجومية صغيرة، ومع هذا الصغر جعلتها ذات درجة حرارية فعالة جدًا، أليس هذا فيه تناقض؛ لأن المعروف أن حجم النجوم الصغيرة تكون الحرارة فيها أقل، ومعلوم أن أكثر النجوم صغيرة، هذا هو المشاهد، فلو كان الأمر على ما قاله أصحاب النظرية لأحسسنا بحرارتها؛ لأن في النظرية أنها فعالة، ولكن لم يحصل من هذا شيء، كذلك إثباتهم للأقزام السوداء، وإثباتهم لتفاصيلها بقولهم: لا يحدث في داخلها تفاعلات نووية... فهم بهذا يثبتون حركتها مع تصريحهم بنفي وجودها.

قال في المصدر السابق، وهو يتحدث عن النجوم السوداء: (ونظرًا لعدم إمكانية رصدها، فإنه لم يتم حتى الآن التأكد من وجودها عمليًا).

وكم عندهم من هذه الألاعيب؟!!

نظرية النجوم المزدوجة والنجوم المتغيرة

قال صاحب "الموسوعة الفلكية" (٥٨٠): في ترجمة "هوف مايستر": (ويعد "هوف مايستر" أنجح مكتشف للنجوم المتغيرة).

وقال أيضًا (ص٨٦) في ترجمة "إدوارد شالي" الفلكي: (واكتشف المزدوجات النجومية الطيفية والمتغيرات النجومية، في الحشود النجومية الكروية).

وقال أيضًا (ص٥٤٣): (لم يتم فقط اكتشاف المتغيرات في مجموعة سكة التبانة (المتغيرات المجرية) وإنما أيضًا بأعداد كبيرة في المجموعات النجومية الأخرى).

قلت: تغير النجوم عندهم على عدة أنواع، ومن تلك: المتغيرات الكسوفية، وتغيرات في الضوء، وتغير في السير إلى عدم الانتظام، وغير ذلك، والتغير في الضوء يخالف ما هو المشاهد من أن النجوم على حالها، وأما النجوم التي لا نشاهدها، فالعهدة فيها على مكتشفيها، مع أننا لا نثق بهم.

نظرية الفجوات الخالية من النجوم

قال في «الموسوعة الفلكية» (٣٢٧): (الفجوات الخالية من النجوم: هي مناطق داخل سكة التبانة، تتميز بوجود عدد قليل من النجوم، في وحدة المساحة على الكرة السماوية).

وقال (ص٥): (أجسام «هربج هارو» مناطق خافتة الإضاءة على الكرة السماوية... كما أن تلك الأجسام توجد في مناطق غنية بمادة ما بين النجوم، التي يدل عليها الامتصاص القوي).

قولهم: (الفجوات الخالية من النجوم هي مناطق داخل سكة التبانة) يتناقض مع ما سبق قريبًا، من أن الفراغ هو في الفضاء، وأيضًا دعوى وجود مناطق خالية داخل المجرة المذكورة، أو غيرها من المجرات، يتضارب مع المجرة نفسها؛ لأنها عبارة عن مجموعة نجومية، أو مجموعة سدمية تدور حول مركزها، أو تسبح في الفضاء على حسب تخيلاتهم، فالتجمع المجري ينافي أن تكون فيه مناطق خالية.

ذكر عدد من أسماء مكتشفي النجوم

«لابلاس» اكتشف نشأة المجموعة الشمسية. «الموسوعة الفلكية» (٤١٣).

«رَسِل هنري» قام بالبحث عن التركيب الداخلي للنجوم، والكيماوي لأجواء النجوم. «الموسوعة الفلكية» (١٨٩).

«كبلر» اكتشف قوانين حركات الكواكب في المجموعات الشمسية، وفي مجرة

التبانة. «الموسوعة الفلكية» (٣٦٤).

«هالي» اكتشف الحركة الذاتية للنجوم الثوابت. «الموسوعة الفلكية» (٥٧٨).

«أوبلر» اكتشف اضطرابات مدارات الكواكب. «الموسوعة الفلكية» (٧٥).

«برادلي» اكتشف زيغ الضوء، وحدد مواقع النجوم الثوابت. «الموسوعة الفلكية» (٧٧).

«رومير» اكتشف توابع المشتري. «الموسوعة الفلكية» (١٣٥).

«جالي جون» اكتشف الكوكب نبتون. «الموسوعة الفلكية» (١٤٤).

«كابتين» شرع نظام المساحات المختارة. «الموسوعة الفلكية» (٣٧٠).

«ميلين» اكتشف أغلفة النجوم. «الموسوعة الفلكية» (٥٢١).

«هرتز سبرنج» اكتشف النجوم العملاقة والأقزام. «الموسوعة الفلكية» (٥٧٩).

«هرشل» اكتشف النجوم المزدوجة، والحشود النجومية. «الموسوعة الفلكية» (٥٧٩).

«هوف مايستر» اكتشف النجوم المتغيرة. «الموسوعة الفلكية» (٥٨٠).

«وولف» اكتشف عددًا من الكويكبات. «الموسوعة الفلكية» (٥٨٢). والكويكب: جسم صغير في المجموعة الشمسية. كما في «الموسوعة الفلكية» (٤٠٩).

«درابر» قام بتصوير الأجرام السماوية. «الموسوعة الفلكية» (١٧٤).

من هذا العرض والسرد يتضح للقارئ أن الفلكيين يدعون اكتشافات، إما عن طريق الحساب والتخيلات، وإما عن طريق آلات الرصد والمناظير، وهذه مهما طورت لا يأتي تطويرها بشيء يجعلها معتمدة فيما لا يدرك بهذه الطرق والوسائل.

النظريات عن المجرات

قبل أن نتكلم عن مجرَّاتهم نذكر ما جاء في المجرة التي في باب السماء. عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الْمَجَرَّة الَّتِي فِي السَّمَاءِ مِنْ عِرْقِ الْأَفْعَى الَّتِي تَحْتَ الْعَرْشِ**» أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٦٧) رقم (١٢٣)، و«مسند الشاميين» رقم (٢٢٤١)، و(٣٣٦١)، وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٧٩٦)، والحديث قال فيه الذهبي: إسناده مظلم، ومتنه ليس بصحيح، وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٤٢)، وابن القيم في «المنار المنيف» (ص٥٩)، والملا علي القاري في «الأسرار المرفوعة» (ص٣٠٨)، وابن عراق في «تنزيه الشريعة من الأحاديث الشنيعة الموضوعة» (١/ ١٩٠-١٩١)، فالحديث موضوعٌ.

(وَسُئِلَ علي بن أبي طالب عن المجرة التي في السماء، فقال: ذاك شيء في السماء، ومنها فتح الله أبواب السماء بماء منهمر)، أخرجه أبوالشيخ في كتاب «العظمة» رقم (٧٩٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٦٦)، وهو صحيح.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (المجرة باب السماء الذي تنشق منه هاهنا مهب يتيامن ويتياسر)، أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (٧٩٢)، و(٧٩٤)، وسنده صحيح، وفي بعض الطرق زيادة: (وطرفها من هاهنا مهب الدبور يتيامن ويتياسر).

قلت: من خلال ما ذكرنا يتضح، أن المجرة لا يصح فيها حديثٌ، ولم يأت فيها دليل من القرآن والسنة، وكما رأى القارئ أنه قد صح فيها أثر عليٍّ وابن عباس، وقد يكون هذا القول اجتهادًا منهما، وقد يكون مأخوذًا عن بني إسرائيل. وكما رأى القارئ، أن المجرة المذكورة في الأثرين ليست حشدًا نجوميًّا، فإطلاق لفظ المجرة على النجوم ليس بصحيح، لا لفظًا ولا معنى، أما اللفظ: فلعدم وروده في

الشرع، ويكتفى بالوارد في ذلك، وأما معنى: فلأن المجرات التي اصطلح عليها أصحاب النظريات والأفلاك تتضمن أمورًا باطلة، سيأتي ذكرها في هذا الباب، ومنها إثبات الجاذبية في مركز المجرات؛ لجذب النجوم إليها، وإثبات أن النجوم تفجرات سدمية، وغير ذلك.

نظرية نشأة المجرات واكتشافها

المجرة: عبارة عن مجموعة نجومية عندهم، وقد ادعى الفلكيون أرباب النظريات أنهم قد توصلوا إلى اكتشاف المجرات ونشأتها، عن طريق مراصدهم ومناظيرهم، وسأذكر بعض النظريات المتعلقة باكتشاف المجرات.

قال في "الموسوعة الفلكية" (٤٣٩): (فقد نشأت مجموعة سكة التبانة عن طريق انكماش كرةٍ غازيةٍ كبيرةٍ، مكونةً أساسًا من الهيدروجين وخليط بسيط من العناصر الأخرى أغلبها الهليوم، وذلك منذ حوالي ١٠- ١٥ بليون سنة).

وقال صاحب كتاب "قصة الخلق" (٤٥٤): (ويعتقدون أن المجرات حدثت منذ ٢٠ ألف مليون سنة نتيجة انفجار هائل، وبشيء أقرب إلى السياق).

قلت: والأخطاء في هذه المقالات عدة، ومنها:

قولهم: إن المجرات نشأت من الهيدروجين وبقية العناصر المذكورة، فمن أين لهم دليل على هذا؟! ولم يكونوا شاهدين خلق الله لها فهل هذا إلا من التخمين والظن الفاسد؟!

تناقضهم في تقدير بداية نشأة المجرة، وهذا واضح في النقلين؛ ففي النقل الأول ذكر ١٠-١٥ بليون سنة، وفي النقل الثاني ٢٠ ألف مليون سنة، فالفرق شاسع بمليارات السنين.

قولهم في النظريات السابقة: نشأت وحدثت وانفجرت، هذا فيه نسبة كل شيء إلى المواد المذكورة، فأين ذكر منشئها وموجدها، وهو الواحد القهار.

إخبارهم بأن المجرات جاءت بسبب انفجارات يعني للمادة السدمية، ومعلوم أن الانفجار يتأتى منه القطع المتناثرة والأجزاء المتساقطة، فكيف ادعوا أنه نتج عن الانفجار مجرات، كما هي سيارة منتظمة.

الانفجار في الآيات القرآنية التي تتحدث عن الآيات الكونية يكون منهيًّا لها عمَّا هي عليه من إتقان وانتظام، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾[الانفطار:٣] فالانفجار في القرآن للنهاية، وعند أصحاب النظريات للبداية، وكم الفرق بين النهاية والبداية.

نظرية مجرة سكة التبانة

لقد اشتهرت هذه المجرة عند الفلكيين، ويقال لها درب التبانة، ويقال لها: الطريق الليني.

ومما قاله صاحب «الموسوعة الفلكية» (٤٣١) فيها: (مجرة سكة التبانة مجموعة نجومية تنتمي إليها مجموعتنا الشمسية، ومعها الأرض وحوالي ١٠٠ بليون نجم آخر، وكذلك كميات كبيرة من مادة ما بين النجوم... وتتواجد الشمس وما يتبعها من الكواكب، داخل مجرة سكة التبانة، بالقرب من مستوى التماثل، أو مستوى المجرة... وترى جميع النجوم من الأرض مسقطة على الكرة السماوية... فإننا نحاول استنتاج توزيع النجوم في الفضاء، ومكان الشمس في مجموعة سكة التبانة).

وقال أيضًا (ص٤٣٦): (تدور نجوم سكة التبانة في حركة منتظمة حول مركز المجموعة).

تأمل ما في هذه النظريات من دعاوى فقوله: (تنتمي إليها مجموعتنا الشمسية) يعني تدور حولها، كما سبق ذكر هذا وإبطاله.

تأمل قوله: (وحوالي ١٠٠ بليون نجم آخر) السؤال: هل تقدر آلات رصدهم، ومنها آلات التصوير، أن تصور النجوم بالبلايين؟ والعوائق كثيرة، والموانع حاصلة، والقواطع متحققة، فلو صدقوا لقالوا: لا نقدر.

وهاهو "تسمر مان" الفلكي الكبير صاحب "الموسوعة" يقول: (ليست هناك نظرية متكاملة عن نشأة مجموعة سكة التبانة، ولكن يوجد فقط وجهات نظر نوعية معينة).

قلت: إذا كانت النظريات في معرفة مجرة درب التبانة غير متكاملة، والمجرة هذه عندهم من أقرب المجرات إلينا، فكيف ادَّعوا تكامل نظريات في مجرات بعيدة جدًّا؟! وأيضًا إذا كانت نظرية درب التبانة غير متكاملة وهي قديمة، فكيف يسلم بتكامل النظريات التي أحدثها المتأخرون، وفيها من صعوبة تحقيقها أعظم مما في مجرة التبانة؟!

أيها القارئ، خذ هذه الحقيقة، وهي: أن هذه النظرية المشهورة عالميًّا للنجوم عند الكفار والمسلمين، لم تتكامل لا في أصلها ولا في فرعها، ولكنها مع الأسف مسلَّمةٌ بها عند المقلدين للكفار.

ذكرهم مرور الرسول ﷺ ليلة المعراج بالمجرات المزعومة حيلة لعدم ذكر السماوات

لقد ارتكب صاحب كتاب: "تكنولوجيا الفضاء الكوني" أمرًا، كان له فيه أناة، ألا وهو: ذكر مرور الرسول ﷺ على المجرات المزعومة، وصاحب هذا الكتاب حشد لملاحدة الغرب والشرق ومقلديهم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما لم يكن في الحسبان، ولا يتأتى هذا الحشد إلا بالتحريف لمعاني الأدلة، ولابد، وقد ذكر المعراج الذي أكرم الله به نبينا ﷺ وحرَّف وبدَّل، بل وافترى، ومما قاله (ص٢٧٤): (جزء من المجرة (م٣١) التي تحتوي على حشد نجومي رهيب، مقداره (١٠٠) ألف مليون نجم، تقع خلف مجرتنا مباشرة، إنها إحدى العوالم التي مر بها الرسول الكريم محمد ﷺ في رحلة المعراج، وهي تبعد عنا (٤٥٠) ألف بارسك، والبارسك وحدة قياس كونية، تساوي (١٩,٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) ميل).

وقال أيضًا: (ص٢٧٦): (إحدى العوالم التي مر بها سيدنا محمد ﷺ ليلة أسري به... إنها المجرة غير المنتظمة، والمجرة غير المنتظمة المسماة (م٨٢) هي مصدر إشعاعي

يبعد (١٠,٥٠٠,٠٠٠) سنة ضوئية، يبدو أن هناك بنيات هيدروجينية غازية معقدة كبيرة الحجم تتحرك في داخلها بسرعات تصل إلى (١٦٠) كم في الثانية، جميع الدلائل تشير إلى أن انفجارًا هائلًا حدث داخل نواتها، قبل رؤيتنا لها بـ(١,٥) مليون سنة، أي: قبل (١٢) مليون سنة بالحقيقة).

وقال أيضًا (ص٢٨١): (المجرة الغامضة (ن.. ج. س- ٥١٢٨) إحدى العوالم البعيدة التي مر بها محمد ﷺ في ملك الله العريض، ليلة أسري به، إنها تبعد عنا بمسافة (١٥) مليون سنة ضوئية).

وقال أيضًا (ص٢٩٣): (مجرة برج الأسد الأصغر ذات أذرع لولبية، تمتد من طرفي قضيب، إنها آية من آيات الله، في الآفاق البعيدة التي طاف بها البراق، في الرحلة الكونية العظمى...).

وقال أيضًا (ص٣٠٥): (مجرة في الفرس الأعظم لها قضيب واضح وأذرع، تمتد بوضوح من طرفيه... مجرة في عنقود (الجاثي)، وفيها قضيب بارز، بينما ليست الأذرع أكثر من امتدادات بسيطة، وقد اكتشف العلماء أخيرًا أن جميع كواكب نظامنا الشمسي تنطلق نحو هذه المجرة المدهشة، إنها آية من آيات الله التي مر بها رسوله الكريم محمد ﷺ، ليلة أسري به...).

وقال أيضًا (ص٣٣٤): (يعتقد اليوم أن مجرة الظلمان الإشعاعية هي نظام واحد، بعد أن كان يظن أنها مؤلفة من مجرتين متصادمتين يجعلها دنوها البالغ (١٢) مليون سنة ضوئية، إحدى أقرب المجرات الإشعاعية إلينا، يبدو أنها تحتوي على كمية غير عادية من الغبار المنتثر، المصادر الضوئية فيها لا تقع في المركز البصري للجِرْمِ، بل على جانبيه... وليتذكر الإنسان أن (البراق) مر بهذه المجرة خلال دقائق معدودات، ووصل سدرة المنتهى).

قلت: ادعاء أن الرسول ﷺ مر بمجرة واحدة فضلًا عن أكثر منها ادعاء مكذوب؛ لأن القائل بهذا إمَّا أن يكون حاضرًا مع الرسول ﷺ، أو يكون غائبًا،

وقد علم قطعًا أن المؤلف ومن قال بقوله لم يكونوا حاضرين، والغائب إما أن يكون معه خبر في ذلك كله من الله أو من رسوله ﷺ، أو لا، وقد علم قطعًا أنه لا خبر من الله ولا من رسوله ﷺ في ذلك؛ لأن الأحاديث تنص على أن الرسول ﷺ أتى السماء الدنيا، فاستفتح له جبريل عليهما السلام، ففتح لهما، وهكذا في كل السماوات فلم يذكر فيها شيئًا من المرور على المجرات المذكورة هنا وغير المذكورة، ولم يذكر أحد من شراح أحاديث المعراج أن الرسول ﷺ مر بواحدة من المجرات المذكورة.

فتقرر بهذا أن هذا كذب على الرسول ﷺ، والكذب على الرسول ذنبٌ عظيمٌ، كما هو معلوم من الدين بالضرورة، فما كان أغنى صاحب الكتاب عن هذا، ولا يشفع له أنه أراد بذلك تعظيم الرسول ﷺ؛ لأن التعظيم له عليه الصلاة والسلام لا يكون بالكذب عليه، ولو أن التعدي من المؤلف وقف عند هذا الحد لكان أهون، وإنه لعظيم، ولكن اشتمل المقال على أقوال بعيدة عن الصواب جدًّا، ومنها نفي مرور النبي ﷺ على السماوات السبع، ولهذا لم يذكر صاحب المقال أن الرسول ﷺ مر على السماوات السبع، وسرده للأحاديث الواردة في المعراج، وفيها ذكر السماوات لا يدل على أنه يقر بوجود سماوات طباقًا، ومما يزيد هذا إيضاحًا: أنه حاد إلى ذكر المجرات، فهذا الصنيع منه مبنيٌّ على أنه لا وجود لسبع سماوات طباقًا.

وقد نقلت قبل قليل نفي المؤلف للسماوات، وتأويله لها بما يتفق مع نفاة السماوات السبع من أصحاب الأفلاك، وكفى بهذا انحرافًا.

ومنها: إبطال معجزة النبي ﷺ ليلة المعراج، التي تعد أعظم معجزة أكرم الله بها نبينا بعد معجزة القرآن الكريم؛ لأن دعوى صاحب المجرات أن رسول الله مر على المجرات، يلزم منها عدم تخصيص النبي ﷺ بذلك؛ لأن هؤلاء الدجالين قد صاروا شركاء معه، وإن زعموا أن هذه معجزات له.

ومنها: يلزم من مقاله عدم وصول نبينا إلى سدرة المنتهى، وإلى محل يسمع فيه صريف الأقلام، وعدم رؤيته للجنة والنار، وعدم تكلم ربنا معه عليه الصلاة

والسلام؛ لأنه ادَّعى أن نبينا مر بالمجرات، وهم يرون أن الكون الأعلى فضاء لا نهاية له، وقد ذكر المؤلف أن الرسول وصل إلى سدرة المنتهى، وهذا لا يتأتى له، وهو يثبت المرور على المجرات، وينفي السماوات، بل هذا تناقض منه على طريقة الملفلفين، الذين يحاولون أن يجمعوا بين القرآن، وبين أقوال فلاسفة الأفلاك، وهي طريقة الضلال!

ولو تتبعنا كل المخالفات في المقالات المذكورة؛ لطال بنا المقام!

ونهاية القول: أن صاحب المقالات تجرأ على التقول بما لا علم له به، وعظمت جرأته وإساءته، حينما نسب إلى الرسول ﷺ ما لم يكن، ونفى عنه ما هو من خصائصه، وهكذا الجهل يفعل بأصحابه؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون!!

دعوى أن المجرات تسبح في الكون الفضائي

قال في "الموسوعة الفلكية" (٤٥٠): (الإحصاء المجري أحد الواجبات لإحصاء المجموعات النجومية، هو استنتاج توزيعها الحقيقي في الفضاء، وذلك من توزيعها الظاهري على الكرة السماوية).

وقال في (ص٤٤٣) في المجرة المحلية: (هي مجموعة صغيرة، وقائمة بذاتها، مكونة من ١٧ مجموعة نجومية على الأقل، موزعة في الفضاء).

وقال في (ص٤٥٢): (حشود المجرات في أثناء دراسة توزيع المجموعات النجومية وجد عدد كبير من المجموعات المزدوجة (المجرات المزدوجة) والمجموعات العديدة، وكذلك من حشود المجرات). والشاهد في هذا المقال الأخير قوله: (أثناء دراسة توزيع المجموعات النجومية). فهم المخترعون لهذه المجرات، وهم الموزعون لها، وإن ادعوا أنها توزعت بنفسها.

قُلتُ : لما افتضح أصحاب الفضاء؛ بسبب هذه الادعاءات المجرية بهذه الأعداد الكثيرة رأوا أن يدعوا أنها تتواجد في الفضاء اللانهائي، لتتناسب دعواهم الفضائية مع

دعواهم بكثرة الأنواع المجرية، وهم حقيقة السابحون في تخيلاتهم، وأما خارج أذهانهم فلا يوجد ما يثبت الفضاء المذكور والمجرات المذكورة.

نظرية الأرض ومن عليها والشمس وما عداها من الكواكب داخل المجرة

في «الموسوعة الفلكية» (٤٣١): (وتتواجد الشمس وما يتبعها من الكواكب داخل مجرة سكة التبانة، بالقرب من مستوى التماثل، أو مستوى المجرة).

وقال أيضًا: (إن البحث في الشكل والتركيب الداخلي للطريق اللبني معقد جدًا؛ لأن أي راصد على الأرض يوجد في داخل المجرة).

وقد سبق الكلام على مجرة درب التبانة، وأنها على حد زعمهم أقرب المجرات إلينا، وأن المجموعة الشمسية: الشمس والأرض وبقية المجموعة تتبع هذه المجرة. فهل علمت أيها المسلم بما يحكم أرباب الأفلاك عليك من أنك تعيش داخل المجرة المذكورة؟! وأن المجرة المذكورة تدبرك؟! وأن الكون الذي أخبرنا الله عنه في كتابه صار تابعًا للمجرات؟!

قلت: لم نقبل أن نكون تابعين للشمس حينما قالوا: الأرض تدور حول الشمس، فكيف نقبل أننا تابعون للمجرات؟! فما أكثر ما قلب هؤلاء الدجالون الأمور على غير أساس، ولكن هيهات! هيهات! أن يدوم لهم هذا الهُرَاء.

المجرات محكومات بالجاذبية

يقرر أرباب المناظير والتليسكوب والأقمار الصناعية أن الجاذبية تتمركز في المجرات، قال في «الموسوعة الفلكية» (٤٣٧): (في أثناء دوران الشمس حول مركز المجرة يحدث دوران لنظام الإحداثيات، الذي ننسب إليه الموجة المزدوجة؛ لأنه لا بد أن تشير أحد الإحداثيات إلى مركز المجرة يظهر دوران الإحداثيات هذا في

الأرصاد خلال حركة ذاتية).

وقال في (ص٤٣٨): (إن النجوم يتم اجتذابها بواسطة المجال الشديد لجاذبية المادة المتمركزة في مستوى المجرة).

وقد تكلمنا على بطلان الجاذبية قبل، وهنا نبين أمرًا، وهو: أنهم يزعمون أن المجرات هذه تذهب منطلقة دون حد فلولا الجاذبية تمنعها بجذبها إليها لما بقيت تدور حول مركزها، فيقال: هاهو الإنسان الذي صعد الفضاء على حسب زعمكم يفلت من الجاذبية وما معه من مراكب فضائية ويسلم، فإن قلتم: (إن الإنسان لديه قوة، وفي السفن الفضائية قوة)، قلنا لكم: المجرات أقوى من الإنسان وما معه، ومع هذا تقولون: لا تفلت من الجاذبية.

نظرية السحب السدمية والسدم المجرية

نظرية السحب السدمية والسدم المجرية، من النظريات التي حدثت مؤخرًا. وهذه السحب عندهم أنواع، منها:

سحابة مجلان:

قال في "الموسوعة الفلكية" (٢٠٨): (اثنان من المجموعات النجومية الخارجية... في كوكبات التنين والجبل (سحابة مجلان الكبرى) والطوقان (سحابة مجلان الصغرى)... توجد كل من السحابتين مباشرة بجوار مجرة سكة التبانة، وتكونان معها مجموعة ثلاثية تنتمي إلى المجموعة المحلية).

وهذه النظرية أفادت أن السحابتين مع مجرة سكة التبانة يتبعن المجرة المحلية، وهذا فيه خبط؛ لأن السحابتين خارجيتان، والمجرة المحلية داخلية، فكيف حصل الانتماء إليها؟! وأيضًا مجرة التبانة هي عندهم مركز المجموعة الشمسية، وغيرها من التوابع لها، فكيف صارت هاهنا تتبع المجرة المحلية؟ تناقض ما له إلَّا الرَّد والطرد!!!

السحب الداكنة:

قال في «الموسوعة الفلكية» (٢٠٩): (السحب الداكنة تجمعات كثيفة من غبار ما بين النجوم، تمتص بشدة ضوء النجوم؛ فتظهر بذلك مناطق خالية أو فقيرة من النجوم).

قلت: هذا خلق لم يخبرنا الله عنه ولا رسوله، ثم إن فيه ما يَمُجُّهُ السمع ويرده العقل، فقوله: (تجمعات كثيفة من غبار) هذا لا يتناسب مع الكون الأعلى؛ إذ إن الغبار عندنا في الأرض، وقوله: (تمتص بشدة ضوء النجوم) هذا يتناقض مع تناسق الكون الأعلى وعظيم إتقانه، وأيضًا هذا القول غريب كل الغرابة عن أحوال الكون الأعلى. وقوله: (فتظهر بذلك مناطق خالية من النجوم) فما يدريهم أن النجوم متواجدة خلف السحب الداكنة.

سحابة نجومية:

قال في «الموسوعة الفلكية» (٢٠٩): (سحابة نجومية:

١-تجمع واضح من النجوم الخافتة في الحزام الضوئي لسكة التبانة ذو حدود غير منتظمة.

٢- منطقة واسعة ذات كثافة نجومية كبيرة في داخل مجموعة نجومية).

وأما السدم عندهم فهي أنواع منها:

السدم الغازية:

قال في «الموسوعة الفلكية» (ص٢٠٩): (سدم مجرية يظهر فيها غاز ما بين النجوم مضيئًا يرسل طيف انبعاث).

قلت: الطيف الانبعاثي عرفه الفلكيون بأنه مكون من خطوط انبعاث، كما في «الموسوعة الفلكية» (٢٧١) يعني أن الخطوط تبعث أشعة والسدم المجرية وغير المجرية

لا وجود لها أصلًا، وإنما هي من المواد المجهولة، حتى عند القائلين بها.

السدم المجرية:

قال فيها صاحب «الموسوعة الفلكية» (٢١٠): (تجمعات مضيئة وكثيفة نسبيًا لمادة ما بين النجوم في سكة التبانة... وفي السدم المجرية يوجد في غالب الأحيان غاز وغبار، ويمكن أن تتم إثارة الغاز لدرجة الإضاءة، بواسطة شعاع النجوم الساخنة).

سبق أن ذكرنا أن الغبار والغاز الذي يذكرهما أرباب النظريات ليسا من المواد الأساسية المعروفة شرعًا لوجود الأشياء، وقد جعلها الفلكيون مؤخرًا أصل الكون، فانظر علام يبنون علمهم في الأفلاك، فإذا كانت الأسس مجهولة حقيقة فأنى يثمر لهم علمهم حقائق علمية؟!!

السدم العاكسة:

قال في «الموسوعة» (ص٢١٠) في تعريفها: (تجمعات من غاز ما بين نجوم كثيفة نسبيًا، يعكس غازها ضوء النجوم المجاورة).

انظر إلى مخالفة هذه النظريات لما سبق، ففيها أن غازها يعكس ضوء النجوم، يعني لكثافته، وقد سبق قريبًا أن من هذه التجمعات ما يمتص ضوء النجوم بشدة فجعل هذه التجمعات، التي هي من أصل واحد، قائمة على هذا الاختلاف، بدون أي برهان، إذ لو وجد البرهان لكان حلًا لما يدعونه وأنى لهم هذا.

السديم المجري:

قال في «الموسوعة الفلكية» (٢١٠): (تجمعات كثيفة من المادة غير النجمية تنتمي إلى مجرة سكة التبانة، ومعظم السدم المجرية لها أشكال غير منتظمة تمامًا؛ لذلك تسمى بالسدم المتناثرة أو المتشتتة).

السدم الخارجية:

قال في «الموسوعة الفلكية» (٢١٠): (هي مجموعات نجومية قائمة بذاتها خارج مجرة سكة التبانة وتبدو السدم الخارجية متشتتة الضوء).

قلت: انظر إلى الزوائد في هذه النظرية وهو قولهم: (قائمة بذاتها) وجعل هذا كشفًا جديدًا، وكلمة قائمة بذاتها تتضمن أنها متحكمة في إجرائها لا تتبع مجرة أخرى، ولا تأخذ أشعتها من غيرها، وأنها تدير نفسها بنفسها، ولكن آخرها دل على خلاف هذا؛ فقوله: (وتبدو السدم الخارجية متشتتة الضوء) فتشتت ضوئها دليل على أن المجرة ليست قائمة بذاتها، بل كل نجم له اتجاهه، والحقيقة في النجوم أن كل نجم مستقل بنفسه، يتحرك كما سخره الله، لا علاقة له بغيره.

السديم الكوكبي:

قال في «الموسوعة الفلكية» (٢١٣) في تعريفه: (سديم غازي مضيء منتظم الشكل في الغالب).

سديم الجبار:

قال في «الموسوعة الفلكية» (٢١٢-٢١٣): (سديم مجري لامع، أي: تجمع كثيف من مادة ما بين النجوم المضيئة... ينتمي سديم الجبار إلى تجمع كبير يشمل مادة ما بين النجوم المضيئة منها والداكنة، وكذلك النجوم الساخنة المنتشرة في أجزاء كثيرة من برج الجبار).

قوله: (تجمع...) إلى آخره ظاهر في أن المواد المذكورة تدبر نفسها، ونحن نعلم علم اليقين: أن المدبر لمخلوقاته هو الله، وأن المواد المذكورة لم يقدر مدعوها على إثباتها.

سديم حلزوني:

قال في «الموسوعة» (ص٢١٣) في تعريف السديم الحلزوني: (مجموعة نجومية تنتظم

حول نواتها اثنتان أو ثلاثة أذرع حلزونية). المراد بالأذرع الحلزونية ما قاله صاحب "الموسوعة الفلكية" (١٦٥): (من الأشكال الممكنة للمجموعات النجومية) وفي (ص٢١٥) ما نصه: (وتتكون الأذرع الحلزونية من أجسام الجمهرة الأولى المتطرفة أكثر من غيرها). وجمهرة النجوم معناها: النجوم المتشابهة.

سديم المرأة المسلسلة:

قال في "الموسوعة" (ص٢١٤): (هو سديم موجود في كوكبة المرأة المسلسلة... وقد تمكن "هبل" من اكتشاف أجسام مفردة في المناطق الخارجية للسديم، بينما تمكن "بادي" في عام ١٩٤٤م من تمييز نجوم مفردة لأول مرة فيه. ومن الأجسام التي تميزت في السديم: نجوم دلتا قيفاوي المتغيرة، والنجوم النابضة، وعمالقة لامعة وفق عمالقة، وكذلك حوالي ٢٠٠ حشد كروي وعدد من الحشود المفتوحة والتجمعات النجومية، وأيضًا مناطق من مادة ما بين النجوم المعتمة والمضيئة).

انظر إلى هذا الشغب في التفصيل والشغب في دعوى الحشد، وهم -في نظرهم- لا يضرهم هذا الادعاء؛ لأنهم في الفضاء، فهما ادعوا من حشود مجرية ونجومية وسحبية قالوا: إنها خارج المجرة والمجرات سابحات في فضاء لا نهاية له.

سديم مجالي:

قال في "الموسوعة الفلكية" (٢١٤) وهو يتحدث عن هذا السديم: (مجموعة نجومية لا تنتمي إلى أي حشد نجومي خارجي).

وأين ذهبت الجاذبية التي تجذب النجوم إلى مراكز المجرات؟

السديم الأهليجي:

قال في "الموسوعة الفلكية" (٢١٢) وهو يتحدث عن هذا السديم: (إحدى الأشكال الممكنة لمجموعة نجومية).

سديم أمريكا الشمالية:

قال في "الموسوعة الفلكية" (٢١٢): (سديم مجري، يوجد بمنطقة كوكبة الدجاجة، وله حدود شبيهة بأمريكا الشمالية).

قلت: ستكون هذه النجوم أرضية لا سماوية، وما المانع من هذا وآلاتهم قد اخترعوا بها كونًا غير الكون؟!!

سديم انبعاثي:

قال في "الموسوعة الفلكية" (٢١٢): (سديم مجري يتميز بأن غاز ما بين النجوم فيه يظهر مضيئًا، ويرسل بطيف انبعاثي).

قلت: أيُّ تَمَيُّز؟! وقد سبق كثرة النظريات السدمية، وأنَّها عندهم فيها مادة غازية ما بين النجوم، وأن بعضهن فيها كثافة ضوئية، ومنهن من ترسل بإشعاع انبعاثي؟!!

وخلاصة القول في السدم المجرية والسحب النجومية: أنها نظريات متضاربة في انبعاثها وعدمه، وانتظامها وعدمه، واستقلالها وعدمه، ومركزيتها وعدمه، وغير ذلك، فلا يستمسك بواحدة منها وهي عند أهلها من منجزات الاكتشافات الجديدة في عصر تقدم علم الأفلاك، فإذا كان هذا هو منتهى التقدم فكن على شك فيما يقال من التقدم، فيما خالف المعقول والمنقول والمشهود والمحسوس.

نظريات النيازك والمذنبات

تعريفهم للنيزك

قال في «الموسوعة الفلكية» (٥٧٤) في تعريف النيزك: (النيزك هو جسم صغير يسقط من الخارج في جو الأرض، فيتبخر كلية أو جزئيًا متسببًا، بذلك في حدوث شهاب، وفي المعنى الدقيق هو: البقايا التي تصل إلى الأرض من هذا الجسم. أما في المعنى الأكثر شمولًا فهو كل الأجسام الصغيرة في المجموعة الشمسية، وتسبب شهبًا عندما تقابل الأرض. وهناك مسألة يجري مناقشتها منذ وقت بعيد وتم الإجابة عليها باختلافات كبيرة، وهي: ما إذا كانت النيازك مصدرها المجموعة الشمسية أم أنها آتية من الفراغ بين النجوم).

وفي (ص٥٧٥) (يحدث كثيرًا أن تنفجر النيازك في الغلاف الجوي الأرضي، ثم تتبعثر البقايا بعد ذلك على مناطق كبيرة).

وقال أيضًا في المصدر السابق: (وغالبًا ما تكتشف نيازك لم يشاهد سقوطها، أو يكون سقوطها قبل ذلك بزمن طويل وإلى هذه الطائفة ينتمي أكبر نيزك عرف حتى الآن).

وذكر (ص٥٧٦) أقسام النيازك الحجرية والحديدية وأعمارها، وقال في أعمارها: (ومن الممكن تحديد عمر النيازك على أساس ما يوجد بها من مواد مشعة، وتبعًا لذلك فقد استنتجت للنيازك الحجرية أعمارًا من ١-٤ بليون سنة، وللنيازك الحديدية حتى ٦ بليون سنة، على أنه يجب أن يفهم تحت العمر هنا الوقت المنقضي منذ أن تماسك النيزك).

يؤخذ من هذه النظريات الآتي:

- النيازك: هي القطع المتناثرة (أي: المنفصلة) عن مجموعتها النجومية (الشمسية أو غيرها).
- هذه النيازك تتفجر في الغلاف الجوي الأرضي، وتتبعثر البقايا بعد ذلك في مناطق من الأرض.
- النيازك منها الحديدية ومنها الحجرية.
- إن موادها لا تزال منها باقية منذ أن سقطت قبل بلايين السنين.
- القدرة على اكتشاف النيازك في مناطق من الأرض.

وبعد هذه التفاصيل في النظريات المذكورة، نوضح ما جاء في شرع الله في هذه المسألة: لقد أخبر الله في آيات من كتابه الكريم أنه جعل النجوم رجومًا للشياطين قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾[الحجر:١٨]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[الصافات:١٠]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[الجن:٩]، فأفادت الآيات أن الله يرسل نجومًا مضيئة اسمها الشهب على الشياطين، وأنها ترى من قبل الناظرين إليها رؤيا العين، وليس في الآيات أن هذه الشهب منفصلة عن المجموعة الشمسية، ولا عن غيرها، ولكن يفهم منها أنها مستقلة بنفسها معدة لهذا.

وأيضًا لا يقال لها: نيازك، وأيضًا هذه الشهب تخر من السماء، ثم تختفي قبل أن تصل إلى الأرض، فقولهم: (إنهم يجدون لها قطعًا في الأرض)، هذا يخالف المشاهد والواقع، وقولهم: (إن منها حديدية وحجرية)، هذا يخالف أنها مضيئة.

وظاهر الآيات أن الشهب تحرق الجن إذا أدركتهم، وقولهم: (إنها تتفجر)، خلاف ظاهر الآيات، وأيضًا الحكم بتفجرها يستنتج منه أنها تصير أجزاء متناثرة في الأرض، وهذا لا وجود له حقيقة.

نظرية أن بعض النيازك تساوي الشمس

قال في المصدر السابق: (وبعض النيازك تساوي في أوجها الشمس، وتتعدى مداراتها أبعد الكواكب في المجموعة الشمسية).

اللهم سلم! سلم! ولو قلنا: أين هذا البعض؟! فلم لا نراه، وهو بهذا الحجم، ونحن نرى الشمس طلوعًا وغروبًا، ونرى ما دون الشمس من قمر وكواكب ونجوم، فما لم نره ولا أخبرنا عنه في شريعة الإسلام؟! فلا نسلِّم به، بل نعتبره ضربًا من التخرُّص.

نظرية المذنبات واكتشافها

تعريف المذنبات: قال صاحب "الموسوعة الفلكية" (٤٥٧): (المذنب جسم سماوي من أجسام المجموعة الشمسية، يظهر على شكل ضباب فوق خلفية السماء).

والمراد بالسماوي: الفضائي.

وقال أيضًا: (إن المذنبات فوق الغلاف الجوي خارج الغلاف الأرضي). وقال في المصدر نفسه: (ويتم اكتشاف المذنب في الغالب عندما يكون قريبًا من الشمس).

وقال أيضًا (ص٤٥٨): (فهي تتكون من ناحية جسيمات صلبة شبيهة بالنيازك).

وقال في (ص٤٥٩): (ومن المحتمل أن تكون المذنبات ذات الهالة الهيدروجينية الكبيرة... يوجد جزء لا يكاد يذكر من كتلة المذنب؛ لأن الكثافة المتوسطة للجزئيات تبلغ فقط حوالي من ١٠,٠٠٠ إلى مليون جسم).

انظر إلى هذا الاختلاف في تكوينها، فكثرت الاحتمالات؛ فلا يجزم بشيء منها، فمن الذي يستطيع أن يجزم، بل يرجح أنها من الهيدروجين أو غيره. وأيضًا جعلهم مادة الهيدروجين وأمثاله من المواد أصل مادة العالم العلوي باطل لما سبق.

نظرية تقسيم المذنبات

يقسمونها إلى قسمين، قال في «الموسوعة الفلكية» (٤٦١): (تسمى المذنبات التي تطول فترة دورانها حول الشمس عن (٢٠٠) سنة بالمذنبات طويلة الدورة... أما المذنبات قصيرة الدورة التي يقل زمن دورانها عن (٢٠٠) سنة، فإنها تتحرك على الأقل إلى منتصف دورتها داخل مدارات الكواكب).

المذنبات منها النيازك وتيار الشهب

قال في «الموسوعة الفلكية» (٤٦٣): (فينشأ من المذنب تيار شهب).

وقال في المصدر المذكور (١٣٨) في تفريق تيار الشهب: (رذاذ من النيازك، أو ما ينتج عنها من شهب، يتحرك في مدارات متوازية).

وقال (ص٤٥٨): (وتظهر لنا بعد تفكك المذنب على هيئة تيار من النيازك).

نظرية أن المذنبات بالملايين والمليارات والبلايين

قال في «الموسوعة الفلكية» (٤٦١): (وتبلغ التقديرات الغير دقيقة، لعدد المذنبات في هذه السحابة من (١٠) مليون إلى (١٠) بليون مذنبًا).

سلم -أيها القارئ- بتكلم هؤلاء بالجهل المحض، بالله عليك سحابة واحدة -على حد زعمهم- يختلفون في تقدير عدد النجوم فيها من عشرة مليون إلى عشرة بليون، فالفارق ٩ بليون و٩٩٠ مليون (أي ٩٩٩ ضعف)!!! فكيف تسلم لهم، وهم على هذا التكهن؟!! وأيضًا إذا كانت هذه سحابة واحدة من سحب المذنبات فيها هذا العدد، فكم سيكون عدد المذنبات كلها على حد زعمهم؟!

نظرية أعمار المذنبات

قال في المصدر السابق (٤٦٣): (إن المذنبات عبارة عن أجسامٍ قصيرة الأعمار، ويقدر أعمارها حتى الآن بحوالي من (١٠,٠٠٠) إلى مليون سنة). انظر كيف جزموا بمدة أعمارها، وهم لم يتحققوا من نشأتها، ولا من حجمها، ولا من مداراتها، فكيف جزموا بأعمارها؟!

المذنبات وعلاقتها بالشمس

قال في «الموسوعة الفلكية» (٤٥٨): (وقد أمكن لمعظم المذنبات استنتاج علاقة بين اللمعان والنشاط الشَّمسي).

وقال (ص٤٦١): (تحاط الشمس بسحابة كبيرة من المذنبات).

وفي (ص٤٦٠): (تتحرك المذنبات تبعًا لقوانين الميكانيكا السماوية، في قطاعات مخروطية حول الشمس).

قولهم: (تبعًا لقوانين الميكانيكا السماوية) المراد بها تحديد مدارات الأجسام السماوية، وأيضًا حسابات المواقع والاضطرابات، كما في «الموسوعة» (٥٢٠).

والقطاعات المخروطية معناها أشكال هندسية معلومة كما في الموسوعة الفلكية ص(٢٤٢).

وقد سبق أن المجموعة الشمسية (الشمس ومجموعاتها) تدور حول مجرة درب التبانة، وقد بينَّا ضعف هذا القول، وما دامت الشمس تابعة لغيرها عندهم، فكيف يجعلون مليارات المذنبات -حسب زعمهم- تدور حول الشمس؟!! لا يمكن تحقق هذا الدوران تصورًا، فكيف يتحقق وجودًا؟! والذي يجرهم إلى هذه الافتراضات هو تسليمهم بأن كل شيء متحرك تبعًا لأصل مادته وهي السديم، فلا إله إلا الله كم تاهت بهم هذه المادة المجهولة، فنحمد الله الذي عافانا مما هم فيه من الضياع.

جاذبية الشمس للمذنبات

في «الموسوعة الفلكية» (٤٦٢) ما نَصُّهُ: (فحسب المجموعة الأولى تنشأ المذنبات في الفراغ ما بين النجوم، ثم تدخل بعد ذلك المجموعة الشمسية؛ بفعل جذب الشمس والكواكب، وتبقى بعضها مقتنصة داخل المجموعة الشمسية).

وهنا يقال: على فرض التسليم بجاذبية الشمس، فكيف تجذب المذنبات، وبعضها أكبر من الشمس بالبلايين حسب زعمهم؟! فجذب الشمس سيكون أضعف من الجذب في المذنبات، وأيضًا أين ذهبت جاذبية المذنبات، وهم يقولون: إن كلًّا له قوة جاذبية لا يمكن أن يفلت منها؟! وأيضًا لما صارت المذنبات داخل المجموعة الشمسية حسب -زعمهم-؟! فستكون مع المجموعة الشمسية دائرة حول مجرة التبانة؛ لأن الشمس تجذبها؛ لأنَّ الشمس وغيرها من المجموعة الشمسيَّة مجذوبة بجاذبية مجرة التبَّانة.

وأيضًا: يفهم من قولهم في المذنبات أنها تدخل في المجموعة الشمسية أن دخولها كان جزافًا، وهذا ينافي تدبير الله لها، وأعظم من هذا أنهم ذكروا خلق المذنبات ونشأتها ودورانها، ولم ينسبوا ذلك إلى الله.

نظرية أن في الفضاء مناطق معدنية ثقيلة ومواد خام

قال في «الموسوعة الفلكية» (٣١٣) وهو يتحدث عن أهدافهم من الصعود إلى الفضاء: (والتي يمكن أن تتيح من مناطق غنية بالمعادن الثقيلة، ويمكن بهذه الطريق أن يضيف غزو الفضاء إلى اكتشاف مناطق المواد الخام).

نظرية أن الفضاء مليء بغاز ما بين النجوم

قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (٣٠٢): (إن كون غاز ما بين النجوم ممكن المشاهدة، على الرغم من ذلك يرجع إلى الحجم الهائل للفضاء المليء بتلك المادة،

وتحتوى سحابة ما على بضع مئات المرات مثل كتلة الشمس).

قلت: قوله: (ممكن المشاهدة) قلنا ما يدريهم أن هذه المادة غير ما ذكروا؛ لأن توصلهم إليها هو عن طريق تحليل الإشعاع الواصل من الفضاء إلى خطوط الطيف الإنبعاثي.

وفي هذه النظريات تصادم مع ما سبق ذكره، من أن المجرات وغيرها يسبحن في الفضاء، فكيف يتحقق هذا على -حسب زعمهم- مع امتلاء الفضاء بالمادة؟ فما هنا إلا التصادم بين المجرات النجومية، وبين المادة الغازية، أضف إلى هذا أنهم يزعمون أن هذه المادة الغازية تدور، فمن خلال دورانها وسبح المجرات يحصل التصادم، أضف إلى ذلك أن المادة المذكورة تتفجر مجموعات نجومية، وبسبب هذا التيهان وصل هؤلاء إلى الحيرة!!

وقول أصحاب النظرية: (وتحتوي سحابة ما على بضع مئات المرات مثل كتلة الشمس). البضع ما بين الثلاثة إلى التسعة، والكتلة الوزن، وظاهر هذه المقالة أن المادة الغازية المذكورة معدة لتكوين كون جديد؛ لأن هذه السحابة التي حجمها ما ذكر، يتكون منها مثل ما تكون من السديم الأول من قبل، فقد تأتي من مادتهم الغازية الشمس، ومن الشمس جاءت المجموعة الشمسية، ومن المجموعة الشمسية الأرض، وهلم جرًا.

فعلى قول من قال منهم بتطور مادتهم الغازية، فلا نهاية عندهم لها، ولا للأكوان الجديدة، ولكن قد نقضها آخرون، فقالوا بأنها -أي المادة الغازية- تنكمش، حتى يأتي وقت تكون فيه ضئيلةً جدًّا، وقرر آخرون أن الأمور كما هي معلومة، ولا جديد فيها؛ فلا تطور ولا انكماش، وهذا هو المتفق مع ما علم بالنقل وبالعقل وبالمشاهدة والحس، ولكن لا قرار لهم على ما يقررون.

نظرية أن الفضاء مليء بالغبار

قال في "الموسوعة الفلكية" (٣٠٧): (غبار ما بين النجوم، هو الجسيمات الصغيرة والصلبة، في المادة المبعثرة فيما بين النجوم والغبار، أو التراب في الغالب مركز في السحب... ولهذا لابد من تخيل حجم الفضاء الذي يحتوي تلك المادة، ويخترق ضوء النجوم هذا الفراغ في طريقه الطويل، بحيث يمكن أن يحدث تغيير ملحوظ في الضوء).

وقولهم: (في المادة المبعثرة) ما أكثر ما يعبرون عن الكون الذي اخترعوه بالمبعثر؛ هروبًا من الاعتراف بصنع الله الذي أتقن كل شيء!!

وقولهم: (والغبار والتراب في الغالب مركز في السحب) يعني: أنه مجتمع وهو خلاف البعثرة، وخلاف جسيمات صغيرة.

وقولهم: (ولا بد من تخيل حجم الفضاء...) ليس معهم إلا هذا التخيل، فحسبك أن تثبت لهم هذا وكفى، ومن هذا التخيل يأتي ما لا تتصور من التناقض.

وقولهم: (ويخترق ضوء النجوم هذا الفراغ...) يعنون أنه يخترق المادة الترابية المجتمعة، وهذا لا يعقل؛ لأن الضوء عرض.

نظرية التراب في الفراغ الفضائي

قال صاحب "الموسوعة الفلكية" (٣٠٩): (هناك ثلاثة إمكانيات قيد المناقشة، لنشوء الجسيمات الترابية البين نجمية، فالمجموعة الأولى من النظريات تنطلق من أن الجسيمات الترابية في مادة ما بين النجوم تبني نفسها من غاز ما بين النجوم).

وقال (ص٣١٠): (المجموعة الثانية: من النظريات أن جسيمات الغبار البين نجمي، تتكون في أغلفة النجوم الباردة، ثم تتحرك إلى فضاء ما بين النجوم؛ بفعل ضغط إشعاع النجم... ومن الممكن أن يزداد محتوى مادة ما بين النجوم من العناصر

الثقيلة من خلال ما ينشأ من هذه العناصر في مجموعة كوكبية، مثل مجموعتنا الشمسية، ويتحرك بعد ذلك بفعل ضغط إشعاع النجم المركزي إلى وسط ما بين النجوم).

اعلم أيها القارئ، أنهم عندما يقولون: بالإمكان، وممكن، ومحتمل، وما أشبه ذلك، كما هو هاهنا، أنهم يريدون أنها ألفاظ تدل على عدم التحقق من المعبر عنه بالإمكان، وأنه مجرد قول، أو نظرية، خالية من الدلائل والبراهين، وأكثر نظرياتهم على هذا، ولكن مع الأسف، المهرولون من كُتَّابِ المسلمين في النظريات يجزمون بثبوتها، بل وبصحتها، بل وأنها معجزة، بقي أن يقولوا خالدة.

نظرية أن السفن الفضائية تدور حول الأرض

ومما ينبغي أن يُعلم أن الفلكيين قد صرَّحوا، بأن آلاتهم الفلكية المنظورة في خلال المدة التي يطلقون فيها إلى الفضاء تبقى دائرة حول الأرض، وليست صاعدة علوًا في الفضاء، كما قد يتوهم.

قال صاحب «قصة الخلق» (١٩٥): (نقول بأن السفن الفضائية لا تسير في خط مستقيم إلى الهدف، بل تسبح في مسار دائري، وبذلك قد تدور السفينة حتى تنتهي الحياة، ولا تصل إلى هدف، طالما هي تدور حول الأرض، حتى ولو انتقلت من مدارها، والمعروف أن الاتجاهات تفقد تمامًا في الفضاء، ولذلك يستوي لدى رجال الفضاء النوم وقوفًا، أو جلوسًا، أو استلقاء).

فما يُفْهَم أو يتصور أن السفن تنطلق في خط مستقيم إلى الكون الأعلى غير صحيح، وإذا علم أن السير الحقيقي للسفن الفضائية هو ما ذكرنا. أفاد أن ما يدعون من الرحلات الفضائية إلى الأجرام السماوية لا حقيقة له؛ لعدم القدرة على ذلك.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

النظريات عن الغلاف الجوي الداخلي والخارجي

قبل ذكر الغلاف الجوي، أذكر الأدلة على وجود الهواء، الذي بين السماء والأرض من فراغ وسحب وغير ذلك، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[السجدة:٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[ق:٣٨]، ويسمى الجو، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[النحل:٧٩]، ويسمى فضاءًا وغير ذلك.

نظرية الغلاف الجوي الأرضي

قال في "الموسوعة الفلكية" (٣١٧): (الغلاف الجوي الأرضي هو ما يحيط بالكرة الأرضية من غاز، ويبقى الغلاف الجوي؛ نتيجة قوة الجاذبية الأرضية). ويعدون هذا الغلاف من بحوث الجيولوجيا. ويسمونه بالغلاف الداخلي، والغلاف السُّفلي.

اعلم -أيها المسلم- أن الغلاف الجوي موجود بين السماء والأرض باستمرار، بإيجاد الله لهما لا بالجاذبية كما يقولون، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[الحج:٣١]، وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾[الحجر:٢٢] وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾[يونس:٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾[البقرة:١٦٤].

وأيضًا يوجد بين السماء والأرض السَّحاب، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[البقرة:١٦٤]، فجعلهم الجاذبية منتجة للضغط الجوي غير

صحيح؛ فالضغط حاصل بسبب الريح، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[الحج:٣١].

ونأمل أن يصححوا هذه الأخطاء؛ فقد قال صاحب "الموسوعة الفلكية" (٣٢٠): (تتم دراسة الغلاف الجوي الأرضي أساسًا خلال إطلاق البالونات والصواريخ، وكذلك بواسطة الأقمار الصناعية... فإن معلوماتنا لا تزال قليلة عن تركيب الطبقات العليا).

قلت: إذا كانت معلوماتهم قليلة في معرفة الغلاف الجوي الخارجي، فلا تستبعد أن تكون معلوماتهم في الغلاف الجوي الأرضي على هذا النمط، فالحمد لله الذي جعلهم يعترفون بالنقص، ولكن تعصب المتعصبين لهم من أبناء جلدتنا يمنعهم من أن يقبلوا هذه الاعترافات.

نظرية أن الشهب تتكون من الغلاف الأرضي

قال صاحب "الموسوعة الفلكية" (٣١٧): (وتستمد الشهب ظهورها وتركيب طيفها من وجود الغلاف الجوي الأرضي وتركيبه).

قلت: الشُّهب هي: النجوم والكواكب المضيئة التي خلقها الله وجعلها في سماء الدنيا مرصودة للشياطين، قال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ * لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[الصافات:٦-١٠]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾[الحجر:١٨]، وقال تعالى مخبرًا عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[الجن:٨-٩].

فما في النظرية من أن ظهور الشهب وتركيبها من الغلاف الجوي الأرضي خلاف ما دلت عليه هذه الآيات، ومن يتوقع من المسلمين أن الغلاف الجوي الأرضي يصير له هذا التصرف الذي لا يقدر عليه إلا الله.

نظرية أن الغلاف الجوي الأرضي يرد عنا النيازك

قال في «الموسوعة الفلكية» (٣١٧) وهو يتحدث عن كتل الغلاف الأرضي: (فإنها تمثل درعًا واقيًا ضد النيازك والإشعاع الشمسي قصير الموجه).

والنيازك عرَّفها صاحب «الموسوعة» (٥٧٤) بقوله: (هو جسم صغير يسقط من الخارج في جو الأرض، فيتبخر كليًا أو جزئيًا...).

وقال أيضًا فيها: (هي البقايا التي تصل إلى الأرض من الشهب).

قلت: دعوى رد النيازك عنا من قبل الغلاف الجوي الأرضي غير ظاهرة، والقرآن على خلاف نظريتهم؛ فقد سبق أن الشهب يرسلها الله على الشياطين، وهي عندهم النيازك أو من النيازك، فالناس يشاهدون سقوط الشهب إلى قريب من الأرض، ثم تنتهي شعلته، والمشهور عند المفسرين: أن الشهاب يجرح، أو يحرق، أو يخبل الشياطين، وبعضهم يقول: يقتل، فواضح أن الشهب هذه لم ترد عما أرسلها الله إليه، وأيضًا ليس بطاقة غلافهم أن يردها، ولكن نظرياتهم تقوم على الإلحاد الخفي تارة، والظاهر تارة.

نظرية أن الغلاف الجوي الأرضي والغلاف الخارجي متصلان بالفضاء اللانهائي

قال في «الموسوعة الفلكية» (٣١٨-٣١٩): (المنطقة من جو الأرض فوق ٥٠٠كم تسمى «الإكسوسفير» والفضاء الخارجي، وتدخل بالتدريج في الفضاء الكوني، معنى ذلك: أن الكثافة تقل دائمًا إلى أن يتقابل الغلاف الجوي الأرضي مع غاز ما بين الكواكب، أي: أن الغلاف الجوي الأرضي ليس له نهاية مادية، بالنسبة للفضاء).

قوله: (وتدخل بالتدريج في الفضاء الكوني) أي: اللانهائي.

وقوله في الغلاف الجوي الأرضي: (ليس له نهاية مادية) هو باعتبار اتصاله

بالفضاء الكوني، أي: اللانهائي.

هذا من جملة تيهان هؤلاء، وإلا فما بين السماء والأرض محاط بالسماء من جهة العلو، وبالأرض من جهة السفل، وهذا أمر مشاهدٌ، ومرتبة المشاهدة في العلم عين اليقين، والفضاء اللانهائي ليس ثابتًا عند عدد منهم، وقد قرَّرْنَا أنه لا وجود له إلَّا في المناظير والتَّخَيُّلات.

نظرية الغلاف الجوي الخارجي

الغلاف الجوي الخارجي غير الغلاف الجوي الأرضي عند أصحاب النظريات.

وقد ذكر صاحب «الموسوعة الفلكية» (٣١٨-٣١٩) الفارق بين الغلافين حسب اصطلاحهم، فقال: (المنطقة من جو الأرض فوق ٥٠٠ كم تسمى «الإكسوسفير» أو الفضاء الخارجي، وتدخل بالتدريج في الفضاء الكوني).

وقال أيضًا في «الموسوعة الفلكية» (ص٣١١-٣١٢). (هناك صعوبات خاصة تعوق إرسال المركبات المأهولة بالإنسان إلى الفضاء؛ لأن الظروف السائدة خارج الغلاف الجوي الأرضي معادية جدًّا لحياة الإنسان، وإحدى هذه الصعوبات يمثلها الفراغ الكامل تقريبًا من الوجهة العملية الذي تحدث فيه رحلات الفضاء).

فاجعل هذا الكلام نصب عينيك؛ تدرك صحة ما قلنا، إنه ليس ميسرًا لهم الوصول إلى الكون الأعلى، لا إلى الشمس، أو القمر، أو غير ذلك. فالنظريات حول صعود الفضاء، والوصول إلى سطح القمر، والمريخ، وزحل، قد صارت مشهورة، والحقيقة بخلافها؛ لوجود المعارضة لهذه النظريات المشهورة من عدة وجوه، منها: ما سبق ذكره، ومنها: ما قاله صاحب «الموسوعة الفلكية» وهو يتحدث عن الرحلة الفضائية، مثال ذلك: أن الرحلة إلى الزهرة والعودة منها تستغرق حوالي ٢٥ شهرًا وإلى المريخ ومنه ٣٢ شهرًا بما في ذلك من أزمنة الانتظار، وتستغرق الرحلات إلى الكواكب الأبعد وقتًا أطول مما ذكر بكثير، وبالتالي فإنها تتطلب وقودًا أكثر، وهذا

يحد من المسافات التي نستطيع أن نجتازها بالتكنولوجيا الحديثة... أما الرحلات في مادة ما بين النجوم وإلى النجوم المجاورة فإنها لا تزال ضربًا من الخيال بسبب البعد الشاسع، وما يتطلبه من فترات زمنية تقدر ببضع مئات السنين.

الغلاف الجوي النجمي

قال في "الموسوعة الفلكية" (٣٢٠): (الغلاف الجوي النجمي هو: الطبقة الخارجية الرقيقة في النجم، والتي يشع منها ضوءه مباشرة في الفضاء... يمثل الغلاف الجوي النجمي المحطة الأخيرة التي تحدث فيها كثير من عمليات الامتصاص وإعادة الإشعاع، وهي العمليات التي تعمل على نقل الإشعاع إلى الخارج).

قلت: تأمل هذا الكلام فتراه ينقض بعضه بعضًا، تنظر في أوله فما تصل إلى آخره إلا وقد نقض أوله، والسبب في هذا هو ما قاله صاحب "الموسوعة الفلكية" (٣٢٠): (ويعتبر هدف نظرية أغلفة النجوم تحديد التكوين، أي الظروف الطبيعية السائدة والتركيب الكيماوي، لما يناظر كل طبق من غلاف نجمي، ولا يزال العلم بعيدًا عن هذا الهدف، رغم الجهود الكبيرة التي تبذل للوصول إلى ذلك).

والشاهد قوله: (ولا يزال العلم بعيدًا عن هذا الهدف...).

ومن عجيب تناقضهم في هذه الأغلفة قول صاحب "الموسوعة الفلكية" (٣٢١): (فإن للعمالقة من النجوم ذات الغلاف الجوي الواسع الامتداد كثافة قليلة، بينما للنجوم الأقزام غلاف جوي أكثر كثافة، وأقل امتدادًا).

انظر إلى التناقض في هذه النظرية؛ حيث جعلوا عمالقة النجوم أقل كثافة وأوسع امتدادًا، وأقزامها أكثر كثافة وأقل امتدادًا، مع أننا لا نسلم بالأغلفة المذكورة.



٣

الفصل الثالث

النظريات
حول الأرض

لقد كثرت النظريات المتعلقة بالأرض من جهة نشأتها، ووجودها، ودورانها، وتضاريسها، ونهايتها، وغير ذلك، وسأذكر ما تيسر منها؛ لغرض تكامل معرفة القراء فيما يعرف بنظريات الكوكب الأرضي، وقد يُظن أن هذه النظريات ستكون أقل بعدًا عن الحقائق والدلائل المعتبرة، باعتبار أن قدرة أرباب النظريات على إدراك ما يريدون عن الأرض أسهل من إدراكهم لأمور الكون الأعلى؛ لأن معرفة الأرض يعتبر في متناول أيديهم، قياسًا بصعوبة الوصول بالكون الأعلى، ولكن سيأتيك ما لا مرد له من الإدراك لبعد كثير من النظريات عن الحقائق، والسبب في هذا أنهم جعلوا الأرض تابعةً للكون الأعلى عندهم، فحكموا عليها حسب نظرياتهم فيه.





نظريات تتحدث عن خلق الأرض

ذكر صاحب كتاب "العلم طريق الإيمان" (ص٤٢): (إن انفصال الأرض والكواكب من غازات وأتربة دائرية كانت تدور في الكون...).

وقال الشيخ/ عبدالكريم الحميد، وهو يتكلم عن السدم المزعوم: (ويزعمون أن هذه المادة الغازية كانت تدور بسرعة، فانفصلت منها الكواكب ومن ضمنها الأرض، وصارت هذه المنفصلات تدور بنفس الطريقة والوجهة التي عليها المادة الأولى التي انفصلت عنها، حسب نظرية "نيوتن" وبعد الملايين والبلايين من السنين بردت الأرض وتصلبت وصارت صالحة للحياة...) "الفرقان" (ص١١٧).

ويقول صاحب كتاب "من الإعجاز العلمي" (٢/ ٥٧): (إن دوران الأرض حول محورها يشكل تضاريس سطح الأرض، ثم ذكر أن الجبال تجمعت لفترات طويلة من الزمان تصل إلى مئات الملايين من السنين، وبفعل النشاط النووي في باطن الأرض... أدت إلى ظهورها على سطح الأرض على شكل طبقات رسوبية ملتوية متحدة بشكل السلاسل الجبلية، والهضاب العالية).

قلت: لم ينقل هؤلاء الكُتَّابُ اختلاف الجيولوجيين في خلق الأرض، فهاهو صاحب "الموسوعة الفلكية" (٣٦) يقول: (واتضح من ذلك أن الأرض مكونة من قشور مركزية، تقفز الكثافة عند حدودها في الارتفاع).

وقال أيضًا (ص٣٧٩): (بينما تذهب نظريات المجموعات الأخرى إلى أن الشمس وجدت أولًا، ثم تكونت منها بقية المجموعة). أي: المجموعة الشمسية. ويجعلون الأرض واحدًا من كواكب المجموعة الشمسية، فلهذا يقولون: انفصلت الأرض عن الشمس.

وذكر صاحب "الموسوعة" (٣٨) أن منهم من جعل نشأة الأرض تابعة لنشأة النجوم. وهاهو "السير جينز" أحد كبار الفلكيين يرى أن الأرض جاءت بطريق الصدفة، كما في كتاب "قصة الخلق" (٣٦).

وذكر الزنداني في كتابه "العلم طريق الإيمان" (ص١٥) قائلًا: (تقدم البحث الآن... فماذا وجدوا؟ فبعد أن نزلوا في محطات في الكواكب في المجموعة الشمسية ماذا وجدوا؟ وجدوا أن القمر في حالة تمثل حالة الأرض قبل ثلاثة بلايين عام، وأن الكواكب كلها تعتبر في حالة بدائية جدًا بالنسبة للأرض، فإذا رجعنا بعجلة الزمن إلى الخلف نرجع ثلاثة بلايين سنة، حتى تكون الأرض كالقمر، فكيف كان القمر؟ وكيف كانت الأرض؟ كانت في حالة سديمية دخانية، هذا ما ذكره لي مدير مرصد طوكيو، بروفيسور "يوشدوكوازي").

فأين ما أبداه هؤلاء، من أن خلق الأرض فيما ذكروه فقط، وحقيقة أقوال أصحاب النظريات حول خلق الأرض، أنها جاءت صدفة مع اختلافهم في كيفية مجيئها؟!

وقول كاتبنا: (انفصلت من غازات) هذا على حسب معتقدهم الباطل، أن السدم هي أصل مادة الكون السفلي والعلوي، وقد سبق بيان ما في هذا المعتقد من مخاطر.

قولهم: (وبعد الملايين والبلايين بردت الأرض وتصلبت) كذبوا؛ لأن الله يقول: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف:٥١].

وقولهم: (إن دوران الأرض حول محورها بشكل تضاريس سطح الأرض). يريدون بالتضاريس الجبال، والهضاب، والمرتفعات، والمنخفضات، وهو زعمٌ باطلٌ قائمٌ على عقيدتهم المعروفة السدم.

وإن تعجب فعجب أمر هؤلاء الْكُتَّابِ من المسلمين؛ كيف يعظمون ويمجدون هذه النظريات الإلحادية، القائمة على جحود ربوبية الله، فيقولون: نحن نقبل نظريات

الكفار؛ لنرغبهم في الدخول في الإسلام، فحالهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في أمثال هؤلاء: (لا للإسلام نصروا، ولا للأعداء كسروا).

وخلاصة ما عليه المسلمون في خلق الأرض: أن الله خلق الأرض من دخان، وليس من مادة السدم، ولا من مادة الأتربة، ولا من الذرات، وبعد أن خلقها دحاها، أخرج منها ماءها ومرعاها، وألقى عليها الجبال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأهل الْمِلَلِ متفقون على أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وخلق ذلك من مادة كانت موجودة قبل هذه السماوات والأرض، وهو الدخان الذي هو البخار، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[فصلت:١١]، وهذا الدخان هو بخار الماء، الذي كان حينئذ موجودًا، كما جاءت بذلك الآثار عن الصحابة والتابعين، وكما عليه أهل الكتاب) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٥٦٤).

وقد علم أن الأرض محاطة بالبخار غالبًا، ومحاطة بالهواء من كل جانب، وبالسماء الدنيا أيضًا من كل جانب، وأنها واقفة لا تتحرك إلا لعارض يعرض لها، وبهذا الإدراك الصحيح تريح نفسك، وتريح غيرك من متاهات الجيولوجيين.

نظرية تركيب الأرض من المواد الكيماوية

قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (٢٥٢): (وحتى التركيب الكيماوي للأرض التي نعيش فوقها يصعب تحديده، والسبب في ذلك راجع إلى أننا لا نستطيع النفاذ إلا إلى عمق بسيط في داخل الأرض).

وقال أيضًا في نفس المصدر (٣٧): (المغناطيسية الأرضية للأرض مجال مغناطيسي تقدر شدته بحوالي ٠,٥ جاوس).

وقال في (ص٣٨): (إن الجزء الأكبر من المجال المغناطيسي الأرضي (أي: المجال الأساسي) مكانه باطن الأرض... والجزء الثاني مجال ضعيف، ينتج من التيارات الكهربائية).

وقال (ص٣٦): (وعن تركيب داخل الأرض، فإننا نعرف القليل حتى الآن، ولا يمكننا إلا فحص جزءٍ ضئيلٍ جدًا).

قلت: الجزء الضئيل الذي يعرفونه على حسب زعمهم هو قشرة الأرض.

تأمل هذه النقولات ترى فيها التنصيص على عدم قدرتهم على معرفة ما في باطن الأرض، وهذا كافٍ في عدم معرفتهم بتركيبها حقيقة، وإنْ تخرص بعضهم فصرح أنها مركبة من كذا وكذا.

ومما يدل على ما **قلت**: قول صاحب «الموسوعة» (٣٦): (ولا توجد حتى الآن إيضاحات حول تركيب كل قشرة، وإنما توجد نظريات عديدة تتعارض مع بعضها جزئيًا).

وكفى بهذه الإيضاحات بيانًا لعجزهم عن معرفتهم بقشرة الأرض وما تحتها مما هو قريب منا، فكيف ذهبوا يدعون أنهم قد توصلوا إلى معرفة المواد التي خلقت منها الأرض، وليس عندهم في ذلك إلا التخرص.

نظرية أن الأرض كوكب سيَّار والرد على ذلك

لقد كثر في عصرنا الْكُتَّابُ والمؤلفون الذين يطلقون على الأرض اسما تقليدًا للأعداء وهو الكوكب، وهذه مجاراة واضحة للفلكيين الضُّلال، الذين صاروا يطلقون على الأرض كوكبًا سيَّارًا.

قال في «الموسوعة الفلكية» (٣٢): (الأرض كوكب... وهي ككل الكواكب الأخرى، تتحرك حول الشمس...).

ولا نعلم عندهم خلافًا في هذه التَّسْمِيَةِ، ولا تصح هذه التسمية للأرض؛ لأن الكواكب لها خصائصها وصفًا وزمانًا ومكانًا وحجمًا، لا يتأتى من ذلك شيء في الأرض.

فالكوكب عند أهل اللغة: النجم. قال ابن منظور في «لسان العرب» (١٤/ ٦٠): (النجم في الأصل اسم لكل واحد من كواكب السماء، وهو بالثريا أخص).

وقال نشوان الحميري (٩/ ٥٨٧٣): (الكوكب واحد الكواكب وهي: النجوم...

والكوكب: النور يشبه بالنجم لبياضه).

وقال صاحب كتاب «مختار الصحاح» (٥٧٥): (الكوكب: النجم، وكوكب الشيء معظمه).

وفي «القاموس المحيط» (١/ ١٦٦): (الكوكب: النجم).

وعامة كتب اللغة على هذا، فبان بهذا أن الكواكب: هي النجوم التي في السماء، وبهذا التعريف اللغوي يعلم أنه لا فرق بين الكوكب والنجم، وهكذا في الشرع، كما سيأتي، وعلى هذا يلزمهم أن يقولوا للأرض نجم، وهم لا يقولون بهذا؛ لأنهم يفرقون بين النجوم والكواكب، فيجعلون النجم ما شأنه الإضاءة بخلاف الكواكب، مع أنَّهُ تفريقٌ مرجوح، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾[النور:٣٥]، فقد فسَّر العلماءُ (الدُّرِّيُّ): بالمُضيء. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾[الأنعام:٧٦] فسَّرَهُ المُفسِّرون: بالنجم. وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾[الصافات:٦] قال المُفسِّرون: هي النجوم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾[الملك:٥]، وبقيت أدلةٌ دالَّةٌ على أن الكواكب هي: النجوم، فالتفريقُ بينهما مرجوح، ولا عِبْرَةَ بتفريق الفَلَكِيِّين، فضْلًا عن أن يلزم ذلك، وأنَّ الأرض لم يُطلِق عليها علماء اللغة كوكبًا.

تنبيـــهٌ: بعض المؤلفين العصريين في اللغة جروا في تعريف الأرض بأنها إحدى الكواكب، كصاحب «المعجم الوسيط»، وصاحب «الرائد»، وهذا منهم جريًا مع المستجدات، وتقصير في البحث، والرجوع إلى ما عليه أساطين أهل اللغة. **فليتهم ما قالوا ذلك.**

وإليك ذكر بعض الفوارق بين الكواكب والأرض:

١) الكواكب زينة للسماء الدنيا، ورجومٌ للشياطين، قال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾[الصافات:٦-٧]. والأرض ليست كذلك قطعًا.

٢) الكواكب فيها الإضاءة المتفاوتة، قال تعالى: ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[النور:٣٥]. والأرض ليست كذلك قطعًا.

٣) الكواكب تقرن في ذكرها بالشمس والقمر، قال تعالى إخبارًا عن يوسف: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾[يوسف:٤]، وقال تعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ بِأَمْرِهِۦٓ﴾[النحل:١٢]. والأرض لا تقرن بهما، وإنما بالسماوات.

٤) الكواكب علامات يهتدى بها، قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[النحل:١٦]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[الأنعام:٩٧].

٥) الكواكب من شأنها الطلوع والغروب، قال الله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ النُّجُومِ﴾[الطور:٤٩]. والأرض لا تطلع ولا تغرب.

٦) الكواكب من شأنها الجري والاختفاء، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾[التكوير:١٥-١٦]. والأرض ليست كذلك.

٧) وليس معروفًا عند أهل الإسلام من عهد الرسول ﷺ إطلاق اسم كوكب على الأرض، ولهذا إذا ذكرت الكواكب لا يتبادر إلى الذهن إلا التي في السماء.

فتسمية الأرض بالكوكب تسمية غريبة أجنبية عن القرآن والسنة والمسلمين، باطلة لفظًا ومعنى. فما لنا ولاصطلاحات أصحاب الأفلاك التي تخالف القرآن والسنة؟!! فلنهجرها كما هجروا الحق الذي عندنا. وانظر "معجم المناهي اللفظية" للشيخ/ بكر أبوزيد (ص١١٨).

ونهاية القول: أنَّ أصحاب النظريات أطلقوا على الأرض كوكبًا سيارًا؛ انتصارًا منهم لأقوالهم الباطلة، من أن الأرض تدور حول الشمس، وإلَّا فليس معهم دليلٌ على ذلك.

الأدلة على أن الأرضين سبع

قال عز وجل: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[الطلاق:١٢]. قال ابن جرير رحمه الله (٢٣/ ٤٦٩) بعد ذكره للآية: (يقول تعالى ذكره: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾[الطلاق:١٢] لا ما يعبد المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تقدر على خلق شيء، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[الطلاق:١٢] يقول وخلق من الأرض مثلهن، لما في كل واحدة منهن مثل ما في السماوات من الخلق).

وقال ابن كثير رحمه الله (١٤/ ٤٤): (ومن الأرض مثلهن أي سبعًا أيضًا، كما ثبت في الصحيحين: «**مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الْأَرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**» وفي "صحيح البخاري": «**خُسِفَ بِهِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ**».

ومما يدل على أنها سبع كالسماوات، ما رواه مسلم عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، طَوَّقَهُ اللهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ**» وعن عائشة رضي الله عنها مثله، إلا أن فيه «**مِنْ**» بدل «**إِلَى**».

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**لَا يَأْخُذْ أَحَدٌ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا طَوَّقَهُ اللهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

وحديث صهيب رضي الله عنه عند النسائي: «**اللهُمَّ رَبَّ الْأَرَضِينَ السَّبْعِ، وَمَا أَقْلَلْنَ**».

وروى الإمام أحمد (٢/ ١٦٩-١٧٠)، والحاكم (١/ ٤٨-٤٩) وصححه، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (ص١٢٨)، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أتى النبي أعرابيٌّ ثم دعاه رسول الله ﷺ فقعد، فقال: «**إِنَّ نُوحًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**

حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، فَقَالَ لِابْنِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ: آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

وقال الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٢٢٠) وقد عزاه لأحمد والطبراني: (ورجال أحمد ثقات). وصحح إسناده الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٩٨).

وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه «باب ما جاء في سبع أرضين» وذكر الآية الكريمة التي بين أيدينا، وذكر حديث ابن عمر، وعائشة، وسعيد بن زيد. وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٦/ ٣٥٢-٣٥٣: «وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ»: (يرد على أهل الهيئة قولهم ألَّا مسافة بين كل أرض وأرض، وإن كانت فوقها، وأن السابعة صماء لا جوف لها، وفي وسطها المركز، وهي نقطة مقدرة متوهمة، إلى غير ذلك من أقوالهم التي لا برهان عليها).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (٦/ ٥٩٥): (وقد خلق الله سبع أرضين بعضهن فوق بعض، كما ثبت في الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ ظَلَمَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وقد ذكر أبو بكر الأنباري الإجماع على ذلك، وأراد به إجماع أهل الحديث والسنة). اهـ

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٢٧): (والظاهر أن بين كل واحدة منهن وبين الأخرى مسافة؛ لظاهر قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾[الطلاق:١٢]. وقال في نفس المرجع: (وأما ما ذهب إليه بعض المتكلمين على حديث «طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ» أنها سبعة أقاليم، فهو قول يخالف ظاهر الآية والحديث الصحيح).

وقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (بعضهن فوق بعض) فيه ردٌّ واضحٌ على من قال: إن الأرضين السبع موزعات داخل السماوات السبع، فهذا القول من أبطل الباطل،

وإثبات سبع أرضين فيه رد على من قال: إنها سبعة أقاليم وليست أرضين، وهو قول مهجورٌ، وفي هذا رد على من قال: إن الأرضين أكثر من سبع، أما من قال: إن الأرض واحدة فقط فهذا مكذب لكلام الله وكلام رسوله ﷺ، ولما قد علم بالضرورة من دين الإسلام!!

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

الأدلة على أن الأرضين السبع وجدت قبل السماوات





لقد دلت الأدلة على أن الله خلق الأرض ثم السماوات، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾[البقرة:٢٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[فصلت:٩] إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ * فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾[فصلت:١١-١٢].

ولا تعارض بين هاتين الآيتين مع قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا * وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ * أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا * وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾[النازعات:٢٧-٣٢]؛ لأن الآية هذه فيها دحو الأرض بعد خلق السماوات لا الخلق لها، والخلق لها شيء، والدحو شيء آخر.

وهذا الذي قلته جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما معلقًا عند البخاري في سورة فصلت، وأخرجه الطبري موصولًا، والطبراني رقم (١٠٥٩٤)، وابن منده برقم (١٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٠٩) بسند يُحْتَجُّ به، وقد رجح هذا الجمع جماعة كبيرة من المفسرين: كابن أبي زمنين (١/ ٤٣٧)، وابن كثير (١/ ٢١٣)، وقال: (وقد صرَّح المفسرون بذلك)، والقرطبي (١/ ١٧٨)، والبغوي (١/ ٧٨)، والسمعاني (٥/ ٣٩)، والبقاعي (١/ ٢٢٣)، وأبو حيان الغرناطي (١/ ٢١٩)، والشنقيطي(٧/ ١١٧-١١٩) وقال: (وهذا التفسير الذي ذكر في الآية، لا يصح غيره بحال)، وابن عطية (١٥/ ٣١٠)، والسعدي (٧٤٥-٧٤٦)، والشوكاني (١/ ٦١)، وقال بعد أن رجح ما قلنا: (وهذا جمعٌ جيد، لا بد من المصير إليه).

وبقي إشكالٌ في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[البقرة:٢٩] فبعد أن رجحنا أن دحو الأرض كان بعد خلق السماوات فآية البقرة هذه أفادت أن خلق ما في الأرض كان قبل خلق السماوات، وقد حل هذا الإشكال الشنقيطي رحمه الله في "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب" (ص١٢-١٣) قال: (وقد مكثت زمنًا طويلًا أفكر في حل هذا الإشكال، حتى هداني الله إليه ذات يوم، ففهمته من القرآن العظيم، وإيضاحه: أن هذا الإشكال مرفوعٌ من وجهين، كل منهما تدل عليه آية من القرآن، **الأول**: أن المراد بخلق ما في الأرض جميعًا قبل خلق السماء الخلق اللغوي، الذي هو التقدير لا الخلق الفعلي الذي هو الإبراز من العدم إلى الوجود، والعرب تسمي التقدير: خلقًا، ومنه قول زهير:

ولأنت تَفْرِي ما خلقت وبعـ ض القوم يخلق ثم لا يَفْرِي

والدليل على أن المراد بهذا الخلق التقدير: أنه تعالى نصَّ على ذلك في سورة فصلت، حيث قال: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾[فصلت:١٠] ثم قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾[فصلت:١١] الآية. **الثاني**: أنه لما خلق الأرض غير مدحوة، وهي أصل لكل ما فيها، كان كل ما فيها كأنه خلق بالفعل لوجود أصله فعلًا، والدليل من القرآن على أن وجود الأصل يمكن به إطلاق الخلق على الفرع، وإن لم يكن موجودًا بالفعل، قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[الأعراف:١١]، فقوله: ﴿خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾[الأعراف:١١] أي بخلقنا وتصويرنا لأبيكم آدم الذي هو أصلكم). اهـ

قلت: وبعض المفسرين جعل قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾[النازعات:٣٠] بمعنى: مع، أي فلفظة ﴿بَعْدَ﴾ بمعنى: (مع)، والأول أرجح، والله أعلم.

تنبيهٌ: بعضهم يفهم أن خلق الأرض وما فيها، والسماوات وما فيها، تم في ثمانية أيام، وهذا خطأٌ في فهم آية فصلت، ولو تدبر هذا الصنف الآية، وفهمها بإيضاح الآيات الأخرى لها، ما حصل هذا...

وباختصار: قال الله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾[فصلت:٩-١٠] فأفادت الآية أن الله سبحانه خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام: يومان خلق فيهما الأرض، ويومان خلق فيهما ما في الأرض. والخطأ جاء أصحاب هذا الفهم من جهة أنهم فهموا قوله تعالى: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾[فصلت:١٠] أنها من غير اليومين الذين خلق الله فيهما الأرض، والصحيح أن اليومين الذين خلق الله الأرض فيهما داخلة في الأربعة الأيام المذكورة، وذكر بعد خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام خلق السماوات وما فيها في يومين، قال تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾[فصلت:١٢] فقوله سبحانه: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾[فصلت:١٢] أي: في اليومين اللذين خلق الله فيهما السماوات، فصار مجموع الأيام التي خلق الله فيها الأرض وما فيها والسماوات السبع وما فيهن في ستة أيام، ومصداق هذا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[ق:٣٨].

تنبيهٌ آخر: بعضهم يقول: من المعلوم أن السماوات أكبر من الأرض، فكيف كان خلق السماوات وما فيها في يومين فقط، مع أن الله خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام؟ والجواب: صحيح أن الله خلق الأرض في أربعة أيام، والسماوات في يومين، كما سبق تقريره، ولا إشكال في هذا؛ لأن الله خلق السماوات السبع وما فيهن في يومين، وهي مدة أقل من مدة خلق الأرض، ليدلنا على أنه يقدر على خلق المخلوقات العظيمة في أقل من هذا، فهو سبحانه قادرٌ على أن يخلق السماوات وما فيها في ساعة. فسبحان من يقول للشيء كن فيكون!!!

بداية إحياء القول بدوران الأرض ومركزية الشمس

من المعلوم أنَّ أوَّلَ من قال بدوران الأرض حول محورها وحول الشمس الفيلسوف الإغريقي «فيثاغورس»، وكان قبل ميلاد المسيح ابن مريم، وأيضًا قال بذلك «سيليقوس البابليوني»، وكان قبل ميلاد ابن مريم بمائة وخمسين سنة، كما في «الموسوعة الفلكية» (٢٢٧١).

ولكن هذه المقالة لم تلق قبولًا عند اليهود والنصارى، فضلًا عن أن تلقى ذلك في عصور الإسلام، وظلَّت في الأوراق، وكان أول من أحيا هذه الضلالة «كوبرنيكوس» البولندي، قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (٣٩٣-٣٩٤) وهو يترجم لـ«كوبرنيكوس» المذكور: (هو «نيكولاوس كوبرنيكوس» ولد بتاريخ (١٩/ فبراير/ ١٤٧٣م)، وتوفي بتاريخ (٢٤/ مايو/ ١٥٤٣م)... ترجع شهرة «كوبرنيكوس» إلى تبنيه فكرة وجود الشمس، وليس الأرض كجسم ثابت في مركز المجموعة الشمسية... وقف «كوبرنيكوس» مناهضًا لتعاليم «بطليموس» عن مركزية الأرض، التي ظلت وقتًا طويلًا غير قابلة للطعن... وقدم تعاليمه بأن الشمس تمثل مركز الكون، وتدور حولها الكواكب في مدارات دائرية... وبذلك وضع «كوبرنيكوس» الأساس للآراء الحديثة).

قُلْتُ: وأَلَّفَ «كوبرنيكوس» كتابًا بعنوان: «حركات الأجرام السماوية» ولم ينشره في حياته، وبعد مرور ثلاثة عشر عامًا قام أحد تلاميذه بنشر كتابه المذكور.

وبعد مرور أكثر من قرن من الزمان من موت «كوبرنيكوس» جاء «جاليليو جاليليه» المتوفى سنة (١٦٤٢م) قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (١٤٤): (وعمل «جاليليه» بالكلمة والقلم في فلورنسا لتأييد «كوبرنيكوس»).

قُلْتُ: وهو الذي يعد عند الفلاسفة باني عصر النهضة، وباعث العلم التجريبي،

وقد ألف كتابه "الحوار"، وأجاب فيه عن الشبهة التي وجهت إلى "كوبرنيكوس" وقرر فيه كفريات كثيرة. انظر كتاب "قصة الخلق" (٢٦٠) وكتابه صار عمدة عند من جاء من بعده.

وفي العام الذي توفي فيه "جاليليو" ولد "إسحاق نيوتن" الإنجليزي المتوفى سنة (١٧٢٧م) وهو صاحب نظرية الجاذبية. انظر الموسوعة (٥٧٧). فكان "نيوتن" من أعظم من انتصر لـ"كوبرنيكوس" و"جاليليو".

فاتضح من هذا، أن أول من قال بدوران الأرض ووقوف الشمس قبل الإسلام وفي عصر النهضة الأوربية أفراد من الملاحدة، وأن هذا القول هجر عند اليهود والنصارى أَوَّلًا، ثم عند المسلمين ثانيًا، واستمر هذا الهجر قرونًا عديدة، وإلى عهد قريب.

زملاء الفلكيين والفلاسفة يردُّون عليهم

قال صاحب كتاب "قصة الخلق" (٣٠١): (يذكر التاريخ أن فلاسفة قاموا بالرد ودحض نظريات زملائهم القائلين بمركزية الشمس، منهم: "أرسطو طاليس المقدوني" وهو فيلسوف إغريقي ولد (عام٣٨٤) وتوفي (عام٣٢٢) قبل الميلاد، وهو التلميذ الأشهر لـ"أفلاطون"، ومعلم "الإسكندر الأكبر" أسس (عام٣٢٥) قبل الميلاد المدرسة "البريباتية"، وهو مؤسس علم المنطق والمذهب الذي يشار إليه باسمه، وقد ترجمت جميع كتبه إلى اللغة العربية في القرنين التاسع والعاشر الميلادي.

وقد تصور "أرسطو" النسق الكوني على أساس التجربة البسيطة المشاهدة، واعتبر عناصر الأشياء أربعة: (الماء، والهواء، والنار، والتراب) فهو يقول: بأن التراب هو أثقل العناصر الأربعة؛ لأنك لو أتيت بإناء به تراب وماء وهواء، وهززت ذلك تمامًا فإنك ستشاهد فقاقيع الهواء تتصاعد فوق السطح، والتراب يترسب في القاع، وإذا أوقدت نارًا تصاعد اللهب عاليًا خلال الهواء، وفي النظام الكوني تكون الأرض

مكانها القاع (المركز) وطالما استقرت في مكانها، وليس من سبب لتحريكها حركة دورانية، أو أي حركة انتقالية أخرى، بينما النجوم والكواكب لم تستقر مكانًا؛ فهي دائمًا في حركة سنوية حول الأرض الساكنة.

كما جاء "كلوديوس بطليموس" الفلكي السكندري (١٤٠) قبل الميلاد، ليؤيد نظرية "أرسطو"... اعتبار الأرض ساكنة في مركزه، والكواكب السبعة بما فيها الشمس والقمر تدور حولها، في مدارات ثابتة شبه دائرية، ودوَّن نظريته عن الكون في كتابه الرئيسي "النظام الفلكي الأكبر"، ولم يحدث أن استقر نظام كهذا النظام الذي تصوره "بطليموس"). اهـ

وقال صاحب كتاب "رواد علم الفلك" (ص٢٢): (و"بطليموس" صاحب النظرية الفلكية القائلة: إن الأرض ثابتة، وإن الفلك يدور حولها، وبقيت هذه النظرية مسيطرة على الإنجازات العلمية اليونانية في ميدان علم الفلك).

و"بطليموس" هذا معظمٌ جدًّا عند فلاسفة الأفلاك، وبلغ في علم الأفلاك مبلغًا عظيمًا في نظر الفلكيين، قال صاحب كتاب "تاريخ الحكماء": (وإلى "بطليموس" هذا منتهى علم حركات النجوم ومعرفة أسرار الفلك، وعنده اجتمع ما كان متفرقًا من هذه الصناعة بأيدي اليونانيين والرومانيين وغيرهم).

وقد استمرت البشرية سابقًا ولاحقًا من فلاسفة ومجوس ويهود ونصارى، وجاء المسلمون بعد هذه الأمم، وكلها على أن الأرض ثابتة والشمس تجري، بل واستمر هذا إلى آخر القرن التاسع عشر.

القول بدوران الأرض مبني على أصلين فاسدين

لقد تقدم أن ذكرنا في كلامنا على السديم أنهم يقولون أن الأرض منفصلة عنه؛ لأن الأرض أحد الكواكب، والكواكب والشمس والقمر منفصلة عن هذه المادة الأزلية عند أربابها، وهذا هو الأصل الأول عندهم، وعلى اعتقادهم هذا بنوا دوران

الأرض، تبعًا لمادتها على حد زعمهم؛ لأنهم يقولون: بما أن السديم يدور في فضاء لا نهاية له، فكل شيء انفصل عنه فهو يدور، ويقولون: إن دوران الأرض هو على نفس دوران مادة السديم من جهة السرعة وديمومة الدوران.

والأصل الثاني، أن الأرض منفصلة عن المجرات، والمجرات سابحة في فضاء لا نهاية له، فكذلك الأرض تسبح، ولهذا قال صاحب كتاب "من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم" (ص٦٣): (... والمفهوم العلمي لمصطلح "سماء": هو الحيز أو الفضاء اللانهائي، الذي يحيط بكوكب الأرض من جميع الجهات، وتسبح جميع المجرات، والسدم، والكوكبات، والنجوم، والكواكب، والأقمار، في هذا الفضاء اللانهائي، فالأرض من جملة الكواكب السابحة مع المجرات).

وقال صاحب كتاب "آيات طبيعية في القرآن" (ص٢٦): (فالأرض مثلًا لها ثلاثة أنواع من الحركة: فهي تدور حول نفسها، وهي تدور حول الشمس، وهي تتحرك مع المجموعة الشمسية ككل).

وقال صاحب كتاب "توحيد الخالق" (ص٣٤٢): (لقد ثبت لدى العلماء بصفة فعلية، أن الأرض انفصلت عما في السماء).

قلت: السماء عندهم: هو الفضاء، وفيه المجرات السابحة فيه. فهل أدرك القائلون بدوران الأرض من المسلمين هذا التخبط الذي ذكرناه عنهم؟!!

الكلام على دوران الأرض الباطني

قال السبيعي (ص٤٣): (إن العلم الحديث يقول: إن طبقات الأرض تسير وتجري وتدور تحت قشرتها الخارجية، وقد أشار القرآن إلى هذا منذ (١٥٠٠) عام، بينما لم يدرِ له العلماء إلا في العصر الحديث).

لا يخفى عليك أن إثبات سكون قشرة الأرض وحركة الأرض تحتها لا يقدر على تصوره؛ لأنه لا انفصال بين قشرة الأرض وما تحتها، فهما شيء واحد، وقولهم هذا

مبنيٌّ على باطل، وهو: أن الأرض لما انفصلت من الشمس بردت بعد ملايين السنين، ويعنون بالبرودة برود قشرتها؛ لكي تصلح للحياة عليها، وعلى هذا فالبرود للقشرة فقط، وأما ما تحتها فالحرارة والالتهاب باقٍ فيها، وقد تقدم فساد هذا القول، وعلى هذا فأصحاب هذا القول يرون أن إثبات دوران قشرة الأرض يؤدي إلى عدم صلاح الأرض للحياة، فليعلنوا هذا؛ لأنه جزء من الحق، وينقض قولهم هذا حدوث الزلازل الأرضية، فإنها تحرك الأرض كلها بما في ذلك قشرتها، فبان بهذا بطلان التفريق بين الأرض وقشرتها، وبطلان القول بدوران الأرض؛ لأنها لن تكون صالحة للحياة عليها وهي تدور.

يتفرع عن القول بدوران الأرض أشياء أخر

إن الجيولوجيين القائلين بدوران الأرض يعتقدون أنه يتولد من هذا الدوران التضاريس، قال صاحب كتاب «من الإعجاز العلمي» ٢/٥٧-٥٨: (إن دوران الأرض حول محورها يشكل تضاريس سطح الأرض، ثم ذكر تجمع الجبال لفترات طويلة تصل إلى ملايين السنين، وبفعل النشاط النووي في باطن الأرض، تعرضت هذه الرواسب لحركات رفع تكتونية جوفية، أدت إلى ظهورها على سطح الأرض على شكل طبقات رسوبية ملتوية، متخذة شكل السلاسل الجبلية، والهضاب العالية).

قلت: واضح من هذا الكلام أن الجبال والهضاب و... تولدت من دوران الأرض، والتضاريس هي المرتفعات والمنخفضات، كما في «المعجم الوسيط» (١/٥٣٨)، ومن المعلوم قطعًا أن الله خلق الأرض في أربعة أيام، جبالها وسهولها، فمن أين جاء التولد المزعوم؟! انظر إلى هذا التولد المذكور الذي ينفي خلق الجبال والهضاب، ومعلوم عند عموم المسلمين أن الله خلق الجبال وألقاها على الأرض لتثبتها، كما سيأتي.

مقاومة الأوربيين لنظريات "كوبرنيكوس" و"جاليليو" في الأرض والشمس مما أدى ذلك إلى عدم انتشارها لمدة ثلاثة قرون

لقد حصلت مقاومة عنيفة للنظريات القائلة بدوران الأرض، ومركزية الشمس المذكورة في بلاد أوربا، التي هي مهد هذه النظريات، وكانت المقاومة من جهة الفلاسفة الفلكيين أتباع "أرسطو" وغيرهم، ومن جهة الكنائس.

قال في "الموسوعة الفلكية" (٣٩٤) في ترجمة "كوبرنيكوس": (وقد قام في عام (١٥١٠م) بكتابة مقالٍ صغيرٍ قدم فيه رأيه، واصطدم فيه بصعوبات أراد تذليلها أولًا قبل توزيع مقال أكبر... وبذلك لم تعارض تعاليمه "كوبرنيكوس" في القرن اللاحق من الكنيسة فقط، وإنما رفضها الفلكيون أيضًا).

ومن الفلكيين الذين رفضوا تعاليم "كوبرنيكوس": "براهي" الدانماركي قال في الموسوعة (ص٧٨) في ترجمة المذكور: (وعلى الرغم من تقدير "براهي" الشديد لـ"كوبرنيكوس" إلا أنه ظلَّ يرفض تعاليمه؛ لأنها لا تتفق مع أرصاده).

وقال صاحب "قصة الخلق" (ص٣٢): (وبدأت معركة بين الفلاسفة، وخاصة أتباع "أرسطو" معلمهم الأكبر، وبين التجريبيين الذين أرادوا إحلال طريقة التفكير التجريبي المعملي، محل التفكير المبني على الاستنباط العقلي).

والمواجهة العنيفة حقًّا كانت لـ"جاليليو"، قال صاحب "الموسوعة" (١٤٤): (وعمل "جاليلي" بالكلمة والقلم في فلورنسا؛ لتأييد "كوبرنيكوس" الأمر الذي أدى به إلى حادثتين ومحاكمتين من قبل الكنيسة (١٦١٦م) و(١٦٣٣م) واضطر بعد المحاكمة الثانية إلى العدول عن التعليم الجديد، ونفي إلى "زيينا"، لكن سمح له بعد ذلك بالرحيل إلى منزله الريفي).

وقال صاحب كتاب "قصة الخلق" (ص٢٦٠-٢٦١): (وخلال أربع جلسات للمحكمة تراجع "جاليليو" عن آرائه، وتنصَّل من كتابه، وتبرأ من "كوبرنيكوس"...

بل إن الذي يعلمه المطلعون والباحثون أن «جاليليو» تبرأ راكعًا من كل ما قال، وقال: إنني لم أتمسك بالآراء الكوبرنيقية، كما إنني لم أتمسك بها منذ أن صدر لي الأمر بالكف عنها، وعلى كل حال فإنني أؤيدكم، فلتفعلوا إذًا ما ترونه).

وهذا «جيردانو برونو» قال في المصدر السابق (ص٢٦٣): (وعلَّق الدكتور علي حلمي موسى على كلام «جاليليو»: إن الكون إنما هو فراغ شاسع، فقال: لم يشأ «جاليليو» بالقول بلا نهاية الكون، التي أدت بالكنيسة إلى الحكم على الفيلسوف «جيردانو برونو» بالموت حرقًا في (١٧/ ٢/ ١٦٠٠م) وإن هذا ما يفهم ضمنًا للحوار).

وكان موقف الكنيسة من كتاب الحوار لجاليليو الآتي:

قال محرر مدخل كتاب الحوار «إميل شتراوس» (ص١٣٨) عن معاملة «جاليليو» أثناء المحاكمة: (فإن «جاليليو» لم يلقَ تعذيبًا جسديًا، ولكنه فقط واجه ما يسمى بالفزعة الخفية، وفي يونيو سنة (١٦٣٣م) حكم على «جاليليو» بالحكم الذي جاء في حيثياته: وبما أنه قد صدر منذ فترة وجيزة كتاب طبع في السنة الماضية في فلورنسا، ويبين عنوانه أنك مؤلفه، وبما أنه قد قيل للمجلس المقدس: إنه كنتيجة لنشر الكتاب المذكور قد شاع الرأي الخطأ القائل بحركة الأرض وسكون الشمس يومًا بعد يوم، فقد تم فحص الكتاب المذكور بكل عناية، وقد وجد أن الكتاب يحتوي على انتهاك سافر للأمر المذكور أعلاه، والذي تم إبلاغه لك آنذاك، وذلك أنك قد دافعت في الكتاب المذكور عن التعاليم التي قد لعنت سابقًا، والتي وصفت لك صراحة بأنها ملعونة). نقلاً من كتاب «قصة الخلق» (ص٢٦٦).

وبعد هذه المحاكمة «لجاليليو» في روما سنة (١٦٣٢م) ترك «جاليليو» أفكاره المنتقدة عليه، وإليك نص اعترافه وخلوعه أفكاره قال «جاليليو»: (أنا «جاليليو جاليليه»... البالغ من العمر سبعين عامًا الماثل شخصيًا أمام المحكمة، والراكع أمام سموكم أصحاب المقام الرفيع السادة، مطارنة محكمة التفتيش العامة ضد الشرور والزندقة في كل العالم المسيحي... وبعد أن كشف إليَّ أن هذه التعاليم تتناقض مع

الكتاب المقدس، قمت بتأليف كتاب وتسليمه للطبع، وشرحت فيه التعاليم التي لعنت سابقًا، وقدمت فيها بدرجة كبيرة من دلائل تعضدها دون إضافة نقد لها، وبما أنني من خلال ذلك قد جعلت هذا المجلس المقدس يشك بشدة في أنني زنديقٌ، أي: أنني اعتبرت أن الشمس هي مركز الكون، وهي لا تتحرك، وأن الأرض ليست هي المركز، وهي تتحرك لذلك، وبما أنني آمل من سموكم ومن كل مسيحي مؤمن رفع هذا الشك الشديد الموجه ضدي بحق، فإنني تبت، وألعن وأسب بقلب مخلص، وعقيدة صافية الضلالات، والزندقات المذكورة). نقلاً من كتاب "قصة الخلق" (ص٢٧٣).

انتشار القول بدوران الأرض ووقوف الشمس ومركزيتها في آخر القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين عم بلاد المسلمين

قال صاحب كتاب "قصة الخلق" (ص٢٧٦): (رفع الحظر عن كتاب "الحوار" بعد ٢٠٠ سنة وذلك في (٢٥/ سبتمبر/ ١٨٢٢م) وحتى هذا التاريخ ولعدة سنوات بعده، ظل الناس على رأيهم بأن الأرض ثابتة والشمس تدور حولها، ولكن مع بداية القرن العشرين بدأت في الظهور من جديد، ولكن هذه المرة على يد المسلمين).

قلت: في الشطر الأخير من القرن العشرين، تمكنت النظريات الكونية على زمام أحوال كثير من المسلمين، من العلم والتعليم والدعوة والتأليف، بل أدخلت النظريات في المناهج التعليمية العامة والخاصة، وفرض منها ما فرض في الدراسات الجامعية وغيرها، بل تسابق تلاميذ أرباب النظريات إلى جعل النظريات علمًا حاكمًا على القرآن والسنة، ووصلوا إلى تأصيلات أن ما لم تقبله النظريات من الحق فهو مشكوك فيه. وقالوا: إذا تعارض القرآن والنظريات قدمت النظريات، بل جعل تعليمها جزء من الإيمان، كما فعل الزنداني حيث جعل جامعته -جامعة الإيمان- تتكون من أربع كليات، الرابعة منهن: كليات علم الإعجاز، والجدير أن يقال: "علم العجز".

ودواهي النظريات على المقبلين عليها من كُتَّابِ المسلمين خطيرة.

قبول المسلمين القول بدوران الأرض أقنع الغربيين بذلك

قال صاحب كتاب «قصة الخلق» (ص٣٢١): (وظلت البشرية حتى بداية القرن العشرين وهي تؤمن بقول الله في الشمس، وتعتقد على اختلاف مشاربها وأماكنها، بأن الأرض ثابتة، والشمس تدور حولها، حتى بدأ العالم الإسلامي يقتنع بالفكرة التي غرره بها الاستعمار، وما لبث أن اقتنع به الغرب نفسه الذي رفضها وأنكرها، حتى بعد موت «جاليليو» بمائتي عام، أي: بعد قرنين كاملين، ثم اقتنع بها الغرب، عندما بدأ المسلمون يؤيدونها بالقرآن، الذي لا يوجد فيه آية واحدة، بل لا توجد فيه كلمة واحدة، تقول: إن الشمس ثابتة، وإن الأرض هي التي تدور. ودون أدلة، ودون جديد في الأمر، ترك اليهود ما في كتابهم، وترك النصارى ما في كتابهم، وترك المسلمون ما في كتابهم، تركت الأمم الثلاث كتبها الثلاثة، التي تؤمن بأنها نزلت من عند الله، والتي تدعي إيمانها بها، والتي تدعي اتباعها لما فيها، تركت هذه الكتب؛ لتتبع كتابًا واحدًا اسمه «حركات الكرات السماوية»)!!!

نأسف أن يكون المسلمون بسبب الجهل، أسبق إلى قبول بعض الأباطيل من الكفار في بادئ الأمر، وأن يتحول الأمر إلى أن يصيروا قدوة للكفار في باب الشر، فالله المستعان!

فكيف لو علمتم معشر المسلمين أن زمرة من الدعاة في بلاد الكفار قد جندوا أنفسهم في نقل ما يحصل من بعض المسلمين؛ ليروجوه في بلادهم؛ لأغراض متنوعة، منهم من يريد بذلك الطعن في الإسلام، حتى لا يقبله الكفار، ومنهم من يستخرج بذلك أموالًا، باعتبار أنه صار حريصًا على إفساد المسلمين.

فتخبطات المسلمين شوهت بهم وبالإسلام وأتعبتهم وأتعبوا غيرهم.

نظرية دوران الأرض حول الشمس وحول الكون وحول نفسها وغير ذلك وبيان تناقض ذلك

إن القائلين بدوران الأرض لم يكتفوا بنسبة دورانها دورانًا واحدًا، ولكن ادعوا أن للأرض أكثر من حركة، وأكثر من دوران.

قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (ص٤٥٦-٤٥٧): (فإننا نتحدث عن المدار النسبي، أو المدار المطلق على التوالي، فعلى سبيل المثال الأرض تتحرك حول الشمس في مدار بيضاوي، أما حركتها المطلقة في الكون فهي عبارة عن مدار حلزوني معقد).

وقال أيضًا في المصدر السابق: (ويعتمد المدار الظاهري لجرم سماوي على المدار الحقيقي، وعلى الحركة التي يتحركها المشاهد؛ نتيجة دوران الأرض حول نفسها، وحركتها حول الشمس).

وقال صاحب كتاب «قصة الخلق» (ص٢٨٩): (إن أهل الفلك لم ينسبوا للأرض حركة واحدة، بل ست حركات:

حركة حول نفسها بسرعة ١٠٤٤ ميل/ساعة أي ١٦٨٠كم/ساعة.

حركة دائرية حول الشمس بسرعة ٦٧ ألف ميل/ساعة أي ١٠٧,٨٢٥.٧٨كم/ساعة.

حركة دائرية مع الشمس حول المجرة بسرعة ٤٩٧ ألف ميل أي ٨٠٠,٠٠٠كم/ساعة.

حركة حول نجم النسر بسرعة ٤٣ ألف ميل أي ٧٠,٠٠٠كم/ساعة.

حركة لتمدد الكون مع الشمس بسرعة ١٤ ألف في الثانية أي ٥٠مليون ميل/ساعة.

حركة ترنحية مع نفسها أشبه بحركة ترنح نحلة لعب الأطفال التي تميل وهي تدور ذات اليمين وذات الشمال.

وهناك حركات أخرى ذكرها العلماء، ولم نذكرها هنا اختصارًا). اهـ

وقال أيضًا في المصدر السابق (٣١٠) وهو يتحدث عن أنواع الدوران الذي يدعيه المدعون: (... والأرض تدور حول نفسها وحول الشمس، وحول المجرة، وحول نجم النسر، وحول الفضاء المتمدد بزعمهم، ثم هي بعد ذلك تميل ذات اليمين وذات الشمال).

أخي القارئ، لقد رأيت هذه الأنواع من الدورانات المنسوبة إلى الأرض، وقد كنت تظن أنه دوران واحد، ففوجئت بأنها أنواع، فاحتجت إلى معرفة حقيقة هذه الأنواع.

فقولهم في الأرض: (تدور حول نفسها) لا يستقيم؛ لأن الشيء لا يدور حول نفسه، ولكن حول شيء آخر إما أن يكون محورًا له، كدوران الرحى حول عمودها، وإما أن يكون منفصلًا عنه، ولكنه تحته كدوران الشمس والقمر حول الأرض.

وقولهم: (تدور حول الشمس) الحقيقة أنهم عكسوا المسألة، فوجه المسألة أن الشمس تدور حول الأرض، وسيأتي مزيد لهذا قريبًا.

وقولهم: (تدور في الفضاء أو حول المجرة) زيادة إيغال في الجهالة والضلالة.

وقولهم: تدور حول الكون يعني الفضاء الممتد الواسع اللانهائي، أفسد من الذي قبله؛ لأنها لو كانت كذلك ما بقيت في محلها؛ لأنها عندهم صغيرة وستذهب في الفضاء البعيد.

وبقية الدورانات من جنس ما سبق، فلا نطيل الكلام فيها.

نظرية أن دوران الأرض ينتج عنه الحركة اليومية والسنوية

قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (٣٤): (يتسبب دوران الأرض في مدارها ودورانها حول نفسها في حدوث كل من الحركتين الظاهرتين السنوية واليومية على التوالي للأجرام السماوية، وعلى وجه الخصوص، فإنه ينتج عن الدوران الحركة اليومية الظاهرية للشمس... وكذلك تأتي حركة الشمس السنوية الظاهرية على البروج من

حركة الأرض في مدارها حول الشمس).

أخي القارئ، من المعلوم أن الشمس تدور حول الأرض في كل يوم وليلة مرة، ولو رأيت نزولها منازلها في المشرق والمغرب لرأيت أنها تنزلهن في مدة سنة، وأما ما عند هؤلاء المتمفلِكِيْنَ فأمرٌ مريجٌ؛ فقد تكلمنا قريبًا عن التناقض بين حركة الأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس، وحول المجرَّة، وفي هذا المقال جاءونا بالنتيجة المعكوسة وهي: أنه ينتج عن دوران الأرض حركة الشمس اليومية والسنوية، وهأنا أوضح فأقول: إثبات النتيجة المذكورة يعطل وجود دوران الشمس؛ وبتعطيل ذلك تتعطَّل الحياة على الأرض؛ لأن حركة الشمس اليومية والسنوية هي لإقامة الحياة النهارية على الأرض، كما أن دوران القمر في الليل لإقامة الحياة الليلية على الأرض، فتفريق الفلكيين بين دوران القمر وبين دوران الشمس تفريقٌ باطلٌ، وأيضًا ليس للأرض فلك تدور فيه، بخلاف دوران الشمس والقمر؛ فإنَّهُ في الفلك، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾[الأنبياء:٣٣]، فدورانهما لا يخرج عن الفلك، وله بداية ونهاية فيه، وليس للأرض فلك. ولما قالوا بدوران الأرض، وليس لها فلك؛ تشعَّبَتْ أقوالهم في أنواع الدوران.

التناقض الأكبر في قولهم بدوران الأرض حول الشمس

سبق أن ذكرنا قولهم: إن الشمس مركز الكون، فاضطروا إلى أن يقولوا بوقوفها وبدوران الأرض حولها، وفي آخر القرن العشرين قالوا: إن الشمس تدور حول نفسها، ثم قالوا: إنها تدور حول مجرة سكة التبانة، وبإثباتهم دوران الشمس حول نفسها بطلت مركزيتها، وإن كانت لا تدور حقيقة حول نفسها، وإنما حول الأرض، ولمَّا قالوا: إنها تدور حول المجرة ظهر بطلان قولهم أعظم؛ لأن معناها أن الشمس صغيرة حقيرة، فلا تصلح أن تكون مركزًا للكون، وإنما هي نجمٌ من النجوم التابعة لغيرها، وعلى هذا: فلا يصلح أن تدور الأرض حولها، فقولهم: إن الأرض تدور حول الشمس قلبٌ للحقيقة، والحقيقة هي أن الشمس تدور حول الأرض، كما هو المشاهد، والقائم على البرهان، ولو قال قائل: كيف تدور الشمس حول الأرض، والشمس في السماء؟ والجواب: أن السماء سقف الأرض، فالأرض تحت السماء، وتقع الأرض في وسط السماء، فالشمس تدور على مشرق الأرض ومغربها، كما يشاهد ذهابها ومجيئها، ثم كيف يقال بدوران الأرض حول الشمس، والأرض أسفل الكون، والشمس في الكون الأعلى!! فهذا كما أنه لا يشاهد، ولو كان حاصلًا لشوهد، ولا يحس ولو كان حاصلًا لحس به، فهو أيضًا لا يعقل ولا يوجد دوران بهذه الصورة أصلًا، وإن قالوا: إن جاذبية الشمس جذبت الأرض إليها، فدارت حولها، فيقال: معلوم أن الأرض ثقيلةٌ جدًّا؛ لأنها ماء وتراب، والجاذبية المزعومة خفيفة، فكيف يجر الأخف الأثقل؟ أليس هذا من قلب الحقائق؟!! مع أن الجاذبية نظرية منقوضة.

وأيضًا هم يدَّعون أن في الأرض جاذبية، فعلى قولهم هذا فجاذبية الأرض تمنع جاذبية الشمس، وأيضًا من الذي يحدث هذا التغيير؟ أهي الجاذبية إله القائلين بها؟! كفرنا بها؛ لأنه لا يقدر على هذا إلا الله الواحد القهار.

نظرية أن دوران الأرض ينتج عنه الليل والنهار

قال في «الموسوعة الفلكية» (٣٤): (فإنه ينتج عن الدوران الحركة اليومية الظاهرية للشمس، وما يصاحبها من ليل ونهار...).

وقال في المصدر السابق (٤١٧): (وظاهرة الليل والنهار القطبيين مرتبطة بميل محور دوران الأرض بالنسبة لمستوى البروج، ويستمر كل من الليل والنهار القطبيين مدة أطول، كلما زاد قرب المكان إلى قطب، وبالنسبة لمكان فوق الدائرة القطبية، فإن كلا منهما يستمر يومًا كاملًا، أما بالنسبة للقطبين ذاتهما فإن كلا من الليل والنهار القطبيين يستمران لفترة تصل إلى ستة أشهر).

واضحٌ من هذا النقل أن دوران الأرض ينتج عنه الليل والنهار، ولم يكن في الحسبان قط أن ضلالة دوران الأرض تستخدم إلى هذا الحد في الإنكار لآيات الله، فالليل والنهار آيتان من آيات الله الكونية العظيمة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾[فصلت:٣٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[آل عمران:١٩٠]، وأخبر الله أنه خلق الليل والنهار، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾[الأنبياء:٣٣] وأخبر أنه سبحانه جعل لكل منهما فلكًا يسبح فيه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[الأنبياء:٣٣]، وأخبر أنه سبحانه يقلبهما، قال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾[النور:٤٤] وأخبر سبحانه أنه يكورهما، قال تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾[الزمر:٥] وأخبر أنه يسلخ النهار من الليل، قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾[يس:٣٧]، وأخبر أنه سبحانه يولجهما، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾[لقمان:٢٩] وأقسم الله بهما في آيات، كقوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ * وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾[الليل:١-٢] و﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ * وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾[المدثر:٣٣-٣٤] و﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾[الانشقاق:١٧] و﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا * وَٱلَّيْلِ

﴿إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾[الشمس:٣-٤] وغير ذلك، أفبعد هذه الأدلة يقال: الليل والنهار من نتائج دوران الأرض؟ وكيف يكون هذا وهما مستقلان خلقًا وتدبيرًا ودورانًا، هذا وقد أوضحنا ولا نزال نوضح أنه لا دوران في الأرض أصلًا.

نظرية أن دوران الأرض ينتج عنه فصل الشتاء والربيع والصيف والخريف

قال صاحب "الموسوعة الفلكية" (ص٣٤): (كما يرجع اختلاف الفصول واختلاف أطوال كل من الليل والنهار إلى ميل دائرة البروج).

وقال في (ص٣٢٨): (فصول السنة هي: الفترات الزمنية بين وقت اعتدال ربيعي أو خريفي، وبين كل من الانقلاب الصيفي أو الشتوي، وتختلف فترة فصول السنة المختلفة مع الزمن بعض الشيء؛ وذلك بسبب السبق، ودوران خط الأوج والحضيض).

وبهذا الاستنتاج أخذ كثير من الكتَّاب، بل بعض العلماء وقع في ذلك ومنهم: محمد بن بخيت المطيعي، فقد قال في كتابه "تنبيه العقول الإنسانية إلى ما في القرآن من العلوم الكونية والعمرانية" وهاج فيه وماج، قال فيه وهو يثبت دوران الأرض: (بل تتحرك أيضًا حركة أخرى حول الشمس تتكون منها السنة وفصولها). نقلًا من كتاب "الصواعق الشديدة" (ص٧٤) اللهم سلم! سلم!.

فالبراهين الشرعية ترد هذا الاستدلال وتبطله، وأقوال العلماء تخالفه وتسقطه من وجوه كثيرة:

الأول: الأدلة من القرآن ترد ذلك، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾[الإسراء:١٢]، والآية واضحة أن حصول الفصول الأربعة هو بسبب محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة وهي الشمس.

الثاني: أقوال المفسرين كافة على أن معرفة الأزمان هو بسبب المحو المذكور. قال ابن كثير (٨/ ٤٤١) عند الآية المذكورة: (يمتن تعالى على خلقه بآياته العظام، فمنها مخالفته بين الليل والنهار؛ ليسكنوا في الليل، وينتشروا في النهار للمعايش، والصنائع، والأعمال، والأسفار، وليعلموا عدد الأيام، والجُمَع، والشهور، والأعوام، ويعرفوا مضي الآجال المضروبة للديون، والعبادات، والمعاملات، والإجارات، وغير ذلك، ولهذا قال: ﴿لِتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾[الإسراء:١٢]).

وقال الشنقيطي (٣/ ٤٦٠): (وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾[الإسراء:١٢] بَيَّنَ فيه نعمة أخرى على خلقه، وهي معرفتهم عدد السنين والحساب؛ لأنهم باختلاف الليل والنهار يعلمون عدد الأيام والشهور والأعوام، ويعرفون بذلك يوم الجمعة؛ ليصلوا فيها صلاة الجمعة، ويعرفون شهر الصوم وأشهر الحج، ويعلمون مضي أشهر العدة لمن تعتد بالأشهر المشار إليها في قوله: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ﴾[الطلاق:٤] وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[البقرة:٢٣٤] ويعرفون مضي الآجال المضروبة للديون والإجارات، ونحو ذلك).

وقال ابن الجوزي في "زاد المسير" (٥/ ١٤) في قوله تعالى: ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾[الإسراء:١٢]: (يمحو آية الليل، ولولا ذلك لم يعرف الليل والنهار، ولم يتبين العدد).

بل صرح العلامة ابن القيم في "مفتاح دار السعادة" (٢/ ٥٢) أن الفصول والسنة بسبب أحوال الشمس، فقال: (ثم تأمل بعد ذلك أحوال هذه الشمس في انخفاضها وارتفاعها؛ لإقامة هذه الأزمنة والفصول، وما فيها من المصالح والحكم... فلو كان صيفًا كله لفاتت منافع ومصالح الشتاء، ولو كان شتاء لفاتت منافع الصيف، وكذلك لو كان ربيعًا كله أو خريفًا كله).

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾[يونس:٥].

قال النسفي (٢/ ٧): (فاكتفى بالسنين لاشتمالها على الشهور).

قلت: الأسابيع والأيام والشهور والفصول الأربعة داخلة في قوله: ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ﴾[يونس:٥].

وعلى كل: المفسرون كافة على أن حصول الأيام والشهور والأعوام والفصول هو بسبب محو آية الليل، وجعل آية النهار مبصرة.

الثالث: المعلوم أن الفصول الأربعة تنتج عن الشمس والقمر، فالناس يشاهدون الشمس تطلع، فيقولون: هذا أول النهار. وتغرب، فيقولون: انتهى النهار. ويشاهدون القمر بازغًا، فيقولون: بداية الشهر. وإذا انتهى قالوا: نهاية الشهر. وإذا انتهت الشهور الصيفية، قالوا: دخلت شهور الخريف. وإذا تكاملت الفصول قالوا: سنة. فالمشاهد أن الأيام والأسابيع والشهور والسنين هي بسبب محو آية الليل، وجعل آية النهار مبصرة، والمشاهد دليلٌ صحيحٌ لا يدفع.

الرابع: من المعلوم عند الأمم غير المسلمة، أن الفصول الأربعة ناتجة عن طريق الشمس والقمر.

قال العلامة ابن القيم في "مفتاح دار السعادة" (٣/ ١٩٠): (ولهذا كانت أشهر الحج والصوم والأعياد ومواسم الإسلام إنما هي على حساب القمر، وسيره ونزوله في منازله، لا على حساب الشمس وسيرها، حكمة من الله ورحمة وحفظًا لدينه، لاشتراك الناس في هذا الحساب، وتعذر الغلط والخطإ فيه، فلا يدخل في الدين من الاختلاف والتخليط ما دخل في دين أهل الكتاب).

الخامس: من المعلوم أيضًا أنه يستدل ببعض النجوم على معالم الزراعة، وعلى الفصول.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، كما في «مجموع الفتاوى» (٩/ ١٥٥): (والاستدلال على المواقيت والأمكنة بالأمكنة أمر اتفق عليه العرب والعجم وأهل الملل والفلاسفة، فإذا استدلوا بظهور الثريا على ظهور ما قرب منها مشرقًا ومغربًا ويمينًا وشمالًا من الكواكب كان استدلالًا بجزئي على جزئي).

أيها الباحث عن الحق، هل رأيت كيف فضح القائلون بأن الفصول الأربعة بسبب دوران الأرض؟! إذ كانوا بهذه المقولة مخالفين للأدلة النقلية والعقلية والمشهودة وللأمم كلها، وكم لهم من هذه السفسطات؟!! وإذا كان هذا منهم في مسائل سهلة جدًا، فكيف بهم إذا تكلموا في أمورٍ عظيمةٍ وعويصةٍ، فإنك تجد منهم المحالات.

وليس الغريب أن يكذب هؤلاء النصارى، ولكن المؤسف جدًا أن يسلم أبناء المسلمين في المدارس وغيرها لهذه الأكاذيب، وكم اعتمد القائلون بدوران الأرض على معلومات أوهى من بيت العنكبوت، لا قرار لها أمام الحجج والبراهين النقلية والعقلية، وما مثلهم إلا كما قال القائل:

ومن يكن الغراب له دليلًا ... يمر به على جيف الكلاب

نظرية كف الأرض عن الدوران

قال صاحب كتاب «قصة الخلق» (٤٧): (ليست كارثة أن تقرأ ما يقوله بعض علمائنا الأفاضل: إن العلم أثبت أن الشمس ستكف عن إرسال أشعتها بعد ٥٠ بليون سنة، وإن الأرض ستكف عن الدوران عند ذلك).

قلت: أخبرنا الله في كتابه الكريم أن الساعة قريب، وأخبرنا رسوله ﷺ أن الباقي من عمر الدنيا أقل مما قد مضى، وهذا لا خلاف بين أهل العلم فيه، فالمترقب عما قريب هو حصول علامات الساعة الكبرى، والعلماء الذين تكلموا عن عمر الدنيا لم يتجاوزوا به عن سبعة آلاف سنة، والنظرية المذكورة نصت على أن أشعة الشمس ستستمر ودوران الأرض سيدوم من عصرنا إلى نهاية خمسين بليون سنة، ولا يعني

هذا الهراء أن الساعة ستقوم بعد الكف المذكور؛ لأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولكنهم يعنون أن الشمس والأرض سيستريحان، ولتعلم أن الأدلة الشرعية بعكس هذه النظرية؛ فالأرض الآن ثابتة، وعند قيام الساعة ستدك بالزلازل وغيرها، ويبدلها الله بغيرها، والأدلة على هذا كثيرة معلومة، والشمس يكورها الله، ويجمعها مع القمر إلى النار، كما هو معلومٌ لكل المسلمين.

وانظر -رعاك الله- إلى هزالة كلام أصحاب النظريات، كيف يأتون بالنظرية في أمر عظيمٍ، ونبإٍ جسيمٍ، وليس عندهم أي برهان يبينها لهم!!! فأين دليلهم على طول هذه المدة المذكورة؟! وأين دليلهم على تحديدها بخمسين بليون سنة؟! وأين برهانهم على الكف فقط؟! ليس عندهم إلا الجهل والخرص.

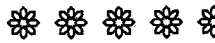

الأدلة من القرآن الكريم على ثبوت الأرض وعدم دورانها

لقد تظافرت وتكاثرت الأدلة من القرآن الكريم الدالة على ثبوت الأرض وعدم تحركها، ومن ذلك:

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾[فاطر:٤١]

قال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» (١٤/ ٢٢٧-٢٢٨): (و﴿أَن﴾ في موضع نصب بمعنى كراهة أن تزولا، أو لئلا تزولا، أو يحمل على المعنى؛ لأن المعنى أن الله يمنع السماوات والأرض أن تزولا، فلا حاجة على هذا إلى إضمار... وعن إبراهيم قال: دخل رجل من أصحاب ابن مسعود إلى كعب الأحبار يتعلم منه العلم، فلما رجع، قال له ابن مسعود: ما الذي أصبت من كعب؟ قال: سمعت كعبًا يقول: إن السماء تدور على قطبٍ مثل قطب الرحى في عمود على منكب ملك، فقال له عبدالله: وددت أنك انقلبت براحلتك ورحلها، كذب كعب! ما ترك يهوديته، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ﴾[فاطر:٤١] إن السماوات لا تدور ولو كانت تدور لكانت قد زالت. وجاء عن ابن عباس نحوه) انتهى ما قاله القرطبي.

فتصور معي -أخي القارئ- لو أن كعبًا قال بدوران الأرض، كيف سيكون حال عبدالله بن مسعود؟

وقال ابن كثير في «تفسيره» (١١/ ٣٣٨-٣٣٩) عند هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ﴾[فاطر:٤١]: (أي: أن تضطربا عن أماكنهما كما قال: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾[الحج:٦٥] وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ

أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾[الروم:٢٥]).

وذكر أثر ابن مسعود الذي ذكره القرطبي، وقال بعد ذكره: (وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى كعب، وإلى ابن مسعود). قلت: وهو كذلك.

وقال الألوسيُّ في تفسيره "روح المعاني" (٢٢/ ٢٠٤) عند كلامه على الآية المذكورة، بعد ذكره لأثر ابن مسعود: (والمنصور عند السلف: أن السماوات لا تدور، وأنها غير الأفلاك، وكثير من الإسلاميين ذهبوا إلى أنها تدور، وأنها ليست غير الأفلاك، وأما الأرض فلا خلاف بين المسلمين في سكونها، والفلاسفة مختلفون، والمعظم على السكون، ومنهم من ذهب إلى أنها متحركة، وأن الطلوع والغروب بحركتها، ورد ذلك في موضعه).

قلت: وكثير من الأحزاب المبتدعة في عصرنا -وأما من سبق فلم يكن كثير ولا قليل- يقول بذلك، وهذه الكثرة إنما كانت تأثرًا بشبهات الضلال، وإلا فقد رجع عن ذلك كثيرٌ منهم؛ لما اتضح لهم من ردود أهل العلم بطلانُ ذلك.

شبهة وجوابها

بعض المفسرين قالوا في تفسير المسك الإلهي للسماوات والأرض: أنه سبحانه يمسكهما عن الخروج عن الدوران، وقالوا: إذا خرجت الأرض والسماوات عن الدوران اختل نظامهما، وهذا التفسير مرجوحٌ؛ للأمور الآتية:

❁ أن ابن مسعود وابن عباس لم يقبلا هذا القول من كعب الأحبار، كما سبق، بل أغلظا له القول بسبب قوله هذا، فأي عاقل يرضى أن يكون مخالفًا للصحابة، ولما عليه أهل العلم، من أن الدوران من جملة الزوال الذي يمسك الله السماوات والأرض أن يحصل لهما ذلك.

❁ القول بدورانها يخالف ظاهر الآية المذكورة؛ فإن الآية نفت الزوال نفيًا مطلقًا، ولا يتحقق عدم الزوال فيهما إلا بنفي الدوران.

۞ يبطل تفسيرهم للزوال باختلال نظامها؛ لأن هذا التفسير يقتضي ألا يحصل للسماوات والأرض اختلال إلا يوم القيامة، والمشاهد والمحسوس خلاف هذا؛ فإن الأرض إذا حصلت لها -هزة بالرغم من أنها حركة خفيفة- اختل نظام تلك الأرض، ولهذا يقول العلماء: الأرض ثابتة لا تتحرك إلا بحركة تعرض لها.

قوله عز وجل: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[النحل:١٥]

قال ابن جرير رحمه الله في "تفسيره" (١٧/ ١٨٣) بعد ذكره للآية: (يقول تعالى ذكره: ومن نعمه عليكم أيها الناس أيضًا، أن ألقى في الأرض رواسي وهي جمع راسية، وهي الثوابت في الأرض من الجبال، وقوله: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[النحل:١٥] يعني: أن لا تميد بكم، وذلك كقوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾[النساء:١٧٦] والمعنى: أن لا تضلوا، وذلك أنه -جل ثناؤه- أرسى الأرض بالجبال؛ لئلا يميد خلقه الذين على ظهرها، وقد كانت مائدة قبل أن ترسى بها).

وقال البغوي (٣/ ٤٢١) في تفسير هذه الآية: (أي لئلا تميد بكم، أي: تتحرك وتميل، والميد: هو الاضطراب والتكفؤ، ومنه قيل للدوار الذي يعتري راكب البحر: ميد).

وقال ابن الجوزي في تفسيره "زاد المسير" (٤/ ٤٣٥): (وقال الزجاج: كراهة أن تميد، يقال: ماد الرجل يميد ميدًا إذا اضطرب...)

وقال البقاعي في "نظم الدرر" (١١/ ١٢٦): (أي فيحصل لكم الميد، وهو دوار يعتري راكب البحر بكم، فهي ثابتة لأجل ذلك الإلقاء ثابتة مع اقتضائها بالكرية التحرك).

قلت: لا يفهم من كلام البقاعي أنها تتحرك، وإنما معناه أن مقتضى كروية الأرض أن تتحرك، ولكن قد ثبتها الله بالجبال، وإلا نسب إليه التناقض؛ لأنه قد قال: (فهي ثابتة لأجل ذلك الإلقاء). ويدل على هذا بوضوح قوله في "نظمه"

(١٤/ ١٨٩): فلو اضطربت أدنى اضطراب، لتغيرت مجاري المياه بلا ارتياب.

وقال الشنقيطي في "أضواء البيان" (٣/ ٢٥١) عند هذه الآية الكريمة: (ذكر جل وعلا في هاتين الآيتين أربع نعم من نعمه على خلقه؛ مبينًا لهم عظيم منته عليهم بها، الأولى: إلقاؤه الجبال في الأرض؛ لتثبت ولا تتحرك...).

وقال السعدي في "تفسيره" (ص٤٣٧) عند هذه الآية: (وهي الجبال العظام؛ لئلا تميد بهم، وتضطرب بالخلق، فيتمكنون من حرث الأرض، والبناء، والسير عليها...).

وعلى كلٍّ: ظاهر الآية المذكورة أن الله خلق الأرض فاضطربت، فخلق الجبال وأرساها عليها؛ لتسكن وتستقر، فلا تتحرك وعلى هذا الظاهر كثير من المفسرين، أنهم يثبتون استقرارًا مطلقًا للأرض، بعد إلقاء الجبال عليها، وينفون حركتها نفيًا مطلقًا، وسيأتي الجمع بين هذه الآية، وبين قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾[غافر:٦٤] عندها.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا * وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[النبأ:٦-٧]

قال الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (٢٤/ ١٥١) بعد ذكره هذه الآية: يقول تعالى ذكره معددًا على هؤلاء المشركين نعمه، وأياديه عندهم، وإحسانه إليهم، وكفرانهم ما أنعم به عليهم، ومتوعدهم بما أعد لهم عند ورودهم عليه، من صنوف عقابه وأليم عذابه، فقال لهم: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ﴾، لكم ﴿مِهَٰدًا﴾ تمتهدونها وتفترشونها.

وقال العلامة الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في "فتح القدير" (٥/ ٣٦٤) عند هذه الآية ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا * وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[النبأ:٦-٧]: (أي قدرتنا على هذه الأمور المذكورة أعظم من قدرتنا على الإعادة بالبعث والمهاد الوطاء والفراش، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾[البقرة:٢٢] قرأ الجمهور ﴿مِهَٰدًا﴾، وقرأ مجاهد، وعيسى، وبعض الكوفيين ﴿مَهْدًا﴾، والمعنى: أنها كالمهد للصبي: وهو ما يمهد له فينوم عليه، والأوتاد: جمع وتدٍ، أي: جعلنا الجبال أوتادًا للأرض؛ لتسكن ولا

تتحرك، كما يرسى الخيام بالأوتاد). اهـ

وقال القرطبي (١٩/ ١١٢) بعد ذكره لقوله عز وجل: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾: (أي: لتسكن ولا تتكفأ، ولا تميل بأهلها). اهـ

وقال ابن كثير (١٤/ ٢٢٧) عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا﴾: (ممهدة للخلائق، ذلولًا لهم، قارةً ساكنةً ثابتةً، ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ أي: جعلها لها أوتادًا أرساها بها، وثبتها وقررها، حتى سكنت، ولم تضطرب بمن عليها). اهـ

وبنحو ما قاله هؤلاء قاله ابن الجوزي في "زاد المسير في علم التفسير"، والسيوطي في "الدر المنثور".

وقال العلامة ابن القيم في كتابه "مفتاح دار السعادة" (٢/ ٨٦) وهو يتحدث عن منافع الجبال: (ومن منافعها ما ذكره الله تعالى في كتابه، أنه جعلها للأرض أوتادًا تثبتها، ورواسي بمنزلة مراسي السفن، وأعظم بها منفعة وحكمة!).

وقال السعدي (٩٠٦) وهو يتحدث عن الجبال: (تمسك الأرض؛ لئلا تضطرب بكم وتميد).

وقال أبوبكر الجزائري في تفسيره (٥/ ٥٠٠) في قوله: ﴿أَوْتَادًا﴾: (أي: تثبت بها الأرض كما تثبت الخيمة بالأوتاد).

فكلُّ هؤلاء عباراتهم صريحة، على أن الله جعل الجبال لكي تسكن الأرض ولا تتحرك، وهذا من رحمة الله بعباده ولطفه بهم سبحانه، فلو كانت الأرض تتحرك بأي نوعٍ من أنواع الحركة، لما استطاع أن يعيش عليها أحد، فتأمل هذه الآيات، وما فيها من الامتنان العظيم، وفيها الرد على من قال: إن الأرض تدور بأي نوع من أنواع الدوران؛ لأن الآيات ناطقة بأن الجبال تثبتها، كما تثبت الخيمة، فكما أن أوتاد الخيمة وضعت لتثبت الخيمة من التحرك، فكذلك الجبال فمن قال إن الجبال وضعت لتنظم حركة الأرض فقد خالف الدليل الصريح، والمشاهد، والمحسوس، ويقال

لهؤلاء: هل الجبال عندكم تنظم حركة الأرض، وتسير معها، أم أنها واقفة؟! فإن قالوا: الجبال واقفة، منظمة لحركة الأرض، قيل لهم هذا عين التناقض؛ لأن الجبال ملتصقة بالأرض تتحرك بحركتها، وتقف بوقوفها، وإن قالوا: تسير سيرها، قيل لهم: خالفتم الآيات الصريحة في أن الجبال خلقها الله؛ لإرساء الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ﴾[الرعد:٣١]

قال العلامة الشوكاني رحمه الله في "فتح القدير" (٣/ ٨٣) عند ذكر هذه الآية: (معنى ﴿سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ أي: بإنزاله وقراءته، فسارت عن محل استقرارها. ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: صدعت حتى صارت قطعًا متفرقة. ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: صاروا أحياء بقراءته عليهم، فكانوا يفهمون عند تكليمهم به كما يفهمه الأحياء). اهـ

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٨/ ١٥٠) بعد أن ذكر الآية: (أي لو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن أماكنها، أو تقطع به الأرض وتنشق، أو تكلم به الموتى في قبورها، لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، أو بطريق الأولى أن يكون كذلك؛ لما فيه من الإعجاز الذي لا يستطيع الإنس والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله، ولا بسورة من مثله، ومع هذا فهؤلاء المشركون كافرون به، جاحدون له). اهـ

قلت: هذه الآية الكريمة تدل على عظمة القرآن وما فيه من الزجر والإنذار؛ لأنه غاية في التذكير، ونهاية في الإنذار، ومع هذا لم يؤمن به كفار قريش، فيبين الله شدة كفرهم وعنادهم؛ وذلك أنهم يعلمون علمًا يقينًا أن الجبال لا تتحرك، فلو جعل الله القرآن العظيم منزلًا عليها ثم سارت، لما آمن كفار قريش، وعلى هذا فلو كانت الأرض تسير لكان سيرها في هذه الآية لغوًا، والقرآن يصان عن هذا؛ لأن الله بَيَّنَ للكفار عظمة هذا القرآن، وما فيه من الإنذار والإبلاغ، وما هم عليه من الجحود والعناد.

وقد يقول قائل استدللت بالآية الكريمة على ثبوت الأرض، وإنما فيها ذكر ثبوت

الجبال، فكيف هذا؟ والجواب: ذكر ثبوت الجبال يستلزم ثبوت الأرض؛ لأن الحركة والاضطراب المنسوبة إلى الأرض، إنما حصلت قبل إرساء الجبال عليها، والله المستعان.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا﴾ [الرعد:٣]

قال الإمام ابن جرير رحمه الله في «تفسيره» (١٦/ ٣٢٨) بعد ذكره للآية: (يقول تعالى ذكره: والله الذي مد الأرض فبسطها طولًا وعرضًا، وقوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ [الرعد:٣] يقول جل ثناؤه: وجعل في الأرض جبالًا ثابتةً، والرواسي، جمع راسية: وهي الثابتة، يقال: منه أرسيت الوتد في الأرض إذا أثبته، كما قال الشاعر:

به خالدات ما يرمن وهامد ... وأشعث أرسته الوليدة بالفهر

يعني: أثبتته). اهـ

وقال العلامة الشوكاني رحمه الله في «فتح القدير» (٣/ ٦٤) بعد ذكره للآية: (قال الفرَّاء: بسطها طولًا وعرضًا. وقال الأصم: إن المد هو البسط إلى ما لا يدرك منتهاه، وهذا المد الظاهر للبصر لا ينافي كريتها في نفسها؛ لتباعد أطرافها. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ [الرعد:٣]، أي جبالًا ثوابت، واحدها راسية؛ لأن الأرض ترسو بها، أي: تثبت، والإرساء الثبوت، قال عنترة:

فصرت عارفة لذلك حرة ... ترسو إذا نفس الجبال تطلع

وقال جميل:

أحبها والذي أرسى قواعده ... حتى إذا ظهرت آياته بطنا

وقال القرطبي رحمه الله في «تفسيره» (٩/ ١٨٤) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ [الرعد:٣]: (لما بين آيات السماوات بين آيات الأرض، أي: بسط الأرض طولًا وعرضًا... إلى أن قال: مسألة: في هذه الآية رد على من زعم أن الأرض كالكرة، وردٌّ على من زعم أن الأرض تهوي أبوابها عليها، وزعم ابن الراوندي أن تحت الأرض جسمًا صعادًا كالريح الصعادة، وهي منحدرة فاعتدل الهاوي والصعادي في الجرم والقوة

فتوافقا. وزعم آخرون أن الأرض مركبة من جسمين: أحدهما منحدر، والآخر مصعد، فاعتدلا؛ فلذلك وقفت. والذي عليه المسلمون وأهل الكتاب: القول بوقوف الأرض وسكونها ومدها، وأن حركتها إنما تكون في العادة بزلزلة تصيبها). اهـ وبنحو ما قاله قال ابن كثير وابن الجوزي.

وقال الألوسي في تفسيره "روح المعاني" (١٣/ ٩٥) عند هذه الآية: (وما أشارت إليه هذه الآية ونطق به غيرها من الآيات، من كون الجبال سببًا لاستقرار الأرض، وأنها لولاها لمادت، أمر لا يقوم على أصولنا دليل يأباه؛ فنؤمن به، وإن لم نعلم ما وجه ذلك على التحقيق).

وقال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ (٤١٢) في تفسير هذه الآية: (أي خلقها للعباد ووسعها، وبارك فيها، ومهدها للعباد، وأودع فيها من مصالحهم ما أودع، وجعل فيها رواسي، أي: جبالًا عظامًا؛ لئلا تميد بالخلق؛ فإنه لولا الجبال لمادت بأهلها؛ لأنها على تيار الماء لا ثبوت لها، ولا استقرار إلا بالجبال الرواسي، التي جعلها الله أوتادًا لها).

قلت: ظاهر الآية الكريمة أن الله خلق الأرض ممتدة متسعة اتساعًا لا يدرك أبعاده، وهذا الذي دَرَجَ عليه المفسرون، وجعلوا قول من قال: (إن الله خلقها مدورة ثم مدها) قولًا مرجوحًا. ومدها لا ينافي كرويتها البتة، كما سيأتي بيانه في محله، إن شاء الله.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم:٨٨-٩١]

ذكر ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (١٨/ ٢٥٨): (عن ابن عباس قوله: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم:٩٠-٩١] قال: إن الشرك فزعت منه السماوات والأرض والجبال وجميع الخلائق، إلا الثقلين، وكادت أن تزول منه؛ لعظمة الله). اهـ

وقال ابن كثير في «تفسيره» (٩/ ٣٠٠) بعد أن ذكر الآية: (أي: يكاد يكون ذلك عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بني آدم؛ إعظامًا للرب وإجلالاً؛ لأنهن مخلوقات ومؤسسات على توحيده، وأنه لا إله إلا هو، وأنه لا شريك له، ولا نظير له، ولا ولد له، ولا صاحبة له، ولا كفء له، بل هو الأحد الصَّمد.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد)

وذكر ما قاله ابن جرير.

ففي هذه الآية دليلٌ على ثبوت الأرض والجبال، وأنها تقارب الحركة والتشقق والتصدع والتهدهد عند حدوث الإشراك بالله والكفر، وإذا كانت الحركة والدوران لم تحصل لها عند الشرك والكفر، دلَّ هذا على عدم حصول حركة الأرض؛ لأن أعظم ما يسبب حركتها وجود الكفر والشرك بالله سبحانه، ومع هذا لم يحصل ذلك، وانظر كيف جعل الله الهد للجبال؛ لأن الأرض لو تحركت لكانت الجبال أشد حركة منها، واعتبر بحالها عند الزلزال، فإن الجبال يتساقط بعضها، والحركة في الأرض أخف.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم:٤٦]

قال ابن جرير رحمه الله (١٧/ ٤٢) اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم:٤٦] فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والمدينة والعراق، ماخلا الكسائي، ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم:٤٦] بكسر اللام الأولى وفتح الثانية بمعنى: وما كان مكرهم لتزول منه الجبال. وقراءة الكسائي: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ بفتح اللام الأولى ورفع الثانية... والصواب من القراءة عندنا قراءة من قرأ ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ بكسر اللام الأولى وفتح الثانية بمعنى: وما كان مكرهم لتزول منه الجبال، وإنما قلنا ذلك هو الصواب؛ لأن اللام الأولى إذا فتحت فمعنى الكلام: وقد كان مكرهم لتزول منه

الجبال، ولو كانت زالت لم تكن ثابتة، وفي ثبوتها على حالتها ما يبين عن أنها لم تزل، وأخرى إجماع الحجة من القراء على ذلك، وفي ذلك كفاية عن الاستشهاد على صحتها وفساد غيرها بغيره).

وقال القرطبي رحمه الله (٩/ ٢٥٠) بعد ذكره الآية: (وفي الجبال التي عنى زوالها بمكرهم وجهان: أحدهما: جبال الأرض. الثاني: الإسلام والقرآن؛ لأنه لثبوته ورسوخه كالجبال... والجبال لا تزول، ولكن العبارة عن تعظيم الشيء هكذا تكون).

وقال العلامة الشوكاني رحمه الله في "فتح القدير" (٣/ ١١٦) بعد أن ذكر شيئًا من كلام ابن جرير والاختلاف في القراءات: (وزوال الجبال مثل لعظم مكرهم وشدته، أي: وإن الشأن كان مكرهم معدًّا لذلك، قال الزجاج: وإن كان مكرهم يبلغ في الكيد إلى إزالة الجبال، فإن الله ينصر دينه). اهـ

فهذه الآية الكريمة تدل دلالة واضحة على أن الجبال التي خلقها الله؛ لتثبيت الأرض، بعد أن كانت تتحرك، باقية على ثبوتها ورسوها، وإن وجد من أعمال الفجرة ما يكاد يحركها، إلا أنها باقية على ثبوتها، وإذا انتفت الحركة عن الجبال، إلا لعارض، فمن باب أولى أن تنتفي الحركة عن الأرض؛ لأن الأرض قد ثقلت بالجبال، وقرت بها، والجبال أسرع إلى التحرك لانتصابها.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾[غافر:٦٤]

قال ابن جرير رحمه الله في "تفسيره" (٢١/ ٤٠٩-٤١٠): (يقول تعالى ذكره: الله الذي له الألوهية خاصة أيها الناس، الذي جعل لكم الأرض التي أنتم على ظهرها سكان ﴿قَرَارًا﴾ تستقرون عليها، وتسكنون فوقها). اهـ

وقال ابن كثير رحمه الله (١٢/ ٢٠٧) بعد أن ذكر الآية: (أي جعلها مستقرًّا لكم، بساطًا مهادًا تعيشون عليها، وتتصرفون فيها، وتمشون في مناكبها، وأرساها بالجبال؛ لئلا تميد بكم).

وقال البقاعي في "نظم الدرر" (١٧/ ١٠٤-١٠٥): (﴿ٱللَّهُ﴾ أي: الذي له الإحاطة الكاملة بكل شيء ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ أي وحده ﴿لَكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: مع كونها فراشًا ممهدًا ﴿قَرَارًا﴾ مع كونها في غاية الثقل ولا ممسك لها سوى قدرته). اهـ

وقال السَّعدي (٤/ ٣٩١): (أي قارةً ساكنةً مهيأةً لكل مصالحكم، تتمكنون من حرثها، وغرسها، والبناء عليها، والسفر والإقامة فيها).

وقال الشوكاني في "فتح القدير" (٤/ ٤٩٨): (أي: موضع قرار فيها، تحيون وفيها تموتون). اهـ

وعلى هذا التفسير صار المفسرون قديمًا وحديثًا، أن الآية أوضحت أن الأرض قارة، وأنها في سياق الامتنان الإلهي على العباد، أن يجعل الأرض مهيأة لهم صالحة لسكناهم إياها، فالقائلون بخلاف ظاهرها، وبخلاف أقوال أهل العلم معارضون لها.

وقد استدل بهذه الآية بعض العلماء على أن الأرض خلقها الله قارة ثابتة في ذاتها من دونما حاجة للجبال.

قلت: لا منافاة بين أن تكون الأرض قارة بسبب وضع الجبال عليها، وهذا هو ظاهر الأدلة التي تتحدث عن إرساء الجبال، وأن تكون قارة في ذاتها، فوضعت الجبال عليها فزادتها ثقلًا أكثر، ومما يدل على هذا قوله سبحانه: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾[النمل:٦١] فقد جمع الله في هذه الآية بين ذكر الأرض قارة، والجبال عليها مرسية لها.

قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾[الروم:٢٥]

قال الإمام ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٠/ ٩٠) بعد أن ذكر الآية: (يقول تعالى ذكره: ومن حججه أيها القوم على قدرته على ما يشاء: قيام السماء والأرض بأمره خضوعًا له بالطاعة، بغير عمد ترى).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ (١١/ ٢٢): ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ

بِأَمْرِهِۦٓ﴾[الروم:٢٥] كقوله: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾[الحج:٦٥] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾[فاطر:٤١] وكان عمر بن الخطاب إذا اجتهد في اليمين قال: والذي تقوم السماء والأرض بأمره، أي: هي قائمةٌ ثابتةٌ بأمره لها، وتسخيره إياها، ثم إذا كان يوم القيامة بدلت الأرض غير الأرض والسماوات، وخرجت الأموات من قبورها أحياء بأمره تعالى، ودعائه إياهم). اهـ

وقال الإمام القرطبي رحمه الله (١٤/ ١٤): ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾[الروم:٢٥] (أن): في محل رفع، كما تقدم، أي: قيامها واستمساكها بقدرته بلا عمد. وقيل: بتدبيره وحكمته، أي: يمسكها بغير عمد؛ لمنافع الخلق، وقيل بأمره بإذنه والمعنى واحد). اهـ

قلت: تفسير العلماء للآية المذكورة بأمرين اثنين: وهما قامتا بأمره بغير عمد، ودامتا بأمره، وكلاهما حقٌّ؛ فإن دوامها بأمره سبحانه إلى قيام الساعة. فوجه الاستدلال بهذه الآية أن الله أخبر أنه جعل الأرض قائمة على الثبوت منذ خلقها إلى قيام الساعة.

قوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾[النمل:٦١]

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله في "تفسيره" (١٩/ ٤٨٤): (يقول تعالى ذكره: أعبادة ما تشركون أيها الناس بربكم خير، وهو لا يضر ولا ينفع، أم الذي جعل لكم الأرض قرارًا، تستقرون عليها لا تميد بكم؟ ﴿وَجَعَلَ﴾ لكم ﴿خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ يقول: بينها أنهارًا ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ﴾، وهي ثوابت الجبال ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ بين العذب والملح؛ أن يفسد أحدهما صاحبه). اهـ

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله (١٠/ ٤٢١): (يقول تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾[النمل:٦١] أي: قارة ساكنة ثابتة، لا تميد ولا تتحرك بأهلها، ولا ترجف

بهم؛ فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة، بل جعلها من فضله ورحمته مهادًا بساطًا ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾[غافر:٦٤] إلى أن قال: ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ أي: جبالًا شامخة ترسي الأرض وتثبتها؛ لئلا تميد بكم). اهـ

وقال القرطبي رحمه الله (١٣/ ١٤٧): (قوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ أي: مستقرًّا، ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ أي: وسطها، مثل: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾[الكهف:٣٣] ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ يعني: جبالًا ثوابت تمسكها، وتمنعها من الحركة). اهـ

وقال العلامة الشوكاني رحمه الله في «فتح القدير» (٤/ ١٤٦): (﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾[النمل:٦١] القرار: المستقر، أي: دحاها وسواها، بحيث يمكن الاستقرار عليها). ثم قال في الجبال كما قال القرطبي.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾[الحجر:١٩]

قال الإمام ابن جرير رحمه الله (١٧/ ٧٩) بعد أن ذكر الآية: (يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾: والأرض دحوناها فبسطناها، و﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾، يقول: وألقينا في ظهورها رواسي، يعني: جبالًا ثابتةً). اهـ

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله عند الآية في سورة (ق) رقم (٧) (١٣/ ١٨٣): (والأرض مددناها، أي: وسعناها وفرشناها. ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾[الحجر:١٩] وهي الجبال؛ لئلا تميد بأهلها وتضطرب؛ فإنها مقرة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها). والمفسرون على هذا الذي ذكرنا هاهنا.

وقال العلامة السَّعدي في «تفسيره» (ص٤٣٠): (أي: وسعناها سعة يتمكن الآدميون والحيوانات كلها على الامتداد بأرجائها، والتناول من أرزاقها، والسكون في نواحيها. ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾[الحجر:١٩] أي: جبالًا عظامًا تحفظ الأرض بإذن الله أن تميد، وتثبتها أن تزول).

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾[الملك:١٥]

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ (١٤/ ٧٥): (... ثم ذكر نعمته على خلقه في تسخيره لهم الأرض وتذليله إياها لهم، بأن جعلها قارة ساكنة، لا تميد ولا تضطرب؛ بما جعل فيها من الجبال). اهـ

وقال العلامة ابن القيم في «فوائد الفوائد» (١٨٠-١٨١): (أخبر سبحانه أنه جعل الأرض ذلولًا منقادة للوطء عليها، وحفرها وشقها والبناء عليها، ولم يجعلها مستعصبة ممتنعة على من أراد ذلك منها... والمقصود أنه سبحانه جعل لنا الأرض كالجمل الذلول كيفما يقاد ينقاد، وحسن التعبير بمناكبها عن طرقها وفجاجها؛ لما تقدم من وصفها بكونها ذلولًا، فالماشي عليها يطأ على مناكبها، وهو أعلى شيء فيها، ولهذا فسرت المناكب بالجبال كمناكب الإنسان، وهي أعاليه).

قلت: إثبات دوران الأرض ينافي أنها ذلول، بل ينافي أن تكون صالحة للحياة عليها.

قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾[الملك:١٦]

قال الإمام ابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ٣٢٢): (و﴿تَمُورُ﴾ بمعنى: تدور، قال مقاتل: والمعنى تدور بكم إلى الأرض السُّفلى).

وقال السمعاني (٦/ ١٢): (أي: تضطرب وتدور...).

وقال العلامة الشوكاني في «فتح القدير» (٥/ ٢٦٢): (أي: تضطرب وتتحرك على خلاف ما كانت عليه من السكون).

وقال الألوسي في «روح المعاني» (٢٩/ ١٦): (ترتج وتهتز اهتزازًا شديدًا، وأصل المور التردد في المجيء والذهاب).

وقال ابن عاشور في «التحرير» (٢٩/ ٣٥): (المور: الارتجاج والاضطراب).

قلت: وبقية عامة المفسرين قديمًا وحديثًا على هذا، وأن مور الأرض: ذهابها ومجيئها واضطرابها، فدلت الآية الكريمة على أن الأرض لا تدور ولا تتحرك إلا بإذن

الله عقوبة للخلق.

ولهذا قال ابن كثير رحمه الله (١٤/ ٧٦) عند آية المور: (وهذا أيضًا من لطفه ورحمته بخلقه، أنه قادر على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم به، وعبادتهم معه غيره، وهو مع هذا يحلم ويصفح ويؤجل ولا يعجل، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾[فاطر:٤٥]).

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا * وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾[المرسلات:٢٥-٢٧]

قال الإمام ابن جرير رحمه الله (٢٤/ ١٣٥) بعد ذكره الآية: (يقول تعالى ذكره: وجعلنا في الأرض جبالًا ثابتات فيها باذخات شاهقات). اهـ

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله (١٤/ ٢٢٣) بعد ذكره للآية: (الجبال أرسى بها الأرض؛ لئلا تميد وتضطرب).

وقال العلامة الشوكاني رحمه الله في «فتح القدير» (٥/ ٣٥٨) بعد ذكره للآية (أي: جبالًا طوالًا، والرواسي: الثوابت، والشامخات: الطوال، وكل عالٍ فهو شامخٌ). اهـ

وقال العلامة السعدي في «تفسيره» (ص٩٠٤): (أي: ما أَمْنَنَّا عليكم وأنعمنا بتسخير الأرض لمصالحكم، فجعلناها ﴿كِفَاتًا﴾ لكم ﴿أَحْيَآءً﴾ في الدور ﴿وَأَمْوَٰتًا﴾ في القبور، فكما أن الدور والقصور من نعم الله على عباده ومنته، فكذلك القبور رحمة في حقهم وسترٌ لهم عن كون أجسادهم بادية للسباع وغيرها ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ أي: جبالًا ترسي الأرض؛ لئلا تميد بأهلها، فثبتها الله بالجبال الراسيات الشامخات، أي: الطوال العراض).

قوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف:١٤٣]

قال القرطبي رحمه الله (٤/ ٢٧٨): (﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ ضرب له مثالًا مما هو أقوى من بنيته وأثبت، أي: فإن ثبت الجبل وسكن، فسوف تراني، وإن لم يسكن فإنك لا تطيق رؤيتي، كما أن الجبل لا يطيق رؤيتي). اهـ

وقال الشوكاني رحمه الله في "فتح القدير" (٢/ ٢٤٣) بعد ذكر الآية: (معناه: أنك لا تثبت لرؤيتي ولا يثبت لها ما هو أعظم منك جِرْمًا وصلابةً وقوةً، وهو الجبل، فانظر إليه ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ ولم يتزلزل عند رؤيتي له ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾، وإن ضعف عن ذلك فأنت منه أضعف). اهـ

قلت: وجه الاستدلال بالآية أن الجبل لم يتحرك من مكانه إلا بعد التجلي له، وإلا فهو ثابتٌ مستقرٌّ، كما يدل عليه قوله سبحانه: ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ وهكذا كل الجبال والأرض ثابتة، لا يتحرك منها جزء، إلا بأمر الله).

قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ [الذاريات:٤٨]

قال ابن جرير رحمه الله (٢٢/ ٤٣٩) بعد ذكر الآية: (... يقول تعالى ذكره والأرض جعلناها فراشًا للخلق فنعم الماهدون لهم نحن).

وقال ابن كثير رحمه الله (١٣/ ٢٢١) بعد ذكر الآية: (أي: جعلناها فراشًا للمخلوقات. ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ أي: وجعلناها مهدًا لأهلها).

فانظر -وفقك الله- كيف أخبرنا ربنا بأنه جعل الأرض فراشًا وامتنَّ علينا بذلك، ولو كانت تدور وتتحرك دائمًا لامتن الله علينا بذلك، وأكثر من ذلك كما أكثر سبحانه من الامتنان علينا بجعلها قارة وفراشًا ومهادًا ولكنك لا تجد آية واحدة فيها ذكر دوران الأرض لا بالتصريح ولا بالتلميح فضلًا عن أن تجد الامتنان على العباد بالدوران بها.

قوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا * لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾[نوح:١٩-٢٠]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (١٤/ ١٤١) بعد ذكره للآية: (أي: بسطها ومهدها وقررها وثبتها بالجبال الراسيات الشم الشامخات). اهـ

وقال ابن جرير رحمه الله (٢٣/ ٦٣٧) بعد أن ذكر الآية: (يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل نوح لقومه، مذكرهم نعم ربه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ تستقرون عليها وتمتهدونها. وقوله: ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ يقول: لتسلكوا منها طرقًا صعابًا متفرقة، والفجاج: جمع فج، وهو الطريق). اهـ

قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[الرحمن:١٠]

قال ابن كثير رحمه الله في "تفسيره" (١٣/ ٣١٥): (أي: كما رفع السماء وضع الأرض ومهدها وأرساها بالجبال الراسيات الشامخات؛ لتستقر لما على وجهها من الأنام، وهم الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم، في سائر أقطارها وأرجائها). اهـ

وقال أبو حيان الغرناطي في "تفسيره" (١٠/ ٥٧): (أي: حفظها مدحوة على الماء؛ لينتفع بها).

وقال العلامة الشوكاني في "فتح القدير" (٥/ ١٣٢): (أي: بسطها على الماء لجميع الخلق مما له روح وحياة، ولا وجه لتخصيص الأنام بالإنس والجن).

وقال الشنقيطي في "أضواء البيان" (٧/ ٧٣٨): (ذكر جل وعلا في هذه الآية أنه وضع الأرض للأنام وهو الخلق؛ لأن وضع الأرض لهم على هذا الشكل العظيم القابل لجميع أنواع الانتفاع، من إجراء الأنهار، وحفر الآبار، وزرع الحبوب والثمار، ودفن الأموات، وغير ذلك من أنواع المنافع، من أعظم الآيات، وأكبر الآلاء التي هي النعم، ولذا قال تعالى بعده: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾).

قلت: من لم يعترف بنعمة استقرار الأرض وثباتها، فقد جحد هذه النعمة العظيمة.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ * أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا * وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا * مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات:٣٠-٣٣]

وقد استدل على أن الدحو المذكور معناه: حركة الأرض، مع أن عامة المفسرين على تفسير دحاها بتفسيرين وهما:

١- بسطها.

٢- أن معنى دحاها أي: أخرج منها ماءها ومرعاها، وهذا أظهر في الآية. والآية صالحة للمعنيَين. وليس في تفسيرهم ما يوافق القائلين بأن معنى الدحو: حركة الأرض. ويرد عليهم بقوله تعالى أيضًا: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [النازعات:٣٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ [الشمس:٦]

قال القرطبي في "تفسيره" (٢٠/ ٥٠): (أي: بسطها. كذا قال عامة المفسرين). وليس بمعنى: حركها.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت:٩-١٠]

قال السمعاني في "تفسير القرآن" (٥/ ٣٨): (أي: جبالًا رواسي، وسماها رواسي لثبوتها).

وقال العلامة الشوكاني في "فتح القدير" (٤/ ٥٠٧) في قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ [الرعد:٣]: (معطوف على خلق، أي: كيف تكفرون بالذي خلق الأرض وجعل فيها رواسي، أي: جبالًا ثوابت من فوقها).

والآيات التي ظاهرها التعارض معها: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة:٢١-٢٢]

قال الرازي في "تفسيره" (٢/ ١٠٢): (واعلم أن كون الأرض فراشًا مشروط بأمور:

الشرط الأول: كونها ساكنة، وذلك لأنها لو كانت متحركة لكانت حركتها إما بالاستقامة أو بالاستدارة، فإن كانت بالاستقامة لما كانت فراشًا لنا على الإطلاق؛ لأن من طفر من موضع عالٍ كان يجب أن لا يصل إلى الأرض؛ لأن الأرض هاوية... أما لو كانت حركتها بالاستدارة لم يكمل انتفاعنا بها؛ لأن حركة الأرض مثلًا إذا كانت إلى المشرق والإنسان يريد أن يتحرك إلى جانب المغرب، ولا شك أن حركة الأرض أسرع، فكان يجب أن يبقى الإنسان على مكانه، وأنه لا يمكنه الوصول إلى حيث يريد، فلما أمكن ذلك، علمنا أن الأرض غير متحركة لا بالاستدارة ولا بالاستقامة، فهي ساكنة).

أخي القارئ، رأيت وضوح هذه الآيات المتكاثرة، في بيان وقوف الأرض واستقرارها، أيعقل بعد ذلك أن نرد هذه الآيات كلها؛ لأجل نظرية قد ثبت بطلانها سابقًا ولاحقًا؟! ولا تزال الأدلة الدالة على ثبات الأرض تتوالى بكثرة.

مسألة: هل دك الأرض ونسف الجبال قبل حشر الخلائق أم بعد ذلك؟

اعلم أن الذي ترجح لي هو أن نسف الجبال وسيرها يكون بعد النفخة الثانية؛ لأن النفخة الأولى تموت فيها الخلائق الحية التي على وجه الأرض، والنفخة الثانية يحشر فيها الناس والخلائق، وفي هاتين النفختين لا تزال الأرض والجبال والسماوات باقية، والأدلة على هذا كثيرة في القرآن والسنة لمن تأمل ذلك، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾[النمل:٨٧] فهذه هي النفخة الثانية بلا ريب؛ لأن الله قال بعد ذكر النفخ المذكور: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾[النمل:٨٧]، وقد استظهر هذا غير واحد من المفسرين كابن جرير وابن كثير، ويوضح هذا أكثر قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[الزمر:٦٨]، فانظر إلى قوله سبحانه: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[يونس:٦٦] فإنها دالة على أن السماوات والأرض عند النفخة الأولى

موجودتان، وقوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾[الزمر:٦٨] دالة على وجودهما أَيْضًا.

ويدل على ذلك أيضًا: ما رواه مسلم برقم (٣١٥) عن ثوبان ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال: «هُمْ فِي ظُلْمَةٍ دُونَ الْجِسْرِ».

وفي مسلم رقم (٢٧٩١) عن عائشة ﷺ أنها قالت: (أنا أول الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ...﴾[إبراهيم:٤٨] أين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: «عَلَى الصِّرَاطِ».

فإذا اتضح للقارئ أن الناس يوم تسير الجبال وتدك الأرض يكونون تحت جسر جهنم، دل هذا على أن البعث للخلائق يكون قبل نسف الجبال ودك الأرض، ودل هذا أيضًا على بعدهم عن الأرض والجبال في حال تبديلها، ودلت آية النمل وغيرها على أن الناس يشاهدون ويرون ما يجري للأرض والجبال من خراب شامل لكنهم بعيدون عن ذلك، ولما كانوا بعيدين فهم لا يرون السرعة الحاصلة في سير الجبال؛ لبعدهم وتجمعها، لا لأنها لا تسير، ولهذا قال الله: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾[النمل:٨٨] فأضاف الله الحسبان للمخاطب، وأثبت السير لها مشيرًا له بمر السحاب، فنحن عند أن نشاهد السحاب لا نراه يمر سريعًا، بل كلما كان أبعد عنا رأيناه كأنه واقف وهو يسير سيرًا حثيثًا.

وبهذا الإيضاح يتبين لكل عاقل: أن الآية المذكورة لا تدل على أن الأرض تدور بأي حال، والله المستعان.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

أدلة أخرى على ثبات الأرض

الإجماع على ثبوت الأرض وعدم دورانها

لقد نص على قيام الإجماع على ثبات الأرض واستقرارها غير واحد من العلماء، وسأنقل بعضًا من ذلك: قال عبدالقاهر البغدادي في كتابه «الفرْق بين الفِرَق» (ص٣٥٤): (وأجمعوا على وقوف الأرض وسكونها، وأن حركتها إنما تكون بعارضٍ يعرض لها من زلزلة ونحوها، خلاف قول من زعم من الدهرية أن الأرض تهوي أبدًا، ولو كانت كذلك لوجب ألا يلحق الحجر الذي نلقيه من أيدينا الأرض أبدًا؛ لأن الخفيف لا يلحق ما هو أثقل منه في انحداره). اهـ

وقال القرطبي في «تفسيره» (٩/ ١٨٤): (والذي عليه المسلمون وأهل الكتاب القول بوقوف الأرض وسكونها ومدها، وأن حركتها إنما تكون في العادة بزلزلة تصيبها).

وأما استفادة الإجماع ضمنيًّا، فبكثرة اكتفينا بما صرَّح به من سبق.

أخي الكريم، بعد سرد هذه الأدلة النقلية -المتكاثرة التي تزيد على خمسين دليلًا-، والعقلية -البالغة في الوضوح كماله- والمحسوسة والمشهودة والإجماع من المسلمين وغيرهم، وبيان بطلان نظرياتهم في دوران الأرض من قبل الكفار، ألا يجزم كل منصف ببطلان دعوى دوران الأرض؟! فكم من قضايا حصل فيها الجزم بصحتها لأدلة قليلة بالنسبة لهذه، مع أن نظرية دوران الأرض في السابق كانت بين الكفار، وقد أبطلوها بنظرية أخرى تقول بعدم الدوران، فيا سبحان الله!! أيكون المسلم سالكًا طريقًا قد تركه الكفار؟!

وعلى كل: هذه أدلتنا على القول بثبوت الأرض إلى قيام الساعة، فليرنا أصحاب نظرية الدوران بالبراهين ما يرد ذلك، أما المكابرة والمعاندة والمغالطة وفرض التوهمات والتخيلات على الناس، فهذه هي طريق الإفلاس في ميدان الحجج والبراهين، فلقد خرجت من جمع الأدلة في هذه المسألة وأنا في غاية الاقتناع بما أقول، ولم أكن قبل هذا متشككًا، والحمد لله.

الأرض مركز الكون وهذا يدل على قرارها

ومن الأدلة الدالة على استقرار الأرض أنها مركز الكون. قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾[سبأ:٩]، والشاهد من قوله تعالى: ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾[سبأ:٩] وقال تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ﴾[الحج:٦٥] وقال تعالى إخبارًا عن قوم شعيب: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[الشعراء:١٨٧]، وقال تعالى: مخبرًا عن كفار قريش: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[الأنفال:٣٢] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[الأنبياء:٣٢] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[الأنبياء:٣٣]، وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾[المطففين:١٨] وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾[المطففين:٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، كما في «مجموع الفتاوى» (٢٥/١٩٦): (ومن علم أن الأفلاك مستديرة، وأن المحيط الذي هو السقف هو أعلى عليين، وأن المركز الذي هو باطن ذلك وجوفه -وهو قعر الأرض- هو سجين، وأسفل سافلين، علم من مقابلة الله بين أعلى عليين وبين سجين).

فاتضح من هذه الآيات أن الأرض محط لما ينزل من السماء، فما نزل من السماء

فقره الأرض، في أي جهة من جهاتها، وكذلك ما يسقط مما بين السماء والأرض فقره واستقراره الأرض، وكذلك الشمس والقمر والنجوم والكواكب تدور حول الأرض، وهذا يدل على بطلان قول أصحاب الهيئة، القائلين: إن الأرض سابحة في الجو، ولا شك أن قولهم هذا فيه إبطال لما دلت عليه هذه الآيات، ومكابرة للمعقول والمحسوس، فما أجمل البقاء مع القرآن وترك ترهات هؤلاء، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[الرحمن:١٠].

ذكر الشنقيطي (٧/ ٧٣٨) عند هذه الآية فقال: (ذكر الله جل وعلا في هذه الآية: أنه وضع الأرض للأنام، وهو الخلق؛ لأن وضع الأرض لهم على هذا الشكل العظيم القابل لجميع أنواع الانتفاع، من إجراء الأنهار، وحفر الآبار، وزرع الحبوب والثمار، ودفن الأموات، وغير ذلك من أنواع المنافع، من أعظم الآيات، وأكبر الآلاء التي هي النعم، ولذا قال تعالى بعد: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾).

وقال الإمام ابن كثير (٧/ ١٦٥) عند قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾[فصلت:٩] فذكر أنه خلق الأرض أولًا؛ لأنها كالأساس، والأصل أن يبدأ بالأساس ثم بعده بالسقف، كما قال عزوجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾[البقرة:٢٩] الآية). وقد تقدم الكلام على مركز الكون عند أرباب الأفلاك قديمًا وحديثًا، فأغنى عن إعادته.

الأدلة العقلية على استقرار الأرض

فمن ذلك ما هو مشاهد من سير السحاب المسخر بين السماء والأرض، فإنا نراه في بعض الأحيان يأتي من جهة الشمال، ويذهب نحو الجنوب، ويأتي أيضًا من جهة الجنوب، ويذهب نحو الشمال، وربما أتى من ناحية المشرق وذهب نحو المغرب، وسيره من جميع الجهات متقارب، لا يختلف بعضه عن بعض بالسرعة، إلا بسبب ريح

شديدة تسوقه، ولو كانت الأرض تسير -كما يزعمه أهل الهيئة الجديدة- لاختلف سير السحاب؛ بسبب سير الأرض، ولكن اتجاهه دائمًا إلى جهة المغرب بعكس سير الأرض، ولم يذهب إلى جهة المشرق أبدًا؛ لأن الأرض تفوته بسرعة سيرها فقد، زعم المتأخرون من أهل الهيئة الجديدة أنها تسير في الثانية أكثر من ثلاثين كيلو مترًا، وأنها تقطع في اليوم الواحد أكثر من خمسمائة ألف فرسخ، ولما كان سير السحاب من جميع الجهات مقاربًا بعضه بعضًا، دل ذلك على أن الأرض قارة ساكنة، ومن ذلك ما يسره الله تعالى في زماننا من وجود المراكب الجوية التي تخترق الجو في جميع أرجاء الأرض، فإن سيرها من المشرق إلى المغرب مثل سيرها من المغرب إلى المشرق، وكذلك سيرها من الجنوب إلى الشمال مثل سيرها من الشمال إلى الجنوب، كل ذلك لا يختلف. ولو كان الأمر على ما يزعمه أهل الهيئة الجديدة، لكان من في المشرق إذا أراد المغرب رفع طائرته في الهواء، ثم أمسكها وقتًا يسيرًا؛ حتى تصل إلى أقطار المغرب، فينزل فيها، وأما من في المغرب فلا يمكنه أنه يسير إلى المشرق في مركب جوي أبدًا؛ لأنه إذا رفع طائرته عن الأرض فاتته الأرض بسرعة سيرها -هذا على حد زعمهم-.

وكذلك الذي في الجنوب والشمال لا بد أن تفوتهم الأرض بسرعة سيرها، فلا يهتدون إلى موضع قصدوه في مراكبهم الجوية. ومن ذلك ما هو مشاهد من نهوض الطيور من أوكارها وطيرانها في الهواء، وذهابها يمينًا وشمالًا، ورجوعها إلى أوكارها، والمواضع التي تقع عليها كثيرًا، وهذا يدل على ثبات الأرض واستقرارها، ولو كانت تسير -كما يزعمه أهل الهيئة الجديدة- لما رجعت الطيور إلى أماكنها من الأرض؛ لأن الأرض تفوتها بسرعتها.

ومن ذلك ما هو مشاهد من رمي الصيد والأهداف وإصابتها، ولو كانت الأرض تسير -كما يزعم أهل الهيئة الجديدة- لما أصاب الرامي صيدًا ولا هدفًا، ولا سيما إذا كان الصيد أو الهدف بعيدًا عنه؛ لأنه إذا أطلق السهم أو الرصاص حالت الأرض بسرعة سيرها بين الرامي والإصابة، فلا يصيب السهم والرصاص ما وجهه الرامي

نحوه، ولما كانت إصابة الصيد والأهداف تقع من كثير من الرماة، دل ذلك على أن الأرض ساكنة.

ومما يحتج به عليهم أنهم يضعون السواتل (الأقمار الصناعية) في أماكن معلومة لديهم فتبقى ثابتة، فثبوتها دليل على عدم دوران الأرض، إذ لو كانت الأرض تدور لاحتاجت سواتلهم إلى محركات تجعلها تدور مع دوران الأرض، ولو لم توجد لها محركات من عندهم بقيت في مكانها فإن دارت الأرض تركتها وراءها.

الأدلة المشهودة على استقرار الأرض

من المعلوم أن الناس يقطعون ويجزمون فيما يشاهدون، فمن رأوه متحركًا جزموا بأنه متحرك، وإن رأوه واقفًا جزموا بأنه واقف، وعامة الأمم السابقة واللاحقة يشاهدون الأرض واقفة، ويشاهدون الشمس والقمر والنجوم والكواكب سيارات، ولم ينقل عن أحد أنه رأى الأرض تحركت دائرة، وعند أن يشاهد الناس زلزلة لجزء من الأرض، ولو كانت يسيرة يقولون حصلت زلزلة للمكان الفلاني من الأرض، وينتشر خبر ذلك في أرجاء العالم، خصوصًا عند تقدم وسائل الاتصالات والمواصلات كعصرنا هذا، وبما أن أصحاب نظرية دوران الأرض يثبتون على حد زعمهم حركة للأرض سريعة، فلازم هذا أنهم يرونها؛ لأن رؤية السائر المسرع أسهل من رؤية المبطئ، فلا يمنع من شهود الناس لذلك، إلا عدم وجود الدوران أصلًا. فانظر كيف افتضحوا، فيا ليتهم ما قالوا هذه المقولة!!

الأدلة المحسوسة تدل على ثبوت الأرض

المكابرة في ادعاء دوران الأرض حاصلة، والإصرار عليها مستمر، فنقول للمدعين دوران الأرض: أنتم تصرون على دورانها، فقلنا لكم لو كان الدوران حاصلًا لرأيناه بأعيننا، قالوا: هي تدور ولكن لسرعة الدوران تصير كأنها واقفة، وهذه مكابرة أخرى، ولنفرض أن قولهم هذا صحيح، أفلا نحس بدورانها؟! لأن كل

متحرك يحس به من كان قريبًا منه أو مخالطًا له، فإن قالوا: أنتم لا تحسون بها. قلنا: ولم لا نحس بها، ونحن نحس دبيب النمل عند أن يمر علينا؟ والأرض نحن فوقها فمن باب أولى أن نحس بحركتها، فهل رأيت حجة لهؤلاء تثبت لهم في ميدان الحق؟!

أحوال الجبال يوم القيامة دليل على ثبوت الأرض قبل ذلك

قال الشنقيطي رحمه الله في "أضواء البيان" ٤/ ٥١٢-٥١٣: (واعلم أنه جل وعلا بَيَّنَ الأحوال التي تصير إليها الجبال يوم القيامة في آيات من كتابه، فبين أنه ينزعها من أماكنها، ويحملها فيدكها دكًا، وذلك في قوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[الحاقة:١٣-١٤]. ثم بَيَّنَ أنه يُسيِّرُهَا في الهواء بين السماء والأرض، وذلك في قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ * وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[النمل:٨٧-٨٨] وقوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾[الكهف:٤٧] وقوله: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾[التكوير:٣] وقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[النبأ:٢٠] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾[الطور:٩-١٠]. ثم بَيَّنَ أنه يفتها ويدقها كقوله: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾[الواقعة:٥] أي: فتت حتى صارت كالبسيسة، وهي: دقيق ملتوت بسمن أو نحوه على القول بذلك، وقوله: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[الحاقة:١٤]. ثم بَيَّنَ أنه يصيرها كالرمل المتهايل وكالعهن المنفوش، وذلك في قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾[المزمل:١٤]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾[المعارج:٨-٩]، والعهن: الصوف المصبوغ، ومنه قول زهير بن أبي سُلمَى في معلقته:

كأن فتات العهن في كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم

ثم بَيَّنَ أنها تصير كالهباء المنبث في قوله: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً

مُّنۢبَثًّا﴾[الواقعة:٥-٦]. ثم بَيَّنَ أنها تصير سرابًا وذلك في قوله: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[النبأ:٢٠] وقد بَيَّنَ في موضع آخر أن السراب لا شيء وذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾[النور:٣٩])اهـ

فانظر كيف أوضح الله صيرورة الجبال عند قيام الساعة وما تئول إليه، فلو بقيت على ثبوتها قبل ذلك لما جرى لها من هذا شيء، وأيضًا لو كانت تدور قبل يوم القيامة لأخبرنا الله بذلك، كما أخبرنا عما تصير إليه يوم القيامة، ولكن لما كانت غير دائرة أخبرنا بثبوتها.

ولقد رأيت أن أذكر بعضًا من أحوال الأرض يوم القيامة، مرتبًا لها حسب اجتهادي؛ لما في ذلك من العبرة، ومن الإيضاح الدال على أن حركة الأرض ورجفتها وتغييرها وتبديلها إنما يكون يوم القيامة:

زلزلة الأرض ورجفتها: قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[الزلزلة:١-٢]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾[المزمل:١٤] وقال تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾[الواقعة:٤].

انشقاق الأرض: قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾[ق:٤٤] وفي صحيح مسلم (٢٢٧٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ...**».

مد الأرض: قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾[الانشقاق:٣-٤] ومعنى مدت: سويت بإزالة جبالها، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾[طه:١٠٥-١٠٧]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾[الكهف:٤٧]، والشاهد (بارزة).

قال الشنقيطي في «أضواء البيان» (٤/١١١): (أي: وترى الأرض ظاهرة منكشفة؛ لذهاب الجبال والضراب والآكام والشجر والعمارات التي كانت عليها).

حمل الأرض والجبال ودكها: قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾[الحاقة:١٤-١٥].

تبديل السماوات والأرضين السبع: قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[إبراهيم:٤٨].

الهواء الذي بين السماء والأرض دليل على ثبوت الأرض وعدم تحركها

ومما يدل على ثبوت الأرض وعدم تحركها: وجود الهواء والجو الذي بين السماء والأرض، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾[النحل:٧٩]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[السجدة:٤] وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[البقرة:١٦٤] وأمثالها من الآيات.

قال القرطبي في "تفسيره" (٢/ ١٣٤): (سمي السحاب سحابًا لانسحابه في الهواء).

وقال وهو يتحدث عن مر السحاب (٢/ ١٣٥): (فإن أريد بالثبوت كونها في الهواء: ليست بين السماء ولا في الأرض، فصحيح؛ لقوله (بين)، وهي مع ذلك مسخرة محمولة، وذلك أعظم في القدرة، كالطير في الهواء).

وقال الألوسي (٢/ ٣٣) وهو يتحدث عن السحاب: (سمي بذلك لانسحابه في الجو أو لجر الرياح له).

وقال ابن كثير (٢/ ١٤٠) عند قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[البقرة:١٦٤]: (أي: سائر بين السماء والأرض مسخر إلى ما يشاء الله من الأراضي والأماكن، كما يصرفه تعالى).

وقال العلامة ابن القيم في "مفتاح دار السعادة" (٢/ ٣٣): (ومن آياته الباهرة هذا الهواء اللطيف المحبوس بين السماء والأرض، يدرك بحس اللمس عند هبوبه يدرك

جسمه، ولا يرى شخصه، فهو يجري بين السماء والأرض، والطير محلقة فيه سابحة بأجنحتها في أمواجه، كما تسبح حيوانات البر في الماء وتضطرب جوانبه في أمواجه عند هيجانه، كما تضطرب أمواج البحار...).

وجه الاستدلال بهذه الآيات على ثبوت الأرض هو: أن الذي يكون في الجو ويريد أن يصل إلى مكان من الأرض يصل إلى ذلك المكان الذي يريده، فوصوله من الجو إليه دليل على عدم دوران الأرض؛ لأنها لو كانت تدور، لفاته بسبب دورانها.

وأيضًا في هذه الآيات رد على الجيولوجيين القائلين بأن الفضاء لا نهاية له، وعلى تقسيمهم الهواء إلى قسمين: ١- غلاف جوي أرضي. ٢- غلاف جوي فضائي. وهو تقسيم باطل، كما سبق بيان ذلك؛ فقد حسمت هذه الآيات عند هؤلاء، حيث بينت أن الجو من جهة العلو ينتهي بسماء الدنيا، ومن جهة السفل ينتهي بالأرض، فما بقي مع الجيولوجيين إلا التكذيب لصريح القرآن، والله المستعان.

تحرك بعض أماكن الأرض دليل على ثبوت الأرض كلها

الدليل الأول: يحصل أن بعض الجبال أو الأجزاء من الأرض يتحرك حركة خفيفة ثم تنقطع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف:١٤٣].

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ قال حماد: (هكذا. وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة أصبعه اليمنى، قال: فساخ الجبل ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٥) وصححه ابن كثير في «تفسيره»، والألباني في «صحيح سنن الترمذي» رقم (٣٠٧٤) واللفظ له.

وقد جاء عند ابن جرير (١٣/ ٩٩) وغيره أن حُمَيْدًا قال لثابت: تقول هذا؟ قال: فرفع ثابت يده فضرب صدر حميد، وقال: (يقوله رسول الله ﷺ، ويقوله أنس، وأنا أكتمه؟!).

وجه الاستدلال بهذه الآية أن الجبل مستقر، وأن تحركه حتى صار دكًّا؛ إنما كان بسبب تجلي الله له، ولهذا قال: ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ أي: بعد تجلي الله له ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ فعدم تحركه حتى تجلى الله دليل على أن الأرض والجبال ثابتة.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾[الأعراف:١٧١]، وجه الاستدلال: أن الله أخبر أنه رفع الجبل فوق رءوس قوم موسى وكان قبل ذلك ساكنًا، ثم أعاده سبحانه فلم يتحرك بعد.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[الحشر:٢١]، والآية واضحة أن الجبل سيتصدع لو أنزل الله عليه القرآن، فلما لم ينزل الله عليه القرآن بقي غير متحرك. وأيضًا دلت الآية المذكورة على أن تحرك الجبال يؤثر عليها حتى يصير لها تصدع ما بين قلة وكثرة، وهذا بسبب حركة في لحظة من اللحظات، فمن باب أولى أن تتصدع الجبال بسبب الحركة المستمرة على زعم القائلين بدورانها، فعدم تحركها دليل واضح على ثبوتها واستقرارها، والحمد لله على ذلك.

الدليل الرابع: قوله تعالى في شأن السد الذي بناه ذو القرنين: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾[الكهف:٩٨]، أفادت الآية الكريمة أن السد العظيم الذي بناه ذو القرنين سيدكه الله قرب قيام الساعة؛ فيخرج منه يأجوج ومأجوج، فدك هذا السد العظيم الذي جعله الله حاجزًا ومانعًا من خروج تلك الأمة الكثيرة حدث عظيم في الأرض، فلو كانت الأرض تدور لانهد السد المذكور قبل مجيء وعد الله المذكور؛ لما سبق ذكره من أن الجبال تتصدع عند تحركها.

الدليل الخامس: تحرك جبل أحد وجبل حراء عن أنس رضي الله عنه قال: صعد النبي ﷺ أحدًا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم، فقال: «**اثْبُتْ أُحُدُ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ**» رواه البخاري رقم (٣٦٧٥).

وفي حديث عائشة رضي الله عنها في البخاري رقم (٣٢٣١) ومسلم (١٧٩٥) وفيه أن ملك

الجبال قال للنبي ﷺ: إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

وروى مسلم رقم (٢٤١٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «اهْدَأْ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ».

الدليل السادس: تحرك الجبل الذي كان عليه الغلام الإسرائيلي، حينما دعا الله، روى مسلم رقم (٣٠٠٥) من حديث صهيب رضي الله عنه في شأن الغلام الذي أرسل معه الملك بمجموعة من أصحابه، وقال لهم: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه. فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا.

فانظر كيف كان تحرك الجبل، هذا كرامة من الله لهذا المؤمن؛ لأنه لا يتحرك. وما الزلازل التي تحصل بين فَيْنَةٍ وأخرى إلا دليل على ثبات الأرض وعدم دورانها، وهذا بسبب حركة تحصل لبعض أجزاء الأرض ولمجرد لحظة، فكيف لو دامت هذه الحركة فماذا عسى أن يبقى على وجه الأرض؟! أيعيش عليها أحد؟!

وأيضًا لو كانت الجبال متحركة دائرة لما بقي لهذه الحركة أثر يخصها؛ لأنها من جنس حركات الجبال والأرض، ومن عجيب تناقض القائلين بدوران الأرض، أنهم يزعمون أن حركة الأرض والجبال بسرعة رهيبة، فلو كانت كذلك لحصل الضرر أعظم وأعظم، ولما كان قولهم هذا باطلًا لم يحدث أي شيء، والحمد لله.

ومن الأدلة على سكون الأرض جريان الشمس

لقد دلت أدلة كثيرة على أن الشمس في فلكها تجري، وسأسرد ما تيسر من تلك الأدلة:

الدليل الأول: قال رب العالمين: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ

ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[يس:٣٨].

الدليل الثاني: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[الرعد:٢].

الدليل الثالث: قول المولى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[لقمان:٢٩].

الدليل الرابع: قول الله تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾[فاطر:١٣]،.

الدليل الخامس: قول علام الغيوب: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[الزمر:٥].

فهذه الآيات تنص على جريان الشمس وجريانها من المشرق إلى المغرب وخلاصة كلام المفسرين في جريانها أنه المر السريع.

الدليل السادس: قول أكرم الأكرمين: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[الأنبياء:٣٣].

الدليل السابع: قول أرحم الراحمين: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[يس:٤٠]. والسبح هو السير السريع في الماء أو في الهواء أو في الفلك وهاتان الآيتان أيضًا نص في جريان الشمس.

الدليل الثامن: قول جبار السماوات والأرض: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾[إبراهيم:٣٣].

وخلاصة ما قيل في دأب الشمس والقمر هو: سيرهما، لا يفتران ليلًا ولا نهارًا،

إلى يوم القيامة.

الدليل التاسع: قول رب العزة: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأعراف:٥٤].

الدليل العاشر: قول الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[النحل:١٢].

الدليل الحادي عشر: قول الحكيم العليم: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة:٢٥٨]. انظر إلى وضوح الآية المذكورة؛ حيث إنها تجري من المشرق إلى المغرب إلى قيام الساعة.

الدليل الثاني عشر: قول الخلاق العليم: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[الأنعام:٧٨]، والبزوغ: الطلوع، والأُفُولُ: الغروب.

الدليل الثالث عشر: قول أرحم الراحمين: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾[الإسراء:٧٨]، ودلوك الشمس: هو زوالها عن وسط السماء، وفسر بغروبها وكلاهما يدل على سيرها.

الدليل الرابع عشر: قول مالك الأمر: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾[الكهف:١٧].

الدليل الخامس عشر: قول من له الملك: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾[الكهف:٨٦].

الدليل السادس عشر: قول اللطيف الخبير: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾[الكهف:٩٠].

الدليل السابع عشر: قول من يقول للشيء كن فيكون: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[طه:١٣٠].

الدليل الثامن عشر: قول الحي القيوم: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾[ق:٣٩].

الدليل التاسع عشر: قول السميع العليم: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا * وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾[الشمس:١-٢].

الدليل العشرون: قول ربي لا شريك له: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[الرحمن:٥].

الدليل الحادي والعشرون: قول العلي الكبير: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[الأنعام:٩٦].

انظر -أيها القارئ-: كم من الأدلة في كتاب الله الناطقة بجريان الشمس.

ومن الأدلة على ذلك من السنة النبوية: ما روى البخاري رقم (٣١٩٩) ومسلم رقم (١٥٩) من حديث أبي ذرٍّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذرٍّ حين غربت الشمس: «**أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنُ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنُ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ. فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا...**».

ولو لم تأت آية واحدة ولا حديث في إثبات جريان الشمس لكانت مشاهدتنا لها صباح مساء، وهي تشرق وتغيب كافية في إثبات جريانها، وجريانها وسيرها دليل واضح على ثبات الأرض وقرارها؛ لأنها تدور حول الأرض، تشرق على جهة المشرق منها، وتغرب على جهة المغرب منها.

وكما ترى أن الآيات فيها رد شاف كافٍ على من يقول بوقوف الشمس، وعلى من يقول بجريانها حول نفسها، والحق أنها تجري وتدور حول الأرض، كما أوضحنا هذا في محله من هذا الكتاب.

ومن الأدلة على سكون الأرض سير القمر طلوعاً وغروباً

تقدم آنفا أن ذكرت آيات كثيرة تنص على جريان الشمس وسرعة سيرها إلى قيام الساعة، وأكثر تلك الآيات ذكر فيهن القمر مع الشمس، فهي دليل كافٍ في ذلك فلا نعيد ذكرها. وزيادة على ذلك: أن الله قال مخبرًا عن إبراهيم: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾[الأنعام:٧٧]، فذكر القمر في هذه الآية بالبزوغ وهو الطلوع، والأفول وهو الغروب، وقال تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾[يس:٣٩]، وقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾[المعارج:٤٠].

فكل هذه الأدلة تدل على سير القمر طلوعًا وغروبًا هلالًا وبدرًا، وأن له منازل يقطعها في كل شهر، وسيره هذا دوران على الأرض، فلو كانت الأرض هي التي تدور لتعطلت منافع كثيرة من منافع القمر، ومنها: عدم معرفة بداية الشهور ونهايتها ووسطها.

ومن عجيب التناقض الذي عليه فلاسفة الأفلاك، أنهم لما قالوا بالوقوف جعلوه في الشمس، ولم يقولوا بوقوف القمر، مع أن الشمس والقمر شقيقان في السير طلوعًا وغروبًا وخسوفًا وكسوفًا، فكيف فرقوا بين متماثلين؟!

ومن الأدلة على سكون الأرض سير النجوم طلوعاً وغروباً

لقد دلت الأدلة الكثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية أن الكواكب تسير في سماء الدنيا، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾[الفرقان:٦١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ * ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾[الطارق:١-٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾[النجم:١]، ومعنى هوى: سقط حال الغروب، والأقرب أن الألف واللام في النجم للجنس، فالمراد بها جنس النجوم. وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾[الطور:٤٩]، وقال رب العزة:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[الأنعام:٩٧]، وقال تعالى إخبارًا عن إبراهيم: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾[الأنعام:٧٦].

ووجه الدلالة في سرد هذه الأدلة: أن الأرض لا تدور؛ لأنها لو كانت كذلك لما اهتدينا بالنجوم في ظلمات البر والبحر؛ لأننا سنرى النجم متجهًا إلى الجنوب أو الشمال أو الشرق أو الغرب؛ فلا نقدر على الاتجاه إلى جهته؛ لأن الأرض ستحولنا إلى جهة أخرى. وإذا علم أن سير النجوم في السماء هو دوران على الأرض، دل هذا على أن الأرض ثابتة.

تنبيـــهٌ: لم يظهر لي فارق معتبر بين النجوم والكواكب، فإذا ذكرنا النجوم فقط أو الكواكب فلا يعني هذا التفريق بينهما.

ومن الأدلة على ثبوت الأرض دوران الليل والنهار

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[آل عمران:١٩٠]، وأخبر أنه سبحانه جعل لكل منهما فلكًا يسبح فيه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[الأنبياء:٣٣]، وأخبر أنه سبحانه يقلبهما، قال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[النور:٤٤] وأخبر سبحانه أنه يكورهما، قال تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾[الزمر:٥] وأخبر أنه يسلخ النهار من الليل، قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾[يس:٣٧]، وأخبر أنه سبحانه يولجهما، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾[لقمان:٢٩] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ * وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾[المدثر:٣٣-٣٤] وقال: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا * وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾[الشمس:٣-٤].

قلت: في هذه الآيات إثبات دوران الليل والنهار وحركتهما، ومن قال بدوران

الأرض فهو يعطل مدلول هذه الآيات عن الذي قلنا، حيث إن القائلين بدوران الأرض يقولون: إن الليل والنهار ثابتان، وإن الأرض خلال دورانها هي التي تلج في الليل وفي النهار.

ومن الأدلة على ثبوت الأرض ما يقوله الإنسان عند أن تبدل الأرض غير الأرض: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ [الزلزلة:٣]

قال ابن كثير (١٤/ ٤٢٨): (أي: استنكر أمرها بعدما كانت قارة ساكنة ثابتة، وهو مستقر على ظهرها، أي: تقلبت الحال فصارت متحركة مضطربة...).

وقال ابن عاشور (٣٠/ ٤٩٢): (أي: ما للأرض في هذا الزلزال، أو ما لها زلزلت هذا الزلزال؟!).

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

ذكر شبه القائلين بدوران الأرض والرد عليهم

لقد استدل القائلون بدوران الأرض بأدلة، عند البيان والإيضاح يظهر للقارئ أنهم ليس لهم فيها دليل:

(١) **استدلالهم بقوله تعالى:** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[الأنبياء:٣٣]

قالوا: إن الأرض تسبح؛ لأنها أحد الكواكب كسبح الشمس والقمر، واستدلالهم هذا مردود من وجوه:

أن الأرض ليست داخلة في الآية المذكورة؛ لأنها قد ذكرت قبلها بآية في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾[الأنبياء:٣١]، فكيف يصح استدلالهم بذلك؟

لم يقل بقولهم هذا أحد من المفسرين، لا من المتقدمين ولا من المتأخرين إلا من كان مغرمًا بما عند أصحاب الأفلاك.

هناك فرق بين الدوران والسبح، فالسبح هو الجري بسرعة، وأما الدوران فهو تكرار الحركة، والأرض تدور حول نفسها كل يوم مرة، وحول الشمس في السنة مرة، فهذا تناقض؛ حيث يزعمون دوران الأرض ويستدلون لذلك بآية السبح.

هم يزعمون أن الشمس مركز الكون، وأنها واقفة، فكيف استدلوا بالآية المذكورة على سبح الأرض وهي ثابتة، وتركوا الاستدلال بها على سبح الشمس، وهي المذكورة فيها؟ ألا ترى كيف يتلاعبون بكلام الله! اللهم فاشهد.

لو سلمنا بصحة استدلالهم بهذه الآية على أن الأرض تسبح، فأين فلكها الذي تسبح فيه؟! لأن الله قال: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[الأنبياء:٣٣] فالشمس والقمر

يسبحان في أفلاك السماء، فليعيِّنوا الفلك الذي تسبح فيه الأرض. فالاستدلال بالآية المذكورة على دوران الأرض من أبطل الباطل.

(٢) **استدلالهم بقوله تعالى:** ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾[النازعات:٣٠]

قالوا: معنى دحاها: دحرجها، ولا تزال تتدحرج وتتقلب وهي تجري في مسارها وفلكها. **والرد عليهم من وجوه:**

١) المفسرون متفقون على تفسير الدحو بالبسط للأرض وتمهيدها للسكنى، قال متمم تفسير «أضواء البيان» (٩/ ٣٣): (فترى أن جميع المفسرين تقريبًا متفقون على أن دحاها بمعنى بسطها). واستدلوا على هذا بكلام العرب، ومن ذلك قول أمية بن أبي الصلت:

وبث الخلق فيها إذ دحاها ... فهم قطانها حتى التنادي

وقال زيد بن عمرو:

دحاها فلما استوت شدها ... بأيد وأرسى عليها الجبال

وكتب اللغة كلها تنص على أن الدحو: البسط والتمهيد، وتفسير بعض العلماء للدحو بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾[النازعات:٣١] لا ينافي بسطها وتمهيدها، بل هذا من جملة الدحو، وقد أحسن من قال: (دحاها: بسطها ومهدها للسكن والاستقرار عليها، ثم فسَّر ذلك التمهيد بما لا بد منه، من إخراج الماء والمرعى ...).

قلت: ومما يدل على أن الدحو ليس محصورًا في قوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾[النازعات:٣١] أن الله قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[الرعد:٣]، فعطف الأنهار على الجبال، والجبال على المد دليل على أن المد للأرض هو بسطها وتمهيدها للسكن. فاتضح من هذا أن العرب وأهل اللغة العربية والمفسرين، متفقون على أن دحو الأرض بسطها وتمهيدها؛ للسكن والاستقرار عليها.

٢) فرضًا أن معنى دحاها: دحرجها، فتكون الدحرجة وقعت في ذلك الحين، ثم جاءت الجبال وسكنتها فلم تدم الدحرجة، ولهذا قال الله بعد ذكر الدحو: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا * مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾[النازعات:٣٢-٣٣].

٣) تفسير أتباع الفلاسفة للدحو بالدحرجة مبني على أصل باطل ألا وهو أن الدحرجة تابعة لأصل الأرض وأصلها مادة السديم المتحركة على الدوام، فإذا علمت هذا علمت أن استدلالهم بالآية ليس قائمًا على أصل صحيح أصلًا.

قوله تعالى: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾[النازعات:٣٣] تعليل لدحو الأرض وإرساء الجبال عليها، وعلى هذا: فالقول بدوران الأرض ينافي أن تكون متاعًا للخلق لعدم قدرتهم على السكنى عليها. فاتضح من هذا البيان أن الآية ليس فيها أدنى إشارة لما قاله المتهوكون بها من الجيولوجيين والفلكيين.

(٣) استدلوا على الدوران بقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾[النمل:٨٨]

قالوا: إن الجبال والأرض تسير، ولكن نحن لا نحس بذلك لسرعة السير، وأكدوا استدلالهم هذا بقوله في آخر الآية: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ وإليك أقوال المفسرين للآية:

قال ابن كثير (١٠/ ٤٣٨) بعد ذكره للآية أي: تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه، وهي تمر مر السحاب، أي: تزول عن أماكنها كما قال: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾[الطور:٩-١٠] وقال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾[طه:١٠٥-١٠٧] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾[الكهف:٤٧]).

وقال القرطبي (١٣/ ١٦٠) بعد أن ذكر الآية: (قال القشيري: وهذا يوم القيامة أي: هي لكثرتها كأنها جامدة، أي: واقفة في مرأى العين، وإن كانت في نفسها تسير سير السحاب، والسحب المتراكمة يظن أنها واقفة وهي تسير أي تمر مر السحاب حتى

لا يبقى منها شيء، فقال الله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[النبأ:٢٠].

وقال العلامة الشوكاني (٤/ ١٥٥): (﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ معطوف على ﴿يُنفَخُ﴾، والخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل من يصلح للرؤية... وهذه هي العلامة الثانية لقيام الساعة، ومعنى ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أي: قائمة ساكنة، وجملة ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ في محل نصب على الحال، أي: وهي تسير سيرًا حثيثًا كسير السحاب التي تسيرها الرياح... وهي في رؤية العين كالقائمة وهي تسير، قال القشيري: وهذا يوم القيامة، ومثله قوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[النبأ:٢٠] قرأ أهل الكوفة ﴿تَحْسَبُهَا﴾ بفتح السين، وقرأ الباقون بكسرها).

وقال ابن الجوزي (٦/ ١٩٥-١٩٦): (قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾، قال ابن قتيبة: هذا يكون إذا نفخ في الصور تجمع وتسير فهي لكثرتها تحسب جامدة أي: واقفة، ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ أي: تسير سير السحاب، وكذلك كل جيش عظيم يحسبه الناظر من بعيد واقفًا وهو يسير سيرًا لكثرته).

وقال ابن عطية (١١/ ٢٥١-٢٥٢): (هذا وصف حال الأشياء يوم القيامة عقب النفخ في الصور، والرؤية هي بالعين، وهذه الحال للجبال في أول الأمر تسير وتموج، وأمر الله تبارك وتعالى بنسفها ونفشها خلال ذلك؛ فتصير كالعهن، ثم حتى تصير في آخر الأمر هباءً منثورًا).

وقال الشنقيطي في "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب" (ص١٧٦): (﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾، يعني في الآخرة؛ بدليل قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾[النمل:٨٧] ثم عطف على ذلك قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾، ومما يدل على ذلك: النصوص القرآنية على أن سير الجبال في يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾[الكهف:٤٧] وقوله: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[النبأ:٢٠]).

أخي القارئ، رأيت أقوال هؤلاء المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وهم عمدة في التفسير، وأنها نصت على أن سير الجبال المذكور هو في يوم القيامة، فالآية

الكريمة التي استدل بها هؤلاء لا تدل على ما قالوا، ولو من بعيد، فضلاً عن القريب، وهأنا أزيد في إيضاح الآية المذكورة أنها لا تدل على ما قالوا:

الرؤية في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى﴾ بالعين لا بالقلب، والخطاب للنبي ﷺ وقد خاطبه الله بهذا الخطاب في آيات كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾[الحج:٢] وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[الزمر:٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾[إبراهيم:٤٩]، فكل هذه الخطابات وأمثالها للنبي ﷺ تتعلق برؤيته البصرية في الآخرة. وهي بلفظ الحال وليست بلفظ المستقبل؛ لأنها نزلت منزلة الواقع في الحال؛ لأنها متحققة الوقوع، وعلى هذا فليس في لفظ الحال دليل على أنه في هذا الوقت يرى سير الجبال، يعني في الدنيا، وإلا لزم القائلين بذلك أن يقولوا: إن الخطابات التي ذكرتها في حق الرسول في يوم القيامة في الدنيا، وهذا ظاهر السقوط؛ لأن الخطابات واضحة وضوح الشمس أن الرؤية في يوم القيامة، والذين قالوا: (إن الخطاب للناس عمومًا) قولهم غير صحيح؛ لأن ظاهر الآية لا يساعد على ذلك. نعم، الناس يوم القيامة يرون سير الجبال كما يراها الرسول؛ بدليل رؤيتهم لزلزلة الساعة والجبال منها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾[الحج:٢]، وكون الناس يرون سير الجبال في الآخرة ولا يرون ذلك في الدنيا، دليل واضح على عدم سيرها في الدنيا، فما يقوله الفلكيون وعصبتهم من أن الجبال تسير في الدنيا، ولكننا لا نراها، مغالطة مكشوفة.

الذين استدلوا بآية النمل على أن سير الجبال في الدنيا وقعوا في ضرب القرآن بعضه ببعض؛ لأن الآيات كثيرة مصرحة بثبوت الأرض والجبال إلى يوم القيامة، ثم يحدث لها ما نصت عليه الآيات من تغير وزوال وسير.

قول القائلين بدوران الأرض: (إذا كانت آية النمل في تسيير الجبال يوم القيامة، فلمَ قال الله: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ وهي تنسف نسفًا وتمر مر السحاب؟) أجاب العلماء

عن هذا الإشكال بقولهم: (تجمع الجبال وتسير الأجرام المجتمعة المتكاثرة العدد على وجه الالتصاق إذا تحركت نحو جهة لا تكاد تثبت حركتها).

وقوله سبحانه: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ معناها: تظنها، وسبب هذا الظن أمران: الأول: ما قاله العلماء من أن تجمعها يجعلها حجما كبيرًا يملأ الجو، حتى يظن الظان أنها غير سائرة. الثاني: يحصل هذا الظن؛ بسبب بعد الجبال عن الرائي؛ لأن الرائي تحت جسر جهنم وسير الجبال هاهنا فوق الأرض، وهذا ظاهر جدًّا وقوي، ولما كان جمودها غير متحقق في يوم القيامة قال الله: ﴿تَحْسَبُهَا﴾ فرد سبحانه الحسبان إلى الرائي. وعلى هذا فلا إشكال في الكلمة المذكورة من الآية؛ لأنها تثبت سير الجبال يوم القيامة، ولكن المتقلب يتشبث بطحلب. وسيأتي زيادة إيضاح لهذا في آخر الكلام على الآية.

استدلالهم بقوله تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ على أن الآية ليست في الآخرة؛ لأن الكون في الآخرة قد هدم، فأي صنع فيه في الآخرة؟ والجواب عن هذا الإشكال هو: ما قاله غير واحد من العلماء: إن الله فعل بالكون ما فعل بعدما أتقنه؛ ليدل العباد على عظيم قدرته، قال ابن كثير في الآية (١٠/ ٤٣٨): (أي يفعل ذلك بقدرته العظيمة، الذي قد أتقن كل ما خلق وأودع فيه من الحكمة ما أودع). وقد سئل أبوالوفاء ابن عقيل: ما الحكمة في هدم الأبنية وتسيير الجبال ودك الأرض...؟ فأجاب بقوله: (إنما بنى لهم هذه الدار للسكنى والتمتع، وجعلها وما فيها للاعتبار والتفكر والاستدلال عليه بحسن التأمل والتذكر، فلما انقضت مدة السكنى، وأجلاهم عن الدار، خربها لانتقال الساكن منها، فأراد أن يعلمهم بأن في إحالة الأحوال وإظهار تلك الأهوال وإبداء ذلك الصنع العظيم بيانًا لكمال قدرته ونهاية حكمته وعظمة ربوبيته وعز جلاله وعظم شأنه). نقلًا من كتاب «مفتاح دار السعادة» (٣/ ١٢١) فانظر كيف أوضح ابن عقيل: أن الله بهدم الكون أبان عظمة ذلك وكمال القدرة وغاية الحكمة، فهو سبحانه ممدوح بفعله عند الإيجاد؛ فإنه أتقن ذلك،

وممدوح بفعله الهدم؛ لأنه قائم على إظهار كمال قدرته ونهاية حكمته وعظمة ربوبيته. ومما يزيد هذا إيضاحًا: أن الله قال في الآية: ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ فليس الإتقان خاصًّا بالجبال، بل هو شامل لكل ما خلق سبحانه، فقد خلق سبحانه المخلوق، ثم أماته، ثم يبعثه، وهو سبحانه في هذا فاعل بإتقان.

أصحاب التقليد للفلكيين يزعمون أن الأرض تدور والدوران هو تكرار الحركة، وهم يقولون: إن الأرض تدور حول نفسها، والآية المستدل بها فيها سير الجبال، لا دورانها، وهذا يدل على أن هذا السير سيكون يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا * وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[النبأ:١٩-٢٠].

لو قالوا: (السير المذكور المراد به: الدوران) قلنا لهم: هذا السير قد بيّن الله أنه سير لإنهاء الجبال، قال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[النبأ:٢٠] السراب: هو لا شيء. وقال تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾[الواقعة:٥-٦] والدوران لا يحصل منه شيء من هذا.

ومن شبههم قولهم: إن الجبال وضعت على الأرض لتتوازن الأرض بحيث لا يحصل لها تكفؤ إلى جهة.

وشبهوا الأرض بالسفينة قالوا: السفينة تمشي على مياه البحار، وقد وضعت لها ثقالات؛ لتكون حركتها متزنة، قالوا: وهكذا الأرض فإنها على تيار الماء، والجبال وضعت لتوازنها، لا لاستقرارها.

قلت: قولهم: (إن الأرض على الماء كالسفينة) فيه تفصيل: أما كونها على تيار الماء فمشهور، ولكنه جامد، كما قاله غير واحد، وأما تشبيهها بالسفينة فليس بصحيح؛ لما سبق سرده من الأدلة العقلية والنقلية الدالة على أن الجبال ثبتت الأرض عن التحرك، لا عن الاضطراب فقط، ونقلنا كلام أهل العلم على هذا. ومما يدل على أن الجبال ألقيت على الأرض؛ لتمنعها من الحركة، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا * وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[النبأ:٦-٧] فتأمل الفرق بين ثقالات وبين أوتاد، ولهذا شبهوا الأرض

بالخيمة والجبال عليها بأوتادها، وهذا التشبيه أصح مما ذكره هؤلاء. ومما يزيد تشبيههم بطلانًا أنه يقتضي أن الجبال تسير بسير الأرض، كما أن الثقالات تسير بسير السفينة، وهم يدعون أن الجبال تدور بنفسها.

قولهم: الراكب على السيارة يرى الجري للخط ولا يراه للسيارة والسيارة هي التي تمشي.

قلت: هذا التمثيل لا يستقيم بحال لأن الشخص الراكب إذا نظر إلى أمامه وهو على السيارة رأى الخط واقفًا والسيارة ماشية، وكذا إذا نظر إلى الخلف بعيدًا قليلا عن حركة إطار السيارة رأى الخط واقفًا والسيارة ماشية، وإذا نظر إلى ما عن يمينه وشماله من الأرض بعيدًا عن خط السيارة يرى الأرض واقفة، وهكذا إذا كانت السيارة تمشي ببطء أو في الجبال والأماكن الرملية لا يرى الأرض تتحرك. وأما إذا نظر الراكب على السيارة إلى إطارها فإنه يتصور له أن الطريق تمشي والسيارة واقفة، وهذا من باب المخادعة للبصر فقط؛ بسبب قرب الناظر من عجلة السيارة، ولهذا الذي يكون خارج السيارة لا يرى السيارة واقفة والأرض تحتها ماشية بل العكس، وما ألجأ هؤلاء إلى هذه المغالطة والخداع إلا التعصب والإصرار على نظرية فاشلة، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ولعل الأمر بالعكس تمامًا، فبسبب سرعتهم في الهواء يتخيلون الأرض تدور، وتمشي كراكب السيارة.

وإلى هنا نكون قد انتهينا من الرد على شبهات القوم المتعلقة بدوران الأرض، وقد رأيت أنهم مفلسون لا حجة لهم ولا برهان واحد، فضلًا عن أكثر من ذلك فليتهم أراحونا من هذه الشبه بالاتجاه إلى العلم الصحيح والاستدلال والاحتجاج بما هو صالح لذلك، والله المستعان.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

ردود الفلكيين والكُتَّابِ المتأخرين على من قال بدوران الأرض

من باب: (والحق ما شهدت به الأعداء) أنقل بعضًا من كلام الفلكيين والجيولوجيين الرادين على القائلين بأن الأرض كوكب سيار:

❑ قال محمد فريد وجدي في كتابه "كنز العلوم واللغة": (أما دوران الأرض فهذا موضع الخلاف أقول: الخلاف لأنه رغمًا عن شيوع فكرة دورانها وتغلبها على النظرية المضادة لها، لم تزل بين الأعلام الرياضيين موضع الشك).

وقال أيضًا في كتابه "الإسلام في عصر العلم": (الأدلة على دوران الأرض حول الشمس غير حاصلة على صفة الأدلة المحسوسة حتى لا يمكن الخوض فيها كمسألة كرويتها، ولذلك نرى نفرًا من العلماء والرياضيين لا يزالون يتشككون في ذلك ويشككون غيرهم، وقال المسيو "درومون" في جريدة "ليبربارول" الباريسية: (لم يقم الدليل إلى الآن على صحة دوران الأرض، كما كان يزعم "غاليليه"، وهو ناشر تعاليم كوبرنيك، ولا على أنها مركز العالم الشمسي). وهذا المسيو "بوانكاريه" أكبر علماء الهندسة والطبيعة الفرنساويين يقول: (يقولون: إن الأرض تدور وأنا لا أدري مانعًا من دورانها، فإن فرض دورانها سهل القبول ويمكن به فهم كيفية تكون ونمو الدنياوات، ولكنه فرض لا يمكن إثباته ولا نفيه بالأدلة المحسوسة، وهذا المطلق، أي: الحيز الذي يلزم نسبة الأرض إليه للتحقيق من دورانها أو عدم دورانها، ليس له وجود في حد ذاته). قال: ومن هنا ترى أن قولهم الأرض دائرة لا معنى له البتة؛ لأنه ليس في وسع أيٍّ إثباته لنا بالحس. وجاء في جريدة "اكلبر" الفرنساوية تحت إمضاء بعض الكاتبين قوله: (ليس من المحقق الثابت أن الأرض دائرة).) نقلًا من كتاب "الصواعق الشديدة على أتباع الهيئة الجديدة" (ص٩٣).

❑ ونقل محمد فريد وجدي أيضًا عن الأستاذ الفلكي الطائر الصيت الذي يعد أول رياضي ألَّف في البلاد الفرنساوية "بوانكاريه" كلامًا طويلًا في الرد على القول بدوران الأرض، وقال في آخره: (ومن هنا ترى تأكيدهم أن الأرض تدور لا معنى له؛ لأنه لا يوجد ما يثبته بالتجربة). ثم قال محمد فريد وجدي: (فإن مثل العلامة "بوانكاريه" لم يكن يتجاسر على مثل هذا القول، وهو أكبر رياضي فرنسي اليوم إن لم نقل أكبر رياضي فلكي في العالم؛ إذ لم يكن على ثقة تامة مما يقول، وعلى بينة مما يرمي إليه. ولو كان المعلمون في أثناء تدريسهم للعلوم الطبيعية يسلكون مسلك العلماء في الإقرار بالجهل، فيرون تلامذتهم وجه الضعف في المعلومات الطبيعية، لأدوا لتلامذتهم أكبر خدمة؛ لأنهم بهذا يعودونهم على الأدب النفسي، فتنشأ نفوسهم معتادة على التواضع أمام فخامة الكون وجلالته، والسجود أمام مبدعه ومصوره، ولكن أكثر المدرسين يدرسون لهم العلوم المشكوك فيها والفروض الطبيعية الظنية، بصفة حقائق ثابتة؛ فيتذرع بها أولئك التلامذة الأغرار متى كبروا إلى الإلحاد ونفي الروح والخلود، ولا يدركون أنهم يتمسكون بالظنون، وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا). "الصواعق الشديدة على أتباع الهيئة الجديدة" للتويجري (ص٩٣-٩٤).

❑ وقال الشيخ محمد الحامد صاحب كتاب "ردود على أباطيل..." تحت عنوان "موقف المسلمين من النظريات العلمية": (كان الفلكيون القدماء قائلين بثبات الأرض واستقرارها، وجريان الشمس حولها، ثم طلع بعض الفلكيين بنظرية دوران الأرض وثبات الشمس، وقد راجت هذه الفكرة رواجًا عظيمًا، واعتقدها كثير من الناس حقيقة لا ريب فيها، ثم تسرب الشك إلى بعض العقول، بل تجددت فكرة الرجوع إلى القول الأول قطعًا عند بعض الفلكيين الجدد). ثم نقل ما ذكره محمد فريد وجدي عن المسيو "دورمون" وعن المسيو "بوانكاريه" وقد تقدم ذكر كلامهم آنفًا، ثم قال: (وقد صدر سنة ١٩٢٦م كتاب بالفرنسية اسمه "الأرض لا تدور" تأليف "برايوفيتش" ذكر فيه براهين علمية على ثبات الأرض. وختمه بقوله فيبرهن ذلك على أن الشمس تدور حول الأرض وكذا القمر يدور حولها، وعلى عدم حركة الأرض).

❑ وقال الدكتور عدنان محمد فقيه: يقول الفيزيائي المعاصر بول ديفس: (واليوم لا يشك عالم في كون الشمس مركز المجموعة الشمسية وأن الأرض هي التي تدور وليس السماء)، ولكنه يستدرك قائلًا: إنه لن نتمكن أبدًا من التأكد من صحة هذا التصور مهما بدا دقيقًا فليس لنا أن نستبعد كليًا أن صورة أكثر دقة قد تُكتشف في المستقبل[1] ... ثم قال: وخلاصة القول كما يعبر عنه الفيلسوف الإنجليزي-الأمريكي والتر ستيس إنه: (ليس من الأصوب أن تقول أن الشمس تظل ساكنة وأن الأرض تدور من حولها، من أن تقول العكس. غير أن كوبرنكس برهن على أنه من الأبسط رياضيًا أن نقول أن الشمس هي المركز ... ومن ثم فلو أراد شخص في يومنا الراهن أن يكون شاذًا ويقول إنه لا يزال يؤمن بأن الشمس تدور حول أرض ساكنة، **فلن يكون هناك من يستطيع أن يثبت أنه على خطإ**). اهـ كلامه من مقالة (العلم مفتاح الإعجاز) منشورة على الإنترنت.

❑ وألف مارشال هول (Marshall Hall) كتابًا بعنوان "الأرض لا تتحرك" (the Earth is not moving) صدر في عام ١٩٧٣م في أمريكا وقد طبع عدة طبعات آخرها الثالثة.

❑ وأصدر (والتر فان دير كامب) بالمشاركة مع الدكتور الفلكي (جيراردس) عام ١٩٨٤م كتابًا بعنوان "أسباب وتعليلات مركزية الأرض" (The Whys and Wherefores of Geocentrism) وقد أسس مجلة ربع سنوية تهتم بالأدلة المادية على مركزية الأرض ودوران الشمس حولها.

❑ وأصدر الدكتور الفلكي جيراردس كتابًا بعنوان "مبادئ مركزية الأرض" (Geocentricity Primer) طبعة عدة طبعات والطبعة الأخيرة عام ٢٠٠٤م.

❑ وهناك مواقع كثيرة في الإنترنت تهتم بنقض نظرية دوران الأرض ومن

---

(١) عزاه الدكتور فقيه إلى: بول ديفس وجون جريبين، ١٩٩٨، "أسطورة المادة: صورة المادة في الفيزياء الحديثة"، ترجمة علي يوسف علي، سلسلة الألف كتاب الثاني (٢٩٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

أهمها (www.RealityReviewed.com) الذي يستعرض الحقائق الفيزيائية التي تتعارض مع نظرية دوران الأرض وكيف أنها متوافقة مع القول بثبات الأرض يشرف على الموقع الدكتور (نيفايل توماس جونس) دكتور الفيزياء بجامعة أكسفورد-لندن.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

كروية الأرض

الأدلة على كروية الأرض من النقل والعقل والإجماع

الأدلة على أن الأرض كروية واردة في القرآن والسنة بكثرة، والإجماع قائم على ذلك، ومن تلك الأدلة:

جملة الأدلة التي فيها ذكر طلوع الشمس وغروبها والقمر والنجوم، وهي كثيرة وقد تقدم ذكرها. ووجه الاستدلال بها: أن الأرض لو كانت مستوية أو مستديرة لظهرت هذه السيارات عليها في لحظة واحدة ولكن لما كانت كروية فإن السيارات المذكورة تظهر على أجزاء الأرض شيئًا فشيئًا.

وأيضًا الأدلة الشهودية؛ حيث إن المشاهد أن الأرض مفلطحة ذات ارتفاعات وانخفاضات واسعة، وأيضًا تعاقب الليل والنهار، كما قال الله: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾[الزمر:٥]، والتكوير هو التدوير.

وأما الإجماع فقد قاله غير واحد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٥٠): (اعلم أن الأرض قد اتفقوا على أنها كروية الشكل... إلى قوله: وإذا كانت سماء الدنيا فوق الأرض محيطة بها فالثانية كروية وكذا الباقي، والكرسي فوق الأفلاك كلها، والعرش فوق الكرسي).

وقال أيضًا في نفس المصدر (٢٥/ ١٩٥) نقلًا عن ابن المنادي قوله: (وأجمعوا على أن الأرض بجميع حركاتها من البر والبحر مثل الكرة، قال: ويدل عليه أن الشمس والقمر والكواكب لا يوجد طلوعها وغروبها على جميع من في نواحي الأرض في وقت واحد...).

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في "مفتاح دار السعادة" (٢/ ٥٥): (ثم تأمل الحكمة في طلوع الشمس على العالم كيف قدرة العزيز العليم سبحانه؛ فإنها لو كانت تطلع في موضع من السماء فتقف فيه ولا تعدوه، لما وصل شعاعها إلى كثير من الجهات، لأن ظل أحد جوانب كرة الأرض يحجبها عن الآخر، فكان يكون الليل دائمًا سرمدًا على من لم تطلع عليهم، والنهار دائما سرمدًا على من هي طالعة عليهم؛ فيفسد هؤلاء وهؤلاء).

وقال عطية بن محمد بن سالم في تتمته لأضواء البيان (٩/ ٢٠٢-٢٠٣) وهو يتحدث عن الأرض: (لأن جِرْمَها مع إجماع المفسرين على تكويرها فإنها ترى مسطحة أي من النقطة التي هي في امتداد البصر، وذلك يدل على سعتها وكبر حجمها؛ لأن الجرم المتكور إذا بلغ من الكبر والضخامة حدًّا بعيدًا، يكاد سطحه يرى مسطحًا من نقطة النظر إليه، وفي كل ذلك آيات متعددات؛ للدلالة على قدرته تعالى على بعث الخلائق).

فهذه أدلة من قال بكرويتها، ونقل الإجماع على ذلك لا ينافي أن يوجد من قال بعدم كرويتها؛ لأن هذه من المسائل غير المشهورة.

وقد استدل من قال: (ليست بكرويَّة) ببعض الآيات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾[الرعد:٣]، والمد هو: البسط والسعة، والآية ليس فيها دليل على عدم كروية الأرض؛ فإن مدها لا ينافي كرويتها، كما قال ذلك في تفسير الآية المذكورة جمع كبير من المفسرين، منهم العلامة الشوكاني في "فتح القدير" (٣/ ٦٤) فقد قال: (وهذا المد الظاهر للبصر لا ينافي كرويتها في نفسها؛ لتباعد أطرافها). ومنهم البقاعي في "نظم الدرر" (١٠/ ٢٧٤) فقد قال بعد ذكر المد: (وهذا لا ينافي أن تكون كرية؛ لأن الكرة إذا عظمت كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح، كما أن الجبال أوتاد، والحيوان يستقر عليها). وكذا أبوحيان عند تفسير هذه الآية (٦/ ٣٤٦). ومجموعة كبيرة من المفسرين ذكروا معنى المد وهو البسط، ولم يزيدوا

عليه كابن كثير وابن الجوزي وابن جرير والبغوي والنسفي، وقلَّ أن ذكر من ذكر من المفسرين أن مد الأرض يرد على من قال بكرويتها.

وعند التأمل نجد أن القائلين بكرويتها لا ينفون مدها؛ لأن كرويتها تختلف عن كروية الأجسام الصغيرة.

واستدل أيضًا القائلون بعدم كروية الأرض بقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[الغاشية:٢٠] وعامة المفسرين على أن معنى سطحت أي: بسطت، وبعضهم يزيد مهدت ومدت يمينا وشمالًا. وإليك من أقوال القائلين أن تسطيحها لا ينافي كرويتها: قال السعدي في تفسير هذه الآية في «تفسيره» (ص٩٢٢-٩٢٣): (واعلم أن تسطيحها لا ينافي أنها كرة مستديرة، قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها، كما دل على ذلك النقل والعقل والحس والمشاهدة... فإن التسطيح إنما ينافي كروية الجسم الصغير جدًّا، الذي لو سطح لم يبق له استدارة تذكر، وأما جسم الأرض الذي في غاية الكبر والسعة فيكون كرويًّا مسطحًا، ولا يتنافى الأمران).

وقال المازني (٣١/ ١٥٨) عند هذه الآية: (ومن الناس من استدل بهذا على أن الأرض ليست بكرة، وهو ضعيف؛ لأن الكرة إذا كانت في غاية العظمة يكون كل قطعة منها كالسطح...).

وقال صاحب «روح المعاني» (٣٠/ ١١٧): (ولا ينافي ذلك القول بأنها قريبة من الكرة الحقيقية لمكان عظمها).

وقال ابن عاشور في «التحرير» (٣٠/ ٣٠٦): (سطح الشيء إذا سواه ومنه سطح الدار، والمراد بالأرض أرض كل قوم، لا مجموع الكرة الأرضية).

وكثير من المفسرين عندما فسروا آية التسطيح لم ينفوا كروية الأرض كابن جرير الطبري وابن كثير والبغوي وأبي حاتم وابن الجوزي والقرطبي.

تنبيه: قال ابن عطية في «تفسيره» (١٥/ ٤٢٧): (وظاهر هذه الآية أن الأرض سطح لا كرة، وهو الذي عليه أهل العلم. والقول بكرويتها وإن كان لا ينقض ركنًا

من أركان الشرع، فهو قول لا يثبته علماء الشرع).

قلت: كلام ابن عطية يخالف ما ذكرته عن أهل العلم؛ فلا تغترَّ به.

اعلم أن قول العلماء بكروية الأرض لا يستلزم منه نفي تسطيحها، بل أثبتوا تسطيحها مع قولهم بكرويتها، وكان إثباتهم لذلك بكثرة، وقد سبق أن ذكرت من كلامهم ما فيه التصريح بتسطيحها.

وزيادة على ما سبق ذكره قال الطبري في "تفسيره" (٢٤/ ٣٨٩): (يقال جبل مسطح إذا كان في أعلاه استواء). انظر كيف جعل ابن جرير التسطيح لرأس الجبل المستوي، وبقية الجبل ليس مسطحًا.

وقال العلامة الشوكاني (٥/ ٤٣١) عند الآية المذكورة: (يقال لظهر البيت إذا كان مستويًا سطح).

وقال العلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في "الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض" (ص٦٧) وهو يتحدث عن كروية الأرض: (فهي كروية الشكل مسطوحة الوجه البارز للعالم؛ ليتم قرارهم عليها وانتفاعهم بما فيها، ولا نعلم في الأدلة النقلية والحسية ما يخالف ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم).

الفرق بين إثبات كروية الأرض بالأدلة الشرعية وإثباتها بأقوال الفلكيين

إثبات كروية الأرض عند الفلكيين قائم على أصولهم الفاسدة التي تبدأ من السديم، الذي هو عندهم مادة أزلية أبدية، وكروية الأرض عندهم حاصلة بسبب دورانها ملايين السنين، أما إثبات كرويتها عند أهل السنة فقد تقدم لك، أنهم اعتمدوا على الأدلة الكثيرة مما تقدم ذكره، ومما لم أذكره.

وقد استغل بعض العلماء المعاصرين المفتونين بِتُرَّهَاتِ الأعداء قول علماء الإسلام بكروية الأرض؛ للاستدلال عليهم بأنها تدور، زاعمين أن علماء المسلمين لم يقولوا

بكروية الأرض إلا في عصرنا، تبعًا لقول أصحاب الأفلاك، وما نقلته في هذا الفصل كافٍ في الرد عليهم، وبيان جهلهم بكتب تفاسير علماء الإسلام من عصر السلف وبأقوالهم، وكم مجازفات في عصرنا من قبل المقلدين غيرهم في هذه النظريات، وقد ذكرت نبذة من هذه المجازفات في باب: «**ما ينسبه أصحاب الأفلاك إليهم وهو من اختراعات المتقدمين**».

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

نظريات أخرى عن الأرض

نظرية أن الأرض معلقة بالسلاسل الجاذبية

ومن أقوال الفلكيين الباطلة قولهم: (الأرض معلقة بالسلاسل الجاذبية) في «الموسوعة الفلكية» (٣٢): (الأرض... تتحرك حول الشمس في مدار بيضاوي، بحيث تمسك بها جاذبية الشمس). أفاد هذا المقال أن جاذبية الشمس تجذب الأرض إليها، وهذا هو سبب دورانها حول الشمس.

قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (٣٥) وهو يتحدث عن الأرض: (والأرض مفلطحة عند قطبيها منتفخة عند خط الاستواء، حيث أكبر قوى طرد مركزية). دلت هذه النظرية على أن الجاذبية الأرضية تتحرك في قلبها على حسب زعمهم، وأنها القوة المحركة للأرض من داخلها بشدة، وادعوا أن قوة الجاذبية الأرضية تستوي عند سطحها وعلى ظهرها.

ففي «الموسوعة الفلكية» (٣٥) ما نصه: (عند وضع أسس نظام القياسات الأرضية، وأحد هذه الأشكال هو مجسم الأرض، الذي يتحدد بالقشرة، التي تتساوى عندها قوى الجاذبية على ارتفاع سطح البحر تقريبًا).

وفي (ص٣٦) ما نصه: (كتلة الأرض وحجمها تنتج الكثافة المتوسطة، وهذه ضعف مثيلاتها لقشرة الأرض الخارجية، والتي تم دراستها بعناية، من هنا نستنتج أن داخل الأرض له كثافة عالية).

واعلم أنهم إلى الآن لم يحددوا الثابت من الجاذبية الأرضية، قال صاحب «الموسوعة الفلكية» (٣٥-٣٦): (يمكن تعيين كتلة الأرض بمساعدة قانون «كبلر»

الثالث وذلك من حركة القمر، ونحصل من ذلك بالتحديد على حاصل ضرب كتلة الأرض وثابت الجاذبية، فإذا ما تمكنا بطريقة عملية من تحديد هذا الثابت لأمكننا بالتالي حساب كتلة الأرض). وإذا كانوا إلى الآن لم يعرفوا الموجود من الجاذبية الأرضية منذ ادعاها "نيوتن" في القرن الثامن عشر حسب وفاته، فمن باب أولى أن لا يعرفوها في الكون الأعلى.

وقد سبق أن ذكرنا أن نظرية الجاذبية قد نقضت، وأيضًا الجاذبية قوة مجهولة عندهم، وإثبات الجاذبية الأرضية يتضمن: إنكار قدرة الله، التي يمسك بها السماوات والأرض.

قال الله عز وجل: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾[الروم:٢٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[فاطر:٤١]، قال البقاعي في "نظم الدرر" (١٥/ ٧٥) عند قوله: ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾: (لا بشيء سواه، ولما لم يبق في كمال علمه وتمام قدرته شبهة قال معبرًا بأداة التراخي؛ لتدل مع دلالتها على ما هي له على العظمة، فقال دالًّا على أن قدرته على الأشياء كلها مع تباعدها على حد سواء، وأنه لا فرق عنده في شمول أمره بين قيام الأحياء، وقيام الأرض والسماء).

وقال الرازي في "تفسيره" (٢٥/ ١١٤) عند هذه الآية: (لما ذكر من العوارض التي للسماء والأرض بعضها، ذكر من لوازمها البعض، وهي قيامها؛ فإن الأرض لثقلها يتعجب الإنسان من وقوفها وعدم نزولها، وكون السماء يتعجب من علوها وثباتها من غير عمد، وهذا من اللوازم).

وقال العلامة الشوكاني (٤/ ٢٢٠) عند هذه الآية: (أي قيامها واستمساكها بإرادته سبحانه وقدرته، بلا عمد يعمدهما، ولا مستقر يستقران عليه).

وقال الحافظ ابن كثير (١١/ ٢٢) عند هذه الآية: (أي: هي قائمة ثابتة بأمره لها، وتسخيره إياها، ثم إذا كان يوم القيامة بدلت الأرض غير الأرض والسماوات).

قلت: قوله تعالى: ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ هو الأمر الكوني الصادر عن إرادته سبحانه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[يس:٨٢]، وقوله تعالى: ﴿أَن تَقُومَ﴾ معناه: تثبت وتسكن بدون تحرك. ولم يذكر المفسرون أن الأرض معلقة بالسلاسل الجاذبية، ولا شك أن التَّسليم لقول أصحاب الجاذبية يخالف ظاهر القرآن، وهذا لا يجوز، وأيضًا يخالف ما عليه أهل التفسير قديمًا وحديثًا، وهم العمدة في ذلك، وأيضًا يخالف ما هو معلوم أن الله جعل الملائكة تقوم بشئون الكون.

ألا ترى إلى حديث عائشة رضي الله عنها وفيه: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْجَبَلَيْنِ فَأْمُرْنِي**» متفق عليه، فإذا كانت الجبال قد وكلت بها الملائكة؛ فلا تتحرك إلا بتحريكها لها، دل هذا دلالة واضحة على أن الجاذبية لا تمسك الجبال، وكذا الأرض. ولسنا ننكر وجود التجاذب بين شيء وشيء، ولكننا ننكر دعوى جاذبية تمسك السماوات والأرض، وبقية الكون.

نظرية الجاذبية هي التي جذبت الناس إلى التمكن من الأرض

لقد سبق أن ذكرنا نظرية الجاذبية لإسحاق نيوتن اليهودي، وأنها عامة في كل الكون، وبينا بطلانها هناك، وقد استخدم هذا العموم على أننا نتحرك بالجاذبية، ومحكومون بها، ويعبر بعضهم أننا نتحرك بالضغط الجوي، ولا شك أن التسليم بهذه الجزئية من النظرية يتنافى مع ما مَنَّ الله به علينا من تمكينٍ لنا في الأرض تمكينًا عامًّا وخاصًّا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾[الأحقاف:٢٦]، ومثلها في المعنى قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[يونس:٢٢] ، وأما الخاصة فمنها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾[القصص:٥٧] ، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾[يوسف:٥٦] ، وقال تعالى في ذي القرنين: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾[الكهف:٨٤] .

ومن الأدلة على بطلان جاذبية الأرض لنا: أنها تتنافى مع قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾[السجدة:٥]، ومع قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[الرحمن:٢٩] فالتدبير الإلهي لنا يأتي من فوقنا لأن الله على عرشه استوى، والجاذبية من داخل الأرض حسب زعم أصحابها فالتسليم بصحة دعوى الجاذبية فيه تعطيل لتدبير الله للناس من فوق عرشه، ويتضمن إثباتها إنكار وجوده، فتنبه!!

ويدل أيضًا على عدم وجود الجاذبية في الأرض أنها تتصدع عند نزول المطر وظهور النبات، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ * وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾[الطارق:١١-١٢] .

ولو قال قائل: ألا نقول إن الجاذبية من الله، فيكون هو الجاذب لنا، فلا داعي لإنكارها؟

والجواب: هذا فيه محاذير:

١- أننا نحتاج إلى دليل شرعي على أن الله هو الجاذب، ولا دليل هنا.

٢- أننا تصرفنا في نظرية الكفار التي جعلوها إثباتًا لإلحادهم، فجعلناها حقًّا، عياذًا بالله!!

٣- كونه يوجد في المخلوقات طبائع وقوى هذا صحيح، ولكن لا يثبُتُ هذا بالتخرُّصِ والتَّوَهُّمِ والتخمين، وإنما بالدلائل المعتبرة شرعًا وعقلاً.

نظرية زحف الأرض بعضها على بعض بسبب التطور المستمر

ومن النظريات المشئومة: نظرية زحف الأرض بعضها على بعض؛ لأنها تتزايد باستمرار في نظر أصحاب النظريات، قال الدكتور شاهر جمال آغا في حاشية كتاب «ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة» (ص٧٨) حاشية رقم (١): (الأرض كسائر الأجرام السماوية في تطور مستمر، ولن تبقى على شكلها الحالي، وتغيرت مواقع القارات ومراكز القطبين مرارًا، ولم تأخذ القارات والمحيطات توزعها الحالي إلا منذ مائة مليون سنة تقريبًا، وتتجه الآن أفريقيا شمالاً نحو أوروبا، وشبه الجزيرة العربية

وأستراليا نحو الهند، وجنوب شرق آسيا، ويتوسع البحر الأحمر بمقدار (١٠٢) كم في السَّنة، وفي الأرض مخزون حراري يتزايد مع الزمن، وسيؤدي حتمًا إلى انفجارات وتبدلات جذرية في شكل الأرض وسطحها، وبالتالي ستختفي البحار والجبال، وسيغطي المهل كامل الأرض).

وقال أيضًا (ص١٤١) حاشية رقم (١): (يمكن للبحار والمحيطات التفجر فيها إذا تدفقت من باطن الأرض كميات كبيرة من الصخور المصهورة والعالية الحرارة (٨٠٠-١٢٠٠) درجة، فترتفع حرارة الماء الملامسة للمهل هذا إلى ما فوق درجة الحرارة الحرجة (٣٥٠-٤٠٠) درجة، وبسبب ضغط الماء الكبير الذي يعلوها ستقذف المياه المتسخنة عاليًا بقوة الكتل المائية، محدثة انفجارًا رهيبًا. وإن حدوث الزلزلة العنيفة في آخر الزمان سيؤدي إلى تدفق كميات عظيمة من الصخور المصهورة من باطن الأرض إلى قيعان المحيطات وسطح الأرض، ويشهد تاريخ الأرض على ذلك).

قلت: هذا الكلام أشبه بالأساطير، وهو خلاف النظريات التي فيها أن الأرض تبرد، قال في «الموسوعة الفلكية» (٣٧): (وقد اعتقد بدوام سريان تيار دافئ من داخل الأرض إلى خارجها، وعلى ذلك فلا بد أن تبرد الأرض تدريجيًّا، ومن المحتمل تحرر كميات كبيرة من الحرارة؛ نتيجة لتحلل الذرات المشعة في داخل الأرض).

فلماذا هذا الإرهاب للناس من قبل الدكتور شاهر، بذكر هذه القصة؟! وأيضًا ليس في الواقع شيء يوافق نظرية الدكتور شاهر، بل الزحف في عقولهم هم، ومع هذا فلسنا مسلِّمين بنظرية البرودة المذكورة؛ لأنهم بنوا النظرية على أن حرارة السديم ما زالت تصول وتجول في باطن الأرض، ولا يصح من ذلك شيء. وهو خلاف ما دلت عليه الأدلة من القرآن والسنة، فهذا الانفجار الذي يدندنون حوله قائم على عقيدتهم الباطلة: أن الأرض سترجع إلى حالتها الأولى السدمية، وعند أن تصير كذلك تنفجر، والله المستعان.

نظرية تحرر الأرض من الحرارة الداخلية

قال في الموسوعة الفكلية (٣٧): (وقد اعتقد بدوام سريان تيار دافئ من داخل الأرض إلى خارجها، وعلى ذلك فلا بد أن تبرد الأرض تدريجيًّا، ومن المحتمل تحرر كميات كبيرة من الحرارة؛ كنتيجة لتحلل الذرات المشعة في داخل الأرض).

فأقول: لا نسلم بأي نظرية متعلقة بما في داخل الأرض وباطنها؛ لأنهم لا علم لهم بما في ذلك، إلا بمجرد ما يدعونه من دراسة الصخور والتضاريس والقشرة الأرضية والطبقة العليا، وهذه لا تخول لهم أن يتكلموا عمَّا لا علم لهم به، ولا قدرة لهم عليه، والله المستعان.

صغر حجم الأرض في نظريات ملاحدة الشرق والغرب

لقد ذكر الله الأرض في القرآن الكريم أكثر من أربعمائة مرة، وهذا يدل على عظيم شأنها خلقًا وإيجادًا وتدبيرًا وانتفاعًا بها، وقرن الله ذكرها بأكبر مخلوقات الكون الأعلى المرئية: السماء الدنيا، وجمع الله بينهما بقوله: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[غافر:٥٧].

قال ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٣١): (وإذا نظرت إلى الأرض وكيف خلقت، رأيتها من أعظم آيات فاطرها وبديعها، خلقها سبحانه فراشًا ومهادًا، وذللها لعباده، وجعل فيها أرزاقهم وأقواتهم ومعايشهم، وجعل فيها السُّبل؛ لينتقلوا فيها في حوائجهم وتصرفاتهم، وأرساها بالجبال، فجعلها أوتادًا تحفظها لئلا تميد بهم، ووسع أكنافها ودحاها، فمدها وبسطها، وطحاها فوسعها من جوانبها، وجعلها كفاتًا للأحياء؛ تضمهم على ظهرها ماداموا أحياء، وكفاتًا للأموات؛ تضمهم في بطنها إذا ماتوا، فظهرها وطنٌ للأحياء، وبطنها وطنٌ للأموات).

فهذا الخلق العظيم الذي قال الله في من تكلم فيها بجهل كأصحاب النظريات: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ

عَضُدًا﴾[الكهف:٥١]، وأما أرباب النظريات فلا تجد عندهم تعظيمًا لهذا الخلق العظيم، وأنَّى لهم أن يعظموه، وقد أنكروا وجود الله وربوبيته؟!! فمن باب أولى أن يحقروا ما عظَّمَهُ الله، ويصغروا ما كبَّرَهُ، ويطمسوا ما أظهره، فهاهي أقوالهم في تحقير الأرض ناطقة بهم، شاهدة عليهم.

قال صاحب "الموسوعة الفلكية" (٣٢) في تعريف الأرض: (الأرض: كوكب، وهي ككل الكواكب الأخرى، تتحرك حول الشمس).

قلت: الفلكيون المتأخرون شبه مجمعين على أن الأرض كأي كوكب، وهذا إذهابٌ لعظمتها الخاصة بها، فالقائل عندهم: الأرض ليست ذات شأنٍ مصيبٌ، ومتى لم نعظم آياته الكبرى ومخلوقاته العظمى لم يعظم هو؛ لأنها دالةٌ على عظمته.

وقال صاحب الموسوعة (ص٣٥): (والأرض مفلطحة عند قطبيها منتفخة عند خط الاستواء). **قلت**: هم المنتفخون، أما الأرض فليست منتفخة، وذهب يتكلم عن قشرة الأرض وما قشرة الأرض، وعن المغناطيسية الأرضية. انظر (ص٣٧-٣٨) من المصدر السابق.

وقد تأثر بعض كتَّاب المسلمين بأقوال الكفرة، التي فيها التحقير والتصغير للأرض، ومن ذلك ما قاله سيد قطب في كتابه "في ظلال القرآن" (٥/ ٣٠٩٠) عند قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾[غافر:٥٧]: (فالمسافة بيننا وبين الشمس نحو من ثلاثة وتسعين مليونًا من الأميال، ذلك أنها رأس أسرة كوكبنا الأرض الصغير، بل هي على الأرجح أم هذه الأرض الصغيرة).

وقال الزنداني في كتابه "توحيد الخالق" (ص٣٣): (وإذا تأملت إلى هذه الأرض التي تسكن فيها، وجدتها تسير مع المجموعة الشمسية كأنها على علم بدورها وعلاقتها مع غيرها، فكان ذلك الاتزان في السير، ونحن نعلم أن الأرض صماء عمياء جامدة لا عقل لها ولا تدبير ولا علم، كل ذلك شاهد قائم يصيح في أهل العقول قائلًا: إن ربكم قد أحاط بكل شيء علمًا).

المشاهد قوله: (مع المجموعة الشمسية) فجعلها كوكبًا من جملة الكواكب.

وقال أيضًا في المصدر نفسه (٢٩٩): (من الخطإ اعتقاد أن الأرض مركز الكون، أو أنها شيءٌ هامٌّ في هذا الملكوت، مع إجماع علماء الفلك على أن الأرض بين النجوم لا تساوي نقطة ماء في المحيط، وإذن فما قيمة كل من يعيش عليها في هذا الملكوت العظيم). انظر إلى هذا التحقير للأرض الذي لم يكن في حسباننا أن يقع فيه المعجبون بِتُرَّهَاتِ الكفار، ومع هذا يدعي إجماع الفلكيين عليه!!!

وأعظم مما سبق: الحكم على من اعتقد أن الأرض شيء هام بتخطئته، فهذا الحكم يشمل الأنبياء والرسل والصحابة وعامة أهل الحق، ومعلوم أن الأنبياء أعظم استجابة لله، والله قد دعا إلى تعظيم الأرض وغيرها من مخلوقاته وآياته الكبرى، وهكذا يكثر إطلاق التخطئة من الزنداني وغيره، ممن تشبع بالنظريات على من لازم الصواب!!!

نظرية أن الأرض محاطة بالغلاف الجوِّي الأرضي

في «الموسوعة الفلكية» (٣٢) ما نصه: (وجسم الأرض محاط بالغلاف الجوي الأرضي).

قلت: وصف الهواء الذي بين السماء والأرض بالإحاطة على طريقة هؤلاء فيه محذور شرعي ألا وهو أنهم يثبتون الغلاف الجوي الأرضي أي أنه محيط بها وينفون إحاطة السماء الدنيا بالأرض، والصحيح إثبات الهواء الذي بين السماء والأرض وإحاطته بالأرض وإحاطة السماء الدنيا به وبالأرض، كما هو قول عامة أهل العلم.

ومن ذلك ما قاله ابن كثير رحمه الله: (فالسماء الدنيا محيطة بجميع الأرض وما حولها من الماء والهواء من جميع نواحيها وجهاتها وأرجائها، مرتفعة عليها من كل جانب على السواء).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» (٦/ ٥٩٦): (والأرض يحيط الماء بأكثرها، والهواء يحيط بالماء والأرض).

فخلاصة القول: أن الإحاطة التي عند الفلكيين مخالفة للإحاطة التي دلت عليها الأدلة الشرعية.

نظرية نهاية الأرض

كما هو معلوم أن أصحاب الهيئة يتكلمون في أمور لا تعنيهم ولا يليق بهم؛ ذلك لما فيه من المجازفة والتقوُّل على الله في مخلوقاته بدون علم، قال محمد فريد وجدي في كتابه "معارف القرن العشرين" (١/ ١٨٨-١٨٩) في كلامه على نهاية الأرض: (يقول علماء الهيئة: إن الأرض يتوقع لها الفناء من ثلاثة أسباب رئيسية: ١- البرودة الذاتية. ٢- برودة الشمس. ٣- اصطدامها بنجم ذي ذنب. أما البرودة الذاتية: فهي حادث طبيعي ذاتي، طرأ على قشرتها؛ لانفصالها عن الشمس، وهو لا يزال عاملاً فيها... أما السبب الثاني: وهو برودة الشمس فطبيعي أيضًا؛ لأن الشمس كما كانت كتلة في حالة التهاب فلا يعقل أن حرارتها تدوم على طول الآماد، ولا بد من طروء البرودة عليها، وإذ ذاك تموت جميع العوالم الموجودة في الكواكب الدائرة حولها... إلى قوله: إن الطوفان الذي حدث في الأرض في عصر نوح ولا تزال آثاره باقية فأطغى الماء على بعض الأرض، هو نتيجة مصادمة مذنب للكرة الأرضية، فحدث من تلك المصادمة أن ارتجت واضطرب معها ماء البحر وطغى على اليابسة). اهـ

قلت: قد أوضح القرآن الكريم -بكثرة- كيفية نهاية الأرض والجبال، فمن قرأ جزء تبارك وجد أدلة كثيرة على ذلك يفهمها عامة المسلمين، فدعك وتخبطات هؤلاء.

وأما ما ذكره محمد فريد وجدي في المذنب المذكور فيعد من السفسطة التي تلقيت من قبل من لا يؤمنون برب الكون المدبر له لأن الله يقول في الغرق الذي أنزله بقوم نوح ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[القمر:١١-١٢] فنأسف على حال هؤلاء محمد فريد وجدي وأمثاله إذ أنهم تركوا عقولهم واعتمدوا على عقول الملاحدة الذين لا يؤمنون بربوبية الله فضلاً عن الإيمان بألوهيته.

نظرية المد والجزر في الأرض

قال في "الموسوعة الفلكية" (٤٥٥): (المد والجزر: هي ظاهرة ترجع أساسًا إلى تأثير جذب القمر ودورانه حول الأرض، وكذلك بدرجة قليلة إلى تأثير الشمس... على الأرض، وعلى ذلك فإن المد والجزر يتكون من جزء قمري وآخر شمسي، وأشد ما تراه من المد والجزر هو التغيير الدوري في مستوى ارتفاع سطح ماء المحيطات).

أفادت هذه النظرية أن سبب المد والجزر هو تأثير الشمس والقمر على مياه البحار والمحيطات، وهناك نظرية أخرى تجعل سبب المد والجزر غير ما ذكر، ففي "الموسوعة الفلكية" (٤٥٦) ما نصه: (ومن خلال الحركة الدائمة للكتل المائية ينشأ احتكاك المد والجزر). فسبب المد والجزر في هذه النظرية: الاحتكاك بين الكتل المائية.

وهاهي نظرية أخرى: ففي الموسوعة (٤٥٥): (أما على وجه الأرض المقابل للقمر فتغلب جاذبية القمر بينما على الجانب الآخر تكون قوة الطرد المركزية أكبر من قوة الجذب، وعلى ذلك تنتج قوى المد والجزر التي تتسبب في إزاحة الكتل المائية في موجتي فيضان). فهذه النظرية نصت على أن قوة الطرد المركزية التي هي ناشئة عن دوران الأرض حول نفسها هي إلى جانب الجاذبية القمرية والشمسية، المنتجة لقوى المد والجزر، وهذه التفريعات بنيت على أصل غير صحيح، وهو إثبات دوران الأرض وإثبات الجاذبية، وإذا لم يصح الأصل فلا يصح الفرع.

وأما احتكاكات الكتل المائية، وهي الأمواج، فلا تحدث المد والجزر؛ لأنها مستمرة.

ولنفرض أنه لا تناقض في نظريات المد والجزر، فأين الدليل على أن تأثير الشمس والقمر قد أدى إلى المد والجزر، والرسول ﷺ يقول: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ**» رواه البخاري رقم (١٠٥٨) ومسلم رقم (٩٠١) وهو متواتر، فإذا كانت الشمس والقمر لا يؤثران على حياة أحد من

البشرية ولا على مماته، فمن باب أولى أنهما لا يؤثران على ما هو أقوى منهما من أرض وغيرها.

ودعوى المد والجزر المذكورة تلفت انتباهنا إلى الدعوة إلى الشرك والكفر؛ عن طريق التسليم للفلكيين فيما يزعمون، من تدبير الأجرام السماوية لأهل الكرة الأرضية.

تنبيـــهٌ: أول من قال بأن المد والجزر بسبب القمر "سيليقوس بابليوني" أحد فلاسفة اليونان، قبل ميلاد المسيح بحوالي (١٥٠سنة). "الموسوعة" (٢٢٧).

نظرية أن الأرض كُمَّثْرِيَّةُ الشكل

قال صاحب "الموسوعة الفلكية" (٣٥): (وقد اتضح من ذلك أن شكل الأرض أقرب ما يكون إلى الكمثرى، ويقرب قطب الأرض الجنوبي إلى مستوى خط الاستواء بحوالي ٣٠ م عن قطب الأرض الشمالي).

وقال صاحب كتاب "قصة الخلق" (ص٢٨٣) وهو يتحدث عن أصحاب النظريات: (هذه المرة فتشوا عن وصف للأرض لا يوجد في القرآن، فهداهم تفكيرهم إلى ما أعلنوه أخيرًا عن شكل الأرض، وهو وصف كوميدي أكثر منه علمي، ما دمنا في تسلية اللعب بالآيات، فقالوا: لقد أثبتت الصور الملتقطة للفضاء أن الأرض تبدو كمثرية الشكل، وفسَّروا ذلك بأنها مستديرة في محيطها، إلا جزءًا منها مقببًا ومرتفعًا عن بقية الأرض).

قلت: وقد بادر المتهافتون من المسلمين على النظريات بقبول هذه النظرية، قال عبدالرزاق نوفل في كتابه "دنيا الزراعة والنبات"، وواضح من اسم الكتاب أن له أيضًا علاقة بالكمثرى: (بعد أن تمكن العلم الحديث من تصوير الأرض من خارجها في عصر الفضاء ومن الأقمار الصناعية، أعلن أن الأرض أشبه بحبة الكمثرى، وأن أقرب شكل لها هو البيضة). نقلًا من كتاب "قصة الخلق" (ص٢٨٤).

وقال صاحب كتاب «لماذا أنا مؤمن»: (ثبت أن الأرض غير كاملة الاستدارة؛ إذ يزيد قطرها عند خط الاستواء على قطرها الواصل بين القطبين بنحو ٢١ كيلو متر، مما يجعلها غير كاملة التكور، ولكن كمثري الشكل إلى حد ما، وتدل القياسات الحديثة على استمرار هذا التباعد على الشكل الكروي ببطءٍ شديدٍ جدًّا). نقلًا من المصدر السابق (ص٢٨٤).

وقال صاحب كتاب «قصة الخلق» (ص٢٨٤) وهو يتحدث عن الكاتبين المذكورين آنفًا: (ثم استدل الكاتبان على الكمثرى بالآية: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾[النازعات:٣٠]؛ ولأن معظم علمائنا غير مطمئنين إلى وجود هذا الشبه بين أي من الآيات التي ذكرت وبين الكمثرى، فلا يزال البحث جاريًا).

وقال أيضًا (ص٢٨٣-٢٨٤): (وعلى الفور انكب علماء المسلمين على مصاحفهم لينظروا ماذا يقول القرآن في هذا الكشف العلمي الجديد، ورغم أن الصور المنشورة للأرض لا تقول أبدًا بأن الأرض كمثرية الشكل، إلا أن علماءنا لا يكذِّبُون أبدًا علماء الغرب، ويقولون: أتكذِّبُون وكالة «ناسا» التي أوصلتنا إلى القمر؟! ومنذ إعلان هذا الكشف وهم يبحثون ولا يزالون، ووجدوا أثناء بحثهم أن القرآن قد ذكر كثيرًا من الفواكه والخضروات، ولكنه لم يذكر الكمثرى، وإن كان ذكرها يندرج ضمن ذكر الفواكه التي ذكرت في القرآن ١٤ مرة، ولكنهم يريدون للإفحام ذكرًا خاصًّا لها، وأن تكون أيضًا في آية تتحدث عن الأرض، أو آية قريبة منها، ووجدوا بالقرآن نخيلًا وأعنابًا ورطبًا جنيًّا، وطلحًا منضودًا، والتين، والزيتون، وفاكهة أخرى كثيرة إلا الكمثرى، ولا يزال البحث جاريًا عنها).

قلت: الأرض كروية الشكل.



٤

الفصل الرابـع

تسخير الآيات القرآنية

للدفاع عن النظريات الشيطانية





قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾[الواقعة:٧٥]

هذه الآية الكريمة حصل شغب في تفسيرها من قِبَلِ المنتصرين لنظريات الكفار، وقبل أن نذكر شغبهم نذكر أقوال المفسرين، فالمفسرون لهم في تفسير هذه الآية تفسيران مشهوران:

التفسير الأول: أن المراد بمواقع النجوم: القرآن، قاله جماعة من المفسرين، ورجحه الشنقيطي رحمه الله، فقد قال في «أضواء البيان» (٧/ ٧٠٠-٧٠١): (أظهر الأقوال عندي وأقربها للصواب في نظري: أن المراد بالنجم إذا هوى هنا في هذه السورة، وبمواقع النجوم في الواقعة: هو نجوم القرآن، التي نزل بها الملك نجمًا فنجمًا، وذلك لأمرين: أحدهما: أن هذا الذي أقسم الله عليه بالنجم إذا هوى الذي هو النبي ﷺ على حق، وأنه ما ضل وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، موافق في المعنى لما أقسم عليه بمواقع النجوم، وهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ إلى قوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الواقعة:٧٧-٨٠]... والثاني: أن كون المقسم به المعبر عنه بالنجوم هو القرآن العظيم أنسب؛ لقوله بعده: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[الواقعة:٧٦]؛ لأن هذا التعظيم من الله يدل على أن هذا المقسم به في غاية العظمة، ولا شك أن القرآن الذي هو كلام الله أنسب لذلك من نجوم السماء ونجم الأرض، والعلم عند الله تعالى).

قلت: وهذا التفسير له حظٌّ من النَّظر.

التفسير الثاني: أن المراد بمواقع النجوم: مساقطها وسيرها في حال طلوعها وغروبها، وهذا عليه أكثر المفسرين قديمًا وحديثًا، وهو ظاهر الآية، ومما يرجح هذا القول قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾[النجم:١] ومعنى هوى: سقط عند الغروب،

والنجم هنا: اسم مفرد، المراد به الجمع؛ لأن هذا السقوط ليس خاصًا بنجم واحدٍ؛ فالألف واللام للجنس. وأيضًا مما يدل على الذي قلت: أن الله أقسم بالنجوم وطلوعها وجريانها وغروبها، بقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ * ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ [التكوير:١٥-١٦].

وقد يقول قائل: كيف رجحت القول الثاني، والمقسم عليه هو القرآن، بدليل صريح الآية: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ﴾؟

والجواب: إن الله أقسم بمواقع النجوم على عظمة القرآن الكريم؛ لعلاقة بين القسم والمقسم عليه، وضحه العلامة ابن القيم في "التبيان في أقسام القرآن" (ص١٣٧) بقوله: (وعلى هذا فتكون المناسبة بين ذكر النجوم في القسم، وبين المقسم عليه وهو القرآن، من وجوه: أحدها: أن النجوم جعلها الله يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وآيات القرآن يهتدى بها في ظلمات الجهل والغي، فتلك هداية في الظلمات الحسية، وآيات القرآن في الظلمات المعنوية، فجمع بين الهدايتين مع ما في النجوم من الرجوم للشياطين، وفي آيات القرآن من رجوم شياطين الإنس والجن، والنجوم آياته المشهودة المعاينة، والقرآن آياته المتلوة السمعية، مع ما في مواقعها عند الغروب من العبرة والدلالة على آياته القرآنية، ومواقعها عند النزول).

أما الفلكيون فقد جاءوا بترهات، زاعمين أنها تفسير للآية الكريمة، قال صاحب كتاب "توحيد الخالق" (ص٣٥٠): (إن التقدم العلمي جاء ليبيِّن الأبعاد لمواقع النجوم، وذلك ما جهله الإنسان طويلًا، فالشمس تبعد عنا مسافة (٩٣) مليون ميل تقريبًا، ويقطع الضوء هذه المسافة في ثمان دقائق؛ لأن سرعة الضوء (٣٠٠) ألف كيلو متر في الثانية، والضوء يقطع المسافة بيننا وبين أقرب نجم إلينا في مدة أربع سنوات وربع، ومنها ما يبعد عنا مسافة يقطعها الضوء في مائة سنة، ومنها ما يسافر منها الضوء إلينا في ألف سنة، ومنها ما يبقى الضوء مسافرًا منها إلينا في مدة مليون سنة، ومنها ما يبقى الضوء مسافرًا منها إلينا في (٣٤٠) مليون سنة، ومنها ما يبقى الضوء

مسافرًا منها إلينا في مدة ملايين السنين، أليس هذا كشف لما تضمنته الآية الكريمة، من حقيقة بقيت مجهولة مدة طويلة؟ قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[الواقعة:٧٥-٧٦] فمن أعلم محمدًا ﷺ بهذه الحقيقة التي تعلن الآية جهل الناس بها، وقت نزولها من العليم الخبير، ومن الأبعاد كما قررها العلم الجديد).

قلت: استدلال صاحب الكتاب المذكور بالآية على ما ذكر في غاية من البعد؛ لأن النظرية تتحدث عن الشمس وبعد النجوم وعن المسافة الضوئية حتى تصل إلينا، والآية التي استدل بها تتحدث عن مواقع النجوم، ومواقع النجوم غير ضوئها وغير بعدها، فلا لقاء بين الدليل والمدلول عليه، وليت خطأه وقف عند هذا، ولكنه ذهب إلى التخطئة للأبرياء بدءًا برسول الله ﷺ فقد قال: (فمن أعلم محمدًا بهذه الحقيقة؟) يريد بمحمد: رسول الله. انظر كيف نسب إلى رسول الله ﷺ ما لا يعلم عنه، وهذا لا يحل فقوله: إن الرسول ﷺ يعلم المسافة الضوئية تقوُّل عليه ومجرد دعوى، وإذا كان هذا لا يتحاشى أن ينسب إلى القرآن من المعاني ما لا يدل عليه، وإلى الرسول ﷺ ما لم يقل به، فمن باب أولى أن ينسب إلى علماء الإسلام ما لم يَدُرْ في خَلَدِهِمْ!!

وقد رمى صاحب المقال عموم علماء الإسلام بالجهل، بدءًا بالصحابة الكرام، فقال: (فمن أعلم محمدًا بهذه الحقيقة، التي تعلن الآية جهل الناس بها وقت نزولها من العليم الخبير).

قلت: الآية لم تعلن جهل علماء السلف بها ومن تبعهم، وإنما أعلن ذلك صاحب المقال، متذرعًا بإعلان الآية، فافهم يا لبيب هذه الطريقة الغريبة في إقناع الناس بالخطإ أنه حق!!!

وأما ما يدل على بطلان النظرية المذكورة من أساسها فقوله: (ومنها ما يبقى الضوء مسافرًا منها إلينا في مدة ملايين السنين) صاحب المقال مقلِّد لأرباب النظرية،

وأنَّى لأرباب النظرية أن يعرفوا ملايين السنين هذه، ولا برهان عندهم من الله، ولا تاريخ لها يبين لهم هذه المدة، فما بقي إلا الخيالات أو الكذب، ثم انظر إلى تباعد ما بين مسافة النجوم المذكورة، فمن ألف سنة إلى مليون سنة، ومن مليون سنة إلى ملايين السنين، ألا يدل هذا على المجازفة؟ وهي ضربٌ من الجهل، وأيضًا هذا الكلام مبنيٌّ عندهم على أن الكون الأعلى فضاء لا نهاية له، وهذا ظاهر من هذه التقديرات المذكورة؛ لأن المسافة بيننا وبين سماء الدنيا مقدار خمسمائة عام، والتقديرات المذكورة تزيد على هذه المسافة بأضعاف مضاعفة، فكيف إذا كان تقدير المسافة بالسنة الضوئية، كما هو في المقال المذكور؟!

فخلاصة الكلام: أن تفسير الآية بالتقديرات المذكورة في غاية من البعد، فلا يجوز تفسيرها بذلك.

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٧]

قال صاحب كتاب "توحيد الخالق" (ص٣٥٣-٣٥٤): (اكتشف "نيوتن" أن في السماء قانونًا محكمًا دقيقًا يحكم أجرام السماء، هو قانون الجذب، وأن محصلة هذا الجذب بين الكواكب هو الاتزان بينها "الميزان"، ويعتبر اكتشاف الكوكبين "نبتون" و"بلوتو" نصرًا للقانون الذي اكتشفه "نيوتن" ... فهل فُهِمَ الآن معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٧]؟). اهـ

والكلام على هذه النظرية من عدة وجوه:

"نيوتن" صاحب النظرية رجلٌ كافرٌ ملحدٌ إنجليزيٌّ دجالٌ، كغيره من فلاسفة الدجل، وهو الذي ادعى نظرية الجاذبية وغلا في تقليده من غلا.

تفسير الميزان المذكور في الآية بأنه قانون الجذب لإحكام أجرام السماء، هو شبيه بتفسير الباطنية؛ الذين يحولون معاني آيات القرآن إلى ما تعلق بإمامهم؛ فيعطلون كلام الله من معانيه المرادة.

وإليك خلاصة الكلام على الميزان لغةً، وعلى حسب ظاهر الآية وسياقها وأقوال المفسرين فيها:

أما كلام أهل اللغة على الميزان، فهم يعرفونه: أنه العدل والتساوي بين شيئين حسًّا أو معنًى. وأما ظاهر الآية فإنها أظهر في الميزان الحسي من الميزان المعنوي؛ لأن الميزان المعنوي قد ذكر قبل هذه الآية في أول سورة الرحمن، والمراد به القرآن. ولأن الميزان أصله اسم لآلة الوزن، ولاقترانه بالكيل في أكثر من آية.

قال البقاعي في "نظم الدرر" (١٩/ ١٤٨-١٤٩): (ولما ذكر أولًا القرآن الذي هو ميزان المعلومات، ودل على رحمانيته بأنواع البيان... وذكره نعمة الميزان للمحسوسات... وقد علم بتكرير الميزان ما أريد من التأكيد في الأمر به لما له من الضخامة، سواءً كان بمعنًى واحد أو بمعان مختلفة).

ولدخول الميزان المعنوي في الآية وجه قوي، وأما سياق الآيات فتدبره: قال سبحانه: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾[الرحمن:٧-٩]، فهذه الآيات تقوي أن المراد: الميزان الحسي، وانظر إلى قوله: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟﴾ فهو نهي لجميع الخلق عن الطغيان في الميزان عند أن يزنوا، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ﴾ فهو أيضًا خطاب من الله لكل من يزن أن يعدل في الوزن ولا يتعمد الجور، وأيضًا قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾. فلو كان الميزان كما فهم المقلدون لصناديد الفلاسفة أنه قانون الجذب، فكيف يخاطب الله بذلك الناس أن يقيموه؟! وكيف يحذرهم أن يخسروه؟ وكيف ينهاهم عن أن يطغوا فيه، وهم لم يعلموا به؟ بل هو في السماء على حد زعم هؤلاء.

وأما أقوال المفسرين فقد قرأت عددًا كبيرًا من تفاسير المتقدمين والمتأخرين، فوجدت لهم قولين مشهورين في الميزان المذكور في الآية:

أحدهما: أنه العدل بين العباد في الأقوال والأفعال، وجعلوا الآية داخلة في ذلك، قال أبوحيان الغرناطي الأندلسي في "البحر المحيط" (١٠/ ٥٦): (قال مجاهد

والطبري والأكثرون: الميزان: العدل، وتكون الآلات من بعض ما يندرج في العدل).

الثاني: أن الميزان هو آلة الوزن؛ ليتناصف الناس في الحقوق.

ولا تنافي بين القولين، وقد جمع بعض العلماء بين القولين، قال السعدي في "تفسيره" (٥/ ١٤٢) في قوله تعالى: ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾: (أي: العدل بين العباد في الأقوال والأفعال، وليس المراد به الميزان المعروف وحده، بل هو كما ذكرنا يدخل فيه الميزان المعروف، والمكيال الذي تكال به الأشياء والمقادير، والمساحات التي تضبط بها المجهولات، والحقائق التي يفصل بها بين المخلوقات، ويقام بها العدل بينهم، ولهذا قال: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي ٱلْمِيزَانِ﴾). اهـ

فإذا فهم ما ذكرنا تحقق أن تفسير الميزان في الآية المذكورة بقانون الجذب للأجرام السماوية، تفسير يخالف أهل اللغة العربية، وظاهر الآية وسياقها، والمفسرون كافة قديمًا وحديثًا، فكيف هان على صاحب كتاب "توحيد الخالق" قبول كلام الفلكي المذكور، وهو يخالف ما ذكرنا؟! بل كيف يليق به أن يؤول الآية بالتأويل الباطل؛ موافقة لصاحب النظرية؟! ثم قوله: (فهل فهم الآن معنى الآية...) من سلسلة التجهيل لعلماء الإسلام من الصحابة والتابعين، أنهم لم يفهموا القرآن كما ينبغي، كما فهمه صاحب المقال؛ والعياذ بالله!!

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات:٤٧]

لقد سبق بيان بطلان نظرية تمدد الكون باستمرار، وأن هذا مبنيٌّ على باطلهم، وهو أن أصل الكون من مادة السديم، وأنَّها في انتفاخ وتفجُّر ما بين الحين والآخر، وأنَّ السماء تابعة لها في التَّفجُّر. وقد استدل المتهوكون بالقرآن لتصحيح نظرية تمدد السماوات باستمرار منذ خلقهُنَّ الله بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[الذاريات:٤٧] وسطروا هذا في تفاسيرهم ومؤلفاتهم وهأنا أبيِّن لك ما قاله أهل التفسير قديمًا وحديثًا:

قال ابن كثير في "تفسيره" (١٣/ ٢٢١): (أي: وقد وسَّعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي).

وقال أبوحيان الغرناطي في "النهر الماد" (٢/١٠٠٣): (أي: بناءها، فالجملة حالية، أي: بنيناها بتوسيعها، كقوله جاء زيد وإنه لمسرع، أي: مسرعًا. فهي بحيث أن الأرض وما يحيط بها من الماء والهواء كالنقطة في وسط الدائرة). اهـ وهذا التفسير لـ(موسعون)، أي: جعلناها واسعة، عليه عامة المفسرين من المتقدمين والمتأخرين.

ومن المفسرين من قال: لموسِّعون ما بين السماء والأرض. قلت: وهذا حاصل.

ومنهم من قال: لذو سعة، أي: الله متصف بالسعة. قلت: قد قال الله في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:١١٥].

ومنهم من فسرها بالسعة في الرزق، أي: أن الله يوسع على العباد في أرزاقهم.

وقال بعض المفسرين في الآية إشارة إلى الرد على من قالوا: إن الله لما خلقها تعب. ومنهم من قال: إن الله لقادر، أي: على خلق سماء أخرى.

والقول بأن معنى ﴿لَمُوسِعُونَ﴾[الذاريات:٤٧] أي: وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد: هو الأرجح بالنسبة لما تعلق بمعنى الآية؛ لاتفاقها مع معاني الآيات التي تتحدث عن عظمة السماء سعة وانتصابًا.

ومما يدل على عدم صحة القول بتوسع السماء باستمرار كلام كثير من المفسرين على قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾[فصلت:١٢]، قال ابن كثير في "تفسيره" (١٢/ ٢٢٢): (أي: ففرغ من تسويتهن سبع سماوات في يومين أي: آخرين).

وقال ابن جرير في "تفسيره" (٢١/ ٤٤٠): (ففرغ من خلقهن سبع سماوات في يومين).

وقال القرطبي في "تفسيره" (١٥/ ٢٢٥): (أي: أكملهن وفرغ منهن...).

وقال البغوي في "معالمه" (٥/ ٥٩): (أي: أتمهن وفرغ من خلقهن).

وقال الرازي في تفسيره (٢٧/ ١٠٧): (وقضاء الشيء: إنما هو إتمامه والفراغ منه).

وقال البقاعي في "نظم الدرر" (١٧/ ١٥٦): (قال ابن جرير: إنما سمي يوم الجمعة؛ لأن الله تعالى جمع فيه خلق السماوات والأرض، يعني: فرغ من ذلك وأتمه). فالفراغ من خلقهن وإتمامهن يدل على عدم استمرارية التوسيع لهن. فمن حصل عنده احتمال التمدد في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[الذاريات:٤٧]، فليرجع إلى قوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ....﴾[فصلت:١٢]، وسيزول هذا الاحتمال.

تنبيه: مما يدل على أن المستدلين بالآية على تمدد السماوات ليس غرضهم الوقوف عند الدليل: أنهم استدلوا بها على تمدد الكون كله، مع أن الآية نص في ذكر السماوات فقط.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾[الرعد:٤١]

لقد فسر بعض المعاصرين كصاحب كتاب "الإعجاز العلمي" (٢/ ٢١) هذه الآية بقوله: (وبالنسبة لكوكب الأرض فإن أطرافه تتمثل في ناحيتين هما: القمم والهامات العليا للجبال، وهي التي تمثل الأطراف الرأسية لقشرة الأرض، وهذه الأطراف العليا تتناقص في الارتفاع تبعًا لتآكلها ونحتها المستمرين بفعل عوامل التجوية والتعرية أطراف الكرة الأرضية عند القطبين... أدى ذلك إلى تناقص طول القطر القطبي عن طول القطر الاستوائي، وهذا الأمر له أثره في اختلاف زاوية سقوط الأشعة الشمسية على سطح الكرة الأرضية، واختلاف الليل والنهار طولًا وحرارة على أجزاء سطح الأرض). اهـ

اعلم أن العلماء لهم أكثر من قول في تفسير النقص للأرض من أطرافها ولم يقولوا بهذا الذي قاله المتأثرون بفلسفة الجيولوجيين، ومنها: موت العلماء، ومنها: خراب الأرض حتى يكون العمران في ناحية، وقد رجح كثير من المفسرين أن النقص هو بفتح بلاد المشركين وتصييرها ديار إسلام، رجح هذا ابن جرير الطبري وابن كثير

وابن عطية وأبوحيان الغرناطي والبقاعي والشوكاني والشنقيطي، وغيرهم.

وظاهر الآية يدل على صحة هذا الترجيح، فقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ الخطاب لكفار قريش، وقوله تعالى: ﴿أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ هي أرض مكة، وقوله تعالى: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بالفتوح التي حصلت على يد الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم خارج المدينة النبوية في أطراف أراضي كفار قريش، وبالدمار الذي لحق الأمم من حول كفار قريش. ويدل أيضًا على هذا قوله تعالى مخاطبًا كفار قريش: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الأحقاف:٢٧]، وقال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾[محمد:١٣]، وقال تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾[القمر:٤٣]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى.

ويدل على هذا المعنى أيضًا: قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[الأنبياء:٤٤] فقوله: ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ استفهام إنكاري، وهو توعد كفار قريش بالغلبة عليهم والقهر لهم، وقد حصل هذا بدون شك، فالآيتان مكِّيَّتان آية الرعد وآية الأنبياء.

فهذا التفسير ينطبق على الواقع الذي تحدثت عنه الآية، وأما التفسير الجيولوجي فلا يصلح أن تفسر به الآية الكريمة؛ لمخالفة كلام أعلم الناس بالقرآن، وهم أهل العلم بتفسير كتاب الله، وأيضًا يلزم منه تفسيرها تبعًا للجيولوجيين: أن الكفار خاطبهم الله بما لا يعرفون، فبطلت الحجة بهذا عليهم، ومعلوم أن الله حاججهم بما يرون ويشاهدون؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. فهؤلاء جعلوا النقص حاصلًا في عمومية الجبال والمرتفعات وتآكل القشرة، وهذا لا وجود له في الواقع عند المخاطبين بالآية وغاية ما في تفسيرهم هذا التهويل على الناس. وفي تفسيرهم بما ذكرنا عنهم تناقض مع قولهم: إن الكون في اتساع مستمر، وفي تمددٍ رهيبٍ، أفلا يعقلون؟

قوله تعالى: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾[الرحمن:٣٣]

من جملة التفاسير الباطلة تفسير المقلِّدين للكفرة قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾[الرحمن:٣٣] بالوصول إلى سطح القمر وإلى سماء الدنيا، ومنهم صاحب كتاب "توحيد الخالق" (ص٣٧٣-٣٧٤) عند ذكره للآية المذكورة بعنوان "الإسلام وغزو الفضاء" قال: (يرى بعض الجهلة أن محاولات الإنسان لغزو الفضاء فيه زعزعة للدين، وتمرد على الخالق الذي أوجد الإنسان... وتأملنا القرآن الكريم فوجدناه يخبر قبل أربعة عشر قرنًا بأن الإنسان سيحاول النفوذ والخروج من أقطار السماوات والأرض). اهـ واستدل بآية الرحمن التي بين أيدينا.

والآية الكريمة لا تشير إلى ما ذكره صاحب كتاب "توحيد الخالق" وغيره، لا من قريب ولا من بعيد، وإليك بيان ذلك:

قال السمعاني في "تفسيره" (٥/ ٣٣٠) وهو يتحدث عن النفوذ المراد في الآية: (فالأكثرون على أنه يوم القيامة يكون، وينزل الله تعالى الملائكة حتى ينفذوا على أقطار السماوات والأرض، فإذا رأى الجن والإنس أهوال يوم القيامة، هربوا، فتردهم الملائكة). وهذا القول رجحه ابن جرير الطبري، وابن كثير، والقرطبي، وابن عطية، وابن القيم، والثعالبي، والبقاعي.

وبعض المفسرين يذكر أن هذا يعني عند الموت، أنهم لن يقدروا على الانفلات من الموت، والأول أرجح؛ لأن الآية سباقها وسياقها وما بعدها تدل على أن النفوذ هذا يوم القيامة.

وأما السلطان المذكور في الآية فللعلماء فيه تفسيران:

أحدهما: العلم بما في السماوات والأرض. والثاني: القوة والقدرة، وهو الراجح، وإن كان أكثر ورود السلطان في القرآن هو بمعنى العلم. ولم أرَ من علماء التفسير،

ممن يعتمد عليه، ذكر ما قاله صاحب كتاب "توحيد الخالق".

ومما يدل على بطلان تفسير السلطان في الآية بالمراكب الجوية: أن الآية تتخاطب مع الكفرة من الجن والإنس عمومًا، وهم جموع لا يحصيهم إلا الله، ولهذا قال الله: ﴿يَٰمَعۡشَرَ﴾ والمعشر: هو الجمع الكثير، والذين صعدوا إلى الفضاء حفنة لا يصح أن يوجه إليهم هذا الخطاب، وأيضًا الآية تخاطب الجن والإنس، وأيضًا الآية بدأت بالجن، وقد علل ذلك مَن علل من العلماء، أن الجن أقدر على النفوذ من أقطار السماء لخفتهم وعظمة قوتهم بالنسبة للإنس، فكيف جعل الآية صاحب كتاب "توحيد الخالق" في شرذمة من الإنس، وأيضًا الآية صريحة أنهم لا ينفذون، وصاحب غزو الفضاء يدعي أنهم قد نفذوا فهذا تناقض.

وأيضًا قال الشنقيطي في "أضواء البيان" (٣/ ١٢٨): (فلو كان معنى الآية هو ما يزعمه أولئك الذين لا علم لهم بكتاب الله لم يقل جل وعلا: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ﴾؛ لأنهم كانوا ينفذون إلى السماء قبل حدوث السلطان المزعوم). اهـ قُلتُ: يعني: الجن. فالجن منذ خلقهم الله ينفذون إلى قرب السماء الدنيا.

وأيضًا لو جعلنا النفوذ هو بالمراكب الفضائية؛ فمعنى هذا أنَّهُ لم يحصل ما دلَّت عليه الآية إلَّا في هذا العصر، وأيضًا الآية لا تتحدث عن النفوذ في الدنيا؛ لأن الله قال: ﴿مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، والنفوذ الحاصل في الدنيا إن كان من الجن؛ فهو في أقطار سماء الدنيا فقط دون بقية السماوات!!!، وإن كان نفوذ أصحاب الفضائيات؛ فهو أقل من نفوذ الجن!!! والآية التي بين أيدينا تتحدث عن النفوذ من أقطار السماوات، ومن أقطار الأرض، والأقطار هي: النواحي، وهذا ليس مُيسَّرًا في الدنيا، فيبقى الراجح ما عليه أكثر المفسرين أن هذا يوم القيامة.

وعلى كل: بان بهذا الإيضاح بُعْدُ قول من فسَّر السلطان المذكور في الآية بصعود حفنة من الكفار إلى سطح القمر، زعموا!

وأنبه القارئ على أمور قالها صاحب كتاب "توحيد الخالق":

ومنها: قوله: (يرى بعض الجهلة) يا ترى من هم الجهلة؟

وقال أيضًا: (الإسلام وغزو الفضاء) هل يقال لمن صعد في الجو أنه غازٍ للفضاء؟ انظر إلى سوء التعبير، إذ لا غزو في الفضاء إنما الغزو في الأرض، حيث يتواجد المخلوق البشري. ولكن التقليد لأرباب العجب والغرور.

قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ [فصلت:٥٣]

لقد أكثر المقلدون للكفار في قبول نظرياتهم، من الاستدلال بالآية المذكورة على صحة ما يقوله أصحاب الأفلاك، فاستدعى ذلك أن نوضح معنى الآية، المعنى الذي فهمه المؤهلون لفهم كلام الله من أهل التفسير والرسوخ في علم القرآن والسنة، ولهم في ذلك قولان مشهوران:

أحدهما: أن الآيات الآفاقية هي الفتوحات التي أكرم الله بها نبيه وأصحابه ومن بعدهم، وظهور الإسلام في الأقاليم وعلى سائر الأديان، وقد رجح هذا القول مجموعة كبيرة من المفسرين، كابن جرير، وابن كثير، وابن عطية، والقرطبي، والألوسي، وابن عاشور. وبعض العلماء لم يذكروا سوى هذا القول كالنسفي، والقاسمي.

الثاني: آيات الآفاق هي الآيات الكونية، ومنها: الشمس، والقمر، والليل، والنهار، والنجوم، والأمطار، والرياح، والرعود، والأشجار، والبحار، وقد مال إلى هذا بعض العلماء من المتأخرين كالشنقيطي، والسعدي.

وبعض العلماء ربط بين الآيات المشهودة والآيات المتلوة، ومنهم العلامة ابن القيم، فقد قال في "الفوائد" (ص٣٢-٣٣): (فأخبر أنه لابد أن يريهم من آياته المشهودة ما يبين لهم أن آياته المتلوة -أي: القرآن- حق).

وقال العلامة ابن الوزير في "إيثار الحق على الخلق" (ص٤٩-٥٠): (وأما دلالة الآفاق، فما يحدث ويتجدد في العالم من طلوع القمرين والكواكب وغروبها، عند دوران الأفلاك الدائرات، والسفن الجاريات، والرياح الذاريات، والنجوم الثوابت

منها، والمعالم، والرواجم... وكذلك تغير أحوال الهواء بالغيوم، والصواعق، والبروق العجيبة المتتابعة المختلطة بالغيوم الثقال، الحاملة للماء الكثير، المطفئ بطبعه للنار المضادة له، وما في الجمع بينهما، وإنشائها، وإنزال الأمطار منها بالحكمة البالغة... ثم ما في اختلاف الليل والنهار، والفصول والأحوال ...).

والآية تشمل القولين وهي أظهر في القول الأول للآتي:

١ الآية المذكورة وما قبلها وما بعدها مكية تخاطب كفار قريش الذين كثرت مؤاذاتهم للرسول ﷺ وعظم تكذيبهم له.

٢ الآية المذكورة وما قبلها وما بعدها مليئة بالوعيد الإلهي على كفار قريش ومن نحا نحوهم، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ * سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾[فصلت:٥٢-٥٤]، وقال أيضًا في نفس السورة: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[فصلت:١٣] وقد حصل منهم الإعراض.

٣ الآيةُ فيها وعدٌ من الله لنبيه ﷺ وتسلية له، بأنه سبحانه سينصره على كفار قريش، الذين كذبوه وأخرجوه، قال تعالى مخاطبًا رسوله في ختام الآية المذكورة: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[فصلت:٥٣] ومعنى هذا: أن الآيات التي سيري الله الكفار إياها ستتحقق على يد الرسول وفي عهده ﷺ وعهد صحابته رضي الله عنهم؛ لأنهم هم الموعودون بذلك ابتداءً، وهذا قد حصل بحمد الله كما هو معلوم من أنواع الهزائم التي لحقت كفار الجزيرة وغيرهم، في المعارك التي دارت بينهم وبين رسول الله ﷺ وصحابته رضي الله عنهم، فأي آيات أظهر وأنكى بالأعداء من هذه الآيات الآفاقية؟!

٤ الآيات الكونية قَلَّ ما ينتفع بها أفراد من الكفار، أما غالبهم فلا ينتفعون بها، فلم يحصل أن شعبًا أو دولة دخلوا الإسلام وصار عندهم اليقين بأحقيته بسبب رؤيتهم آية كونية فأكثر.

وأما الاستدلال بالآية المذكورة على صحة ما يقوله المتأثرون بنظريات الكفار، من أن الآيات في الآفاق هي هذه النظريات، فلا وجه لهذا الاستدلال للأمور الآتية:

(١) الآية تخاطب الكفار أن الله سيريهم آياته الآفاقية، فإذا حملت الآية على أن الآيات الآفاقية هي النظريات لا يتأتَّى ذلك؛ لأن النظريات محصورة على أفراد من الكفار، والعبرة بالأكثرية لا بالقليل النادر.

(٢) غالب النظريات باطلة، كما أوضحنا ذلك سابقًا، فكيف تكون هي المعنية في الآية الكريمة؟ وعلى هذا لا يتم الاستدلال بالآية على ذلك؛ بسبب قلة ما صح من النظريات، ولقلة أهل النظريات بجانب ممن ليسوا من أهلها.

(٣) تفسير الآية الكريمة بالنظريات العصرية يتضمن أن معنى الآية لم يتحقق على الوجه الأكمل إلى الآن؛ لأن غالب النظريات المعنية لم تحصل إلا في عصرنا، وقد سبق أن الآية تحقق معناها في عهد النبي ﷺ وعهد خلفائه، ولا يزال نصر الله لعباده المؤمنين، وبطشه بالكافرين، يتحقق ما بين الحين والآخر، إلى قيام الساعة.

(٤) ربنا أخبر أنه سيبين للكفار آياته الآفاقية والنفسية، فإذا حملت الآيات الآفاقية على النظريات، فعلام تحمل الآيات النفسية؟! لأن الله قد قرن النفسية بالآفاقية، فظاهر الآية أن حصول الآيات النفسية عند حصول الآيات الآفاقية، ولهذا فسرت الآيات النفسية بالهزائم والأمراض والبلايا فهذا لا يتأتَّى للكفار إذا فسرت الآية بالنظريات.

(٥) معنى الآية يأتي تفسيرها بظهور النظريات؛ لأن الله قال: ﴿سَنُرِيهِمْ﴾، ففيها التهديد لهم بما يصيبهم من عنده، والنظريات من قبل الكفار اختراعًا ودجلًا، وهي رفعة لهم في الدنيا، وشُهرة بالاختراع، ولم يتحقق فيها الوعيد الذي في الآية؛ فهذا البند كافٍ في بطلان تفسير الآيات بالنظريات، فكيف إذا كَثُرَتِ الدلائل على بطلانه؟!!

(٦) المفسرون المعتمد على تفسيرهم في عصرنا -وهم كثير- كالشنقيطي، والقاسمي،

والسعدي، والألوسي، وابن عاشور وأمثالهم، لم يفسروا الآية بالنظريات مع علمهم بهذه النظريات، ومع علمهم بتفسير المقلدين للآية بل ردُّوْا عليهم؛ فهذا يدل على أن النظريات أحقر من أن تكون آيات الله تدمغ الكافرين وتخرس ألسنتهم.

قوله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ [الأنبياء:٣٠]

قال سيد قطب في "الظلال" (٤/ ٢٣٧٥): عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾، (فالنظرية القائمة اليوم هي أن المجموعات النجمية كالمجموعة الشمسية المؤلفة من الشمس وتوابعها ومنها الأرض والقمر... كانت سديمًا، ثم انفصلت وأخذت أشكالها الكروية، وأن الأرض كانت قطعة من الشمس ثم انفصلت عنها وبردت). وهذه النظرية نقلها سعيد حوى في "تفسيره". وقد قبلت هذه النظرية عند بعض الكُتَّابِ العصريين، فسطروها في كتبهم، وها نحن نذكر تفسير العلماء للآية المذكورة مع ترجيح الراجح منها:

التفسير الأول: أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين ففصل الله بينهما.

التفسير الثاني: أن السماوات كانت كتلةً واحدةً، فجعلها الله سبعًا مفصولات عن بعضها بعضًا، والأرضين السبع كن أرضًا واحدةً، فجعلهن الله سبعًا، كل واحدة منفصلة عن الأخرى.

التفسير الثالث: كانت السماوات والأرضون ملتصقات، ففصل بينهما بالهواء، كما صح عند ابن جرير، عن قتادة والحسن قولهما: (إنهما كانتا جميعًا، ففصل الله بينهما بهذا الهواء).

التفسير الرابع: كانت السماء لا تمطر والأرض لا تنبت، ففتقهما الله بالأمطار والإنبات.

أما القول الأول فرجوح؛ لأن الأرض خلقت قبل السماوات، كما قرره غير واحد من المفسرين، انظره في باب: "**أيُّهما خلق قبلُ: الأرض أم السماوات؟**" من هذا

الكتاب. وقد جاء عن ابن عباس، وابن جبير، والضحاك، تفسير الرتق: بالتصاق الأرض بالسماء، ولم يصح عنهم.

وأما القول الثاني فصحيح، أن السماوات كانت كتلة، فسواهن الله سبعًا، كل واحدة مفصولة عن الأخرى، دل على هذا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[فصلت:١١]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾[البقرة:٢٩]، وكذا الأرض كانت كتلة واحدة، ففصلهن الله سبع أرضين.

وأما القول الثالث فهو صحيح أيضًا؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[ق:٣٨]، والشاهد ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فقد فصل الله بين الأرض والسماء بالفضاء بينهما.

وأما القول الرابع، وهو أن الله فتقهما بإنزال المطر من السماء، وإخراج الأرض نباتها، فهو أظهر الأقوال؛ للأمور الآتية:

١ هذا هو المشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٢ رجح هذا القول عدد كبير من المفسرين، منهم: ابن جرير الطبري، وابن عطية الأندلسي، وأبوحيان الغرناطي، والرازي، حيث قال في «تفسيره» (٢٢/ ١٦٣): (وثالثها: وهو قول ابن عباس، والحسن، وأكثر المفسرين، أن السماوات والأرض كانتا رتقًا بالاستواء والصلابة، ففتق الله السماء بالمطر، والأرض بالنبات والشجر...).

وأيضًا البقاعي، والسعدي، والشنقيطي، والألوسي، ودليلهم على هذا الترجيح: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[الأنبياء:٣٠] قالوا: فعطفت على ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ * وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾[الطارق:١١-١٢] وقوله تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا...﴾[عبس:٢٥-٢٧].

قال الرازي في «تفسيره» (٢٢/ ١٦٣): (... ونظيره قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ *

وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾[الطارق:١١-١٢] ورجحوا هذا الوجه على سائر الوجوه بقوله بعد ذلك: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[الأنبياء:٣٠] وذلك لا يليق إلا وللماء تعلق بما تقدم، ولا يكون كذلك إلا إذا كان المراد ما ذكرنا).

٣ جعلوا الرؤيا في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا﴾[الأنبياء:٣٠] بصرية؛ لأن الكفار يشاهدون نزول المطر من السماء، ويشاهدون الأرض تنبت بعد أن كانت هامدة، ولو جُعِلَت الرؤية قلبية بمعنى العلم واليقين؛ فلا يتحقق هذا عند الكفار كتحقُّقِ الرؤية البصرية.

٤ المفسرون الذين لم يرجحوا هذا القول يذكرونه ولا يعارضونه بما يدفعه، مما يوحي استساغتهم إياه.

٥ قد قام بالرد على أصحاب هذه النظرية مجموعةٌ من العلماء سنذكرهم في الفصل التالي.

وبهذا الإيضاح الذي ذكرناه يتحقق لدى القارئ الكريم أن تفسيرات العلماء للآية المذكورة الراجح منها والمرجوح لا تمت ولا بأدنى إشارة إلى أن الأرض كانت قطعة من الشمس ثم انفصلت عنها، ونص الآية أوضح من عين الشمس في رابعة النهار، أن الفتق كان للسماء والأرض، ولا ذكر في الآية للشمس، وكيف يكون الفتق للأرض من الشمس، ومعلوم بالأدلة الشرعية أن الأرض خلقت قبل السماوات، والشمس خلقت بعد خلق السماء، وأيضًا خلق الله الشمس مع خلق القمر والنجوم والكواكب، فهي في الخلق تذكر مع هذه، ولا يوجد أي دليل يثبت أن خلق الشمس كان قبل خلق الأرض، حتى يمكن أن يقال حصل للأرض التصاق بالشمس، ثم انفصلت عنها.

وهنا أمر مهم أحب أن أنبه عليه، ألا وهو: قولهم بانفصال الأرض عن الشمس، فهذا مبنيٌّ على عقيدة باطلة وهي: أن الشمس مركز الكون وقد أثبتنا في ثنايا هذا الكتاب أن هذه نظرية قديمة وباطلة منذ ظهورها قبل ميلاد ابن مريم عند أهل

الكتاب، وعند المسلمين، وإنما حصل الشغب حول قبولها في القرن العشرين الذي كَثُرَ فيه الإلحاد.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة:٤]

ذكر صاحب كتاب «توحيد الخالق» (ص٢٨٩) هذه الآية مستدلًّا بها على قوله: (لقد ثبت أخيرًا ثبوتًا قاطعًا أنه ما من صوت من الأصوات، ولا عمل من الأعمال، ولا حركة من الحركات، إلا وهي مسجلة في سجل الكون، ومدونة في كتاب الوجود... ولقد صنعت آلة تصوير حديثة تمكن بها الباحثون أن يصوروا أحداثًا بعد ساعة من وقوعها).

قلت: قبل بيان ما تضمنه كلام صاحب المقال من الأخطاء، أذكر ما قاله المفسرون عن هذه الآية، فبعد النظر في كتب التفاسير المعتبرة قديمًا وحديثًا رأيت أكثر المفسرين يرجحون أن الأرض تتحدث يوم القيامة عما عمل عليها المخلوق البشري من خير وشر، وأن ذلك بإذن الله لها.

قال الرازي في «تفسيره» (٣٢/ ٥٩) عند كلامه على هذه الآية: (قول الجمهور: إن الله تعالى يجعل الأرض حيوانًا عاقلًا ناطقًا، ويعرفها جميع ما عمل أهلها، فحينئذٍ تشهد لمن أطاع وعلى من عصى ...).

واستدل الجمهور على ذلك بأدلة، ومنها ظاهر الآية الكريمة، وأيضًا بقول الرسول ﷺ: «**الْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ، وَيَشْهَدُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ**» رواه أحمد (٢/ ٤٢٩) وأبو داود رقم (٥١٥) والنسائي (٢/ ١٢-١٣).

وبما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة:٤] قال: «**أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارَهَا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ وَأَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، أَنْ تَقُولَ: عَمِلْتَ عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا. قَالَ: فَهُوَ أَخْبَارُهَا**». رواه أحمد (٢/ ٣٧٤) واللفظ له، وهو

ضعيف؛ لأن في سنده يحيى بن أبي سليمان، وهو منكر الحديث، كما قاله البخاري، وقد جاء عن أنس عند البيهقي في الشعب رقم (٧٢٩٦) وهو ضعيف، وجاء عن ربيعة الجُرَشِيِّ عند الطبراني في الكبير رقم (٤٥٩٦) وفيه ضعف. فيُكتفى من الأدلة بما صح.

وللعلامة ابن القيم كلام عظيم في "مفتاح دار السعادة" (٢/ ٩٠) قال: (فإذا كان يوم الوقت المعلوم، وقد أثقلها الحمل، وحان وقت الولادة، ودنو المخاض، أوحى إليها ربها وفاطرها، أن تضع حملها، وتخرج أثقالها، فتخرج الناس من بطنها إلى ظهرها، وتقول: رب هذا ما استودعتني، وتخرج كنوزها بإذنه تعالى، ثم تحدث أخبارها، وتشهد على بنيها بما عملوا على ظهرها من خير وشر). اهـ

فاتضح من هذا أن الأرض تشهد على الخلائق بأمر الله لها، وإذنه لها بذلك يوم القيامة، وليس فيها من الدلالة على ما قاله صاحب المقال.

وهأنا أوضح بعض المآخذ على صاحب المقال:

منها: قوله: (لقد ثبت أخيرًا ثبوتًا قاطعًا) انظر كيف جعل كلام الملاحدة يفيد القطع فيما أخبروا به، مع أنه لا يقطع في الأخبار الغيبية إلا ببراهين من الكتاب والسنة، وقضية شهادة الأرض إنما تكون يوم القيامة.

ومنها: قوله: (ما من صوت من الأصوات، ولا عمل من الأعمال، ولا حركة من الحركات، إلا وهي مسجلة في سجل الكون، ومدونة في كتاب الوجود) من المعلوم عند كل مسلم أن الملائكة هي التي تسجل الحسنات والسيئات، قال الله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ * كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾[الانفطار:١٠-١١]، وقال سبحانه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق:١٨]، فكيف جعل صاحب المقال الكون مسجلًا كل ما ذكر. والقرآن إنما أخبر أن الله يوم القيامة يوحي للأرض أن تتكلم فتتكلم؟ كما أن الله يوم القيامة يجعل أعضاء العبد تشهد عليه بما عمل عليها من شر، وهي لا تسجل ولا تدون، وأيضًا لا تتكلم بكل ما جرى عليها، وإنما ما يتعلق بالخير والشر. وصاحب

المقال قد عمَّمَ أن الكون يُسجِّل كل صوت، وعمل وحركة.

وانظر كيف نسب التسجيل للكون، والكون: كل ما هو مكون من العالم العلوي والسفلي، مع أنك ترى أن الآية تحدثت عن الأرض فقط، ولم تتحدث عن بقية المكونات السفلية، فضلًا عن أن تتحدث عن المكونات العلوية، وأيضًا الكون الأعلى لا يوجد فيه ما يوجد في الأرض من تعاطي الشر؛ فكيف حشر صاحب المقال الكون كله في التَّسْجِيل؟!!، وينبغي أن تدرك المغزى من تعميم المقالة في الكون؛ وهو أنَّ صاحبها يريد أن يصحح ما زعمه أصحاب النظرية، وهو قولهم: (ولقد صنعت آلة تصوير حديثة تمكن بها الباحثون أن يصوروا أحداثًا بعد ساعة من وقوعها).

فانظر كيف تغير مجرى الكلام من كون يسجل حركات الخلق وأصواتهم إلى آلة تقوم بذلك، فمن الذي يسلم أن آلة تقدر تسجل حركات شعب واحد، فكيف يقال: إنها تسجل كل أعمال الخلق؟ فيا لها من مجازفة. ومن الذي يحصي ما عليه العباد سوى الله؟ هؤلاء ينسوننا الرقابة الإلهية، ورقابة الملائكة، ويخوفوننا بآلة من الآلات، فانظر ما في هذا من فساد عظيم!!

وأشنع مما سبق قول صاحب "توحيد الخالق" (ص٣٨٩): (تمكن به الباحثون أن يصوروا أحداثًا بعد ساعة من وقوعها) وهذا الكلام في غاية البطلان؛ لأنهم إن لم يتمكنوا من تصوير الأحداث حين وقوعها، فهم أعجز عن أن يصوروها بعد ساعة من وقوعها؛ لأن الأحداث أعراض وليست بأجسام، فهي تنتهي عند انتهاء الحدث، ولِيُرِينا صاحب المقال الدولة التي صارت هذه الآلة معتمدة عندها، بحيث استغنت عن رجال المخابرات، فهاهم المخططون والمتآمرون في مشارق الأرض ومغاربها، يتآمرون وينفذون أحداثًا جسيمة، وما علمنا أن الآلة المذكورة ومن عليها أدركوا ذلك، خصوصًا أنها أحداث خطيرة جدًّا، فلو كان كلامهم هذا حقًّا ما فاتهم هذا، فهيهات! هيهات! أن يثبتوا كلامهم، ولو بأحوال الناس المتحققة واقعيًّا.

قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢]

ذكر صاحب رسالة "العلم طريق الإيمان" (ص١١٦) قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢] وفسرها: (بالمادة الخضراء في النبات، بأنها تأخذ الماء والهواء والضوء من السماء).

وقال أيضًا: (كان المفسرون السابقون يفسرون قول الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢] يقولون: لعل المقصود بذلك ما أعد الله في الجنة. وبعضهم يقول: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ [الذاريات:٢٢] أي: الماء الذي ينزل سببًا لإنبات النبات).

قلت: المفسرون قديمًا وحديثًا فسروا قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ [الذاريات:٢٢] بتفسيرات، ولا خلاف بينهم فيها، وسأذكرها:

١ أن الرزق هو المطر، وهذا وارد عن كثير من السلف، ورجحه غير واحد من كبار المفسرين: كابن جرير، وابن كثير، ولم يعارض في ترجيحه أحد من المفسرين فيما أعلم.

٢ الرزق في الجنة.

٣ الرزق في الدنيا والآخرة.

٤ القضاء والقدر.

وقد قال السعدي في "تفسيره" (٥/ ٩١): (أي: مادة رزقكم من الأمطار وصنوف الأقدار، الرزق الديني والدنيوي).

وقال العلامة ابن القيم في "التبيان في أقسام القرآن" (ص٢٦٤-٢٦٥): (فرزق الدارين في السماء التي هي في العلو... كون الجنة والخير في السماء، فلا إشكال فيه، وكون النار في السماء وما يوعد به أهلها يحتاج إلى تبيين، فإذا نظرت إلى أسباب الخير والشر وأسباب دخول الجنة والنار، وافتراق الناس وانقسامهم شقي وسعيد، وجدت ذلك كله بقضاء الله وقدره النازل من السماء. وذلك كله مثبت في السماء، في

صحف الملائكة، وفي اللوح المحفوظ قبل العمل وبعده، فالأمر كله من السماء. وقول من قال من أمر الساعة يكشف عن هذا المعنى؛ فإن أمر الساعة يأتي من السماء، وهو الموعود بها فالجنة والنار، الغاية التي لأجلها قامت الساعة، فصح ما قال السلف في ذلك، والله أعلم).

وبعد أن اتضح معنى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[الذاريات:٢٢] وأنها تضمنت الخير والشر، فلنأت إلى كلام صاحب المقالة؛ لننظر ما فيه من أخطاء:

حيث جعل معنى الآية أنها المادة الخضراء في النباتات؛ لأنها تأخذ الماء والهواء والضوء من السماء. ولا يقبل هذا التفسير؛ لأمور:

١ الآية الكريمة تخاطب الناس، أن رزقهم في السماء، والتفسير المذكور للآية يجعل الرزق في النبات الأخضر فقط باعتبار اجتماع الماء، والهواء والضوء فيه، مع أنَّ المخلوقات الأخرى -وهي كثيرة- تقوم على الماء والهواء ولابد، وتنتفع بالضوء، فالفارق بين تفسيرهم وبين ظاهر الآية، وتفسير أهل العلم لها واسع جدًّا؛ لأن الرزق المذكور في الآية: هو المطر وغيره، والمطر وحده قد جعله الله سببًا لحياة كل شيء، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾[الأنبياء:٣٠]، فكيف يقصر صاحب المقال الرزق على ما يتغذَّى به النبات الأخضر، ويجعله هو الصحيح مفندًا بذلك تفاسير العلماء؟

٢ الضوء الذي تنتفع به النباتات ليس من السماء، كما قال صاحب المقال: وإنما هو من الشمس والقمر، ولا يقال لهما سماء.

٣ الهواء الذي يتغذى منه النبات ليس آتيًا من السماء، وسواءٌ أُريدَ بالسماء في الآية السحاب، أو أُريدَ بها السماء الدنيا، أو أُريدَ بها العُلُوّ؛ لأنَّ الهواء مبثوث في الأرض، ولولا وجوده بهذه الكثرة وبثه في كل المجوفات والفراغات؛ ما قدرنا على الحياة.

٤ المفسرون للقرآن الكريم في عصرنا لم يشيروا أدنى إشارة إلى ما قاله صاحب

المقال، بل جروا في تفسيرهم للآية على ظاهرها، وعلى تفسير من سبقهم، وحتى المفسّرين الذين عرفوا بقبول بعض النظريات المُضِلَّة.

فبهذه الوجوه ظهر أن صاحب المقال حاصر محاصرة تكاد أن تفسد معنى الآية، شعر أم لم يشعر.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [الانشقاق:٣]

قال صاحب كتاب "العلم طريق الإيمان" (ص٦٨): (إن الجبال تكونت عن طريق خروجها من باطن الأرض في صورة براكين) واستدل لذلك بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق:٣-٤].

قلت: لعلماء التفسير قولان مشهوران في معنى ﴿وَأَلْقَتْ﴾ ألا وهما: ألقت ما في جوفها من الأموات، وهذا أحدها. والثاني: ألقت ما في بطنها من الأموات والكنوز، فبعض المفسرين جمع بين ذكر الاثنين، تفسيرًا للآية: كابن الجوزي، والبغوي، والشوكاني، والسعدي.

وقال السمعاني في "تفسير القرآن" (٦/ ١٨٧): (أي: وألقت ما في جوفها من الكنوز والموتى، فخلى جوفها، ويقال: ألقت بما استودعت وتخلت عما استحفظت، وكأنها ألقت ما على ظهرها، وتخلت عما في جوفها).

وقال ابن عاشور في "التحرير" (٣٠/ ٢٢٠): (ومحتمل؛ لأن تنقذف من باطن الأرض أجزاء أخرى يكون لانقذافها أثر في إتلاف الموجودات، مثل: البراكين، واندفاع الصخور العظيمة، وانفجار العبوات إلى ظاهر الأرض، فيكون طوفان).

فالآية تتحدث عما يجري للأرض يوم القيامة، ولهذا السبب اقتصر بعض المفسرين على تفسير الآية بإخراج الموتى من باطنها، ولا شك أن هذا أعظم ما عنته الآية، ولكن تعميم إخراجها لما في باطنها يحتمله، ومما يدل على إخراجها للموتى، قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة:١-٢].

وقد ذكر رسول الله ﷺ سورة الانشقاق من ضمن السور التي تتحدث عن يوم القيامة، فقال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ، فَلْيَقْرَأْ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ» أخرجه أحمد (٢/ ٣٦) واللفظ له والترمذي رقم (٣٣٣٣) والحاكم (٤/ ٥٧٦) وصححه الألباني.

وقال العلامة ابن القيم في "زاد المعاد" (١/ ٣١٨): (كانت سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ قد أخلصت من أولها وآخرها لهذا الشطر، فلم يذكر فيها إلا الآخرة، وما يكون فيها من أحوال الأرض وسكانها ...).

وبهذا البيان يتضح للقارئ، أنه لا دليل البتة لصاحب المقال في الآية المذكورة، من أنها تعني أن الجبال تكونت في باطن الأرض، وألقتها الأرض عليها، وأنَّهُ لم يَقُل به المُفَسِّرون قديمًا ولا حديثًا؛ فهو قولٌ مُحْدَثٌ في تفسير الآية.

وأما إلقاء الجبال على الأرض، فإليك الكلام على ذلك: قال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[النحل:١٥]، وقد فسر بعض العلماء ألقى بالخلق والجعل، مستدلين بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا * وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[النبأ:٦-٧]، وبقوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾[طه:٣٩].

وقال ابن عطية (٨/ ٣٨٧): (قال المتأولون: (ألقى) بمعنى خلق وجعل، وهي عندي أخص من خلق وجعل، وذلك أن ألقى تقتضي: أن الله أحدث الجبال ليس من الأرض، ولكن من قدرته واختراعه...).

ونقل أبوحيان الغرناطي كلام ابن عطية في "تفسيره" (٦/ ٥١٤) مقررًا له. ونقله أيضًا الألوسي في "روح المعاني" (١٤/ ١١٦) مقررًا له. وقال البقاعي في "نظم الدرر" (١١/ ١٢٦) في معنى (ألقى): (أي: وضع فيها وضعًا كأنه قذفه فيها قذفًا).

وقال المحشِّي على "تفسير البيضاوي" (٥/ ٢٥٧): (فإن الإلقاء حقيقة هو طرح الشيء من أعلى إلى أسفل ...) وله كلام لا حاجة إلى نقله.

وقال ابن عاشور (١٤/ ١٢٠): (وهذه المخلوقات لما كانت مجعولة كالتكملة للأرض، وموضوعة على ظاهر سطحها، عبر عن خلقها ووضعها بالإلقاء الذي هو رمي الشيء على الأرض...).

وقال الألوسي (١٤/ ١١٦): (ولم يعدِّ بعلى كما في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾[طه:٣٩] للإشارة إلى كمال الجبال ورسوخها وثباتها في الأرض، حتى كأنها مسامير في ساجة).

قلت: ومما يدل على أن (ألقى) تفيد معنى الرمي بالشيء على شيء، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا﴾[فصلت:١٠] ولا يلزم أن الجبال قد خلقت من غير الأرض؛ فقد روى مسلم رقم (٢٧٨٩) واللفظ له وأحمد (٢/ ٣٢٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ...**» فقوله: «**وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ**» أي: التربة، فسواء قلنا: الجبال خلقت من الأرض، ثم ألقيت عليها، أم خلقت من غير الأرض، ثم ألقيت عليها، فهذا فيه سعة، ولكن الخطأ الذي أوضحناه، أن تفسير آية الانشقاق بخلق الجبال من الأرض، وإلقائها عليها تفسير باطل.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾[القصص:٧١]

قال صاحب كتاب «توحيد الخالق» (ص٥٥-٥٦): (مع العلم أن بعض الكواكب نهارها أطول من نهارنا عشرات المرات، وبعضها قد أصبح جزء منها نهارًا دائمًا والجزء الآخر ليلًا دائمًا). واستدل بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[القصص:٧١-٧٢].

أخي القارئ، الآيتان المذكورتان بين يديك، واستدلال صاحب المقالة بهما على

نهار النجوم وليلها بين يديك أيضًا، فانظر إلى نص الآيتين، وإلى استدلال صاحب المقالة بهما، فهل يلتقيان؟ لتعلم أن صاحب المقالة يعبث بكلام الله، وكم له من استدلال مثل هذا وأشد. واضح جدًّا أن الآيتين تتحدثان عن رحمة الله بعباده حيث لم يجعل الليل والنهار سرمديين على أهل الأرض، بل جعلهما خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا، فكيف يستدل صاحب المقال بالآية على نهار الكواكب وليلها، ولا علاقة للآية بذلك. ولولا أنَّ النظرية دفعت صاحب المقال إلى هذا القول؛ ما حصل منه هذا، فانظر ما أشقاهم بقبول النظريات على غير بصيرة!!!

قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ [النازعات:٢٧-٢٨]

قال صاحب كتاب "توحيد الخالق" (ص٣٥٤): (قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ [النازعات:٢٧-٢٨] في هذه الآيات ألفاظ قرآنية، كشف التقدم العلمي عن مقدار دقتها:

أ - السماء بناها: أثبت التقدم العلمي أن أجرام السماء كأحجار في بناء واحد، يشد بعضه بعضًا، ويقوم كل على الآخر، فإذا اختل النظام في جِرْمٍ أو أجرام، اختل البناء كله.

ب - رفع سمكها: فلم يعرف الإنسان مقدار ارتفاع السماء إلا بعد كشف العلم عن مواقع بعض النجوم، فعرفنا أن السماء مرتفعة، وليست قريبة، كما يظن النظر المجرد).

أقول: صاحب المقال أثبت في مقاله هذا أجرامًا ولم يثبت سماء والحامل له على هذا المسايرة لأرباب النظريات الذين ينفون السماوات ذات الطباق ويثبتون أجرامًا مترابطة متشابكة انظر إلى خطر هذا التلبيس.

فلا تفهم أن البناء المذكور في المقال هو البناء المذكور في قوله تعالى ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ فإن هؤلاء لا يثبتون سماء مبنية محكمة كما أخبر الله وكما نشاهد.

وأما قول صاحب المقال: (فلم يعرف الإنسان مقدار ارتفاع السماء إلا بعد كشف العلم عن مواقع بعض النجوم، فعرفنا أن السماء مرتفعة وليست قريبة، كما يظن النظر المجرد) فكلام من باب إدخال شعبان في رمضان -كما يقال-؛ إذ لا علاقة بين مواقع النجوم وارتفاع السماء؛ لأننا قد أوضحنا قريبًا أن مواقع النجوم هي: أحوالها من طلوع وغروب وغير ذلك، وارتفاع السماء قد دلت عليه الأحاديث، ولكن هنا لُغز قلَّ أن يتَنَبَّهَ له القُرَّاء في كُتُبِ هؤلاء، ألَّا وهو: أن السماء عند أرباب النظريات هي الفضاء، وأيضًا يُطْلِقون على المجرات سماء، فليس عند ملاحدة النظريات سموات سبع طباق، وقد تأثَّر بقولهم هذا الكُتَّاب المشتغلون بالنظريات، ومنهم صاحب المقال، فقوله: لم يعرف ارتفاع السماء إلَّا بعد اكتشاف مواقع النجوم تقدَّمَ في أَوَّلِ هذا الفصل أنَّ مواقع النجوم عبارة عن مسافة ضوئية خيالية ذكرها بملايين السنين، ومعلوم أنَّ الفلكيِّين يقدرون مسافة نور الشمس إلينا بثمان دقائق، فكيف جعلوا بُعدَ النجوم بهذه المسافة الضوئية مع أن الضوء ليس له سرعة محدودة بل يصل مباشرة، فالارتفاع الذي ذكره صاحب المقال إنَّما هو باعتبار وجود فضاء لا نهاية له، ولا سموات سبع، ولا ما فوقَهُنَّ. فَخُلاصةُ القول: أن المقال المذكور: السطر الأول منه، والثاني يُثبتان سماء غير السماء التي جعلها الله سبعًا شدادًا، فحذار! حذار! من التسليم لهؤلاء.

قوله تعالى: ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر:١٥]

هذه الآية العظيمة المشتملة على محاججة كفار قريش فسرت بغير تفسيرها الصحيح، من قِبَلِ من حُرِموا الرجوع إلى تدبر كلام الله، والاستفادة من كتب التفاسير المعتبرة، فقد قال صاحب رسالة «العلم طريق الإيمان» (ص١١): (إن زغلول النجار أخبره أنه اطلع على كلام لبعض من يسمون رواد الفضاء، وأنه يذكر أنه عندما يخرج من الغلاف الهوائي للأرض ويدخل خارج الغلاف الهوائي أن هناك ظلامًا دامسًا، وأن الشمس تبدو في تلك المنطقة باهتة جدًّا، والنجوم ضعيفة جدًّا

والسواد هو الغالب عليها، وأن هذا الرائد يقول أثناء صعوده: الآن يقل الضوء، الآن سدت أبصارنا وأغلقت، لا نرى شيئًا قد أصبحنا عميًا؛ لأنه ليس هناك من انعكاسات الأشعة تأتي إلينا، ثم قال زغلول النجار المصري: (لما سمعت هذا الكلام تذكرت قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾[الحجر:١٤-١٥]).

وقبل أن نبين ما تضمنه المقال المذكور من مخالفات، نذكر ما عليه المفسرون المتقدمون والمتأخرون في تفسير هذه الآية، فلهم في قوله تعالى: ﴿فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾[الحجر:١٤] قولان:

الأول: أن المراد بالمخاطبين في هذه الآية: المشركون الذين قالوا: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[الحجر:٧]، ومعنى الآية على هذا التفسير: أن الله لو فتح لهم بابًا من السماء فظلوا يعرجون فيه، فرأوا عجائب ملكوت السماء، لقالوا -من باب العناد- سدت أبصارنا، وغُشِيَ عليها، بل لقالوا: سُحرنا حتى صرنا نرى الأشياء على غير ما هي عليه. وهذا القول هو ظاهر الآية الكريمة، ولهذا لم يذكر ابن كثير والبقاعي والسعدي وابن عاشور غيره.

وقال ابن عطية (٨/ ٢٨٨) وهو يتحدث عن الضمير في قوله: ﴿فَظَلُّواْ﴾: (يحتمل أن يعود عليهم، وهو أبلغ في إصرارهم ...).

وقال الألوسي في "روح المعاني" (١٤/ ١٩) بعد ذكره هذا القول: (وهو الظاهر).

وقال ابن عاشور (١٤/ ٢٦) وهو يتحدث عن الآية المذكورة: (والكلام الجامع لإبطال معاذيرهم أنهم لو فتح الله بابًا من السماء، حين سألوا آية على صدق الرسول ﷺ، أي: بطلب من الرسول، فاتصلوا بعالم القدس والنفوس الملكية، ورأوا ذلك رأي العين، لاعتذروا أنها تخيلات، وأنهم سحروا، فرأوا ما ليس بشيء شيئًا).

القول الثاني: أن الضمير في قوله تعالى: ﴿فَظَلُّواْ﴾ يراد به: الملائكة يعرجون، والمشركون يشاهدون عروج الملائكة، فيقولون: سدت أبصارنا وسحرنا.

والآية محتملة للقولين، وهي أظهر في الأول، وأقوى في الحجة على كفار قريش.

فاتضح من هذا: أن الآية المذكورة بينت مكابرة ومعاندة المشركين لنبي الله محمد ﷺ، وأنهم مهما جاءتهم من آيات ومعجزات تدل على صدق الرسول ﷺ أنه مرسل من عند الله، ما قبلوا ذلك.

وأما بيان بعض الأخطاء في المقال المذكور فهي كالتالي:

١) قول صاحب المقال: (إن زغلول النجار اطلع على كلام لبعض من يسمون رواد الفضاء) قلت: هذه طريقة نواب الفلاسفة، يقرءون في كتبهم أو يسمعون من كلماتهم، فيبحثون عن آية قرآنية؛ ليستدلوا بها على إصابة أعدائهم في نظرياتهم، وكأن الله أوجب عليهم أن يأتوا بموافقة القرآن لفلاسفة الأفلاك، والحق العكس، وهو أن هؤلاء المقلدين أصحاب النظريات يجب عليهم أن يعرضوا النظريات على القرآن والسنة، فما قُبِلَ منها قبلوه، وما رده منها ردوه.

٢) قوله: (عندما يخرج من الغلاف الهوائي للأرض، ويدخل خارج الغلاف الهوائي) هذا الكلام مبنيٌّ على أن ما فوق الأرض فضاء لا حدود له، وقد أوضحنا فساد هذا القول في أكثر من موضع في هذا الكتاب، وصاحب المقال ذكر الغلافين، وجعل تجاوز غلاف الأرض دخولًا في غلاف آخر، وهو عنده عبارة عن فضاء لا نهاية له، ومعلوم عند أهل الإسلام أن ما بين السماء والأرض هواء، وأنه محاط بسماء الدنيا.

٣) قوله: (هناك ظلامٌ دامس، وأن الشمس تبدو في تلك المنطقة باهتةً جدًّا ...) لتعرف التناقض، فكيف يجتمع ظلام دامس، أي: حالك، مع وجود الشمس المضيئة؟!! أليس من المعلوم أنه كلما كان الشيء أقرب إلى الشمس، كانت الشمس أشد حرارة عليه، وهم يقولون أيضًا: لو أن الشمس أقرب إلينا بكذا مسافة لأحرقتنا، وأحرقت الزروع والثمار، فعلى كلامهم هذا -وهو حق- فمن باب أولى أن تحرق ما كان قريبًا منها، فما لهم لا يثبتون على حال؟!

٤) نقل صاحب المقال عن رائد من رواد الفضاء أنه يقول أثناء صعوده: (الآن يقل الضوء، والآن سدت أبصارنا وأغلقت، لا نرى شيئًا قد أصبحنا عميًا؛ لأنه ليس هناك من انعكاسات لأشعة تأتي إلينا). هذا الكلام هو الذي جعل صاحب المقال يستدل له بالآية الكريمة، وانظر بعين التأمل والتدبر: هل له علاقة بالآية الكريمة المذكورة؟ فالآية تتحدث عن مكابرة المشركين ومعاندتهم الرسول، بحيث لو جاءتهم كل آية فيها معجزة؛ لم يقبلوها ولم يؤمنوا بها، فأين كلام صاحب المقال من هذا الذي دلت عليه الآية الكريمة؟ لأن غاية ما في كلام صاحب المقال أنه تحدث عن طبقة من طبقات الهواء من وصل إليها حصل له ما ذكر على حد زعمهم، والآية لا تتحدث عن هذه الطبقة المزعومة، وإنما تتحدث عن خرق العادة، بحيث تكون معجزة، وهي صعود الكفار إلى ملكوت السماوات بدون مركب. فوا أسفاه! كيف يتلاعب بكلام الله.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾[الشورى:٢٩]

استدل بهذه الآية القائلون بأن أهل الأرض سيجتمعون بأهل السماء يعني: عن طريق الصعود إلى السماء. وهذا القول فيه مخالفة لظاهر الآية ولإجماع المفسرين على تفسيرها، فالمفسرون متقدمهم ومتأخرهم ومنهم ابن جرير، وابن كثير، وابن عطية، وابن أبي زمنين، والسمعاني، والبغوي، والنسفي، والرازي، والبقاعي، والشوكاني، والألوسي، والسعدي، ومحيي الدين زادة، وابن عاشور، على أن معنى قوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾[الشورى:٢٩] أي: حشرهم يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[الانشقاق:١٩]

استدل بهذه الآية القائلون بالوصول إلى السماوات، والآية لا تدل على شيء من ذلك؛ فقوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ فيها قراءتان صحيحتان: ﴿لَتَرْكَبَنَّ﴾ بفتح الباء، والخطاب للنبي ﷺ، وهذا لا إشكال فيه، والقراءة الثانية ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ بضم الباء،

وهذا خطاب للناس، وهي القراءة المشهورة.

وأما تفسيرها ففيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الآية تعني: النبي ﷺ وهذا صح عن ابن عباس، وهو الذي رجحه ابن جرير في تفسيره، وابن كثير وغيرهما، وألحقوا جميع الناس به عليه الصلاة والسلام، في حصول الشدائد، والأهوال يوم القيامة.

القول الثاني: معنى الآية: أن السماوات تنتقل من حال إلى حال، تارة كالدهان، وتارة كالمهل، وتارة تطوى كالسجل، وتارة تتشقق بالغمام.

القول الثالث: وهو أشهر الثلاثة، أن المراد بمعنى الآية: الإنسان، وهذا الذي قاله أكثر المفسرين، بل بعضهم لم يذكر غيره قال البقاعي (٢١/ ٣٤٨): (فأول أطباق الإنسان جنين، ثم وليد، ثم رضيع، ثم فطيم، ثم يافع، ثم رجل، ثم شاب، ثم كهل، ثم شيخ، ثم ميت، وبعده نشر، ثم حشر، ثم حساب، ثم وزن، ثم صراط، ثم مقر، ومثل هذه الأطباق المحسوسة أطباق معنوية من الفضائل والرذائل).

وقال العلامة ابن القيم في «التبيان في أقسام القرآن» (ص٧١-٧٢): (ومن قال الخطاب للإنسان أو لجملة الناس فالمعنى واحد، وهو: تنقل الإنسان حالاً بعد حال، من حين كونه نطفة إلى مستقره من الجنة أو النار، فكم بين هذين من الأطباق والأحوال للإنسان، وأقوال المفسرين كلها تدور على هذا... قال الواحدي: وهذا قول أكثر المفسرين).

قلت: ومما يدل على أن القول الثالث هو أقواها ختم الآية بقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩﴾[الانشقاق:٢٠-٢١] فهي قرينة ظاهرة على أن المراد الناس، فإذا كانوا ينتقلون من حال إلى حال، ومن هول إلى هول، فما المانع لهم أن يؤمنوا ويستعدوا لتلك الشدائد.

ولهذا قال ابن القيم في المصدر السابق (ص٧٢): (وأنت إذا تأملت هذا المقسم به والمقسم عليه، وجدته من أعظم الآيات الدالة على الربوبية وتغيير الله سبحانه

للعالم وتصريفه له كيف أراد ونقله إياه من حال إلى حال... ولهذا عقب ذلك بقوله: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[الانشقاق:٢٠] إنكارًا على من لم يؤمن بعد ظهور هذه الآيات المستلزمة لمدلولها أتم استلزام، وأنكر عليهم عدم خضوعهم وسجودهم للقرآن المشتمل على ذلك بأفصح عبارة وأبينها وأجزلها وأوجزها).

فظهر بما ذكرنا: أن المفسرين السابقين واللاحقين لم يفسروا الآية بالصعود إلى السماوات، فالمحتجون بها على الصعود ليس لهم فيها حجة ولا برهان، وغاية ما عندهم التكلم بدون علم نافع، وهي حالة لا تكاد تخطئهم.

قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[الروم:٤١]

قال صاحب كتاب «سنريهم آياتنا» (ص٥٧) تحت عنوان «تلوث البيئة»: (تلوث البيئة وتآكلها، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ تتعرض البيئة التي تحيط بالكرة الأرضية إلى تغيرات فتاكة، وجذرية رهيبة، تهدد الحياة بالتراجع، وتفسد البيئة، فتقضي على كثيرٍ من مظاهر الحياة النباتية، والحيوانية، والإنسانية، وذلك منذ أن بدأ الإنسان حضارته الصناعية).

قلت: تفسير الآية بتلوث البيئة، لم يقل به أحد من المفسرين، لا المتقدمين، ولا المتأخرين، والآية تأبى هذا التفسير الغريب.

قال النسفي في معنى الآية المذكورة: (نحو القحط، وقلة الأمطار، والريع في الزراعات، والريع في التجارات، ووقوع الموتان في الناس والدواب، وكثر الحرق، والغرق، ومحق البركات من كل شيء، ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾[الروم:٤١] بسبب معاصيهم وشركهم، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[الشورى:٣٠]، ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾[الروم:٤١] أي: ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا، قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة... ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[آل

عمران:٧٢] أي: عما هم عليه من المعاصي).

وقال ابن عطية في "المحرر الوجيز" (١١/ ٤٦٥): (وظهور الفساد فيها، هو ارتفاع البركات، ونزول رزايا، وحدوث فتن، وتغلب عدو كافر، وهذه الثلاثة توجد في البر والبحر).

وللعلامة ابن القيم كلام يكتب بماء الذهب فَدُونَكَهُ: قال في "زاد المعاد" (٤/ ٣٦٣-٣٦٤): (ونزل هذه الآية على أحوال العالم وطابق بين الواقع وبينها، وأنت ترى كيف تحدث الآفات والعلل كل وقت في الثمار والزرع والحيوان، وكيف يحدث من تلك الآفات آفات أخر متلازمة بعضها آخذ برقاب بعض، وكلما أحدث الناس ظلمًا وفجورًا، أحدث لهم ربهم تبارك وتعالى من الآفات والعلل في أغذيتهم وفواكههم وأهويتهم ومياههم وأبدانهم وخلقهم وصورهم وأشكالهم وأخلاقهم من النقص والآفات، ما هو موجب أعمالهم وظلمهم وفجورهم... وأكثر هذه الأمراض والآفات العامة بقية عذاب عذبت به الأمم السالفة، ثم بقيت منها بقية مرصدة لمن بقيت عليه بقية من أعمالهم، حكمًا قسطًا وقضاء عدلًا، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه بقوله في الطاعون: «إِنَّهُ بَقِيَّةُ رِجْزٍ أَوْ عَذَابٍ، أُرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ»[1] وكذلك سلط الله سبحانه وتعالى الريح على قوم سبع ليال وثمانية أيام، ثم أبقى في العالم منها بقية في تلك الأيام، وفي نظيرها عظة وعبرة، وقد جعل الله سبحانه أعمال البر والفاجر مقتضيات لآثارها في هذا العالم اقتضاء لابد منه، فجعل منع الإحسان والزكاة والصدقة سببًا لمنع الغيث من السماء والقحط والجدب، وجعل ظلم المساكين والبخس في المكاييل والموازين، وتعدي القوي على الضعيف، سببًا لجور الملوك والولاة، الذين لا يرحمون إن استرحموا، ولا يعطفون إن استعطفوا، وهم في الحقيقة أعمال الرعايا ظهرت في صور ولاتهم، فإن الله سبحانه بحكمته وعدله يظهر للناس أعمالهم في

---

(١) هذا الحديث رواه مسلم برقم (٢٢١٨) عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما بلفظ: «إن هذا الوجع رجز أو عذاب أو بقية عذاب، عذب به أناس من قبلكم».

قوالب، وصور تناسبها، فتارة بقحط وجدب، وتارة بعدو، وتارة بولاة جائرين، وتارة بأمراض عامة، وتارة بهموم وآلام وغموم تحضرها نفوسهم لا ينفكون عنها، وتارة بمنع بركات السماء والأرض عنهم، وتارة بتسليط الشياطين عليهم تؤزهم إلى أسباب العذاب أزًّا؛ لتحق عليهم الكلمة، وليصير كل منهم إلى ما خلق له، والعاقل يُسيِّر بصيرته بين أقطار العالم فيشاهده، وينظر مواقع عدل الله وحكمته، وحينئذ يتبين له أن الرسل وأتباعهم خاصة على سبيل النجاة، وسائر الخلق على سبيل الهلاك سائرون، وإلى دار البوار صائرون، والله بالغ أمره، لا معقِّب لحكمه، ولا راد لأمره. وبالله التوفيق).

وقال العلامة الشوكاني في "فتح القدير" (٤/ ٢٢٨) بعد أن ذكر أقوال العلماء في تعريف الفساد: (والتعريف في الفساد يدل على الجنس، فيعم كل فساد واقع في حيزي البر والبحر).

قُلْتُ: أما تلوث البيئة فإن الرياح تذهبه وتفرقه، قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "مفتاح دار السعادة" (٢/ ٧٨-٧٩): (ثم تأمل هذا الهواء وما فيه من المصالح، فإن حياة هذه الأبدان، والممسك لها من داخل بما تستنشق منه، ومن خارج بما تباشر به من روحه، فتتغذى به ظاهرًا وباطنًا. وفيه تطرد هذه الأصوات، فتحملها وتؤديها للقريب والبعيد، كالبريد والرسول الذي شأنه حمل الأخبار والرسائل، وهو الحامل لهذه الروائح على اختلافها ينقلها من موضع إلى موضع، فتأتي العبد الرائحة من حيث تهب الريح... وبالجملة: فحياة ما على الأرض من نبات وحيوان بالرياح، فإنه لولا تسخير الله لها لعباده لَذَوَى النبات، ومات الحيوان، وفسدت المطاعم، وأنتن العالم وفسد، ألا ترى إذا ركدت الرياح كيف يحدث الكرب والغم، الذي لو دام لأتلف النفوس، وأسقم الحيوان، وأمرض الأصحاء، وأنهك المرضى، وأفسد الثمار، وعفن الزرع، وأحدث الوباء في الجو).

وبعد هذا الإيضاح يتضح أن صاحب المقال حرَّف معنى الآية؛ موافقة للكفرة،

الذين يخافون من تلوث البيئة، ولا يخافون من الكفر بالله والشرك به، وإحداث أنواع من الفجور والفسوق، ألا ترى كيف سُلِبَ عقل صاحب المقال، حتى صار يرى أن تلوث البيئة آية من آيات الله، يري الله عباده إياها، أليس تلوث البيئة يوجد حيثما تتكاثر البشرية منذ وجود البشرية، يعلمه الناس مؤمنهم وكافرهم، فكيف جعل هذا اكتشافًا علميًّا وإعجازًا قرآنيًّا؟

قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت:٢٠]

استدل فريق من علماء الفلك -كما يسمون أنفسهم- بهذه الآية على صحة نظرية "داروين" القائلة: إن أصل الإنسان: قِرْدٌ، وقد رد عليهم، وأبطلت النظرية من أصلها، كما سيأتي، واستدل بها فريق آخر على انحراف آخر، فقد قالوا: (إن تجديد المنهج العلمي للبحث أمر في غاية الأهمية، وهذه الآية القرآنية: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ تحدد لنا منهجًا علميًّا؛ لمعرفة كيفية بدء الخلق، وتبين أنه لابد من السير في الأرض باحثين ومنقبين... وهذا ما وجده الباحثون في هذا الزمان، من أنه لابد من دراسة عينات الصخور، والمقارنة بين تركيبات الأرض المختلفة، إذا أردنا أن نعرف بدء الخلق...).

وهذا فهمٌ غريبٌ للآية الكريمة المذكورة، فالمفسرون قديمًا وحديثًا يقولون: هذا خطاب للمنكرين البعث بعد الممات، الجاحدين الثواب والعقاب؛ لأن الأمر بالسير في الأرض؛ للاعتبار والاتعاظ.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في "إعلام الموقعين" (١/ ١٢٢): (كل موضع أمر الله سبحانه فيه بالسير في الأرض، سواءٌ كان السيرَ الحسي على الأقدام والدواب، أو السير المعنوي بالتفكر والاعتبار، أو كان اللفظ يعمهما، وهو الصواب؛ فإنه يدل على الاعتبار، والحذر أن يحل بالمخاطبين ما حل بأولئك، ولهذا أمر سبحانه أولي الأبصار بالاعتبار بما حل بالمكذبين). اهـ

وهذه بعض أقوال المفسرين المعاصرين المتعلقة بذلك:

قال الألوسي في "روح المعاني" (٢٠/١٤٧): (أي كيف خلقهم ابتداء على أطوار مختلفة، وطبائع متغايرة، وأخلاق شتى، فإن ترتيب النظر على السير في الأرض مؤذن بتتبع أحوال أصناف الخلق القاطنين في أقطارها، وعلى هذا تتغاير الكيفية في الآية السابقة، والكيفية في هذه الآية لما أن الأولى كما علمت باعتبار المادة وعدمها، وهذه باعتبار تغاير الأحوال).

قلت: مراده الآية الأولى قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [العنكبوت:١٩] وقوله باعتبار المادة أي مادة خلق الإنسان من تراب وطين و... و... وقوله: باعتبار تغاير الأحوال يعني: مما جرى للأمم من هلاك وغيره، حينما كذبت رسلها.

وقال ابن عاشور (٢٠/ ٢٣٠): (وإنما السير في الأرض؛ لأن السير يدني إلى الراغب مشاهدات جمة من مختلف الأرضين، بجبالها وأنهارها ومحتوياتها ويمر به على منازل الأمم حاضرها وبائدها، فيرى كثيرًا من أشياء وأحوال لم يعتد رؤية أمثالها، فإذا شاهد ذلك جال نظر فكره في تكوينها بعد العدم جولانًا لم يكن يخطر له ببال، حينما كان يشاهد أمثال تلك المخلوقات في ديار قومه؛ لأنه لما نشأ فيها في زمن الطفولة فما بعده قبل حدوث التفكير في عقله اعتاد أن يمر ببصره عليها دون استنتاج من دلائلها، حتى إذا شاهد أمثالها مما كان غائبًا عن بصره، جالت في نفسه فكرة الاستدلال، فالسير في الأرض وسيلة جامعة لمختلف الدلائل، فلذلك كان الأمر به لهذا الغرض من جوامع الحكمة وجيء في جانب بدء الخلق بالفعل الماضي؛ لأن السائر ليس له من قرار في طريقه، فندر أن يشهد حدوث بدء مخلوقات، ولكنه يشهد مخلوقات مبدوءة من قبل، فيفطن إلى أن الذي أوجدها إنما أوجدها بعد أن لم تكن، وأنه قادر على إيجاد أمثالها، فهو بالأحرى قادر على إعادتها بعد عدمها... وجيء في هذا الاستدلال بفعل النظر؛ لأن إدراك ما خلقه الله حاصلٌ بطريق البصر، وهو بفعل النظر أولى وأشهر؛ لينتقل منه إلى إدراك أنه ينشئ النشأة الأخرى).

وخلاصة القول: أن هذه الآية والتي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[العنكبوت:١٩]، والتي بعدها: ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[العنكبوت:٢٠] تدل على أن الله يحث الكفار على السير في الأرض ليحصل لهم الاعتبار والاتعاظ بما جرى للأمم السابقة، ولهذا خاطب الله كفار قريش بقوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[الصافات:١٣٧-١٣٨]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾[محمد:١٠]، فأين ما ادعاه القائلون: إن الآية تدل على البحث والتنقيب في الأرض؛ لتعرف كيف بدء الخلق، أيضًا معرفة كيف بدء الخلق ليست مشروعة عن طريق التنقيب، ولكنها تؤخذ من القرآن والسنة، فقد أخبر الله عباده عن خلقه الخلق، وليس في هذا إشكال عند المسلمين أبدًا، وأيضًا الإقبال على الأرض تشقيقًا لها، وتنقيبًا فيها، وعمارة لها، دون اعتبار واتعاظ وشكر الله، أمر مذموم عُرِفَ به الكُفَّار، قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾[ق:٣٦]، فقد فسر التنقيب هنا بمعنى: التصرف في الأرض، كما أرادوا.

قال السعدي في "تفسيره" (ص٧٥٠): (أي: بنوا الحصون المنيعة، والمنازل الرفيعة، وغرسوا الأشجار، وأجروا الأنهار، وزرعوا، وعمروا، ودمروا).

وقال ابن عاشور (٢٦/٣٢٣): (أي ذللوا وأخضعوا، أي: تصرفوا في الأرض بالحفر، والغرس، والبناء، ونحت الجبال، وإقامة السداد، والحصون). اهـ

قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[ص:٨٨]

يستدل المصححون لنظريات الفلاسفة في الكون العلوي والسفلي بهذه الآية، فكلما جاءت نظرية استدلوا بها، وقد علمت أنهم في استدلالاتهم لا يتحرون مراد الله ومراد رسوله ﷺ، وهذا مما يجعل المسلم يتأنى في قبول ما يستدلون به من كلام الله،

أو من كلام رسوله ﷺ، وقد راجعت أقوال المفسرين قديمهم، وحديثهم فيما يتعلق بهذه الآية، فرأيت أن أنقل من كلامهم وفهمهم السديد للآية الكريمة، ما يكون معلومًا معتمدًا لدى المسلم:

قال ابن جرير الطبري (٢١/ ٢٤٤) بعد أن ذكر أقوال المفسرين: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أعلم المشركين المكذبين بهذا القرآن، أنهم يعلمون نبأه بعد حين، من غير حدٍّ منه لذلك الحين بحد، وقد علم نبأه من أحيائهم الذين عاشوا إلى ظهور حقيقته، ووضوح صحته في الدنيا، ومنهم من علم حقيقة ذلك بهلاكه بدر، وقبل ذلك ولا حد عند العرب للحين، لا يجاوز ولا يقصر عنه فإذا كان ذلك كذلك، فلا قول فيه أصح من أن يطلق كما أطلقه الله، من غير حصر ذلك على وقت دون وقت). ومراد الطبري رحمه الله أن الحين يشمل الحياة الدنيا قبل الموت وبعد الموت ويوم القيامة.

وقال النسفي (٣/ ١٦٧): (نبأ القرآن وما فيه من الوعد والوعيد، وذكر البعث والنشور).

وقال الشنقيطي (٧/ ٣٨): (وما تضمنته هذه الآية الكريمة من تهديد الكفار بأنهم سيعلمون نبأه بعد حين، قد أشار إليه تعالى في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۞ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[الأنعام:٦٦-٦٧] قال غير واحدٍ من العلماء: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾، أي: لكل خبر حقيقة ووقوع، فإن كان حقًّا تبين صدقه ولو بعد حين، وإن كان كذبًا تبين كذبه، وستعلمون صدق هذا القرآن ولو بعد حين).

وقال السَّعدي (٤/ ٣١٨): (وذلك حين يقع عليهم العذاب، وتنقطع عنهم الأسباب).

وقال القاسمي (١٤/ ١٩٣): (أي عند ظهور الإسلام وانتشاره ودخول الناس فيه أفواجًا من صحة خبره، وأنه الحق والصدق، وهذا من أجل معجزات القرآن؛ لأنه

من الغيوب التي ظهر مصداقها؛ إذ كان زمن الإخبار به زمن قلة من المؤمنين وخوف من المشركين، فلم يمض رَدَحٌ من الزمن حتى أبدل الله قلتهم كثرة، وضعفهم قوة، وخوفهم أمنًا، وكموتهم ظهورًا وانتشارًا، فصدق الله العظيم، وصدق نبيه الكريم، وحقت كلمة الله على الكافرين، والحمد لله رب العالمين).

وقال ابن عاشور (٢٣/ ٣١٠): (وفسر النبأ بمعنى المفعول، أي: ما أنبأ به القرآن من إنذاركم بالعذاب، فهو تهديد، وكلا الاحتمالين واقع؛ فإن من المخاطبين من عجل له عذاب السيف يوم بدر، وبقيتهم رأوا ذلك رأي العين، منهم من علموا دخول الناس في الإسلام فماتوا بغيضهم، ومنهم من شاهدوا فتح مكة وآمنوا، أو رأوا قبائل العرب تدخل في الدين أفواجًا فعلموا نبأ صدق القرآن، وما وعد به بعد حين؛ فازدادوا إيمانًا...).

وغالب المفسرين الذين لا يعتمد على تفاسيرهم كسيد قطب، وسعيد حوى وغيرهما، لم يخرجوا في تفسيرهم للآية عمَّا قاله جهابذة التفسير آنفا.

ومما سبق يتقرر لدى القارئ، أن النبأ الذي سيعلمه الكفار عمومًا هو صدق ما أخبر به القرآن من الوعد والوعيد في الدنيا والآخرة.

أمَّا الاستدلال بها على ظهور النظريات وصحتها، فمردود من وجوه:

١ الآية مكيَّة تخاطب كفَّار قريش، ومن شمله الخطاب من الكفار، وأرباب النظريات أفراد في الأمم الكافرة، فإذا سُلِّمَ لهؤلاء أنَّ الآية واردة فيهم صرفت عمن وردت فيهم، وحكم لنظرياتهم بالقبول.

٢ لقد وجدت نظريات مستجدة على مر التاريخ، ولم يجعلها أهل التفسير تفسير الآية الكريمة.

٣ إذا ظهر فساد النظريات التي حكم لها بالقبول القرآني، عاد الطعن على القرآن، وهذا يجب التنبُّه له.

٤ حمل الآية على قبول النظريات لا يتحقق عموم الوعيد الذي فيها، فالله توعد كفار قريش أنَّهُ سيُعلِّمُهم صحة القرآن وأحقِّيَّتَهُ في الدنيا والآخرة، فلن يتحقق هذا الوعيد إلَّا في الآخرة؛ لأنَّ كثيرًا من أرباب النظريات ماتوا ولم يتحقق فيهم الوعيد في حياتهم الدنيوية.

قوله تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا﴾ [يونس:٢٤]

ذكر صاحب كتاب "توحيد الخالق" هذه الآية (ص١١٤) وقال: (والأمر قد وضح بعد تقدم العلم، وكشف عن السِّر الخفي في هذا التعبير القرآني، فلو قال القرآن أتاها ليلًا، يصح لأي إنسان أن يقول: إن هذا القرآن من عند محمد ﷺ، وبالمثل لو قال: (أتاها أمرنا نهارًا)، ذلك لأن الساعة التي ستقع كلمح البصر ستقع على الأرض بأكملها، وقد عرفنا أن الليل والنهار على الأرض دائمًا...).

قلت: تفسير الآية بما ذكره صاحب المقال، من أن الإتيان فيها هو قيام الساعة غير صحيح؛ لأن الآية المذكورة تتحدث عن زهرة الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾[يونس:٢٤]، وهي كقوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ﴾[الكهف:٤٥]، وغيرها من الآيات، فالآية التي ذكرها صاحب المقال تتعلق بزينة الحياة الدنيا، وانظر إلى قوله في نفس الآية: ﴿وَٱزَّيَّنَتۡ﴾، وَبَيَّنَ الله أن الزينة إما أن تيبس وتتفتت حتى تصير هشيمًا وحطامًا كما تقدم ذكر ذلك، وإما أن الله ينزل عذابًا على تلك البهجة والزينة، وهذا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا﴾ أي: محصودة ﴿كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾، أي: كأن لم تكن ذات زراعة وثمار، فالمأخوذ هنا هي الزينة، وأما الدنيا التي هي الأرض فهي باقية إلى قيام الساعة. ومما يدل على ما قُلْتُ: أن الله قال في أصحاب الجنة:

﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾[القلم:١٧-٢٠]. وهذا الذي عليه المفسرون.

قال ابن كثير (٧/ ٣٥٠-٣٥١): (ضرب تعالى مثلًا لزهرة الحياة الدنيا وزينتها، وسرعة انقضائها وزوالها بالنبات الذي أخرجه الله من الأرض، بما أنزل من السماء من الماء، مما يأكل الناس من زروع وثمار، على اختلاف أنواعها وأصنافها ...).

وقال أبوحيان (٦/ ٣٩): (جعل ما هلك من الزرع بالآفة قبل أوانه حصيدًا).

وقال العلامة ابن القيم في "إعلام الموقعين" (١/ ١٥٣) وهو يتكلم عن زينة الحياة: (فيأتيها أمر الله فتدرك نباتها الآفة بغتة، فتصبح كأن لم تكن قبل، فيخيب ظنه وتصبح يداه صِفْرًا).

فتفسير الآية بما قاله صاحب المقال حصرٌ لمعنى الآية، وأنه لا يأتي العذاب في الليل أو النهار إلا عند قيام الساعة، مع أن الله يقول في كتابه الكريم: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾[الأعراف:٤]، وكم ذكر الله في كتابه هلاك الأمم السابقة بالعذاب، وأنه كان في النهار أو في الليل.

وقول صاحب المقال: (والأمر قد وضح بعد تقدم العلم وكشف عن السر) فبالله عليك، أي علم وَضَحَ؟ وأيُّ سرٍّ كُشِفَ؟ فما وضح إلا الجهل، وما كشف إلا الجري وراء زبالة عقول الكفرة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ﴾[الشورى:٢٩]

استدل بها الفلكيون على سكنى الحيوانات في الكواكب، قال القاسمي في "تفسيره" (١٤/ ٣١٣-٣١٥): (وقال عالم فلكيٌّ أيضًا: يقول العلماء: إنه من المحقق أن هذه السيارات مسكونة بحيوانات، تشبه الحيوانات التي على أرضنا هذه، ويكون كل كوكبٍ منها أرضًا بالنسبة لحيواناته، وباقي الكواكب سماوات بالنسبة لها، قال: والظاهر أن القول بوجود الحيوانات في هذه الكواكب صحيح؛ لأن الله تعالى يقول

في كتابه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾[الشورى:٢٩]، ويقول: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[الرحمن:٢٩]).

قلت: ليست مصيبتنا في أقوال الملاحدة التي لا توافق الحق، وإنما مصيبتنا في من يسخِّر كلام الله وكلام رسوله ﷺ لتصحيح أباطيلهم، فهذه الآية الكريمة استدل بها الفلكيون على الوصول إلى سطح القمر ولا دليل بها البتة كما بينته قريبًا، ومنهم من استدل بها على ما ذكر هاهنا من أنها دليلٌ على سَكَنِ الحيوانات في الكواكب، والآية لا دليل فيها البتة، وأكثر المفسرين على أن بث الدواب هو في الأرض، لا في السماء، وذكر السماوات هنا من باب ذكر الكل وإرادة بعضه، وهذا وارد في القرآن والسنة واللغة، فلا مانع من القول به. ومن المفسرين من يقول الدواب التي في السماوات هم: الملائكة، ومن العلماء من قال: فيها دواب، لكن لا ندري ما هي؟ وكيف هي؟ وأما حيوانات في الكواكب كحيوانات الأرض، فهذا لم يقل به أحد من العلماء، لا المتقدمين ولا المتأخرين.

وأما الاستدلال بقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[الرحمن:٢٩] على وجود هذه الحيوانات في الكواكب، فمن العجب العجاب؛ لأن الآية تتحدث عن تدبير الله اليومي للخلق كافة، والكون كله، فكيف يتم الاستدلال بها على سكن الحيوانات؟! وبهذا الاستدلال وأمثاله يفتضح به هؤلاء الملبسون، ويظهر به عظيم جهلهم، وإلى الله المشتكى!!!

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۞ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾[الطارق:١١-١٢]

قال صاحب كتاب «سنريهم آياتنا في الآفاق» (ص٤١): (يقول المتخصصون في علم الأرض -ثم ذكر زعمهم وخرصهم- أن الأرض في الأزمنة القديمة كانت قطعة واحدة، ومع مرور ملايين السنين تصدعت). فاستدل لهم صاحب الكتاب بقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾[الطارق:١٢].

بعد الرجوع إلى كتب التفاسير قديمًا وحديثًا، رأيت أن الذي عليه أكثر أهل التفسير، أنهم يرجحون أن الرجع هو: المطر، وأن الصدع هو: تصدع النبات عن الأرض، أي: أن الأرض تتصدع عند طلوعه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾[عبس:٢٦-٢٧].

بل صرح بعض العلماء بالإجماع على ما ذكر، قال القرطبي (٢٠/ ٨): (أي ذات المطر، ترجع كل سنة بمطر بعد مطر، كذا قال عامة المفسرين، وقال أهل اللغة: الرجع: المطر).

وقال السمعاني في "تفسيره" (٦/ ٢٠٤) في قوله ﴿ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾[الطارق:١٢]: (أي: النبات، وهو قول الجميع، وسمي صدعًا؛ لأن الأرض تنصدع به).

وقال الواحدي: (الرجع: المطر، في قول جميع المفسرين).

فالذي عليه أهل التفسير أن تصدع الأرض هو: تشققها لطلوع النبات، وهذا أمرٌ مشاهدٌ بالعيان، ولم يقل أحد من المفسرين بما قاله صاحب المقال، والآية لا تدل على ذلك بأي دلالة، فما بقي عند هؤلاء إلا الهجوم على كلام الله، بدون علم ولا أمانة. فيا لله! كم عطلوا من آيات عن معانيها المعلومة، ودلائلها الظاهرة، وأقوال العلماء فيها السائرة. فتبًّا لعلم يجلب على حامله الجهل بما هو معلوم من دين الإسلام!!

وكلامنا هنا على بطلان تفسيرهم الآية بما ذكرنا عنهم، وأمَّا النظرية نفسها فهي باطلة؛ بإبطال القرآن لها، قال الله تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[الكهف:٥١].



٥

الفصل الخامس

بيان الإلحاد
الذي عند أرباب النظريات
ونهاية ما وصلوا إليه والرد عليهم





لقد تجلى للقُرَّاءِ الكرام الإلحاد في كثير من النظريات الكونية، وقد انتشر هذا الإلحاد في آخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين انتشارًا واسعًا، وقد عانى العالم الشرقي والغربي معاناة كبيرة من دعاة الإلحاد، سواء كانوا أصحاب النظرية الماركسيَّة الشُّيوعيَّة، أو النظرية العلمانيَّة الغربية. وكان وراء هاتين النظريَّتين أرباب النظريات الكونية والإنسانية الذين جعلوا: نظريَّاتِهم هي الحل لكل المشاكل العالمية، وتسرب الإلحاد بعد ذلك إلى بلاد المسلمين بعد سقوط الخلافة العثمانية، وصار له صولة وجولة، وظهرت أحزاب تحمل الإلحاد وتفرضه على الشعوب الإسلامية، ومنها: الشيوعية، والعلمانية، وما تفرع عنهما، وهكذا تأتي الدواهي، فبينما الإلحاد في بطون الكتب وفي نظريات ملاحدة الأفلاك إذا به قد وجد له دعاة وحماة يطورونه وينشرونه، فإذا به قد صار ملةً ودينًا.

فلما صار الأمر هكذا، وصارت ثمرة كثير من النظريات الكونية هو ما ذكرنا من الإلحاد، رأيت أن أعقد هذا الفصل؛ لرد إلحادهم وأمثالهم بالحجج والبراهين الساطعة، وأقوال أهل العلم الموضحة، فيجد فيها القارئ ما يشفي عليله، ويروي غليله.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

آفة علم ملاحدة الأفلاك

إن من أعظم آفات علم ملاحدة الأفلاك والطبيعة أنهم جندوا أنفسهم للبحث عن الأجرام السماوية وغيرها، لا عن خالقها، ومسيرها، ومدبرها، ولم يبحثوا عنها من طريق يهتدون إلى حقيقتها، وما تدل عليه، وما تدعو إليه، فلهذا لم يقبلوا ما ذكره الله في كتابه من أحوال هذه المخلوقات، فأدى بهم هذا الانحراف إلى أخبث أنواع الإلحاد.

قال العلامة السعدي في رسالته «الدلائل القرآنية» (ص٤٨-٤٩): (أعظم آفات العلم وقواطعه الانخداع بالوقوف مع المخلوقات دون خالقها، وبالآثار عن مؤثرها، وبالأسباب عن مسببها، وبالوسائل عن مقاصدها، وهذا النوع نقصه كثير وضرره كبير؛ فإن كثيرًا من الملحدين والمغترين بهم يمهرون في العلوم الطبيعية، ولكنهم يقفون معها، ويعمون عن ارتباطها بخالقها ومسببها، والذي أودع فيها من العجائب والأسرار ما أودع، فيرون أنفسهم قد عرفوا من عجائب علوم الطبيعة ما لم يعرفه غيرهم، ومن الأسرار التي أودعها الله في الطبائع ما زادوا به على غيرهم، فيأخذهم الزهو والغرور، ويقفون معها، ويرونها هي الحاصل، وهي المقصود، وهي الغاية، فيحصل الانحراف العظيم، والنقص في العلم والعقل، فلو أنهم عرفوا وأثبتوا الموجد الحقيقي والمدبر للأمور كلها، وربطوا الأسباب بقضائه وقدره، وعلموا أن الأسباب محل حكمته، بأنه تعالى حكيمٌ يضع الأمور مواضعها، ويجعل الأمور الدقيقة والجليلة منتظمة بنظام عجيب، وارتباط وثيق، وجعل لكل مطلوب ومقصود سببًا ووسيلة وطريقًا يوصل إليه، ولذلك نتيجة وثمرة بحسب قوة الأسباب وضعفها، وبحسب قوة العامل بها وضعفه، ثم ربطوا هذه الأسباب والوسائل والنتائج بقدر الله وقضائه، لو

أنهم فعلوا ذلك في عملهم، لتم علمهم، وحصل لهم من اليقين ما لا يحصل لمن لم يصل إلى ما وصلوا إليه، ولكنهم فرحوا بما عرفوه من الوسائل التي يعرفون نتائجها الدنيوية ملموسة، وتكبروا بها، فانطبق عليهم قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[غافر:٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[الأحقاف:٢٦]، وهذا أعظم آفات العجب والكبر على الإطلاق، وأعظم الطرق التي اغتر بها وانخدع كثير من الخلق، فنسأل الله أن يرزقنا العلم الصحيح، المؤيد بالعقل، والنقل، والفطرة).

وقال صاحب كتاب "قصة الخلق" (٢٢): (إنه لأمر غريب وعجيب أمر الإنسان، لقد راح يتعرف على كل المخلوقات، وترك الخالق، ولم يكن هذا مطلوبًا منه، لم يكن مطلوبًا منه أكثر من النظر للاعتبار، وللتعرف على الصانع لا المصنوع، الخالق لا المخلوق، الرب لا المربوب، فتجد الإنسان يفني عمره لدراسة حشرة، ولا يفكر في خالقها، يفني عمره في معرفة الذرة، ولا يتعرف على موجدها، هكذا وصل الحال بالإنسان... انشغل بالأشياء التي خلقت له، وترك ما خلق هو له، بل إن الأمر بلغ حدًا أن الإنسان توغل في الضلال والجحود، بأن نسب الفعل للمفعول به، وجحد الفاعل، وراح ينسب كل أمر ليس للآمر بل للمأمور، وتوصل الإنسان إلى اكتشافاته العظمى، ما هي؟ إن الله لم يرسل رياحًا، ولم ينزل مطرًا، ولم ينبت زرعًا، ولم يفتق أرضًا، وإنما جاء كل ذلك مصادفةً، ولم يَبْنِ سماءً، ولم يوجد أرضًا، ولم يخلق شمسًا، ولا قمرًا، ولا نجومًا، وإنما كل هذا جاء؛ نتيجة اصطدامات وانفجارات، وكأن الكون كله بدأ بالدمار، مع أن الحق أن كل شيء سينتهي بالدمار، وبدأه الله تعالى بالحكمة والعمار، واكتشف الإنسان أن الزلازل، والبراكين، والسيول، والعواصف، والأعاصير، ليست آيات ربانية فعلها الله، بل إنها ظواهر طبيعية أتت بها الطبيعة، والسماء والأرض لا يمسكها إلا الله، بل الجاذبية

والفلك تجري في البحر ليس بأمر الله، بل بقانون الطفو، والمطر لا ينزل بأمر الله بل بفعل البخر، والسماء ليست محفوظة بحفظ الله، بل محفوظة بخط «فان ألِنْ»، والله ليس بيده الأمر، ولا يقلب الليل والنهار، وليس هو الدهر، بل يحكمنا قانون النسبية لأينشتاين، وحفظ الأشياء ليست من الله، بل بقانون «لويس باستير»، واستقرارنا على الأرض ليس بتمكين الله، ولكن بقانون «نيوتن»).

قلت: ولما كان الأمر عند الفلكيين والطبائعيين هو ما سبق ذكره، فالمهم عندهم ادعاء اكتشافات، ولو كانت مردودة بأقوى الأدلة النقلية والعقلية وغيرها؛ لأنهم قد ألِفوا التناقض والدجل والتلبيس؛ لأن أساس علمهم مبنيٌّ على هذا الذي ذكرنا.



تعريف الإلحاد في آيات الله الشرعية والكونية

أجمع أهل اللغة في تعريفهم الإلحاد: أنه الميل عن الحق إلى الباطل، وهكذا عرفه علماء الإسلام، قال ابن قتيبة في "تفسير غريب القرآن" (٢٩١): (الإلحاد هو الظلم والميل عن الحق).

وقال ابن الجوزي في "تفسيره" (٥/ ٤٢٠): (الإلحاد في اللغة: العدول عن القصد).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "المجموع" (١٢/ ١٢٤): (فإن لفظ الإلحاد يقتضي ميلًا عن شيءٍ إلى شيءٍ، بباطل).

وقال العلامة ابن القيم في "الصواعق" (١/ ٢١٧): (هو الميل بالنصوص عمَّا هي عليه، إما بالطعن فيها، أو بإخراجها عن حقائقها، مع الإقرار بلفظها).

وقال العلامة ابن عثيمين في "شرح العقيدة الواسطية" (١/ ١٢٥): (والإلحاد فيها أن ينسبها إلى غير الله استقلالًا أو مشاركةً أو إعانةً).

وقد جاءت أدلة تفيد أن الإلحاد يشمل الآيات الكونية والشرعية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ﴾[فصلت:٤٠]، وقد عظم الإلحاد في آيات الله الكونية، كما أوضحنا ذلك في كلامنا على النظريات.

أنواع الإلحاد

الإلحاد أنواع:

١- إنكار وجود الله. **٢- إنكار ربوبية الله.**

٣- الإلحاد في أسماء الله وصفاته. **٤- إنكار ألوهية الله.**

٥- إنكار معجزات الأنبياء.

٦- إنكار دين الإسلام وما جاء به من عدل وفضل.

وكل واحد من هذه الأنواع يحتاج عند بسط الكلام عليه إلى مجلد، بل مجلدات، ولكني سأختصر الكلام على ذلك بما يتناسب مع المقام، والله المستعان.

الرد على من أنكر وجود الله من أصحاب النظريات وغيرهم

اعلم يا عبد الله، أن الإقرار بوجود الله والمعرفة بذلك فطر عليه جميع البشر، وما فطر عليه المخلوق البشري لا يقدر على إزالته أبدًا، ولكن قد تطرأ الشوائب على الفطرة المذكورة، وتغشاها المفاسد، فيحصل إنكارها لذلك، قال تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[إبراهيم:١٠].

قال ابن كثير في "تفسيره" (٨/١٨٣) عند هذه الآية: (وهذا يحتمل شيئين: أحدهما: أفي وجوده شك؛ فإن الفطر شاهدة بوجوده، ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده، ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم إلى طريق معرفته بأنه: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الأنعام:١٤] الذي خلقها وابتدعها على

غير مثال سبق؛ فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لها من صانع وهو الله لا إله إلا هو، خالق كل شيء، وإلهه ومليكه. والمعنى الثاني: في قولهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾[إبراهيم:١٠] أي: أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك، وهو الخالق لجميع الموجودات، ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له، فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى).

وقال العلامة ابن الوزير في كتابه "ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان" (ص٨٢-٨٣): (واعلم أن معرفة الله تعالى أجلى وأظهر من دليل الأكوان... وقد حكى الله في كتابه العزيز عن رسله الكرام الذين هم خِيَرَتُهُ من الأنام ما يدل على ذلك، حيث قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[إبراهيم:١٠] وقد أجمع أهل الملل الدينية وأهل الفرق الإسلامية على وضوح الطريق إلى معرفة الله سبحانه وتعالى... وقد استحسن علماء النظر قول بعض الأعراب وقد سئل: بم عرفت ربك؟ فقال: البعرة تدل على البعير، وآثار الخطى تدل على المسير، فهيكل علوي وجوهر سفلي، لم لا يدلان على العليم الخبير).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الرب تعالى أعرف من أن ينكر وأعظم من أن يجحد، ولهذا قالت الرسل لأممهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾[إبراهيم:١٠] وهو الغني بذاته عن جميع الموجودات، فإن افتقار كل ما سوى الله هو حكم وصفة ثبتت لما سواه).

وقال ابن القيم في كتابه "مدارج السالكين" (١/ ٦٠): (أي: أيشك في الله حتى يطلب إقامة الدليل على وجوده؟! وأي دليل أصح وأظهر من هذا المدلول؟! فكيف يستدل على الأظهر بالخفي؟! ثم نبوا على الدليل بقولهم: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الأنعام:١٤]).

وقال ابن أبي العز الحنفي في "شرح الطحاوية" (ص٨٠): (بل هو سبحانه أعرف وأظهر وأبين من أن يجهل، بل معرفته مستقرة في الفطر أعظم من معرفة كل معروف).

وقال السَّعدي في رسالة «الدلائل القرآنية» (ص٣٣) عند الآية المذكورة: (وهذا استفهام إنكار متقرر عند كل من له مُسْكَةٌ من عقل، أن الشك في الله حمقٌ وجنونٌ ومكابرةٌ، ليس أكبر منها مكابرة).

وقال الألوسي في «تفسيره» (١٣/ ١٩٥): (وفي عدم تطبيق الجواب على كلام الكفرة بأن يقولوا: أأنتم في شك مريب من الله تعالى، مبالغة في تنزيه ساحة الجلال عن شائبة الشك، وتسجيل عليهم بسخافة العقول، أي: أفي شأنه تعالى شأنه من وجوده ووحدته ووجوب الإيمان به وحده شك ما، وهو أظهر من كل ظاهر، وأجلى من كل جلي، حتى تكونوا من قبله سبحانه في شكٍّ عظيمٍ مريبٍ؟!).

وقال البقاعي: في «نظم الدرر» (١٠/ ٣٩١-٣٩٢): (﴿أَفِي ٱللَّهِ﴾[إبراهيم:١٠] أي: الذي له جميع صفات الكمال. ﴿شَكٌّ﴾ ولما كان الجواب عامًّا لا يخص ناسًا دون ناس، لم يأت بصلة... ثم نبههم بالمصنوع على مقصود الدعوة من وجود الصانع، وتفرده وظهوره في قولهم: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الأنعام:١٤]).

وقال ابن عاشور (١٣/ ١٩٨): (استفهام إنكاري، ومورد الإنكار هو وقوع الشك في وجود الله، فقدم متعلق الشك للاهتمام به، ولو قال: أشك في الله لم يكن له هذا الوقع).

وكثيرًا ما يكون إنكار وجود الله ناتجًا عن مكابرة للفطرة ومعاندة للعقل، وتجاهل للآيات المشهودة، ومحاربة للآيات المتلوة، أو انتصارًا للملك والجاه، أو إظهارًا للكبر والغرور، وسعيًا بالإفساد في الأرض، واعتبر في هذا بأشهر من جاهروا بإنكار وجود الله كفرعون؛ فقد قال الله عنه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[القصص:٣٨]، وقال تعالى عنه: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ * فَحَشَرَ فَنَادَىٰ * فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[النازعات:٢١-٢٤].

قال ابن أبي العز الحنفي في «شرحه للطحاوية» (٧٨-٧٩): (وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع فرعون، وقد كان مستيقنًا به في الباطن، كما قال له

موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾[الإسراء:١٠٢]، وقال تعالى عنه وعن قومه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[النمل:١٤]، ولهذا لما قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[الشعراء:٢٣] على وجه الإنكار له تجاهل العارف، قال له موسى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الشعراء:٢٤-٢٨]).

واعتبر بالشيوعية التي جعلت شعارها: لا إله والحياة مادة، والتي جعلت الاعتراف بالله تخلفًا ورجعية، لما ظهرت دعوتها الإلحادية على العالم، تنكر لها العالم، ولم يقبلها إلا شواذ من اليهود والنصارى، وشواذ من المسلمين، ولما رأت الشيوعية عدم قبول دعوتها، اتجهت إلى إبادة البشرية عن طريق إقامة الثورات، جاعلين نصب أعينهم أن ثلاثة أرباع العالم لن يقبلوا دعوتهم الإلحادية، فلابد من القضاء عليهم؛ ليبقى الربع الرابع على الشيوعية، وقد قتلوا عشرات الملايين من المسلمين والكفار، ثم فرَّج الله عن الناس بتسليط الشُّيوعِيِّين بعضهم على بعض، حتى قضوا على كثير من صناديدها، ثم ألغيت من قِبَلِ أربابها، لما أيسوا من صلاحها، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[الأنعام:٤٥].

وخلاصة القول: أن الأدلة على وجود الله أكثر من أن تحصر، ومن أعظمها وأهمها:

١- الفطرة. ٢- العقل. ٣- الحس.

٤- الآيات المشهودة. ٥- الآيات المتلوة. ٦- الافتقار إلى الله.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[فاطر:١٥-١٧] ولكن لما كان ما علمه منكرو وجود الله خسيسًا بالنسبة لما جهلوه، هان عليهم قبول هذا الإلحاد الذي جعلهم أسفل سافلين.

ولا تظن -أخي القارئ- أن أصحاب النظريات في عافية من الإلحاد، ومما يدل على ذلك: أنهم لا يسندون شيئًا من الكونيات إلى الله، لا خلقًا ولا إيجادًا ولا تدبيرًا ولا ملكًا، وإنما يسندونها إلى نفسها وإلى غيرها من نظرياتهم، كما أوضحنا هذا في الفصل الأول.

الرد على منكري ألوهية الله من أصحاب النظريات وغيرهم

لقد حصل أن بعض أصحاب النظريات اعترفوا بوجود الله وربوبيته سبحانه، ولكنهم لم يقبلوا ألوهيته، وكل من لم يدِنْ لله بألوهيته فهو مشرك كافر، للأمور الآتية:

١) ألوهية الله هي أعظم أنواع التوحيد وأخصها وأهمها، ولهذا كانت هي الغاية الكبرى، والحكمة العظمى من خلق الجن والإنس، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[الذاريات:٥٦-٥٧] فترك عبودية الله أعظم مناقض، وأكبر معارض لحكمة الله من إيجاد الخلق وتدبيرهم.

٢) الحكمة من خلق المخلوقات وتسخيرها للإنس والجن أن يعبد سبحانه، فالانتفاع بمخلوقاته، مع التمرد عن عبوديته، جرم عظيم.

٣) من لم يقبل توحيد الألوهية فلا ينتفع بتوحيد الربوبية ولا بتوحيد الأسماء والصفات، بل يكون قد نقضها؛ لأن كلا منهما داعٍ ودليل، وموجب ومستلزم لتوحيد الألوهية. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «العبودية» (٤٩-٥٠) وهو يرد على من جعل توحيد الربوبية كافيًا في إسلام صاحبه: (وكثير ممن يتكلم في الحقيقة فيشهدها، لا يشهد إلا هذه الحقيقة، وهي الحقيقة الكونية، التي يشترك فيها، وفي شهودها، وفي معرفتها المؤمن والكافر والبر والفاجر، بل وإبليس معترف بهذه الحقيقة، وأهل النار، قال إبليس: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[الحجر:٣٦] وقال: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الحجر:٣٩] وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ

﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[ص:٨٢] وقال: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء:٦٢] وأمثال هذا من الخطاب، الذي يقر فيه بأن الله ربه وخالقه وخالق غيره، وكذلك أهل النار، قالوا: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾[المؤمنون:١٠٦] وقال تعالى عنهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾[الأنعام:٣٠] فمن وقف عند هذه الحقيقة وعند شهودها، ولم يقم بما أمر الله به من الحقيقة الدينية، التي هي المتعلقة بألوهيته، وطاعة أمره، وأمر رسوله، كان من جنس إبليس وأهل النار). وقال العلامة ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٣٥): (والإلهية التي دعت الرسل أممهم إلى توحيد الرب بها: هي العبادة والتأليه، ومن لوازمها: توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون، فاحتج الله عليهم به، فإنه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الألوهية). **قلت:** من تأمل الآيات في توحيد الربوبية وجدها داعية إلى ألوهية الله بأقوى الطرق وأجلها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[فاطر:٣]، وقال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾[الزمر:٦]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[غافر:٦٢]، وغير ذلك من الآيات.

٤) بعث الله الأنبياء والرسل وأنزل الكتب؛ من أجل توحيد العبودية؛ لأن كثيرًا من الكفار يقرون بتوحيد الربوبية، لكنهم يكفرون بتوحيد الألوهية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾[النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:٢٥]، فإذا لم يُعبد الله وحده لا شريك له ويُتبع رسله، عطلت حكمة الله من إنزال الكتب وإرسال الرسل، ولا بقاء بعد ذلك ولا حياة، بل

عطلت حكمة الله من وجود الكون كله.

٥) أُلوهية الله ليست مجرد دعوى ولكنَّها عبودية الله بحبٍّ وتعظيم، وخوف ومراقبة، وإخلاص وصدق، ودعاء وتضرع، وتوكل ورجاء، وأداء الواجبات كالفرائض. قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «الجواب الكافي» (ص٢٦٩): (فإن من خصائص الإلهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده). قلت: خصائص توحيد الألوهية كثيرة ليس هذا محل بسطها، فمقتضى ألوهية الله أن يُعبد وحده لا شريك له، فلا معبود للخلق سواه، ولا مرجو لهم إلا إياه، فكما أنه ربهم وملكهم ومدبر شئونهم، فهو معبودهم ولابد، وحال الناس الذاتي هو الفقر إلى ربوبية الله وإلى ألوهيته، ولهذا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[فاطر:١٥-١٧] وكأني ببعض المعجبين المقدسين لأرباب النظريات يتفوه قائلًا: يكفينا من بعض أصحاب الأفلاك أنهم صاروا يعترفون بالله وبربوبيته، وكانوا قبل ذلك لا يعترفون فليربأ هؤلاء على أنفسهم، وليصارحوا هؤلاء الكفار بحقيقة الأمر، وأنه لا نجاة للعبد من عذاب الله، إلا بإخلاص العبودية له.

الرد على من أنكر ربوبية الله من أصحاب النظريات وغيرهم

من الإلحاد الذي وقع فيه كثير من أرباب النظريات: إنكار ربوبية الله، من خلق وإيجادٍ وتدبير وتصرف، فقد جعلوا الكون خالقًا بعضه بعضًا، ومدبرًا نفسه بنفسه، مستقلًّا بذلك.

فالقارئ يلاحظ أن النظريات التي ذكرناها في كتابنا هذا -وهي كثيرة- يوجد في كثير منها -إن لم تكن كلها- إثبات الكائنات بدون موجد لها، وتصريفها بدون مصرف لها، بل في بعض النظريات التصريح بتدبير بعض الكون للبعض الآخر،

كنظرية الجاذبية، التي يقولون: لولا هي ما بقي الكون، ولا قدر الإنسان أن يعيش على الأرض، وهكذا لا يثبتون بداية للمادة، ولا نهاية، فالمادة عندهم أزلية وأبدية، وأيضًا تصريحهم بالفضاء اللانهائي فهذا الذي ذكرناه في إثبات إنكارهم لربوبية الله كاف في إنكارهم إياها.

واعلم -وفقك الله- أن الإقرار بربوبية الله عام في جميع الأمم، فلم يكن مشركو العرب ولا اليهود ولا النصارى ينكرون ربوبية الله، قال ابن أبي العز الحنفي، وهو يتحدث عن توحيد الربوبية: (وأما الثاني: وهو توحيد الربوبية، كالإقرار بأنه خالق كل شيء... بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[إبراهيم:١٠]... ولم يعرف عن أحد من الطوائف أنه قال: إن العالم له صانعان متماثلان في الصفات والأفعال، فإن الثنوية من المجوس والمانوية القائلين بالأصلين النور والظلمة، وأن العالم صدر عنهما متفقون على أن النور خير من الظلمة، وهو الإله المحمود، وأن الظلمة شريرة مذمومة، وهم متنازعون في الظلمة، هل هي قديمة؟ أو محدثة؟ فلم يثبتوا ربين متماثلين. وأما النصارى القائلون بالتثليث، فإنهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض، بل متفقون على أن صانع العالم واحد، ويقولون: باسم الابن، والأب، وروح القدس، إله واحد، وقولهم في التثليث متناقض في نفسه، وقولهم في الحلول أفسد منه، ولهذا كانوا مضطربين في فهمه وفي التعبير عنه، لا يكاد واحد منهم يعبر عنه بمعنى معقول، ولا يكاد اثنان يتفقان على معنى واحد، فإنهم يقولون: هو واحد بالذات، ثلاثة بالأقنوم، والأقانيم يفسرونها تارة بالخواص، وتارة بالصفات، وتارة بالأشخاص، وقد فطر الله العباد على فساد هذه الأقوال بعد التصور التام، وبالجملة فهم لا يقولون بإثبات خالقين متماثلين، والمقصود هنا: أنه ليس في الطوائف من يثبت للعالم صانعين متماثلين). "العقيدة الطحاوية" (٧٩-٨٠).

والدلائل على ربوبية الله أكثر من أن تحصر، ولهذا قال الشاعر:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

والإقرار بربوبية الله يتضمن ثلاثة أشياء:

الأول: الاعتراف بأن الله هو الخالق، لا خالق سواه، قال تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[لقمان:١١].

قال ابن القيم في "الصواعق المرسلة" (٢/ ٤٦٥): (فلله ما أحلى هذا اللفظ وأوجزه وأدله على بطلان الشرك، فإنهم إن زعموا أن آلهتهم خلقت شيئًا مع الله طولبوا بأن يروه إياه، وإن اعترفوا بأنها أعجز وأضعف وأقل من ذلك، بأن كانت ألهيتها باطلًا ومحالًا).

وقال ابن عاشور (٢١/ ١٤٧): (وصوغ أمر التعجيز من مادة الرؤية البصرية أشد في التعجيز؛ لاقتضائها الاقتناع منهم بأن يحضروا شيئًا يدعون أن آلهتهم خلقته).

وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[المؤمنون:٩١]. قال ابن القيم في "الصواعق المرسلة" (٢/ ٤٦٣-٤٦٤): (فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز البين، فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقًا، فاعلًا يوصل إلى عابده النفع، ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إله لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى بشركة الإله الآخر معه...).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾[فاطر:٣]، والجواب: لا خالق غير الله. وقال تعالى مخبرًا عن موسى عليه السلام أنه قال: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه:٥٠].

قال ابن القيم في "شفاء العليل" (٧٨) وهو يتحدث عن هذه الآية: (إنه سبحانه أعطى كل شيء خلقه المختص به ثم هداه لما خلق له، ولا خالق سواه سبحانه، ولا

هادي غيره، فهذا الخلق وهذه الهداية من آيات الربوبية، ووحدانيته فهذا وجه الاستدلال على عدو الله فرعون).

وقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[الطور:٣٥]، قال ابن القيم كما في كتاب "بدائع التفسير" (٤/ ٢٦٨-٢٦٦٩): (فتأمل هذا الترديد والحصر المتضمن لإقامة الحجة بأقرب طريقة وأفصح عبارة، يقول تعالى: هؤلاء مخلوقون بعد أن لم يكونوا، فهل خلقوا من غير خالق خلقهم؟! فهذا من المحال الممتنع عند كل من له فهم وعقل، أن يكون مصنوعًا من غير صانع، ومخلوقًا من غير خالق، ولو مر رجل بأرض قفر لا بناء فيها ثم مر فيها فرأى فيها بنيانًا وقصورًا وعمارات محكمة، لم يتخالجه شكٌّ ولا ريبٌ أن صانعًا صنعها وبانيًا بناها، ثم قال: ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[الطور:٣٥] وهذا أيضًا من المستحيل أن يكون العبد موجدًا خالقًا لنفسه؛ فإن من لا يقدر أن يزيد في حياته بعد وجوده، وتعاطيه أسباب الحياة ساعة واحدة، ولا أصبعًا ولا ظفرًا ولا شعرة، كيف يكون خالقًا لنفسه في حال عدمه، وإذا بطل القسمان، تعين أن لهم خالقًا خلقهم وفاطرًا فطرهم، فهو الإله الحق، الذي يستحق عليهم العبادة والشكر، فكيف يشركون به إلهًا غيره، وهو وحده الخالق لهم؟...).

الثاني: الاعتراف والإقرار بأن الله هو المالك لكل شيء، لا شريك له في ذلك، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾[آل عمران:٢٦].

قال ابن كثير عند هذه الآية في "تفسيره" (٢/ ٢٩) عند هذه الآية: (﴿اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ أي: لك الملك كله).

وقال ابن القيم في "شفاء العليل" (١٧٨-١٧٩): (فصدر الآية سبحانه بتفرده بالملك كله، وأنه سبحانه هو الذي يؤتيه من يشاء، وينزعه ممن يشاء لا غيره، فالأول: تفرده بالملك، والثاني: تفرده بالتصرف فيه... ثم ختمها بقوله: ﴿إِنَّكَ عَلَى

﴿كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران:٢٦] فتناولت الآية ملكه وحده وتصرفه، وعموم قدرته).

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ﴾[الناس:١-٢]، قال ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٢/ ٢٤٩) وهو يتكلم عن قوله: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾: (وله من معنى الملك ما يستحقه من الأسماء الحسنى، كالعزيز، الجبار، المتكبر، الحكم، العدل، الخافض، الرافع، المعز، المذل، العظيم، الجليل، الكبير، الحسيب، المجيد، الوالي، المتعالي، مالك الملك، المقسط، الجامع، إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى الملك).

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾[الملك:١]، وقال تعالى مخاطبًا المشركين: ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾[ص:١٠]، قال المفسرون: أي: ليس لهم شيء من ذلك. يعني من الملك. وقال تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾[الطور:٣٧].

قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٤٣٧): (أي أهم يتصرفون في الملك وبيدهم مفاتيح خزائن الأرض: ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾[الطور:٣٧] أي: المحاسبون للخلائق ليس الأمر كذلك، بل الله عز وجل هو المالك المتصرف الفعَّال لما يريد).

ولقد كان المشركون في الجاهلية يعترفون بأن آلهتهم التي يعبدونها دون الله هي ملك لله، روى مسلم رقم (١١٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك، قال: فيقول رسول الله: «**وَيْلَكُمْ! قَدْ، قَدْ**» فيقولون: إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك). والأدلة على أن الله جل جلاله هو مالك الملك لا شريك له في ذلك، كثيرة جدًّا، ليس هذا مقام بسطها، والأدلة كثيرة على أن غير الله لا يملك مثقال ذرة، قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾[سبأ:٢٢] فقد نفى الله في هذه الآية أن يكون للآلهة التي تعبد من دونه ملكية لشيء أو شراكة في شيء، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ

يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[الإسراء:١١١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾[فاطر:١٣]،.

الثالث: الإقرار بأن الله هو المدبر لجميع الخلائق، والمتصرف فيهم كيف شاء، وبما شاء، لا شريك له، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[الرحمن:٢٩].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[الرحمن:٢٩]: «**مِنْ شَأْنِهِ: أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا، وَيُفَرِّجَ كَرْبًا، وَيَرْفَعَ قَوْمًا، وَيَضَعَ آخَرِينَ، وَيُجِيبَ دَاعِيًا**» أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٢٩-١٣٠) وابن ماجه في «سننه» (١/ ١٣٣-١٣٤) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٥٢-٢٥٣) وهو حديثٌ جيد، وجاء عن مَطَرِ بن طَهْمَانَ في قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[الرحمن:٢٩] قال: (يُحْيِي مَيِّتًا، وَيُمِيتُ حَيًّا، وَيُرْبِي صَغِيرًا، وَيُجِيبُ دَاعِيًا، وَيَشْفِي سَقِيمًا، وَمُنْتَهَى شَكْوَى الصَّالِحِينَ، وَيَعْرِضُ حَاجَاتِ الْمُؤْمِنِينَ). وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ۖ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران:٢٦].

قال ابن القيم رحمه الله في «شفاء العليل» (١٧٨) عند هذه الآية: (فتناولت الآية ملكه وحده وتصرفه وعموم قدرته، وتضمنت أن هذه التصرفات كلها بيده، وأنها كلها خير، فسلبه الملك عمن يشاء، وإذلاله من يشاء خير، وإن كان شرًّا بالنسبة إلى المسلوب الذليل، فإن هذا التصرف دائر بين العدل والفضل والحكمة والمصلحة، لا تخرج عن ذلك).

وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأعراف:٥٤]، وقال تعالى: ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ﴾[الرعد:٣١]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[فاطر:٢].

وعلى هذه الأدلة وأمثالها فليس لأحد من الخلق من أمر التدبير والتصريف

شيء، قال تعالى مخاطبًا سيد الأولين والآخرين: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[آل عمران:١٢٨] فكل الأمور تجري بقضاء الله وقدره ومشيئته وإرادته، على ما اقتضت حكمته وسبقت رحمته وأحاط بها علمه وجرى بها قلمه، فمن لم يقر بربوبية الله على ما ذكرنا فهو ملحد؛ لأن ربوبيته وملكيته وتدبيره متلازمات، فمن أقر بأن الله خالق الخلق لزمه أن يقر بأن الله مالك لهم ومدبر لشئونهم، قال العلامة ابن القيم: (إن ربوبيته سبحانه إنما تتحقق بكونه فعالًا مدبرًا متصرفًا في خلقه، يعلم ويقدر ويسمع ويبصر، فإذا انتفت أفعاله وصفاته انتفت ربوبيته). «مختصر الصواعق» (٢/ ٤٢٥-٤٢٦).

وقال أيضًا في «بدائع الفوائد» (٢/ ٢٤٨-٢٤٩): (فربوبيته تستلزم ملكه وتقتضيه، وملكه يستلزم إلهيته ويقتضيها، فهو الرب الحق، الملك الحق، الإله الحق، خلقهم بربوبيته، وقهرهم بملكه، واستعبدهم بإلهيته). فمن أنكر واحدة من هذه الأنواع فهو مشرك شرك تعطيل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، كما في «مجموع الفتاوى» (١/ ٩٢): (فالشرك في الربوبية؛ فإن الرب سبحانه هو المالك المدبر، المعطي المانع، الضار النافع، الخافض الرافع، المعز المذل، فمن شهد أن المعطي، أو المانع، أو الضار، أو النافع، أو المعز، أو المذل غيره، فقد أشرك بربوبيته).

وقال في «درء تعارض العقل والنقل» (٧-٣٩٠): (فأما الأول: الشرك في الربوبية، فهو إثبات فاعل مستقل غير الله، كمن يجعل الحيوان مستقلًا بإحداث فعله، ويجعل الكواكب أو الأجسام الطبيعية أو العقول أو النفوس أو الملائكة أو غير ذلك مستقلًا بشيء من الإحداث، فهؤلاء حقيقة قولهم تعطيل الحوادث عن الفاعل...).

الرد على من ألحد في أسماء الله وصفاته من أرباب النظريات وأمثالهم

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف:١٨٠]، عامة المفسرين على أن الآية نزلت في كفار قريش، الذين أنكروا على المسلمين دعاء ربهم باسمه (الرحمن)، فبينت الآية الكريمة أن الله يدعى بكل أسمائه الحسنى، والدعاء بها يشمل دعاء المسألة، والثناء على الله، ودعاء العبادة، وهدد الله في الآية الكريمة من يلحد في أسمائه بأعظم تهديد، حيث قال: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾[الأعراف:١٨٠] وهي مثل قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾[المدثر:١١] فجعل الله إنكارهم لاسمه الرحمن من إلحادهم، وفي الآية الأخرى جعله الله كفرًا، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾[الرعد:٣٠]، وهذا الإلحاد من أعظم أنواع الإلحاد في أسمائه سبحانه؛ لأنه تعطيل لها، فأرباب النظريات أعظم إلحادًا في أسماء الله من كفار قريش؛ لأنهم لا يثبتون لله أسماءه ولا صفاته، فلا يثبتون لله أنه الخالق البارئ المصور القاهر القادر العليم الحكيم القيوم، وغير ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "درء تعارض العقل والنقل" (٥/ ٣٤٧) وهو يرد على الجهمية، الذين عطلوا أسماء الله عن معانيها بدعوى التشبيه: (وقد اتفقت جميع طوائف المسلمين وغيرهم على الرد على هؤلاء الملاحدة... فلا يجوز أن ينفى عن الخالق سبحانه كل ما يكون فيه موافقة لغيره في معنى، فإنه يلزمه عدمه بالكلية كما فعله هؤلاء الملاحدة).

وقال ابن القيم في "البدائع" (١/ ٢٩٨-٢٩٩) وهو يرد على الجهمية أيضًا: (... ويقولون: لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلًا وشرعًا ولغةً وفطرةً، وهو يقابل إلحاد المشركين، فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه... وكل من جحد شيئًا مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ فقد ألحد في ذلك، فليستقل أو ليستكثر).

الرد على من أنكر دين الإسلام وادعى أنه من النظريات الإنسانية

لقد صار الطبائعيون والفلكيون شبه مجمعين على إنكار الإسلام، وبعضهم يصرح بأشنع الإنكار، حتى قال أحدهم: (لقد أثبت العلم أن الدين كان أقسى خدعة في التاريخ) ولو سردنا أقوالهم لطال بنا المقام ولكن نختصر ذلك:

قال صاحب كتاب «المذاهب الفكرية المعاصرة» (٢/ ١١٣٠): (يزعم الماديون أن الدين إنما هو انعكاس وهمي في أذهان البشر نحو قوة خارجية تُسَيِّرُ الكون... ثم زعموا أن هذا التوهم منشأ في أزمنة موغلة في القدم عند البدائيين، حيث كانت البداية هي توهم أن الإنسان له روح تسكن في جسده وتفارقه لحظة الموت، ومن هنا اضطروا إلى اصطناع أفكار تتوافق في العلاقة مع هذه الأرواح التي تطور أمرها بعد ذلك إلى توليد الآلهة الأولى، وفي غير الأرض، ثم نشأ بفعل التولد في عقول الناس أن يتطور أمر هذه الآلهة إلى إله واحد، كما في الديانات التي تعبد إلهًا واحدًا، وعلى هذا فإن الدين إنما تولد عن نظريات الإنسان المحددة...). اهـ

قلت: أصحاب النظريات الذين يقررون أن الدين يتطور بتطور حال البشرية كثيرون، وليس الغريب أن يقرروا هذا؛ فَهُم ملاحدة، ولكن الغريب المريب أن نجد من المنتسبين للإسلام من يقرر ما قاله الملاحدة، ومن هؤلاء عباس محمود العقاد، قال في كتابه «الله في نشأة العقيدة الإلهية»: (يعرف علماء المقابلة بين الأديان ثلاثة أطوار عامة، مرت بها الأمم البدائية في اعتقادهم بالآلهة والأرباب، وهو دور التعدد، ودور التمييز والترجيح، ودور الوحدانية) نقلًا من كتاب «قصة الخلق» (ص٢٧). أفاد هذا المقال إنكار أن يكون دين الإسلام من عند الله.

قال العفاني في كتابه «أعلام وأقزام» (١/ ٢٦٠): (ولكن العقاد اعتقد من هذه النظريات ما اعتقد، فهو ينظر إلى القرآن من خلال ما اعتقد منها ويبدو أن من بين

ما اعتقده العقاد نظرية "فريزر" في نشوء الأديان فهي عنده ليست سماوية، ولكنها أرضية نشأت بالتطور والترقي إلى الأحسن، ومن هنا تفضيل العقاد للإسلام على غيره من الأديان، فهو آخرها وإذن فهو خيرها).

وقال صاحب "المذاهب الفكرية المعاصرة" (١١٤٥)، بعد أن ذكر عددًا من أصحاب النظريات المنكرين للإسلام: (فاتضح أن استناد أهل الإلحاد على نظرياتهم السخيفة في عدائهم للدين إنما هو جهل عظيم منهم، وعناد أجوف، ورغبة جامحة منهم في العلو والسيطرة، ونشر أفكارهم الخيالية المستكبرة).

وأما الرد على هؤلاء المدعين أن الإسلام من تطورات البشر وليس من عند الله، فيقال لهم: هذه مكابرة فرعونية، ومعاندة شيطانية، كيف لا وقد أخبرنا الله في كتابه أنه اصطفى آدم بالوحي؟! قال تعالى مخاطبًا آدم وإبليس وحواء: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[البقرة:٣٨] فأفادت الآية الكريمة أن المخلوق البشري الأول -وهو آدم عليه السلام- سار على هدي إلهي، وهكذا سارت ذريته بعده، فلما تفشى الجهل في ذريته بعث الله نوحًا رسولًا إلى قومه، ومكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، يدعوهم إلى عبادة الله وحده، لا شريك له.

أخرج الحاكم والطبري بسند جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا؛ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين). فتتابع الأنبياء بعد ذلك خصوصًا في بني إسرائيل، حتى ختم الله البعثة ببعثة سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ. وتاريخ الأمم شاهد بإرسال الله الرسل إلى أقوامهم وأممهم، سابقها ولاحقها، مقرة بذلك، فما الذي عند هؤلاء المنكرين لدين الله إلا الجهل الصرف حتى بالأمم وتاريخها؟!! ومن بلغ به السخافة إلى هذا الدرك فلا يصلح أن يحكم له بأنه في مسلاخ إنسان، بل هو أضل من الحيوان.

الرد على من أنكر معجزات الرسول ﷺ وبيان ما في إنكارها من ضلالات

لقد ظهر كُتَّابٌ في عصرنا ممن اعتمدوا طريقة المستشرقين في بحوثهم؛ مدَّعين أنها الطريقة العلمية، وسلكوا سبيلهم في إنكار معجزات الرسول كليًّا أو جزئيًّا، واستبدلوا بذلك وصف الرسول ﷺ بالعبقرية، والعظمة، والقيادة، والذكاء، والفطنة، وطهارة النفس، وسرعة التخيل، وغير ذلك، ولقد بلغت طعون المستشرقين في معجزات الرسول من الكثرة والانتشار ما سهَّل تسطيرها في دائرة المعارف الأمريكية والبريطانية، ففي «الموسوعة الميسرة» (٢/ ١١٥٩) ما نصه: (رغم أنف صاحبي مقال الإسلام في دائرة المعارف البريطانية، ومقال محمد في دائرة المعارف الأمريكية، اللذين حاولا التضليل تارة، والتشويش أخرى؛ بقصد الطعن في نبوته ﷺ، وذلك بادعاء أنه لم يكن له ﷺ معجزة سوى القرآن الكريم فقط، أو بالخلط بين ما ثبت، وما لم يثبت من معجزاته ﷺ).

فهذا الذي قرره المستشرقون في كتبهم، وتبعتهم على ذلك أممهم، هو الذي يقرره غير واحد من تلاميذهم، وعلى سبيل المثال: محمد بن حسين هيكل، صاحب كتاب «حياة محمد»، قال محمد بن حسين هيكل في كتابه «حياة محمد» (ص٧١): (ولم يرد في كتاب الله ذكر لمعجزة أراد الله بها أن يؤمن الناس كافة على اختلاف عصورهم برسالة محمد إلا القرآن الكريم).

وقال أيضًا (ص٦١-٦٢): (فحياة محمد حياة إنسانية بلغت أسمى ما يستطيع إنسان أن يبلغ، ولقد كان ﷺ حريصًا على أن يقدر المسلمون أنه بشر مثلهم يوحى إليه، حتى كان لا يرضى أن تنسب إليه معجزة غير القرآن، ويصارح أصحابه بذلك).

قلت: كذبت يا عدو الله!! فلقد كانت المعجزات تحصل له فيقول: اشهدوا، ويقول: انظروا، ويقول: إني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر، ولكن أنت رضيع

المستشرقين فكتابك: "حياة محمد" تقليد واضح للمستشرقين الذين ألَّفوا كُتُبًا، وجعلوا عليها هذا العنوان، وقرَّروا فيها نفي نبوة النبي ﷺ تصريحًا، أو تلميحًا وبعضهم نفاها كلها، وبعضهم تظاهر بنفي بعضها وإثبات بعضها كمن قلَّدهم هيكل قالوا: ليس للنبي معجزة إلَّا القرآن، ومقتضى هذا نفي معجزته القُرآنية؛ لأنَّ القُرآن قد جاء بمعجزاته الكثيرة، وهم ينكرونها وإنكارهم لها؛ إنكارٌ للقُرآن الكريم، فما لكم كيف تحكمون يا أيها المُتَتَلْمِذُون على يدِ ألدِّ أعداءِ الإسلام؟!! قرر فيه ما عليه المستشرقون من أن معجزة الرسول القاهرة هي القرآن فقط، وما عداها فما وضعه المسلمون. وذكر هيكل عن الشيخ محمد مصطفى المراغي أنه قال: (لم تكن معجزة محمد ﷺ إلا في القرآن، وهي معجزة عقلية) "حياة محمد" (٦٩). يعني للعقل أن يقبلها، أو يَرُدَّها، ومرادهم لا يجب التسليم لها.

وهكذا قرر مصطفى المراغي، فقد قال: (لم تكن معجزة محمد القاهرة إلا في القرآن، وهي معجزة عقلية)، كما في مقدمة كتاب "حياة محمد" لهيكل. فانظر كيف قال: (معجزة محمد) ولم يقل رسول الله. وهيكل جعل عنوان كتابه "حياة محمد" اتباعًا للمستشرقين في تأليفهم كتبًا بهذا العنوان.

وأيضًا قال المراغي في القرآن: (وهي معجزة عقلية) بالله عليك! أيجوز أن يقال في القرآن هذا الكلام، وهو كلام الله؟! بل هؤلاء الكتَّاب يسعون إلى إرضاء المستشرقين، كما قال هيكل: (لا يطمئن المستشرقون إلى قصة الملكين هذه) والمراد بقصة الملكين حادثة شق صدره عليه الصلاة والسلام مرتين. انظر كتاب "حياة محمد" (١٢٨).

وهاهو محمد فريد وجدي يرى أن معجزة الرسول هي القرآن، وما عداها، فمن وضع المسلمين. انظر كتاب "الاتجاهات العقلانية الحديثة" (٢١٤).

وقال محمد فريد وجدي، وهو يتكلم عن رد معجزات الرسول ﷺ بالأسباب العادية: (وقد لاحظ قُرَّاؤنا أننا نحرص فيما نكتبه في هذه السيرة على ألَّا نسرف في كل

ناحية إلى ناحية الإعجاز؛ ما دام يمكن تعليلها بالأسباب العادية، حتى لو بشيء من التكلف... مسايرة لمذهب المبالغين في التثبت، والمحافظة على الدستور العلمي، ثقة منَّا بأن بحثًا لا تحترمه النخبة المثقفة، ولا يجد فيها صورة صحيحة لمثلها الأعلى في عرض المسائل وتحليلها، لا يمكن أن يؤدي إلى ما قصد منه من الخدمة العامة). نقلًا من كتاب «الاتجاهات العقلانية الحديثة» (٢١٤-٢١٥).

وقال أيضًا (ص٢١٤): (تمتاز العصور النبوية -يعني: عصور الأنبياء- بالخوارق للنواميس الطبيعية... فأساطير الأديان ملأى بذكر حوادث من هذا القبيل... وقد حدثت أمور من هذا القبيل في العصر المحمدي صاحبت الدعوة في جميع أدوارها، وكان أعظم شأنًا وأجل أثرًا من كل ما سبق من نوعها، ولست أقصد بها ما تناقله الناس من شق الصدر وتضليل الغمامة وانشقاق القمر، وما إليها، مما لا يمكن إثباته بدليل محسوس، ومما يأتي توجيهه إلى غير ما فهم منه، ولكن أقصد تلك الانقلابات الأدبية والاجتماعية التي تمت على يد محمد ﷺ في أقل من ربع قرن) «الاتجاهات العقلانية الحديثة» (٢١٤).

وهاهو العقاد يؤلف كتابًا بعنوان «عبقرية محمد» يعني: رسول الله ﷺ، ويقارن الرسول ﷺ بالقائد الكافر «نابليون».

وقال الكذاب الأشر محمد خلف الله، في كتاب «القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة» (ص٧٦-٧٧): (وحارب القرآن فكرة المعجزات، وبيَّن أنها لم تكن إلا للتخويف والإلزام، وأن العقل البشري يجب أن يترك من غير تخويف؛ ليتحمل المسئولية على أساس من الحرية، والمقدرة الحقة على التمييز والمفاضلة والاختيار، لم يحرص القرآن على المعجزات في إثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، وبين أن المعجزات قد تضطر الإنسان إلى التسليم، ولكنها لا تدفع به حقًّا إلى حظيرة الإيمان).

وقال أَيْضًا: (لقد حرَّر القرآن الإنسان من الخوف الذي كان يفسر تفسيرًا وهميًّا،

ولم يكن يفسر تفسيرًا علميًّا حين كان يرد الكوارث إلى غضب الآلهة، ولا يردها إلى الظواهر الطبيعية، والظواهر الاجتماعية والتاريخية، وحرره من الآيات الملجئة المتمثلة في المعجزات وخوارق العادات...) المصدر الأول (ص٧٩). نقلًا من "الاتجاهات العقلانية الحديثة" (ص٢١٦-٢١٧).

وهاهو حسين بن أحمد أمين ينكر عصمة النبي ﷺ، يقول في كتابه "دليل المسلم الحزين": (ومع أن الرسول ﷺ لم يدَّعِ قط أنه معصوم من الخطإ، إلا حين يملي أو يتلو آيات ربه، بل ونبه القرآن إلى أخطاء بدرت منه).

وقال العفاني في كتابه "أعلام وأقزام" (١٩٧/٢) وهو يتحدث عن محمد بن عمارة: (أنه يقدم العقل على كل نص يدل على معجزة خارقة للنبي ﷺ أو غيره من البشر، ويكتفي بالمعجزة العقلية الوحيدة للرسول، وهي القرآن الكريم).

قلت: ولا يزال الانحراف الخفي في إنكار معجزات الرسول يتوالى، فالسيد أحمد خان يدعي أن كثيرًا من آيات الأنبياء مجرد أمور طبيعية. "الاتجاهات العقلانية الحديثة" (٢٢٢).

وممن سار على هذا الإلحاد صاحب كتاب "الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن"، وعبدالعزيز الجاويش، وحامل راية هذا الإلحاد محمد بن عبده المصري، الذي كان له اتصال بأكثر من جهة نصرانية.

وهذا الإلحاد الذي ذكرناه وأمثاله قد أُعْجِبَ به المستشرقون، قال المستشرق "جيب": (لكن حرفية هذا الاتجاه ولاسيما فيما يتعلق بأوصاف الجنة والنار، وكذلك الإسهاب في الحديث عن العجائب يشكل مانعًا لدى الروح التحررية الجديدة). نقلًا من كتاب "العصرانيون" (ص٥٨).

وأصرح مما سبق ما قاله المستشرق "ماسينيون": (إنني حين أقرأ بحثًا لطه حسين أقول: هذه بضاعتنا ردت إلينا) نقلًا من كتاب "عودة الحجاب" (١/ ١٧٨).

قلت: طه حسين كان أعمى البصر والبصيرة، استخدمه اليهود والنصارى بوقًا

لهم، وهذا المسلك الذي سلكه هؤلاء لا يختلف عن مسلك الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام قبلهم؛ فقد أنكروا معجزات الأنبياء كليًّا وجزئيًّا، فما كان من علماء الإسلام الجهابذة النقاد ألَّا أن وقفوا لهم بالمرصاد، فهاهو شيخ الإسلام ابن تيمية يؤلف كتابه "الصفدية في الرد على من زعم من الفلاسفة أن معجزات الأنبياء قوى نفسية"، وكتابه "النبوات" رد فيه على الفلاسفة والمتكلمين، وقد حكم عليهم رحمه الله بقوله: (ولهذا كان هؤلاء متناقضين في أمر النبوة، فلا هم كذَّبوا بهم تكذيب المكذبين الذين كذبوا بالنبوات مطلقًا، ولا صدقوهم تصديق المؤمنين الذين آمنوا بهم مطلقًا، بل كانوا كمن آمن ببعض وكفر ببعض، وهؤلاء من الكافرين حقًّا، وهم من المنافقين المذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وفيهم من يكثر نفاقه وزندقته، وفيهم من يكون نفاقه أقل من نفاق غيره) "الصفدية" (١/ ٢٠٣).

وقال أيضًا وهو يتحدث عنهم: (والمقصود هنا: أن نبيِّنَ أن ما أثبته هؤلاء في فضائل الأنبياء الثابتة فهو حق، ولكن جهلهم وكفرهم فيما أنكروه وكذبوا به وما قالوه من الباطل... وأبطلوا ما امتازت به الأنبياء على غيرهم، وجعلوا الأنبياء من جنس العارفين المعرفة المشتركة بين المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والصابئين، فلهذا صارت النبوة عندهم مكتسبة، وصار كثير منهم يطلب أن يصير نبيًّا من متقدميهم ومتأخريهم، وصار منهم من يظن أنه نبيٌّ وأنه يضع ناموسًا ينسخ به شرائع الأنبياء، كما جرى لأئمة الإسماعيلية الباطنية ونحوهم) المصدر السابق (٢٣٣-٢٣٤).

وقال أيضًا: (فتبين أن الذي يجعل السحر إنما يكون عن مجرد قوى نفسانية من أعظم الناس جهلًا وضلالًا، وقائل ذلك في المعجزات أجهل منه وأضل بكثير).

تأمل كلام ابن تيمية تجد فيه ما يشفي ويكفي في بيان عظيم الإلحاد المذكور، وقد قام الغيورون على الإسلام في عصرنا بالرد على هؤلاء، ومنهم الأستاذ أنور الجندي في كتابه "جيل العمالقة" (٣٨٤-٣٨٩) ومن ذلك قوله: (إن التفرقة بين النبوة والعبقرية هي من أخطر ما تعرضت له كتابات العصريين للسيرة النبوية، فليس من

المعقول أن تطلق تسمية العبقرية على الرسول ﷺ المؤيد بالوحي، ثم تطلق أيضًا على صحابته أمثال: أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وقد وصف الرسول ﷺ بالعبقرية في كتابات العقاد، والبطولة في كتابات عبد الرحمن عزّام، وبطل الحرية في كتابات عبد الرحمن الشرقاوي. وكل هذه مسميات تحجب عن القارئ المسلم الصفة البارزة، والمهمة الأساسية، وهي النبوة المؤيدة بالوحي).

وقال الدكتور رمزي نعناعة: (يوجد في هذا الزمان نوع من الإلحاد الخفي المآل، وهو تأويل كل آية أو حديث صحيح يدل على معجزة رسول من الرسل، حتى يكون مفادها أمرًا غير خارق للعادة، وهذا النوع أخطر أنواع الإلحاد؛ لأنه سبيل إلى إنكار الأديان السماوية، وإلى هدمها من أساس؛ لأن أساس إثباتها المعجزات التي أجراها الله على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام) "العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب" (ص٥٥).

وقال محمد بن حامد الناصر في كتابه "العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب" (ص٥٥): (أما معجزات محمد ﷺ فلهم فيها رأي آخر أشد خطرًا مما سبق؛ إذ أنكروا معجزاته كلها، سوى معجزة القرآن الكريم، وجردوا نبوته من أي معجزة أخرى، وسلكوا في ذلك سبلًا إما بإنكار صحتها، وإما بتفسيرها بأمر لا تكون به معجزة).

وقال صاحب كتاب "الاتجاهات العقلانية الحديثة" (ص٢٠٥): (إن المدرسة العقلانية الحديثة حين حاولت تنزيل النبوة إلى مستوى النشاط الإنساني، اصطدمت بحقيقة المعجزات المادية والمعنوية التي صحبت النبوات، وكانت دليلًا أفحم كل الملحدين والمرتابين في كل أمة، ومع كل رسول، وقد جعل الله المعجزات للأنبياء التي يؤيدهم بها هي الحجة النهائية التي لا يردها إلا مكابر ومعاند، ولا يكون بعدها من الله إلا الإعذار، ومن ثم الهلاك القاصم في الدنيا والآخرة).

قلت: وفي إنكار معجزات الرسول ﷺ من الانحراف والضلال والإلحاد الآتي:

١) **تكذيب القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ**؛ لأن المعجزات لنبينا والأنبياء قبله صلوات ربي وسلامه عليهم قد ملئ القرآن بذكرها، وفي صحيح السنة من معجزاته أكثر وأكثر، منها المتواتر وغير المتواتر، ويظهر التكذيب جليًّا أن منكري معجزات الرسول ﷺ هم المستشرقون المنتصرون لكل إلحاد ضد الإسلام، فما أرادوا إلا تكذيب القرآن والسنة، ورد ما جاءا به جحودًا أو عنادًا. والمقلدون لهم من أبناء المسلمين تبعٌ لهم في هذا التكذيب.

٢) **إنكار عصمة الرسول ﷺ**، وعصمة الأنبياء قبله، وعصمة الرسل معلومة من الدين بالضرورة؛ لتظافر الأدلة ووضوحها في ذلك، قال الله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[النجم:٢-٤]، وأمثالها من الأدلة كثيرة، فإنكار عصمة الأنبياء يفتح باب اتهامهم بالتغيير والتبديل لدين الله، واحتمال كذبهم على الله؛ لأنه ما بقي عند هؤلاء ما يخصهم من العناية الإلهية بهم، فصاروا معرضين للانحراف كغيرهم من الناس.

٣) **إنكار معجزات الرسول ﷺ فيه طعن في الإسلام ورد له**؛ لأنه يقال: الدين الإسلامي يشترك فيه العباقرة، فيفتح المجال للطعن فيه والانسلاخ منه، وتلقيه من قِبَلِ العباقرة، وأيضًا يفتح الباب لقبول دعوة (لكل عصر عباقرته: الدين ما سطروه، والحق ما حرروه، والصلاح ما رأوه وابتكروه) وهل هذه الحملة الظالمة على معجزات رسولنا، إلا من أجل استبدال ما عليه الملاحدة المذكورون بها.

٤) **رد معجزات الرسول ﷺ حطٌّ من قدره، ودعوة إلى احتقاره وترك اتباعه والاقتداء به**، ولهذا صرَّح بعض المنكرين لها أنهم رأوا المسلمين قد قدسوا الرسول حينما أثبتوا معجزاته، ومضمون هذا: أنهم أرادوا الحط من قدره، ومن تعامل مع الرسول بهذه المعاملة فقد عرض نفسه لشر عظيم، قال الله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[الكوثر:٣] أي: هو المبتور المقطوع، فالذي يبتر المبغضين له، وينتقم منهم هو الله.

٥) **ترك الإيمان بمعجزات الرسول تناقض واضح مع دعوى الإيمان به**؛ إذ إن

مقتضى الإيمان به الإيمان بما اختصه الله، فهؤلاء يزعمون أنهم آمنوا به فيجب عليهم أن يقبلوا ما اختصه الله به، وإلا كانوا قد جمعوا بين الكفر والإيمان.

٦) **إنكار هؤلاء لبعض المعجزات وإثباتهم لبعضها كالقرآن جهل عظيم بكثرة معجزاته الصحيحة**، فما نفوه من معجزاته هو من جنس ما أثبتوه؛ لأنها كلها من عند الله، والقُرآن قد جاء بها، وما لم يأتِ بها؛ فقد دعا إلى قبولها من السُّنَّةِ، فما أثبتوه منها فهو حجة عليهم فيما نفوه.

٧) **رد معجزات الرسل ليس بالأمر الهين؛ فقد اتفقت الأمم على إثباتها**، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "الصفدية" (١/ ١٣٨-١٣٩): (ولهذا رتب أن المعجزات المعلومة عند المسلمين واليهود والنصارى مما اتفق الناس على أن قوى النفوس لا تقتضيها، والفلاسفة يسلمون ذلك).

٨) **منكرو معجزات الرسول ﷺ استبدلوا ذلك ألفاظًا**، كلفظ: (العبقرية) وأمثالها بالمعجزات، فيقال لهم: معلوم أن من معجزات الرسول انشقاق القمر، وهذه آية رآها العالم آنذاك، ونزل بها القرآن؛ فلا قدرة على إنكارها، فأنى للعبقرية أن تشق القمر، وهكذا قُلْ في معجزة الإسراء والمعراج ونبع الماء من بين أصابع الرسول ﷺ، وغير ذلك من معجزاته ﷺ، فهي فوق قدرة البشر وطاقتهم جميعًا.

٩) **معلوم أن معجزات الأنبياء والرسل هي آيات يحدثها الله لتأييدهم ونصرتهم، لا** يقدر عليها البشر جميعًا، فجعلها من نتاج العبقرية فيه منازعة لله فيما اختص به نفسه من القدرة عليها، فهؤلاء ضجروا على حسب زعمهم من الغلو في الرسول فوقعوا فيما هو أخطر من ذلك، ألا وهو منازعة الله في ربوبيته، ووقعوا في غير ذلك من الضلال والإلحاد.

وجملة القول: أن إنكار معجزات الرسول إلا القرآن إنكار للقرآن والإسلام بطريق خفي، وأسلوب ذكي غير زكي، وتلبيس متصل بالعدو الخارجي، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وضعت النظريات من أول يوم لمحاربة ألوهية الله وربوبيته بل وإنكارها

لقد أفصح أرباب النظريات من بادئ أمرهم عما دفعهم ودعاهم إلى وضع النظريات والدعوة إليها، فهاهو "جاليليو" الذي ألف كتابه "الحوار" المكون من أكثر من ألف صفحة، يرد فيه على من يثبتون جريان الشمس، ويثبتون سبع سماوات طباقًا، وعلى من يثبتون أن الكون له نهاية، فقال: لا نهاية، وغير ذلك. انظر "قصة الخلق" (٢٦٢-٢٦٣).

وقال "السير جينز" وهو من كبارهم: (إن الكون كالساعة، يرتب صانعها آلاتها الدقيقة في هيئة خاصة، ويحركها ثم تنقطع صلته بها). يريد أن الله خلق الكون ثم ترك تدبيره. وهو القائل: إن الأرض جاءت صدفة.

وقال زميله "هيوم": (لقد رأينا الساعات وهي تصنع في المصانع، لكننا لم نر الكون وهو يصنع، فكيف نسلم بأن له صانعًا؟).

وقال "هكسلي": (إذا كانت الحوادث تصدر عن قوانين طبيعية، فلا ينبغي أن ننسبها إلى أسباب فوق الطبيعة).

وقال أيضًا: (فإذا كان قوس قزح مظهرًا لانكسار أشعة الشمس على المطر، فماذا يدعونا إلى القول بأنها آية الله في السماء).

انظر هذه الأقوال في كتاب "قصة الخلق" (ص٣٤) بل هاهي نظرياتهم توصل إلى إنكار وجود الله، قال "يوري جاجارين" بعد أن قام بتجربة في الفضاء، فلما رجع أعلن قائلًا: (صعدت لأبحث عن الله، فلم أجده).

وما نظرية الجاذبية، وقانون الزاوي، وغير ذلك، إلا أدلة واضحة على ما قلت. وإني لأرى أن من أسباب دفاع بعض المسلمين عن هذه النظريات هو عدم معرفتهم بحال واضعيها، من جهة أنهم محاربون لربوبية الله في خلقه، وإيجاده، وتدبيره سبحانه.

وعلى كل: أقوال أرباب النظريات الدالة على محاربة ألوهية الله وربوبيته كثيرة، وقد نقلنا كثيرًا منها في غير هذا الموضع.

استغلال ملاحدة الشرق والغرب النظريات لنشر إلحادهم

لقد كان استغلال أرباب الإلحاد لهذه النظريات التي اشتهرت استغلالًا واسعًا وخطيرًا جدًّا، فقد واجهوا بهذه النظريات الديانة اليهودية والنصرانية، مما أدى إلى قيام الثورات الإلحادية البحتة، كالثورة النيوتونية، والماركسية الروسية، والنازية.

قال صاحب كتاب "أصالة الإسلام في مواجهة التحدي الفكري" (ص٩٢): (وعلى ضوء ذلك وضعت النظريات النازية، والشيوعية، والصهيونية، وعلى ضوء ذلك قامت الثورة الفرنسية، وما تلاها من ثورات في أوربا، وروسيا، وغيرها، وعلى ضوء ذلك تمت الهيمنة على مقدرات الدول).

وقال أيضًا (ص٦٧): (ليس هناك من فتنة أو ضلالة إلا ويقف اليهود وراءها، إما بمباشرة الفعل بأنفسهم أو بتحريض من هيمنوا عليهم من الأمميين؛ للقيام بالفعل نيابة عن اليهود، إما بإغراء المال، أو الجنس، أو المركز، فهم وراء الإلحاد والفلسفات المادية، والوجودية، والجدلية، والباطنية، التي عرفها العالم قديمًا وحديثًا).

وفي "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة" (٢/ ٨١٥-٨١٦) ما نصه: (وقد نشر اليهود الإلحاد في الأرض، مستغلين حماقات الكنيسة ومحاربتها للعلم، فجاءوا بثورة العلم ضد الكنيسة، وبالثورة الفرنسية، والداروينية، والفرويدية، وبهذه الدعوات الهدامة للدين والأخلاق، تفشى الإلحاد في الغرب).

وقال صاحب كتاب "الاتجاهات العقلانية الحديثة" (ص١٠٧): (كما أن النظرية استغلت من قبل اليهود الإباحيين؛ لتحطيم القيم والأخلاق، أكثر مما هي في حقيقتها).

قلت: وبعد أن تمكنت النظريات المذكورة من الفتك بأولئك صدرها أعداؤنا إلى بلاد المسلمين، فعادت المعركة من جديد بين المسلمين المدركين لخطر هذه النظريات، وبين حملة النظريات من أبناء المسلمين لأمر ولآخر، فحملتها أرادوا أن ينفذوها على طريقة أعداء الله على تفاوت في سيرهم هذا.

ولا تزال المعركة قائمة إلى ساعتنا هذه، فكم أفسد حملة النظريات في داخل المسلمين من عقائد صحيحة، وأقوال صادقة، وأخلاق عالية، فعظم بذلك خطؤهم وجرمهم؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.



شرح الآية الدامغة لأرباب النظريات:

﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف:٥١]

هذه الآية العظيمة يجب أن يدمغ بها المسلمون أرباب الأفلاك وأصحاب الجيولوجيات والطبائعيين، فيصكوا بها أسماعهم، ويصفعوا بها وجوههم؛ لأنهم تكلموا في خاصية الله الخلق، والإيجاد، والتدبير، والحكمة بدون علم، وهذه مجموعة مباركة من أقوال أهل العلم، في بيان عظيم معنى هذه الآية:

قال ابن عطية في "المحرر الوجيز" (٩/ ٣٣٢-٣٣٣): (الضمير في ﴿أَشْهَدتُّهُمْ﴾ عائد على الكفار وعلى الناس بالجملة، فتتضمن الآية الرد على طوائف المنجمين، وأهل الطبائع والمتحكمين، من الأطباء وسواهم من كل متخرص في هذه الأشياء... وأقول: إن الغرض المقصود أولًا بالآية: هم إبليس وذريته، وبهذا الوجه يتجه الرد على الطوائف المذكورة).

وقال البيضاوي: (والمعنى ما أشهدتهم خلق ذلك، وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم، حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون، فلا تلتفت إلى قولهم طمعًا في نصرتهم للدين).

وقال العلامة الشوكاني في "فتح القدير" (٣/ ٢٩٣): (قال أكثر المفسرين: إن الضمير للشركاء، والمعنى: أنهم لو كانوا شركاء لي في السماوات والأرض ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم، وفي خلق أنفسهم لكانوا مشاهدين خلق ذلك مشاركين لي فيه، ولم يشاهدوا ذلك، ولا أشهدتهم إياه أنا، فليسوا لي شركاء).

وقال الألوسي في "روح المعاني" (١٥/ ٢٩٦): (وفي الآية تهكم بالكفار وإيذان بكمال ركاكة عقولهم وسخافة آرائهم؛ حيث لا يفهمون هذا الأمر الجلي الذي لا يكاد

يشتبه على البُله والصبيان، فيحتاجون إلى التصريح به).

وقال ابن عاشور (١٥/ ٣٤٢)، وهو يوضّح معنى ﴿أَشَهِدُوا﴾: (والإشهاد جعل الغير شاهدًا أي: حاضرًا، وهو هنا كناية عن إحضار خاص، وهو إحضار المشاركة في العمل، أو الإعانة عليه).

وقال رب العالمين مخاطبًا كفار قريش: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾[الزخرف:١٩]، وقال أيضًا: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ * أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾[الصافات:١٥٠-١٥٦]، انظر أيها القارئ إلى هذه المحاججة الإلهية لمشركي قريش، عند أن ادعوا أن الملائكة بنات الله، فقد حكم عليهم بالإفك والكذب؛ لأنهم لم يشاهدوا خلق الله للملائكة، ولم يكن عندهم كتاب من عنده يخبرهم أن الملائكة بنات الله.

وهكذا نقول لأرباب الأفلاك عند أن يدَّعوا أنهم قد اكتشفوا اكتشافًا حول مخلوقات الله: هل شهدتم خلق الله لما تزعمون؟ والجواب: قطعًا لم يشاهدوا ذلك، فينتقل معهم إلى المطالبة: هل عندكم كتاب من عند الله خصكم بذلك؟ الجواب: لم يخصهم الله بعلمٍ، فيقال لهم: هل أطلعكم الله على غيبه؟ كما قال تعالى مخاطبًا كفار قريش: ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾[الطور:٤١]. كل هذا لم يكن.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

أرباب الكنائس يواجهون ملاحدة الأفلاك

لقد سبق أن ذكرت أن فتنة النظريات حول الأفلاك وغيرها ولدت في أوربا، وَلَمَّا رأى أرباب الكنائس أن النظريات المذكورة داعية إلى الوثنية والإلحادية، قاموا بالمواجهة لها.

قال الشيخ عبدالكريم الحميد في كتابه «الفرقان في بيان إعجاز القرآن» (ص١٧٠): (ولقد أصاب أهل الكنائس في إنكارهم على المعطلة جحد الخالق، وكون الأرض تدور؛ لأنها منفصلة من مادة أزلية لا بداية لها، وعلموا أن ذلك معارض للحق الذي بقي في كتبهم على حاله، وأن معنى كلام المعطلة أن الأرض ليست مركز الكون وأسفله، فكابرة المعطلة في جحد الخالق، وزعمهم دوران الأرض؛ لأجل انفصالها عن مادة أزلية، أعظم بما لا نسبة له من غلط أرباب الكنائس، والكفر بعضه أشد من بعض).

وقال صاحب كتاب «العلمانية نشأتها تطورها وأثرها» (ص١٥٠): (إن النظرية التي هزت الكنيسة لأول مرة هي نظرية «كوبرنيك» (١٥٤٣) الفلكية، فقبل هذه النظرية كانت الكنيسة المصدر الوحيد للمعرفة، وكانت فلسفتها تعتنق نظرية «بطليموس» التي تجعل الأرض مركز الكون، وتقول: أن الأجرام السماوية كافة تدور حولها).

قلت: نظرية «كوبرنيكوس» لم تهز الكنائس في عهد «كوبرنيكوس» ولكن في عهد «جاليليو»؛ لأن «كوبرنيكوس» لم يجد قبولاً لنظريته، بخلاف «جاليليو» فقد قام «جاليليو» بالدعوة إلى النظرية المذكورة فسجنته محاكم الكنيسة، حتى تعاهد يرتل ذلك قائلاً: (أنا «جاليليو» وقد بلغت السبعين من عمري سجين راكع أمام فخامتك، والكتاب المقدس أمامي ألمسه بيدي، أرفض، وألعن، وأحتقر القول الإلحادي الخاطئ

بدوران الأرض) وتعهد مع هذا بتبليغ المحكمة عن كل ملحد يوسوس له الشيطان بتأييد هذا الزعم المضلل. نقلًا من كتاب «العلمانية نشأتها وتطورها وأثرها» (ص١٥١).

وأيضًا منعت المحاكم من نشر كتاب «جاليليو» واستمر المنع قرابة قرنين من الزمان، ثم أذن بنشره بعد ذلك. انظر «قصة الخلق» (ص٢٧٦، ٢٦٦، ٢٦٠).

وإليك موقف الكنائس عند ظهور نظرية الجاذبية: قال صاحب كتاب «العلمانية نشأتها وتطورها» (١٥٦): (فلما جاء نيوتن بنظرية الجاذبية مؤيدة بقانون رياضي مطرد، انبهرت عقول الفئات المثقفة، واتخذها أعداء الدين سلاحًا قويًّا، حتى لقد سميت «الثورة النيوتونية»، وأحس هؤلاء بنشوة انتصار عظيمة فقد أمكن تفسير الكون كله بهذا القانون الخارق، كما تأكدت صحة نظريات «كوبرنيق» و«برونو» و«جاليليو»، وفي الوقت نفسه اهتز موقف الكنيسة وتداعت حججها الواهية أكثر من ذي قبل، ولجأت إلى التعسف والعنف، وهاجم رجالها «نيوتن» الذي كان مؤمنًا بوجود الله؛ بحجة أنها تفضي إلى إنكار وجود الله، بنفي العناية الإلهية من الكون، وقد ثبت أنهم كانوا على حقٍّ في توقعهم).

قلت: قوله: (وقد ثبت أنهم كانوا على حقٍّ في توقعهم هذا) يعني: أرباب الكنائس حينما قالوا: إن نظرية الجاذبية تنفي وجود الله. فليفهم هذا المجازفون في إثباتها، ممن ينتسبون إلى الإسلام!!

وقال صاحب كتاب «قصة الخلق» (٣٣): (والحق أن الكنيسة تصدت بشدة لكل زندقة في الأمور الكونية، حتى إنها حكمت على جردانوبرونوا بالإعدام حرقًا لقوله بأن الفضاء لا نهائي).

وعلى هذا: فقد كانت الكنائس مصيبة في هذا الإنكار؛ إذ إن أولئك الفلاسفة كانوا ينكرون وجود الله، ويدفعون الشرائع، ويعتقدونها أساليب وحيلًا، وعند أن نذكر أن أرباب الكنائس النصرانية قاموا بمحاربة النظريات المضلة لا يعني هذا أننا نبرِّئ أرباب الكنائس مما هم عليه من شركيات وكفر.

أنواع النهايات السحيقة التي وصل إليها ملاحدة الاكتشافات الكونية

النوع الأول: إلغاء عبودية الله وعدم الاعتراف بوجوده

ومن الأدلة على ذلك ما قاله "هكسلي": (لقد انتهت العقيدة الإلهية إلى آخر نقطة تفيدنا: وهي لا تستطيع أن تقبل الآن أي تطورات، لقد اخترع الإنسان قوة ما وراء الطبيعة؛ لتحمل عبء الدين، جاء بالسحر، ثم بالعمليات الروحية، ثم بالعقيدة الإلهية، حتى اختراع فكرة الإله الواحد، وقد وصل الدين بهذه التطورات إلى آخر مراحل حياته، ولا شك أن هذه العقائد كانت في وقت مَّا جزءًا مفيدًا من حضارتنا، بيد أن هذه الأجزاء قد فقدت اليوم ضرورتها، ومدى إفادتها للمجتمع الحاضر المتطور). نقلًا من كتاب "قصة الخلق" (ص٣٥).

قلت: واضح من هذا المقال أن صاحبه توصل بعد الاكتشافات الكونية إلى إلغاء عبودية الله، وعدم الاعتراف بوجوده، فيا لها من اكتشافات!!

وقال كبيرهم "جيمس جينز" في كتابه "النجوم ومسالكها": (أبعد ما توصل إليه العلم الفلكي الحديث... ١- الأرض ليست إلا فردًا من المجموعة الشمسية.

٢- الأسرة الشمسية ليست إلا فردًا من أفراد المجموعة المجرية.

٣- المجموعة المجرية ليست إلا فردًا من أفراد المدن النجمية التي في الفضاء).

ثم يضيف الرجل: (وإن كان وراء ذلك شيء، فلا يمكن أن يكون سوى أكوان أخرى كاملة لا تفاعل بينها وبين كوننا). نقلًا من المصدر السابق (ص١٥١).

قلت: نفى صاحب المقال وجود الله، ألا ترى أنه قال: (وإن كان وراء ذلك شيء فلا يمكن أن يكون سوى أكوان أخرى كاملة...). وأيضًا: قوله: (كاملة). يعني

أنها تدبر نفسها بنفسها.

وقال «بوكاي» متحدثًا عن أكثر أرباب النظريات: (الواقع أننا إذا استثنينا اليوم بعض الحالات النادرة، نجد أن غالبية العلماء، وقد تشربوا النظريات المادية، لا يكنون في غالب الأحيان إلا عدم الاكتراث أو الاحتقار للمسائل الدينية، وكثيرًا ما يعتبرونها مؤسسة على أساطير، وزيادة على ذلك، فإننا عندما نتحدث في بلادنا الغربية عن العلم والدين، نغفل ضم الإسلام إلى اليهودية والمسيحية، فالأحكام غير الصحيحة، والمؤسسة على مفاهيم مغلوطة، والتي صدرت ضد الإسلام، هي من الكثرة، بحيث يصعب جدًا على المرء أن يكوّن فكرةً سليمةً عما عليه الإسلام في الواقع). المصدر السابق (ص٥٠).

قلت: «بوكاي» من كبار مشاهير أصحاب النظريات في القرن العشرين وقوله: (نجد غالبية العلماء..) إلى آخر كلامه أغنانا عن أن ننقل من أسماء المصرحين بأن الدين، بما في ذلك الإسلام أساطير!!

النوع الثاني: وصلوا إلى الحيرة

لقد بدأ أصحاب الاختراعات والاكتشافات الكونية باكتشافاتهم من باب الافتراض، ثم آل الأمر بهم إلى أن صارت حقائق علمية حسب زعمهم، وأنها من عوامل النهضة والتقدم، وأن عقولهم قد سبقت عقول من سبقهم من فلاسفة وغيرهم، وأنها متحررة من الأوهام والخرافات، فجالت بهم نظرياتهم وصالت، إلى أن أوصلتهم إلى الحيرة، وهذه أقوالهم ناطقة عليهم، وكتاباتهم شاهدة بأنهم تائهون:

قال «جيمس جينز» في كتابه «النجوم ومسالكها»: (أمامكم عرضٌ كبيرٌ من النظريات المختلفة، لتختاروا منها ما تشاءون، ولكني شخصيًا لا أضع ثقتي في أي منها). نقلاً من المصدر السابق (ص١٥٢).

وقال «إدوين هابل»: (وهكذا انتهى استكشاف الفضاء إلى موقف الحيرة

والالتباس، فكلما ازداد تقدمنا إلى أعماق الفضاء، تضاءلت معلوماتنا فتلاشت سريعًا). المصدر نفسه.

وقال "برتراند راسل": (ليس وراء نشأة الإنسان غاية أو تدبير، إن نشأته وحياته وآماله ومخاوفه وعواطفه وعقائده ليست إلا نتيجة لاجتماع ذرات جسمية عن طريق المصادفة، ولا تستطيع حماسته أو بطولته أو فكره أو شعوره أن تحول بينه وبين الموت). المصدر نفسه (ص٤٠).

وقال صاحب "الموسوعة الفلكية" (٣٨٧): (ولا يمكن حتى الآن قول أي شيء عمَّا إذا كنا نعيش في كون مغلق (أي: محدود) أو مفتوح (أي: لا نهائي)؛ وذلك لأن دقة الأرصاد لا تكفي، وخصوصًا بالنسبة للكثافة المتوسطة).

النوع الثالث: وصلوا إلى مادة مظلمة مجهولة هي أعظم ما في الكون

لقد ادعوا اكتشاف الجاذبية، كما هو معلوم، ثم ادعى بعض متأخريهم بأنهم اكتشفوا المادة المظلمة.

قال الدكتور مصطفى إبراهيم فهمي في كتاب "علوم القرن الحادي والعشرين": (باستخدام قوانين "نيوتن" عن سرعة الحركة والجاذبية، يمكن حساب وزن الشمس بطريقة غير مباشرة، وإن كانت غاية في الدقة، ويمكن بالطريقة نفسها حساب وزن مجرات بأسرها، ومنذ ما يزيد على خمسين سنة أدرك الفلكيون أن حاصل جميع كتل النجوم التي يمكن رصدها في مجرة التبانة، مقداره أقل مما ينبغي أن يكون لإنتاج الجاذبية. ومجموع كتل الأجرام التي نراها لا يزيد عن خمسين في المائة من المقدار المطلوب؛ لإنتاج الجاذبية والحركة المقصودة. فالمجرات ممسوكة معًا في التجمع، بواسطة الشد الجذبوي المتبادل فيما بينها، إلا أن كتلة النجوم المرئية في هذه المجرات لا توفر إلا جزءًا فقط في الكتلة المطلوبة لهذا الشد الجذبوي. واستنتج العلماء من ذلك وجود مادة لا يستطيعون رؤيتها، ولكنهم يدركون وجودها من تأثير شدها الجذبي وقد سميت بـ: المادة المظلمة. ليس لأنها قاتمة في لونها، ولكن لأنها تبعث ضوءًا، كما

تبعث النجوم والمجرات). "قصة الخلق من العرش إلى الفرش" ص(٤٧٦).

قوله: (واستنتج العلماء من ذلك...) دليل على أن الفلكيين لم يروا هذه المادة، فذكرهم إياها من باب توهم أن لها قوة الجاذبية أثرت على غيرها، والجاذبية هذه غير ثابتة، فمن باب أولى أن لا تثبت هذه، ومع هذا فقد جزم الدكتور مصطفى قائلًا: (وحسب التقديرات الحالية فإن المادة المظلمة قد يبلغ قطرها ما بين ٩٠ إلى ٩٩ من كتلة الكون). المصدر السابق (٤٧٧).

ومعنى هذا أن اكتشافهم المزعوم عظيم جدًا، فالكون الذي قد اكتشفوه من قبل ليس بشيء، بجانب هذه المادة المظلمة، وقد كثر كلام الفلكيين المدعين وجود هذه المادة، وهذا الاكتشاف المزعوم مبنيٌّ على أن أكثر الكون مجهول، وهم يكتشفونه شيئًا فشيئًا، والحقيقة أنهم هم المجهولون، السائرون على ظلمات بعضها أشد من بعض، فالمادة المزعومة بنيت على مجهول، فنتج عن ذلك أجهل من المجهول.

النوع الرابع: وصلوا إلى أشعة كونية لا يدرون ما هي

يقول الفضائيون: (إن أخطر ما يواجه الإنسان في الفضاء وهو يحاول الصعود في السماء الأشعة الكونية التي تمتلئ بها السماء، وهذه الأشعة مختلفة الأشكال والأحجام، تبدأ من جسيمات ذرية معظمها من البروتونات الطليقة، وتأتي من بعيد جدًا ولا يعلم أحد مصدرها، ولا كيف تتكون، ولا كيف تنطلق، خاصة وهي تنطلق بسرعة كبيرة جدًا).

قلت: نظرياتهم حول الأشعة الكونية متضاربة، وهذا الذي ذكرناه هو من جملتها، ولا شك أنه يأتي من السماء أشياء:

ومنها الرجز، قال تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[البقرة: ٥٩]، ومنها الحسبان قال تعالى: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾[الكهف: ٤٠]، وكلاهما بمعنى العذاب.

ومنها إرسال الشهب كما هو معلوم.

ومنها الحاصب، قال تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾[الملك:١٧] والحاصب العذاب.

ومنها الكِسَفُ، قال تعالى مخبرًا عما قال قوم شعيب لشعيب: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[الشعراء:١٨٧]، وقال تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[سبأ:٩]، والكِسَف: هو القطع من العذاب.

وهناك أشياء أخرى تتنزل من السماء، ولكن الأشعة المذكورة لا ذكر لها في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله ﷺ، ومما يدل على أنها من ترهات القوم، قولهم: تبدأ من جسيمات ذرية من البروتونات، وأيضًا يدل على تخبطاتهم وتناقضهم قولهم: (ولا يعلم أحد مصدرها، ولا كيف تتكون) مع أنهم قالوا: (تبدأ من جسيمات ذرية...).

وقد تلعب عليهم الجن والشياطين وهم لا يدرون، أن الله قال عن الجن أنهم قالوا: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[الجن: ٩].

النوع الخامس: استصغار الكون اللانهائي الذي ادَّعوه

قال صاحب كتاب «قصة الخلق» (٤٤٧): (ونذكر بما قاله «جاليليو» قبل أن يموت: إن هذا الكون الذي كبرته مئات المرات بكشوفي الغريتية وآلاتي العجيبة، قد انكمش بالنسبة لي من الآن فصاعدًا إلى مجرد الحيز الصغير الذي يشغله جثماني). و«جاليليو» هذا هو أول من قال بالفضاء اللانهائي. وهذا نص عبارته: (إن الكون إنما هو فراغ شاسع أقصد بذلك لا نهائي). المصدر الأول (ص٤٣٧).

وقد سبق أن «جيوردانو برونو» صرح بأن الكون لا نهائي فقتل حرقًا في (١٧/ ٢/ ١٦٠٠م). المصدر السابق.

حقيقة النظريات أنها استدراج للكافرين

لقد تقدم أن النظريات ليست معجزات ولا كرامات، ولكنها استدراج من الله للكفار، قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:١٨٢]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾[الأنعام:٤٤].

وروى الإمام أحمد (٤/ ١٤٥) عن عقبة بن عامر ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ**».

والنظريات هي استدراج دنيوي، ومما يزيد هذا إيضاحًا: أن الله يستدرج الدجال بأمور أعظم من هذه النظريات بكثير، ومن ذلك: أن معه جنةً ونارًا، وجبلًا من خبز، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، ويأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويقتل ويحيي وغير ذلك، ولم تكن هذه كرامات للدجال، فضلًا عن أن تكون معجزات، ولم يقل العلماء الشُّرَّاحُ لأحاديث الدجال إن هذه معجزات له، بل قال الرسول ﷺ فيه: «**هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ**». رواه البخاري برقم (٧١٢٢) ومسلم رقم (٢١٥٢) عن المغيرة بن شعبة ﷺ.

وقد تقدم كلام الشنقيطي عند أن قال: (إن العلم الذي لا يجاوز صناعة يدوية أهون على الله جل وعلا من أن يطلق عليه اسم السلطان؛ لأنه لا يجاوز أغراض الحياة الدنيا...).

فعلمهم هذا لا يزيدهم عند الله إلا ذمًّا لا مدحًا، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ

رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[غافر:٨٣]. وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٧].

والمشاهد والمحسوس الآن أن الكفار زاد عجبهم وغرورهم بسبب هذا العلم، مما جرأهم على ادعاء أشياء ليست لهم؛ ليظهروا بمظهر السبق في كل شيء، وسنة الله أنه لا يرفع أمة من الأمم بسبب ما عندها من حضارة دنيوية إلا وضعها، ومهما بلغت تلك الحضارة إلا دمرها ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

فبان بهذا أن النظريات والاكتشافات استدراج من الله للكفار، وأن الذين غلوا فيها تجاوزوا ورفعوا ما وضع الله، وعظموا ما حقر الله، وقدموا ما أخر الله. وعلى هذا فلا مجال أبدًا لإدخاله في حظيرة القبول له في الإسلام.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

عقلاء الفلاسفة يردون على أصحاب الأفلاك قديمًا وحديثًا

وممن رد على أصحاب النظريات بعض عقلاء الفلاسفة، فقد قال الكوشياري بن ياسر الديلمي... وهو عند الفلكيين نهاية في الفن: (وأكثر الأمر فيها أخذت به أقرب طريق عزوته إلى القياس، وأوضح سبيل سلكته إلى الصواب؛ إذ هي صناعة غير مبرهنة، وللخواطر والظنون مجال بلا نهاية صواب ومحال...) إلى أن ذكر علم الأحكام فقال فيه: (ولا سبيل للبرهان عليه، ولا هو مدرك بكليته، نعم، ولا بأكثره؛ لأن الشيء الذي يستعمل فيه هذا العلم أشخاص الناس...) إلى قوله: (وأكثر المنفردين بالعلم الأول -يعني علم الهيئة- ينكرون هذا العلم، ويجحدون منفعته...) إلى قوله: (ومن المنفردين بالعلم الثاني -يعني: علم الأحكام- من يأتي على جزئياته بحجج على سبيل النظر والجدل، فظن أنها برهان؛ لجهله بطريق البرهان وطبيعته). نقلًا من كتاب "مفتاح دار السعادة" (٣/ ٨٣-٨٤).

وقال "هيغل" كما في "مصرع الداروينية" (ص٦٠) بعد أن اعترف أنه زوّر نظرية "داروين": (يغريني أن أرى بجانبي في كرسي الاتهام مئات من شركائي في الجريمة، وبينهم عدد كبير من الفلاسفة المعوّل عليهم في التجارب العلمية، وغيرهم من علماء الأحياء "البيولوجيا" فإن كثيرًا من الصور التي توضح علم أبنية الأحياء، وعلم التشريح، وعلم الأنسجة، وعلم الأجنة المنتشرة، والمعوَّل عليها مزوَّر، مثل: تزويري تمامًا لا يختلف عنه في شيء).

وقال أبو نصر الفارابي: (واعلم أنك لو قلبت أوضاع المنجمين فجعلت السَّعد نحسًا، والنحس سعدًا، والحار باردًا، والبارد حارًّا، والذكر أنثى، والأنثى ذكرًا، ثم حكمت لكانت أحكامك من جنس أحكامهم، تصيب تارة، وتخطئ تارة).

تنبيـــهٌ: أبو نصر الفارابي أحد الزنادقة، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٤١٧).

وقال شاذان: (ومن تأمل أحوال القوم علم أن ما معهم إلا زرق وتفرس، يصيبون معها ويخطئون). «مفتاح دار السعادة» (٣/ ٨١).

وذكر صاحب كتاب «من الإعجاز العلمي» (ص٢٤٧) أن أحد الجيولوجيين يدعى «هارولدا» قال: (عندما يعرض باحث لمشكلة نشأة الأرض، وتفسير ميلادها، يجد نفسه في حاجة ماسة إلى معجزات إلهية تساهم في هذا التفسير، مهما كانت دقة المناهج العلمية التي يستعين بها).

وقال العلامة ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» (٣/ ٤٦) بعد أن أبطل كلام أصحاب الهيئة على الطوالع: (وعلى هذا الوجه عوَّل ابن سينا في كتابيه الذين سماهما «الشفاء» و «النجاة» في إبطال هذا العلم).

تنبيـــهٌ: ابن سينا أحد الزنادقة؛ فليتنبه!!

وقال ابن القيم أيضًا في نفس المصدر (٣/ ١٢٦-١٢٧): (وقد رد عليهم أفضل المتأخرين من فلاسفة الإسلام أبو البركات البغدادي في كتاب «التعبير» -قال المعلق: الصواب «المعتبر»- له فقال: وأما علم أحكام النجوم فإنه لا يتعلق به منه أكثر من قولهم بغير دليل بحر الكواكب وبردها ورطوبتها ويبوستها واعتدالها... وينتجون من ذلك أن الخير يوجب سعادة، والشر يوجب منحسة، وما جانس ذلك مما لم يقل به العلماء الطبيعيين ولم تنتجه مقدماتهم في أنظارهم...).

وقال أيضًا في (٣/ ١٤٤) من نفس المصدر وهو يتحدث عن بعضهم قوله: (و«بطليموس» يرى أن علم الأحكام إنما يلحق على جهة الحدس لا على جهة اليقين).

وقال ابن القيم (٣/ ١٤٤): (وكذلك صرح «أرسطاطاليس» في أول كتابه «السماع الطبيعي»: إنه لا سبيل إلى اليقين بمعرفة تأثير الكواكب...).

وذكر ابن القيم أيضًا في «مفتاح دار السعادة» (٣/ ١٤٥-١٤٦) محاورة جرت بين أصحاب النجوم: (قال أبو حيان: هذه مقارنة دارت في مجلس أبي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني، وعنده أبو زكريا الصيمري، والبوشنجاني أبوالفتح، وأبومحمد العروضي، وأبومحمد المقدسي، والقوطسي، وغلام زحل، وكل واحد من هؤلاء إمام في شأنه، فردٌ في صناعته، فقيل في المجلس: لِمَ خلا علم النجوم من الفائدة والثمرة وليس علم من العلوم كذلك؟ فإن الطب ليس على هذه الحال، ثم ذكرت فائدته، والمنفعة به، وكذلك الحساب، والنحو، والهندسة، والصنائع، ذكرت وذكرت منافعها وثمراتها، ثم قال السائل: وليس علم النجوم كذلك؟... وبعد أن ذكر أجوبتهم، قال: وهذه المحاورة التي جرت بين أصحاب هذا المجمع هي غاية ما يمكن النجومي أن يقوله، ولا يصل إلى ذلك المبرزون منهم، ومع هذا فقد رأيت حاصلها ومضمونها، ولعلهم لو علموا أن هذه الكلمات تصدر من جماعتهم وتتصل بأهل الإيمان لم ينطقوا منها ببنت شفة، ويأبى الله إلا أن يفضح المفتري الكذاب، وينطقه بما يبين باطله).

وقال أيضًا في «مفتاح دار السعادة» (٣/ ٢٦٤): (ولقد رأينا من الردود القديمة قبل قيام الإسلام على هؤلاء، ما يدل على أن العقلاء لم يزالوا يشهدون عليهم بالجهل وفساد المذهب، وينسبونهم إلى الدعاوي الكاذبة والآراء الباطلة، التي ليس مع أصحابها إلا القول بلا علم).

ويقول «ليكونت دينوي» وهو من علماء الجيولوجيا وهو يتحدث عن الكون الذي يدعيه أصحاب النظريات: (وبعد أن توجد هذا الكون المستحيل، لا بد أن تحرك المادة المفترضة في هذا الكون المفترض). انظر كيف جعل كونهم المزعوم مستحيلًا، والمادةَ مفترضةً.

ويقول أحد الدكاترة الكبار الغربيين: (إن الغالبية العظمى من العلماء ورجالات التربية والمعرفة يتخذون من العلم ستارًا ليفرضوا به على الناس آراءهم الخاصة بتطور

الأحياء). «مصرع الداروينية» (ص٦٥).

ويقول محمد بن علي بن يوسف: (ولا بأس من ذكر مثال آخر أو مثالين من آلاف الأمثلة، التي يمكن أن تذكر في هذا المجال؛ حتى تتضح للقارئ الصورة المخزية للتضليل الذي لا يتورع عنه هؤلاء التطوريون، ومدى الخيانة التي يرتكبونها في حق العلم، وباسم العلم) وذكر أمثلة. المصدر نفسه (ص٦٢).

أيها القارئ، رأيت صراحة الذم والتنديد بأهل الرصد والتنجيم، وإبطال طريقتهم من قِبَلِ من ذكرنا، تدرك أن علوم الأفلاك لا تقوم على أسس صحيحة!!



أمهات النظريات آل أمرها إلى البطلان

اعلم أيها القارئ الكريم: أن النظريات كثرت في عصرنا، وكثر المروجون لها، والمستدلون لها بالصحة، تارة من النقل، وتارة من العقل، وتارة من الحس، وعند الفحص قلَّما يسلم منها نظرية؛ فقد ظهر بطلان كثير منها أوضحته في ثنايا هذا الكتاب، وليس الغرض هاهنا سردها، ولكني سأذكر أمهات النظريات التي انتشرت حتى ملئت الآفاق بذكرها وقبولها، وربما صارت عقيدةً ومنهجًا، ثم تصدى لكشف زيفها أهل الخبرة والمعرفة، فإذا بها خرافة أو شبه خرافة، ومن هذه النظريات الآتي:

الأولى: نظرية "داروين" فهذه النظرية من جملة النظريات الكونية؛ لأنها تحكي تكوين الخلق البشري، وما هو أعم من ذلك، وهي من النظريات التي أعلنت أن المخلوق البشري أصله من ضفدع ثم قرد ثم إنسان، وبلغ الأمر أن فرض تدريسها في الجامعات، وملئت الدنيا ضجيجًا بها، وما هذا إلا لأنها صحيحة على حسب زعم أصحابها، وهي نظرية غاية في الإلحاد؛ حيث إنها تجعل المخلوق البشري الذي أكرمه الله بحسن الخلق والإيجاد أصله قردًا، وبعد فرضها ودعوى صحتها ظهرت الحقائق التي دفنها أصحاب التأسيس للنظرية، وهي أن مخترعها قام بأخذ رأس قرد وألصقه بجثة إنسان، وأخذ رأس إنسان وألصقه بجثة قرد بطريقة محكمة، وبعد ذلك ادعى أنها نظرية أثمرها العلم الحديث. كما ذكر هذا صاحب كتاب "السحر والسحرة" وغيره. فلما ظهر للناس زيفها صارت عندهم أنزل من الخرافة. هكذا تتربع النظريات ثم تتهاوى إلى غير رجعة.

على أن الطامة الكبرى ما جاء في كتاب "العائلة البشرية": (قد وقعت فيما بعد فاكتشف العلماء في سنة (١٩٥٣) أن بقايا إنسان (بلتد) مزيفة وأنها زيفت عمدًا

بواسطة مكتشفها "مستر داوسون" بقصد خدعة العلماء وتصيدًا للشهرة، فلقد اتضح أن هذا الاكتشاف المهم لم يكن سوى خدعة جازت على العلماء أنفسهم؛ حيث إن التعديلات التى أدخلت على الجمجمة كانت من الدقة بحيث لم تكتشف في ذلك الحين). نقلًا من كتاب "مصرع الداروينية" (ص٦٠-٦١).

والمخترعون للنظريات الكذابون كُثُرٌ، حتى كاد أن يكون الأصل في النظريات العصرية الكذب، فهاهو "هيغل" عالم الأحياء الألماني، يستخدم رسومًا للتدليل على التماثل بين الجنين البشري والحيواني؛ ليصل من ذلك إلى دعم قضية تطور الإنسان من الحيوان إلى البشرية، لكن ما لبث العلماء أن اكتشفوا تزويره في هذه الصور، واضطر إلى الاعتراف بتزويرها بنفسه، حين لم يكن له مفر من ذلك ولا مناص.

ولو كان "هيغل" هذا هو المزور الوحيد لهان الخطب، ولكن معه غيره، فقد قال: (يعزيني أن أرى بجانبي في كرسي الاتهام مئات من شركائي في الجريمة، وبينهم عدد كبير من الفلاسفة المعول عليهم في التجارب العلمية، وغيرهم من علماء الأحياء "البيولوجيا" فإن كثيرًا من الصور التي توضح علم أبنية الأحياء، وعلم التشريح، وعلم الأنسجة، وعلم الأجنة المنتشرة، والمعول عليها مزور، مثل تزويري تمامًا لا يختلف عنه في شيء).

الثانية: نظرية "كارل ماركس" وهي أن المادة أزلية، وهي تصور شامل للكون والحياة والإنسان والألوهية، وعن هذا التصور الشامل ينبثق المذهب الاقتصادي والمشاعر والأفكار وهي دائما في تطور، فهذه النظرية يقرر أصحابها أنها مادة الكون الأولى تطورت تطورًا ذاتيًا، حتى تكامل للكون نظامه، ثم ظهرت في الأرض الحياة ثم بالتطور الذاتي ظهر الإنسان وتدرج في كماله حتى بلغ وضعه الحالي المشاهد، وهذه المادة عندهم عواملها فيها ليس هناك عوامل خارجية، ويقرر أصحابها أن تطورات الكون لا تخضع لقوانين خارجية، بل تخضع للقوانين المادية.

وخلاصة الكلام: أن المادة أصل كل شيء في الكون عند الشيوعيين وسبب كل

تفكير وحدث وسلوك، فانظر -رعاك الله- كيف تلتقي هذه النظرية مع نظرية ملاحدة الأفلاك، وهي: تطور الكون عن طريق الذرة ثم السدم، وكل يدعي أن نظريته هي المعجزة العصرية. ولا يخفى على كل من له إلمام بهذه النظرية وما وصلت إليه، فقد فرضت على العالم وكابر أصحابها وقالوا: لا صلاح للعالم إلا بها ثم ماذا كان؟ تهاوت هذه النظرية كما يتهاوى الزجاج، وبسقوط النظرية المذكورة سقطت الشيوعية في كل بقاع الأرض، بل في عقر دارها وفي معقل عزها (روسيا) وكان سقوطها من قِبَلِ منظريها، وذلك حين ظهر لهم زيفها؛ فأعلنوا أنها نظرية تحمل أسوأ الأفكار، وتجلب أنواعًا من الدمار؛ فكم ظهر بسبب هذه النظرية من أنواع الكفر والإلحاد الذي لا يكاد أن يكون متحققًا بهذا التوسع فيما سبق في تاريخ البشرية، وكم سحقت من شعوب، وكم دمرت من دول من أجل تثبيت هذه النظرية!! وقام المنظرون لهذه النظرية بنبذ النافع في الماضي ناهيك أن أصحاب النظرية المذكورة أعلنوا أن الإسلام أفيون الشعوب وقالوا: لا إله، والحياة مادة. ألا فلينظر المتعجلون في قبول النظريات إلى هذه العواقب الوخيمة والجرائم الجسيمة، فكم كانوا سببًا لنشر هذه النظريات ونتائجها؟! فهل سيتعظون؟

الثالثة: نظرية الجاذبية التي ربط الكون كله بقانونها فقد ظهرت حقيقة بطلانها، كما سبق إيضاح ذلك. ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية فإنه لما سبر ما عند الفلاسفة قال في "درء تعارض العقل والنقل" (٣/ ٤٢٧): (ليتأمل اللبيب كلام هؤلاء الذين يدعون من الحذق والتحقيق ما يدفعون به ما جاءت به الرسل، كيف يتكلمون في غاية حكمتهم ونهاية فلسفتهم بما يشبه كلام المجانين).

الرابعة: نظرية أن الشمس مركز الكون وأنها ثابتة: هذه النظرية كانت أساسًا لقلب الحقائق الكونية العلوية والسفلية، وقد سبق إيضاح إلغاء نظرية مركزيتها وإلغاء ثباتها من قِبَلِ أصحاب النظريات، وإن كانوا ذهبوا إلى ما هو أبعد وأضل من البقاء على نظرية مركزيتها، كما أوضحنا أنهم جعلوا المجرة هي المركز.

الخامسة: نظريات بدء الخلق من ذرات وَسُدُمٍ غازية وغبارية وترابية مجهولة لا وجود لها حقيقة.

السادسة: نظرية المجرات وتمدد الكون وانكماشه لا يصح منها شيء، وإذا كانت هذه النظريات التي تعد أكبر النظريات؛ فقد ظهر بطلانها تارة على أيدي أهلها وتارة على أيدي أهل العلم، فما الظن بما تفرع عنها؟!!

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

أكثر النظريات ينقض بعضها بعضًا

لا تكاد تجد نظرية إلا وتجد نظرية أخرى فأكثر قد خالفتها، وإني سأذكر أمثلة على ذلك:

نظرية الحياة الإنسانية على سطح القمر

لقد أثبت الحياة على سطح القمر مجموعة من الفلكيين ومنهم "بيكرنج"، ونفاها آخرون، حيث قالوا: إنه لا حياة على سطح القمر بصورتها المعروفة لنا على الأرض. "تكنولوجيا الفضاء الكوني" (ص١٦١-١٦٢).

نظرية الحياة على المريخ

لقد أثبت القدرة على الحياة على المريخ غير واحد من فلكيي العصر، ومنهم (فيلكس زيجل) و(فايكنج)، وقال آخرون: ليس هناك حياة على المريخ، وإنما هي تغيرات في الأرصاد الجوية، حتى قرر بعضهم أنهم لم يجدوا تفسيرًا علميًّا للحياة على المريخ، ولم يجدوا لها خلايا عضوية على الإطلاق. المرجع السابق (١٨٥-١٩٩).

نظرية الأطباق الطائرة

هذه النظرية أسطورة، وقد ادعى بعض الفلكيين قائلًا: (إن الأطباق الطائرة جاءت أصلًا من كواكب أخرى، بها -أي: الكواكب- كائنات بلغت درجة كبيرة من الحضارة، ولكن أثبت عدد ليس بالقليل أن هذه الأطباق جاءت من غابات البرازيل، بعد أن عكف فريق من علماء ثلاثٍ وعشرين دولة على صناعتها في أشكال مختلفة، ثم أطلقوها إلى الفضاء، وأن هؤلاء العلماء قد عاشوا في غابة من غابات

البرازيل النائية، وفي سرية تامة، وأعطيت لهم جميع إمكانات الصناعة لهذه الأطباق). المرجع السابق (٣٩٢-٣٩٣).

نظرية مقومات الحياة على كواكب المجموعة الشمسية وكواكب النجوم الأخرى

من علماء الأرصاد الجوية من بيَّن أن حياة الإنسان على المجموعة الشمسية تتكون من العناصر التي تتكون منها الحياة على الأرض، كالكربون، والزنك، والرصاص، وغير ذلك، وعارضه آخرون، فقالوا: إن الحياة قد تنشأ من عنصر الكلور أو السيليكون بدلاً من الكربون. انظر المرجع السابق (٤٥٠). وآخرون نفوا مقومات الحياة هناك بالكلية، وهو الحق.

نظرية نشأة الكون

تقدم أن ذكرت أن بعضهم يجعل نشأة الكون من الذرة والسديم، وهناك من يجعل نظرية الكون غير معلومة ومعروفة، فقد قال صاحب كتاب "الإعجاز العلمي في القرآن الكريم" (ص٢٥٠): (عجز الإنسان إذن عن الوصول إلى معرفة نشأة الكون وعناصره، وفي ظل التقدم السريع لكافة أفرع العلوم المختلفة خلال هذا العصر، بقي الفكر البشري عاجزًا عن معرفة نشأة أي من الشمس أو القمر أو غيرهما من عناصر الكون).

أخي القارئ، رأيت التناقض الظاهر بين ما ذكرنا من النظريات، وبقي من هذا الطراز نظريات كثيرة فأين الإنصاف ممن أحسن الظن بصحتها، بل تجاوز أكثر فجعلها من المعجزات الإسلامية، وبسبب هذا التجاوز عظم الخطأ من أصحابه، واستدعى أننا نبين ذلك.

افتضاح أصحاب الأفلاك قديمًا وحديثًا

إن من أهم ما ينبغي أن يعرفه العقلاء هو أن المشتغلين باختراع النظريات قديمًا وحديثًا قد بطنوا بعضها بالتزوير، ولا بد أن يخرج الله ما يحذرون، ويظهر ما يكتمون، ويكشف ما يسترون.

وإليك بعض أقوالهم وأحوالهم الدالة على ما قلت:

❑ **افتضاح "بطليموس"** قال العلامة ابن القيم في "مفتاح دار السعادة" (٣/ ١٣٩): (قال "بطليموس": إنه يجب على المنجم النظر في صور الأبدان وخواص حالات الأنفس واختلاف العادات والسنن).

وقال في نفس المصدر (١٠٨-١٠٩) وهو يخاطب أتباع "بطليموس": (حتى إن أكثركم ينظر بنظر بطليموس إلى جنس المولود وما يصلح له، فيحكم على ابن الملك بالملك، وعلى ابن الحجام بالحجام).

❑ **افتضاح أبي معشر الفلكي المنجم:** قال العلامة ابن القيم رحمه الله في "مفتاح دار السعادة" (٣/ ٨١-٨٢): (قال شاذان في كتابه المذكور - قلت: هو: "أسرار النجوم": كان الرازي الثنوي الذي بالهند يكاتب أبا المعشر ويهاديه، فأنفذ لأبي معشر مولدًا لابن ملك سرنديب، طالعه الجوزاء والشمس والقمر في الجدي والقمر خارج عن الشعاع، وعطارد في الدلو، والمشتري في الحمل، وزحل في السرطان، راجع في بحران الرجوع، فحكم له أبو معشر بأنه يعيش دور زحل الأوسط فقلت: سبحان الله! جاءه راجع بن بحران الرجوع في بيت ساقط عن الأوتاد لا يعطيه إلا دور الأصغر، ويحتاج أن يسقط منه الخمسين، وجعلت أنكر عليه ذلك وأخوفه أن تسقط منزلته عند أهل تلك البلاد... إلى أن ذكر محاورة طويلة انتهت بهما إلى أن أبا معشر

أخذ ذلك من عادات أهل الهند في طول الأعمار).

افتضاح آخر: قال العلامة ابن القيم رحمه الله في المصدر السابق (٣/ ٢٦٧): (حكي عن أبي معشر أنه وقف هو وصاحب له على واحد من هؤلاء، وكانا سائرين في خلاص محبوس فسألاه، فقال: أنتما في طلب خلاص مسجون فعجبا من ذلك، فقال له أبو معشر: هل يتخلص أم لا؟ فقالا: تذهبان تلتقيانه قد خلص فوجدا الأمر كما قال، فاستدعاه أبومعشر وأكرمه وتلطف له في السؤال عن كيفية علم ذلك، فقال: نحن نأخذ الفال بالعين والنظر، فينظر أحدنا إلى الأرض ثم يرفع رأسه، فأول شيء يقع نظره عليه يكون الحكم به، فلما سألتماني كان أول ما رأيت ماء في قربة فقلت: هذا محبوس، ثم لما سألتماني في الثانية نظرت فإذا هو قد أفرغ من القربة، فقلت: يتخلص ويصيب تارة ويخطئ تارة. ومن هذا أخذ بعضهم الجواب عن التفاؤل بالأيام، فإذا رأى أحد رؤيا مثلًا يوم أحد أو ابتدأ فيه أمرًا قال: حدة وقوة، وإن كان يوم الجمعة قال: اجتماع وألفة، وإن كان يوم سبت قال: قطع وفرقة).

وبقيت أمثلة ذكرها ابن القيم في كتابه المذكور تركتها خشية الإطالة.

ومن المعاصرين الذين افتضحوا الآتي:

❑ **«هيغل» عالم الأحياء والأنسجة وزملاؤه** قال «هيغل»: (يعزني أن أرى بجانبي في كرسي الاتهام مئات من شركائي في الجريمة، وبينهم عدد كبير من الفلاسفة المعول عليهم في التجارب العلمية وغيرهم من علماء الأحياء... فإن كثيرًا من الصور التي توضح علم أبنية الأحياء، وعلم التشريح، وعلم الأنسجة، وعلم الأجنة المنتشرة والمعول عليها مزور، مثل تزويري تمامًا، لا يختلف عنه في شيء). «مصرع الداروينية» (ص٦٠). قلت: وإذا كان كذب هؤلاء فيما يتعلق بخلق الإنسان، وهي أمور بعضها معقولة فمن باب أولى أن يكون كذبهم كثيرًا وكثيرًا، في قضايا يصعب إثباتها كأمور الكون الأعلى.

❑ **«مستر داوسون»:** قال محمد بن علي بن يوسف في كتابه «مصرع الداروينية»

(ص٦٠-٦١): (على أن الطامة الكبرى... قد وقعت فيما بعد، فاكتشف العلماء في سنة (١٩٥٣م) أن بقايا إنسان (بلتدو) مزيفة، وأنها زيفت عمدًا بواسطة مكتشفها «مستر داوسون»، بقصد خدعة العلماء وتصيدًا للشهرة، فلقد اتضح أن هذا الاكتشاف المهم لم يكن سوى خدعة جازت على العلماء أنفسهم؛ حيث إن التعديلات التي أدخلت على الجمجمة كانت من الدقة بحيث لم تكتشف في ذلك الحين).

❑ **فضح المدعين لارتياد القمر:** قال «بلكسنج» الغربي في كتابه «لم نهبط على القمر»: (إن المشاهد المتعلقة بهذه المرحلة إنما هي مثل إعداد تصوير الأفلام السينمائية في هوليود تمامًا، ولقد أنفقت الولايات المتحدة مبلغ ثلاثين بليون دولار لإعداد العربات والبيئة القمرية ومشاهد الفوتوغرافية، مما مكنًا من إقناع العالم بأنها حقيقة لا خيال، ولقد أدهشت العالم وحريته... وتم تصوير وتسجيل هذه المشاهد وكل الأحداث شبه الخيالية من تحويل ركاب السفينة على سطح القمر... قبل عدة أشهر من المهمة في منطقة تبعد ٣٢ ميلًا شرق صحراء نيفادا، وكان الاسم السّري الذي أطلق على هذه العملية «مشروع أبوللو المشير»، وقد جزم أيضًا «سمبسون» الغربي أن قضية الوصول إلى سطح القمر خدعة، وأن عشرين مليون أمريكيٍّ ينكرون الوصول إليه). نقلًا من كتاب «الفرقان» (ص٣٠٥).

فاتضح من كلام هذين الفلكيين أن مسألة صعود سطح القمر مجرد تمثيلية لا غير.

ولقد سَبَرَ أهل العلم أصحاب الأفلاك، وعرفوا تخبطاتهم الكثيرة، حتى قال ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» (٣/ ٨١): (ومن تأمل أحوال القوم علم أن ما معهم إلا زرق وتفرس، يصيبون معها ويخطئون).

قلت: معنى الزراق، أي: المحتال. ونقل رحمه الله من بعضهم قال: (وقال «شاذان» في مسألة سئل عنها: (ما أنتم إلا زراقون) المصدر نفسه (٣/ ٨٢).

وقال أبوالريحاني البيروني وهو من أكابر المنجمين: (ما أكثر افتضاح المنجمين فيه!! وما أكثر إصابة الراصدين فيه، بما يستعملونه من كلامه وقت السؤال ويرونه

باديًا من آثار وأفعال على السائل). المصدر نفسه (٣/ ٨٥).

وقال أيضًا في المصدر المذكور (٣/ ١٢٦) وهو يذكر رد الفلاسفة على المنجمين: (حتى رد عليهم من لا يؤمن بالله واليوم الآخر من الفلاسفة كالفارابي وابن سينا وغيرهما من عقلاء الفلاسفة، وسخروا منهم، واستضعفوا عقولهم، ونسبوهم إلى الزرق والزرنجة والتلبيس).

قلت: معنى الزرنجة، أي: خفة الحركة، فعلام يغبط المقلدون من أبناء جلدتنا هؤلاء التائهين؟!! أعلى كذبهم، أم على مجازفتهم، أم على محاربتهم لدين الله رب العالمين ومنابذتهم، للاقتداء بسيد الأولين والآخرين وبعدهم، عن طريق الراسخين في علم الشريعة؟!! فوالله إني لأرحم حالهم وأشفق عليهم من هذه التخبطات، وأخشى عليهم من عواقب هذه الانحرافات، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

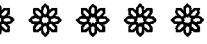

تناقض أصحاب النظريات في النظرية الواحدة





إن النظرية الواحدة يكون فيها أكثر من قول لأصحابها، مع تضارب هذه الأقوال، وهذا التضارب من سابق ومن لاحق، قال العلامة ابن القيم رحمه الله في «مفتاح دار السعادة» (٣/ ٤٩): (الثالث: أنهم اختلفوا اختلافًا شديدًا في الواحدة من مسائل هذا العلم، فإن أقوالهم في حدود الكواكب كثيرة مختلفة، وليس مع أحد منهم شبهة ولا خيال، فضلًا عن حجة واستدلال، ثم إن كثيرًا منهم -من غير حجة ولا دليل- ربما أخذوا واحدًا من تلك الأقوال من غير بصيرة، بل بمجرد التشهي، مثل: أخذهم في ذلك بحدود الضربين، وذلك من أدل الدلائل على فساد هذا العلم).

قلت: المراد بالضربين: إيقاع شيء على شيء، كأن يضرب المنجم فيقول: زحل في بيت المال، فهو يدل على الفقر، ويضرب آخر فيقول: هو في بيت المال، وهو يدل على وجود كنز. وتناقض الفلكيين المتأخرين لا حدود له حتى في النظرية الواحدة، وعلى سبيل المثال: تناقضهم في دوران الأرض، فقد أوضحنا فيما سبق أنهم جعلوا دورانها على ستة أنواع، وأيضًا تناقضهم في الشمس، فقد قال بعض الفلكيين القدماء: الشمس مركز الكون، ولازم قولهم: أنها واقفة ثابتة؛ لأنه لا يمكن أن تكون مركز الكون وهي دائرة، فضلًا عن أن تكون سائرة، فجاء بعض الفلاسفة المتأخرين وقيدوا القول بجريانها بقولهم حول نفسها، فناقضوا بهذا القول: القول الأول مناقضة لا تلتقي مع القول الأول، ومما يدلك على تناقضهم في النظرية الواحدة: أن ملاحدة أفلاك عصرنا قالوا: الشمس ليست مركزًا للكون، وإنما مركز الكون المجرات، ولما قالوا: إن المجرات مركز الكون قالوا: إن الشمس تابعة للمجرات، وهذا القول

يناقض القول بأنها تدور حول نفسها، ويلغي القول بمركزيتها.

وإذا تأملت -أخا الإسلام- في النظريات التي ذكرناها، اتضح لك أن كثيرًا منها يناقض بعضها بعضًا، مع أني لم أقصد الاستقصاء، وهذه المناقضة في أمور كونية كثير منها معلومة لعموم الناس مسلمهم وكافرهم وعالمهم وجاهلهم، فتصور كم يكون تناقضهم في الأمور التي فيها شيء من الغموض على بعض الناس، وبما أن التناقض عند أصحاب الأفلاك قد بلغ إلى هذا الحد، أفلا يدل جزمًا ويقينًا على أن مسائلهم تناقض الحق المبين الذي يعرفه الناس بكثرة الدلائل عليه، فليس خلافهم من باب الاختلاف في مسائل اجتهادية كما قد يظن من لا علم له بما هم عليه، أو من يتعصب لهم، بل هو شر خلاف؛ لأنه ما بين تعطيل ربوبية الله وألوهيته، وهذا أخبث أنواع الشرك، وما بين إثبات شريكٍ مع الله آخر، وغير ذلك من شر هذا الخلاف.

فالحاصل: أن الأمور الكونية العلوية والسفلية المشهودة أوضح من أن توضح، والأمور الكونية العلوية والسفلية غير المشهودة فلا أصدق في الإخبار عنها من الله القائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[الملك:١٤] ورسوله المبلغ عنه، فما أخبر به القرآن والسنة المطهرة عن آيات كونية غير مشهودة فهو الحق، وأي خبر خالفها فهو باطل، ومن خرج عن هذا تاه في ظلمات الآراء، وجاء بالمحال، وكثر تناقضه، وعظمت حيرته، وتمكنت منه الشكوك، فهيهات! هيهات! أن يجد أرباب الأفلاك عافية من مرض الحيرة والشكوك.

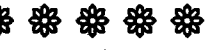

تصريحهم بالنقص في آلات الاكتشافات

لما ظن الفلكيون أن الوصول بالآيات والاكتشافات إلى الكون الأعلى ميسر لهم، اتجهوا إلى تطوير آلات الاكتشافات، ففوجئوا أن الآلات لا تزال في نقص، وما علموا أن الآلات مهما طورت لن يستطيعوا من خلالها الوصول إلى الحقائق الكونية، وهأنا أنقل من كلامهم ما فيه التصريح بعدم الوصول إلى مطلوبهم، ويردون ذلك إلى عدم تكامل آلات الاكتشافات، مع العلم أننا في عصر قد بلغت في الصناعات أوجها.

قال في «الموسوعة الفلكية» (٥٥٤) وهو يتحدث عن نشأة العناصر الكيماوية: (لا يمكن القول بأي حال أن مسألة نشأة العناصر الكيماوية قد فرغ من حلها، وليس هذا ممكنًا؛ لأن كثيرًا من القيم النووية المطلوبة لنظرية نشأة العناصر لا زالت غير معروفة).

وفي (ص٣٧٧): (إن نظرية نشأة النجوم... لا تزال حتى الآن غير مستكملة، بحيث إنه لا يمكننا استنتاج أي شيء عن تفاصيل ما يحدث).

وفي (ص٣٢٠) وهو يتحدث عن الغلاف الجوي: (... إن معلوماتنا لا تزال قليلة عن تركيب الطبقات العليا، وحتى يمكن وضع مقاييس موحدة للحسابات).

ويقول (ص٣٨١) في المجرات: (وإن كنا لم نشاهد حتى الآن مجموعات كوكبية غير مجموعتنا...).

في (ص١٢٧) قال وهو يتحدث عن تطور النجوم: (ولا تزال هذه المجالات غير تامة الدراسة من الناحية النظرية).

وقال أيضًا (ص٢٨): (فقد تكونت مجموعة دولية لمراقبة الشمس حتى لا تترك أيّة ظاهرة بدون رصد، ولو كان ظهورها لفترة زمنية قصيرة).

وماذا حصل بعد الحشد الدولي لمراقبة الشمس؟ قال: (وتواجه أرصاد الشمس مشكلات مختلفة عن الأرصاد الفلكية الأخرى... وتتسبب شدة الإشعاع الكبيرة في اضطراب أغلب الأرصاد...).

وقال (ص٣٢٠) وهو يتحدث عن الغلاف الجوي النجمي: (ولا يزال العلم بعيدًا عن هذا الهدف، رغم الجهود الكبيرة التي تبذل للوصول إلى ذلك).

وقال (ص٣٣) وهو يتحدث عن حركة الأرض: (حركات الأرض من أهم الحركات الكثيرة والمعقدة للأرض في الفضاء: حركتها في مدارها حول الشمس، وكذلك دورانها حول محورها).

وقال (ص٣٨٤) وهو يتحدث عن المجموعات النجومية: (ولو أن الأرصاد لا تزال غير مؤكدة، لدرجة يصعب معها اتخاذ قرار معين بين البدائل النظرية المختلفة).

وهاهو صاحب الموسوعة (٣٥٨) يقول عن نشأة القمر: (فإننا لا نعرف شيئًا مؤكدًا). مع تصريحهم بأن علومهم عن القمر جيدة، وأنهم لم يتوصلوا إلى معلومات كمثلها. انظر (ص٣٥١).

وقال "إيرفنج وليام": (إن العلوم مهتمة بتحسين نظرياتها، وهي تحاول أن تكشف عن كنه الحقيقة، ولكنها كلما اقتربت من هذين الهدفين زاد بعدها عنهما، إن فكرتنا عن هذا الكون قائمة على أساس حواسنا القاصرة، وعلى استخدام ما لدينا من الأدوات غير الدقيقة نسبيًا).

وقال صاحب "الموسوعة الفلكية" (٢٥٢): (وحتى التركيب الكيماوي للأرض التي نعيش فوقها، يصعب تحديده، والسبب في ذلك راجع إلى أننا لا نستطيع النفاذ إلا إلى عمق بسيط في داخل الأرض).

أخي القارئ، لو استقصينا نقل كلامهم الذي مثل هذا الذي نقلناه لطال المقام، وما ذكرنا ففيه المطلوب لمن كان مريدًا لمعرفة الحقائق، وهذا الذي نقلته وأمثاله كافٍ في معرفة أن القوم ليس عندهم ما يؤهلهم إلى تحقيق شطحاتهم، وتصريحاتهم هذه شاهدة عليهم، فمهما ادعوا من تطوير آلاتهم فلن يصلوا إلى تصحيح أخطائهم، ولا مصحح لأخطائهم إلا القرآن والسنة، فأكرم بهما وأنعم!!



٦

الفصل السادس

الرَّد على من زعم أن النظريات معجزات قرآنية ونبوية

لا يخفى على من له شيء من الإلمام بما كتبه المقلدون من أبناء جلدتنا لملاحدة النظريات، أنهم قد أكثروا من تأليف الكتب التي جعلوا عناوينها بـ«الإعجاز العلمي» وتارة يقولون: «الإلهي»، وتارة «في القرآن الكريم»، وتارة «في السنة النبوية»، حيث قال صاحب كتاب «توحيد الخالق» (ص١١٢): (السبق العلمي للقرآن معجزة جديدة). ومن أجل أن يعلم القارئ عظيم ما ارتكبوه، وشر ما سطروه، وشنيع ما قالوه في هذه النظريات، نذكر ما تعلَّق بالمعجزات وضوابطها عند علماء الإسلام: مما له صلةٌ بردنا على هؤلاء، ومن خلال ذلك سيدرك القارئ أنه لا التقاء إطلاقًا بين نظريات الكفار، وما أجراه الواحد القهَّار من آيات خصَّ بها رُسُلَهُ الأخيار.





تعريف المعجزة لا يدخل فيه تعريف النظرية

فالمعجزة: علامة من الله، يعلم بها عباده أنه أرسل إليهم هذا الرسول المؤيد بالآيات التي من عنده.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "النبوات" (٢/ ٨٦٤-٨٦٥): (وأما آيات الأنبياء التي بها تثبت نبوتهم وبها وجب على الناس الإيمان بهم، فهي أمر يخص الأنبياء، لا يكون للأولياء ولا لغيرهم، بل يكون من المعجزات الخارقة للعادات الناقضة لعادات جميع الإنس والجن غير الأنبياء... وخاصتها التي تمتاز بها عن غيرها، أن يكون آية، أو دليلًا على نبوتهم، فكل ما استلزم نبوتهم فهو آية لهم، وما لا يستلزم نبوتهم فليس بآية).

وقال أيضًا في المصدر نفسه (٢/ ٨٥٥): (فلا يوجد خرق عادة لجميع الناس، إلا وهو من آيات الأنبياء).

وقال محمد بن إبراهيم الوزير في "إيثار الحق على الخلق" (ص٨١) بعد أن تكلم على أقسام المعجزات للنبي ﷺ: (علم أن هذه الأحوال لا تتيسر إلا بالتعليم الإلهي، والتوفيق الربَّاني).

وقال القاضي عياض: (اعلم أن معنى تسميتنا ما جاءت به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معجزة، هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها). "نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض" (٣/ ٣٥٠).

وقال ابن القيم في "مفتاح دار السعادة" (١/ ٤٥٠): (البينات التي أقامها الله دلالة على صدقهم من المعجزات).

فعلى هذا التعريف للمعجزة لا ينطبق على النظريات؛ لأن النظرية يقدر غير واحد أن يأتي بمثلها، ولهذا تكون المسألة فيها عدة نظريات مما يؤدي ذلك إلى الاضطراب، والتناقض كذلك النظرية تحتمل الحق والباطل؛ لأنَّها من قبل غير معصوم، فكيف لو كان صاحبها ملحدًا، وأيضًا يقدر أفراد من الناس أن ينقضوا كثيرًا من النظريات بحق.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

النظريات ليست قسمًا من أقسام المعجزة

لقد قسم العلماء معجزات الرسول ﷺ إلى أقسام:

قال ابن الوزير في كتاب "إيثار الحق على الخلق" (٧٩-٨٥): (إن معجزاته عليه الصلاة والسلام قسمان: حسية وعقلية، أما الحسية فثلاثة أقسام: أحدها: أمور خارجة عن ذاته. وثانيها: أمور في ذاته. وثالثها: أمور في صفاته، ومن ثم شرح هذا القسم، وأما المعجزات العقلية فهي: ستة أنواع...)، ومن ثم شرح هذا القسم.

وقال القاضي عياض كما في "نسيم الرياض" (٣/ ٣٥٥-٣٥٧): (ثم معجزاته على قسمين... الأول: قسم منها علم قطعًا، ونقل إلينا تواترًا كالقرآن، فلا مرية ولا خلاف بمعجزة النبي ﷺ به. والقسم الثاني: ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع، وهو على نوعين: مشتهر منتشر، رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين...)، ومن ثم شرح الأقسام وأوضحها.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "مجموع الفتاوى" (١١/ ٣٢٢-٣٢٤) وهو يتحدث عن أقسام المعجزة: (فالأولى: قدرية كونية. والثانية: شرعية دينية، وكشف الأولى العلم بالحوادث الكونية، وكشف الثانية العلم بالمأمورات الشرعية، وقدرة الأولى التأثير في الكونيات، وقدرة الثانية التأثير في الشرعيات... إذا عرف هذا فالأقسام ثلاثة: إما أن يتعلق بالعلم والقدرة، أو بالدين فقط، أو بالكون فقط).

وقال أيضًا مبينًا المعجزات المتعلقة بالقدرة: (آياته ﷺ المعلقة بالقدرة والفعل والتأثير أنواع: الأول منها: ما هو في العالم العلوي، كانشقاق القمر، وحراسة السماء بالشهب الحراسة التامة لما بعث، وكمعراجه إلى السماء... النوع الثاني: آيات الجو، كاستسقائه ﷺ، واستصحائه، وطاعة السحاب في حصوله وذهابه بدعائه ﷺ،

ونزول المطر بدعائه... النوع الثالث: تصرفه في الحيوان: الإنس والجن والبهائم... النوع الرابع: الماء والطعام والثمار الذي كان يكثر ببركته فوق العادة... النوع الخامس: تأثيره في الأحجار، وتصرفه فيها، وتسخيرها له... النوع السادس: من آياته تأييد الله له بملائكته...). «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٤/ ١٦١، ١٧٢، ١٧٤، ١٨٥، ٢٠٢، ٢٠٥).

وقال أيضًا في «النبوات» (١/ ١٥٠): (والآيات الخارقة جنسان: جنس من نوع العلم. وجنس من نوع القدرة، فما اختص به النبي من العلم خارج عن قدرة الإنس والجن، وما اختص به من المقدورات خارج عن قدرة الإنس والجن، وقدرة الجن في هذا الباب كقدرة الإنس).

تأمل هذه الأقسام لمعجزات الرسول ﷺ ترى بوضوح تام أنما يدندن به حاملو النظريات من الإعجاز فيها، لا وجود له، ولا قبول له في أقسام المعجزات، ألا ترى أن ابن تيمية يقول: إن معجزات الرسول بشقيها المتعلقة بالعلم والمتعلقة بالقدرة فوق قدرة الجن والإنس؟! أما النظريات هذه فيقدر على الإتيان بها آلاف من الناس ادعاءً أو خداعًا، كما هو معلوم، بل صارت شركات تتسابق إلى دعوى النظريات.

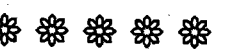

ضوابط المعجزة

١) **المعجزة من خصائص أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام**؛ فلا مطمع فيها لأحدٍ من الخلق دونهم كائنًا من كان، وأما الكرامات لأتباع الأنبياء فتحقق لمن شاء الله منهم، فأين تقع النظريات وليست معجزات ولا كرامات؟!

٢) **المعجزة آية من آيات الله، تدل على صدق الأنبياء عمومًا**: الذي وقعت له المعجزة، والذي لم تقع له؛ لأن الآيات كلها تدل على صدقهم في نبوتهم ورسالتهم، والنظريات لا تدل على إسلام أصحابها، فضلًا عن دلالتها على صدقهم.

٣) **المعجزة خارقة لعادات الناس، فلا يقدر أحد على أن يأتي بها؛ لأنها من الله**، يفعلها الله لمن يشاء من عباده، فلا يقدر أحد على فعل معجزة بطريق الحيلة، أو الاكتساب، أو الذكاء، قال شيخنا مقبل بن هادي رَحِمَهُ اللَّهُ في "الصحيح المسند من دلائل النبوة" (١٢-١٣): (هذه المعجزات التي أجراها الله على أيدي الأنبياء ليس بحول الأنبياء عليهم السلام، ولا بقدرتهم، ولكنَّ الله أجراها على أيديهم؛ تصديقًا لهم). وأما النظريات فيفعلها أصناف من الملاحدة بأنواع من الحيل والتمويه تارة، والتخييل تارة، وغير ذلك.

٤) **معجزة الأنبياء مستلزمة لعصمتهم من الفواحش والمنكرات والمعاصي ولاستقامتهم على العمل بما أوحى الله به إليهم**، وأما النظريات فلا تستلزم شيئًا من هذا لأصحابها. بل غالب أصحابها ملاحدة، وليسوا مجرد كفَّار.

٥) **آيات الأنبياء المستقبلية يخبرون بها قبل وقوعها، وعند تحققها تدل على أنها من آياتهم**؛ لأنها وقعت كما أخبروا أما النظريات فلم يخبروا بها؛ فهي من اصطناع الكفار مباشرة.

٦) من ظهرت معجزة الأنبياء المستقبلية على يديه، فإن كان مؤمنًا تقيًّا فهي كرامة له، وإن كان فاجرًا شقيًّا فهي خزي عليه وإهانة له، فعلى سبيل المثال إخبار النبي ﷺ بظهور الخوارج، والقدرية، وأهل الكلام، وتقليد أمته الأعداء، وظهور الحكام الجائرين، والنساء الكاسيات العاريات، وغير ذلك، فقد ظهرت هذه الأمور كما أخبر بذلك النبي ﷺ، فكان ظهورها طعنًا وذمًّا لمن ظهرت على أيديهم وفيهم، وظهور النظريات على يد أهلها، فالغالب عليهم أنهم كفَّار، فالعبرة بدخولهم الإسلام لا بالنظرية، وإن ظهرت على يد مسلمٍ منحرف؛ فالعبرة بِتَوبَتِهِ واستقامته لا بالنظرية، وإن ظهرت على يد صالحٍ؛ فالعبرة باستقامته وصلاحه لا بالنظرية. فظهورها في حقِّ المسلم كظهور صناعةٍ من الصناعات، وحرفةٍ من الحرف على يده.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

قواعد صحيحة في معجزات الأنبياء لا تقبل النظريات

الأولى: ما أخبر به القرآن والرسول ﷺ أنه سيقع فسيقع كما أخبر

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «الجواب الصحيح» (٤/ ١٣٣): (وآياته ﷺ قد استوعبت جميع الآيات الفعلية والخبرية، فإخباره عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بأمور باهرة لا يوجد مثلها لأحدٍ من النبيين قبله، فضلًا عن غير النبيين، ففي القرآن من إخباره عن الغيوب شيء كثير، كما تقدم بعض ذلك، وكذلك في الأحاديث الصحيحة مما أخبر بوقوعه، فكان كما أخبر).

فأفادت القاعدة: أن ما أخبر الله والرسول ﷺ بوقوعه فسيقع كما أخبر، والنظريات لا تدخل؛ لما سبق ذكره من أنها محتملة للصحة وعدمها، والقبول والرد، والنقص والزيادة.

الثانية: معجزات الأنبياء يصدق بعضها بعضًا، والنظريات يكذب بعضها بعضًا

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «النبوات» (١/ ٥١٨): (فإن الأنبياء يصدق بعضهم بعضًا، فآية كل نبي آية لجميع الأنبياء، كما أن آيات أتباعهم آيات لهم أيضًا، وهذا أيضًا من آيات الأنبياء، وهو تصديق بعضهم لبعض، فلا يوجد من أصحاب الخوارق العجيبة التي تكون لغير الأنبياء، كالسحرة والكهنة وأهل الطبائع والصناعات إلا من يخالف بعضهم بعضًا فيما يدعو إليه، ويأمر به، ويعادي بعضهم بعضًا).

الثالثة: تطورات الوسائل مهما عظم الاكتشاف بها لا يكون مؤداها إلى معجزة:

فالناس تتسع ما بين الحين والآخر مداركهم ومعارفهم الدنيوية، وتتجدد لهم وسائل يستخدمونها في تحقيق أغراضهم على مختلف أنواعها، وقد تكون الوسائل مباحة، وقد تكون ممنوعة في الشرع، وقد يحصل الإفراط في استخدام الوسائل، وقد يحصل التفريط، فمن أجل هذا دعت الحاجة إلى اتخاذ قاعدة تضبط بها الوسائل المتعلقة بالإعجاز العلمي المزعوم. وهي: أن تطورات الوسائل مهما عظم وكثر التوصل بها إلى اكتشافات لا يكون هذا مؤديًا إلى معجزة فأكثر، وإليك إيضاح ذلك:

المعجزة: فعل الله يخرق بها عادة الخلق كافة، لا يقدرون على الإتيان بمثلها تأييدًا لرسله، والوسائل أفعال الخلق بتيسير الله لهم ذلك ابتلاءً لهم. فالوسائل المستجدة في عصرنا الموصوفة بالعملاقة ليس اكتشافها معجزة، وليس ما توصل إليه معجزة، ولو أنصف أصحاب العجز العصري النظري لقالوا: إن الفارق بين عصر النبوة وعصرنا هو كثرة الوسائل الدنيوية، وتطور بعضها، والتطور لبعض الوسائل حاصل على مختلف العصور، ولا ينكر ذلك إلا جاهل أو مكابر، ومع تطورها لم يحكم أن المكتشف بالآلات المذكورة صار إعجازًا، وعلى سبيل المثال اختراع "الأسطرلاب" في عهد الخليفة العباسي المأمون: وهو جهاز يستطيع الفلكي أن يعين به زوايا بارتفاع الأجرام في أي مكان من الأفق، واستمر الفلكيون من المسلمين في تطوير هذا الجهاز حتى سبقوا به علماء الفلك في أوربا، انظر كتاب "رواد علم الفلك في الحضارة العربية" (٣٥-٣٧)، ومع هذا لم يقولوا: إن هذا إعجاز. فدعوى أن العصر هذا هو عصر الإعجاز بسبب تطور الوسائل العصرية دعوى قائمة على الغلو في الوسائل؛ فتنبه!

الرابعة: كل ما أخبر الله ورسوله ﷺ عن وجوده في عصر البعثة النبوية مما تعلق بالمخلوق البشري والحيوانات والجمادات، فليس بمعجزة عند اتساع مدارك الناس في معرفته:

اعلم أخا الإسلام أن هذه القاعدة مهمة؛ لأنها تضم شتات دعوى الإعجاز، والرد لها، وأضرب لذلك أمثلة:

الأول: أخبر النبي ﷺ: «**إن الذباب في أحد جناحيه داء، وفي الآخر شفاء**» رواه أحمد (٢/ ٣٤٠) واللفظ له، ورواه البخاري رقم (٣٣٢٠)، فاكتشاف الجناح الذي فيه الداء لا يكون معجزة.

الثاني: إخبار الله أنه جعل بين البحرين حاجزًا، فاكتشافه وتعيينه وتعيين حجمه ومكانه لا يكون معجزة؛ لأنه موجود من يوم أن خلق الله البحار، ونحن نعلم ذلك علم اليقين عن طريق القرآن العظيم.

الثالث: إخبار الله أنه جعل الجبال أوتادًا للأرض، فاكتشاف عمق الوتد في الأرض لا يكون معجزة؛ لأن الله قد جعلها كذلك عند أن ألقاها على الأرض.

والأمثلة على هذه القاعدة كثيرة، ففهم هذه القاعدة يحل إشكالات تَرِدُ عليك، كانت سببًا في تحريف كثير من آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ، باسم الإعجاز القرآني والنبوي. وحاصل هذه القاعدة: أن النظريات المستجدة في عصرنا لا تخرج عن كونها توسعات في مدارك البشر.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

فوارق شرعية بين المعجزة وبين ما يدعيه السحرة والكهان والفلكِيُّوْنَ

رأيت من الفائدة سرد الفوارق بين المعجزة والخوارق، التي تحصل على أيدي السحرة والكُهَّان. نقلاً من كتاب «النبوات» لابن تيمية (١٨٨-١٩٠) قال:

(**الأول**: أن النبي صادق فيما يخبر به عن الكتب لا يكذب قط، ومن خالفهم من السحرة والكهان لا بد أن يكذب.

الثاني:... الأنبياء لا يأمرون إلا بالعدل، وطلب الآخرة، وعبادة الله وحده، وأعمالهم البر والتقوى، ومخالفوهم يأمرون بالشرك والظلم ويعظمون الدنيا، وفي أعمالهم الإثم والعدوان.

الثالث: أن السحر والكهانة ونحوهما أمور معتادة معروفة لأصحابها، ليست خارقة لعادتهم، وآيات الأنبياء لا تكون إلا لهم ولمن تبعهم.

الرابع: أن الكهانة والسحر يناله الإنسان بتعلمه وسعيه واكتسابه، بخلاف النبوة، فإنه لا ينالها أحد باكتسابه.

الخامس: أن النبوة لو قدر أنها تنال بالكسب فإنما تنال بالأعمال الصالحة والصدق والعدل.

السادس: أن ما يأتي به الكهان والسحرة لا يخرج عن كونه مقدورًا للجن والإنس، وهم مأمورون بطاعة الرسل، وآيات الرسل لا يقدر عليها لا جن ولا إنس...

السابع: أن هذه يمكن أن تعارض بمثلها، وآيات الأنبياء لا يمكن أحدًا أن يعارضها بمثلها.

الثامن: أن تلك ليست خارقة لعادات بني آدم، بل كل ضرب منها معتاد لطائفة غير الأنبياء...

التاسع: أن هذه قد لا يقدر عليها مخلوق، لا الملائكة ولا غيرهم، كإنزال القرآن، وتكليم موسى، وتلك تقدر عليها الجن الشياطين.

العاشر: أنه إذا كان من الآيات ما يقدر عليه الملائكة، فإن الملائكة لا تكذب على الله...

الحادي عشر: أن النبي قد تقدمه أنبياء، فهو لا يأمر إلا بجنس ما أمرت به الرسل قبله، فله نظراء يعتبر بهم، وكذلك الساحر والكاهن: له نظراء يعتبر بهم.

الثاني عشر: أن النبي لا يأمر إلا بمصالح العباد في المعاش والمعاد، فيأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر...).

ومن خلال هذه الفوارق، يتضح للقارئ الكريم أن أصحاب النظريات المكتشفين لها لا يمكن أن يلحقوا بصفّ الأنبياء؛ لأنَّهم من جنس السحرة والكهان والمنجمين بجامع الكفر والظن والتخمين، وغير ذلك. فأين يذهب أصحاب الإعجاز؟!!



ما عند مخترعي النظريات هو من جنس ما عند السحرة والكهان

أغلب النظريات تقوم على أصول باطلة، كما بَيَّنَّا هذا في ثنايا هذا الكتاب، فعلى هذا لابد أن تكون كثير من النظريات بعيدة عن الصواب، ولما علم قطعًا أن أكثر الناس اختلافًا واضطرابًا الفلاسفة، خصوصًا أصحاب الهيئة، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "درء تعارض العقل والنقل" (١/ ١٥٧): (وأما الفلاسفة فلا يجمعهم جامع، بل هم أعظم اختلافًا من جميع طوائف المسلمين واليهود والنصارى... فلو حكي اختلافهم في علم الهيئة وحده لكان أعظم من اختلاف كل طائفة من طوائف أهل القبلة).

وقد أوضحنا في هذا الكتاب سعة اختلافهم، وأيضًا علم فيهم الكذب في دعوى الاختراعات، أضف إلى ذلك ما عندهم من التخيلات والتوهُّمات والتخرُّصات، فهذه الدواعي وأمثالها مما لم أذكره هنا تدل على أن ما يقوله كثير من أصحاب النظريات محتوٍ على الكذب أو الظن أو التخمين، كالذي عند السحرة والكهان.

ما تحقق من المعجزات النبوية بعد موت الرسول عليه الصلاة والسلام لا تدخل فيه النظريات

من المعلوم أنه قد ظهر للمسلمين معجزات لرسول الله ﷺ في حياته ومن بعد موته، ولا تزال تظهر وتتحقق ما بين الحين والآخر إلى عصرنا، وإلى ظهور المعجزات الكبرى، ومن المعجزات الحاصلة في عصرنا الآتي:

١) إخباره ببقاء الطائفة المنصورة إلى قرب قيام الساعة: فقد جاء في الحديث المتواتر، أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ» رواه البخاري برقم (٣٦٤١).

٢) ومنها الإخبار بتدهور حال المسلمين إذ وقعوا في المعاصي: كالربا وغيره، وآثروا الدنيا على الآخرة: فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا ظَنَّ النَّاسُ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَتَبَايَعُوا بِالْعَيْنِ، وَتَبِعُوا أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَنْزَلَ اللهُ بِهِمْ بَلَاءً، فَلَمْ يَرْفَعْهُ عَنْهُمْ، حَتَّى يُرَاجِعُوا دِينَهُمْ». رواه أحمد (٢/ ٢٨).

٣) إخباره ﷺ عن حال الأمراء الظلمة: فعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ، وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ». رواه مسلم رقم (١٨٤٣). وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ سَيَلِي أَمْرَكُمْ مِنْ بَعْدِي رِجَالٌ يُطْفِئُونَ السُّنَّةَ، وَيُحْدِثُونَ الْبِدْعَةَ، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا» رواه أحمد (١/ ٣٩٩). وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه، قال: (خرج علينا

رسول الله، أو دخل ونحن تسعة، وبيننا وسادة من أدم، فقال: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ يَكْذِبُونَ وَيَظْلِمُونَ، فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ الْحَوْضَ». رواه أحمد (٤/ ٢٤٣).

٤) ومنها إخباره ﷺ عن الملوك والرؤساء الجاهليين: فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» رواه البخاري برقم (١٠٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٣).

٥) ومنها إخباره ﷺ عن تنافس أمته في الدنيا: فعن عمرو بن عوف رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ؟» قالوا: أجل، يا رسول الله. قال: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُم أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ». رواه البخاري رقم (٣١٥٨) واللفظ له، ومسلم رقم (٢٩٦١). وعن عوف بن مالك رضي الله عنه، قال: قام رسول الله ﷺ فقال: «الْفَقْرَ تَخَافُونَ، أَوْ تُهِمُّكُمُ الدُّنْيَا؟! فَإِنَّ اللهَ فَاتِحٌ لَكُمْ أَرْضَ فَارِسَ وَالرُّومِ، وَتُصَبُّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا، حَتَّى لَا يُزِيغُكُمْ بَعْدِي إِنْ زِغْتُمْ إِلَّا هِيَ». رواه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص١٩٦).

٦) ومنها إخباره ﷺ بأناس من القرَّاء يتأكلون بالقرآن: فعن عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، وَسَلُوا اللهَ بِهِ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجِيءَ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ النَّاسَ بِهِ». رواه أحمد (٤/ ٤٤٥) وغيره.

٧) ومنها إخباره ﷺ بالعداوة الواقعة بين الزعماء وعلماء الفرق والأحزاب: فعن

سعد بن أبي وقاص ﷺ، أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية، حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين، وصلينا معه ودعا ربه طويلًا، ثم انصرف إلينا، فقال ﷺ: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَلَّا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ: أَلَّا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ، فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ: أَلَّا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ، فَمَنَعَنِيهَا» رواه مسلم برقم (٢٨٩٠).

٨) ومنها إخباره ﷺ بتقليد أمته أعداء الإسلام: فعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَفَارِسَ وَالرُّومِ؟ فَقَالَ: «وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ». رواه البخاري برقم (٧٣١٩). وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟! قال: «فَمَنْ؟!» رواه البخاري برقم (٧٣٢٠).

٩) ومنها إخباره ﷺ بعدم مبالاة بعض أمته بالكسب الحلال: فعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ، أَمِنَ الْحَلَالِ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ؟!» رواه البخاري برقم (٢٠٥٩).

١٠) ومنها إخباره ﷺ بتغير الزمان بعده: فعن الزبير بن عدي، قال: أتينا أنسًا ﷺ فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج، فقال: (اصبروا؛ فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعد أشر منه، حتى تلقوا ربكم. سمعته من نبيكم ﷺ). رواه البخاري برقم (٧٠٦٨).

١١) ومنها إخباره ﷺ أن بعض أمته يستحل بعض المحرمات: فعن أبي مالك الأشعري ﷺ، قال: سمع النبي ﷺ يقول: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ عَلَى جَنْبِ عَلَمٍ يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ -يَعْنِي الْفَقِيرَ- لِحَاجَةٍ فَيَقُولُوا: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ، وَيَضَعُ الْعَلَمَ

وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» رواه البخاري برقم (٥٥٩٠).

١٢) ومنها إخباره ﷺ بالنساء الكاسيات العاريات: فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال: رسول الله ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ، يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا». رواه مسلم برقم (٢١٢٨).

١٣) ومنها إخباره ﷺ بقلة الأمانة في الناس آخر الزمان: عن حذيفة، قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، قد رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، حدثنا: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ». ثم حدثنا عن رفع الأمانة، قال: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ -ثُمَّ أَخَذَ حَصًى فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ- فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ، حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ! مَا أَظْرَفَهُ! مَا أَعْقَلَهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ، وَمَا أُبَالِي أَيُّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينِهِ وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لِأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا». رواه مسلم برقم (١٤٣).

بعد سرد هذه الأمثلة وأمثالها، مما قد تحقق، ومما سيتحقق في المستقبل لا تجد علماء الإسلام يدخلون شيئًا من نظريات الكفار في دلائل النبوة؛ بدعوى أنها من المعجزات، وهاهي كتبهم في السابق واللاحق تدل على هذا، فما بال أبناء جلدتنا يطلقون على نظريات الكفار معجزات، مع أنه لا لقاء بينهما؟!!

كلام أهل العلم على بطلان الإعجاز في العلم الحديث

لا يخفاك -أيها القارئ- أن علماء عصرنا قد تصدوا بالردود على من يسمون أنفسهم أصحاب الإعجاز العلمي، وصارت أقوالهم مسطرة، وهي كثيرة.

قال الشنقيطي في «أضواء البيان» (٣/ ١٢٢) بعد أن ذكر آيات تدل على عدم وصول أصحاب الأفلاك إلى سطح القمر: (يؤخذ من هذه الآيات التي ذكرنا أن كل ما يتشدق به أصحاب الأقمار الصناعية، من أنهم سيصلون إلى السماء، ويبنون على القمر، كله كذب وشقشقة، لا طائل تحتها، ومن اليقين الذي لا شك فيه: أنهم سيقفون عند حدهم ويرجعون خاسئين أذلاء عاجزين...).

وقال أيضًا في المصدر نفسه (٣/ ١٢٨): (إن العلم الذي لا يجاوز صناعة يدوية، أهون على الله جل وعلا من أن يطلق عليه اسم السلطان؛ لأنه لا يجاوز أغراض هذه الحياة الدنيا...؛ ولأن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة).

وقال فهد الرومي في كتاب «اتجاهات المفسرين في القرن الرابع عشر» (٣/ ٧٠١) وهو يتحدث عن تفسير القرآن بالنظريات: (بقي أن أقول: إن هذا الإعجاز ما زال بحرًا مظلمًا فيه فجوات وفيه مهلكات، فالحذر! الحذر! من أن تقودنا العاطفة إلى المهالك... ولنحذر أن نقع في مثل هذه الأمور حتى تنبلج الحقيقة ويشرق ضوءها، وحينئذ فليتجه إليها المؤمنون فهي ضالتهم، ومن اتبع الأوهام وقع في المهالك).

وقال الزرقاني في «مناهل العرفان» (٢/ ٢٥٣) بعد أن ذكر الطعن في النظريات: (فهل يليق بعد ذلك كله أن نبقى مخدوعين مغرورين بعلمهم، الذي اصطلحوا عليه، وتحاكموا إليه، وقد سجنوه وسجنوا أنفسهم معه في سجن ضيق، هو دائرة المادة، تلك الدائرة المسجونة، هي أيضًا في حدود ما تفهم عقولهم وتصل تجاربهم، وقد تكون

عقولهم خاطئة، وتجاربهم فاشلة، ثم هل يليق بعد ذلك كله أن نحاكم القرآن إلى هذه العلوم المادية، القلقة الحائرة؟! بينما القرآن هو تلك الحقائق الإلهية العلوية الثابتة المنزلة من أفق الحق الأعلى، الذي يعلم السّر وأخفى).

وقال أيضًا في المصدر السابق (٢/٢٥٢-٢٥٣): (تبين لنا أن العلوم الكونية خاضعة لطبيعة الجذر والمد: أن أبحاثًا كثيرة منها لا تزال قلقلة حائرة في إثبات ونفي، فما قاله علماء الهيئة بالأمس ينقضه علماء الهيئة اليوم، وما قرره علماء الطبيعة في الماضي يقرر غيره علماء الطبيعة في الحاضر، وما أثبته المؤرخون قديمًا ينفيه المؤرخون حديثًا، وما أنكره الماديون وأسرفوا في إنكاره باسم العلم أصبحوا يثبتونه ويسرفون في إثباته باسم العلم أيضًا، إلى غير ذلك مما زعزع ثقتنا بما يسمونه العلم، ومما جعلنا لا نطمئن إلى كل ما قرروه باسم العلم).

وقال الدكتور/ محمد حسين الذهبي في كتاب «التفسير والمفسرون» ٢/٤٩٣-٤٩٤: (ويبدو لنا أن أنصار هذه الفكرة -فكرة التفسير العلمي- لمن يقولون بها، ولم يعملوا على تأييدها إلا بعد أن نظروا إليها كوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وبيان صلاحيته للحياة، وتمشيه معها على اختلاف أحوالها، وتطور أزمانها، ولكن ما هكذا يا سعد تورد الإبل؛ فإن إعجاز القرآن غنيٌّ عن أن يسلك في بيانه هذا المسلك المتكلف، الذي قد يذهب بالإعجاز... وإذا كان أرباب هذا المسلك في التفسير يستندون إلى ما تناوله بعض آيات القرآن من حقائق الكون ومشاهده، ودعوة الله لهم بالنظر في كتاب الكون وآياته التي بثها في الآفاق وفي أنفسهم؛ إذ كانوا يستندون إلى مثل هذا في دعواهم أن القرآن قد جمع علوم الأولين والآخرين، فهم مخطئون ولا شك؛ وذلك لأن تناول القرآن لحقائق الكون ومشاهده ودعوته إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض وفي أنفسهم، لا يراد منه إلا رياضة وجدانات الناس، وتوجيه عامتهم وخاصتهم إلى مكان العظة والعبرة، ولفتهم إلى آيات قدرة الله، ودلائل وحدانيته، من جهة ما لهذه الآيات والمشاهد من روعة في النفس وجلال في القلب، لا من جهة ما لها من دقائق النظريات وضوابط القوانين، فليس القرآن كتاب فلسفة

أو طب أو هندسة... وليعلم أصحاب هذه الفكرة أن القرآن غنيٌّ عن أن يعتز بمثل هذا التكلف، الذي يوشك أن يخرج به عن هدفه الإنساني الاجتماعي في إصلاح الحياة، ورياضة النفس، والرجوع بها إلى الله تعالى، وليعلم أصحاب هذه الفكرة أيضًا أن من الخير لهم ولكُتَّابهم ألَّا ينحوا بالقرآن هذا المنحى في تفسيرهم؛ رغبة منهم في إظهار إعجاز القرآن، أو صلاحيته للتمشي مع التطور الزمني، وحسبهم ألَّا يكون في القرآن نصّ صريح يصادم حقيقة علمية ثابتة، وحسب القرآن أن يمكن التوفيق بينه وبين ما جد ويجد من نظريات وقوانين علمية، تقوم على أساس من الحق، وتستند إلى أصل من الصحة).

وقال محمود شلتوت (ص٥٠): (فإن طائفة أخرى هي طائفة المثقفين الذين أخذوا بطرف من العلم الحديث، وتلقنوا أو تلقفوا شيئًا من النظريات العلمية والفلسفية والصحية وغيرها، أخذوا يستندون إلى ثقافتهم الحديثة، ويفسرون آيات القرآن على مقتضاها، نظروا في القرآن فوجدوا الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[الأنعام:٣٨] فتأولوها على نحو زيَّن لهم أن يفتحوا في القرآن فتحًا جديدًا، ففسروه على أساس من النظريات العلمية المستحدثة، وطبقوا آياته على ما وقعوا عليه من قواعد العلوم الكونية، وظنوا أنهم بذلك يخدمون القرآن، ويرفعون من شأن الإسلام، ويدعون له أبلغ دعاية في الأوساط العلمية والثقافية، نظروا في القرآن على هذا الأساس، فأفسد ذلك عليهم أمر علاقتهم بالقرآن، وأفضى بهم إلى صورة من التفكير لا يريدها القرآن، ولا تتفق مع الغرض الذي من أجله أنزله الله). نقلًا من كتاب «اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر» (٢/ ٥٧٨-٥٧٩).

وقال سعد الحصين في كتابه «الحكم بما أنزل الله فرض عين على كل مسلم» (ص٣٨): (وبدعة الإعجاز العلمي للقرآن لا تعدو أن تكون إهانة للقرآن، وإعلاء لنظريات الملحدين).

قلت: تأمل كلام هؤلاء العلماء تجده في غاية الوضوح على التحذير والتنفير من تفسير كلام الله بالعلم الحديث، فمن باب أولى أنها لا تكون إعجازًا، بل قد صرح بعضهم بالمنع من إطلاق الإعجاز عليها، وأنها أحقر من أن تبلغ هذا المبلغ.

نقد كتاب "بينات الرسول ومعجزاته" لمؤلفه عبد المجيد الزنداني

من آخر ما ظهر من المؤلفات للزنداني كتاب بعنوان "بينات الرسول ومعجزاته" مع مشاركة آخرين له، وقد احتوى الكتاب على حقٍّ مخلوط بباطل، فقد ذكر الكاتب مجموعة من معجزات الرسول ﷺ التي صحت، ودس فيها مجموعة من النظريات التي لا تصح، وقد اشتمل الكتاب على غوائل كثيرة، ومنها:

ما قاله في الكتاب المذكور (ص٦٩): (فهيا لنرى بعض الأبحاث من معجزة وعد بها القرآن وتجلت في عصرنا، وشاهد حقائقها أهل الاختصاصات الكونية العلمية الدقيقة في عصرنا، كعلم الفلك وعلوم الأرض والأرصاد والنبات والحيوان وعلوم الطب المختلفة وعلوم البحار وغيرها من العلوم الكونية).

قلت: لا أعلم أن علم الفلك والطب والنباتات والحيوانات وغير ذلك مما ذكره الزنداني وأمثاله قد صار مما وعد القرآن بإظهار المعجزات فيه إلا عند الزنداني وأمثاله، ومن ذا الذي يجهل أن علوم الطب والأفلاك والأرصاد والنباتات علوم دنيوية موجودة من قبل الإسلام ومن بعده.

لقد قرَّرَ الزنداني أنَّ النَّظريات التي فيها الإعجاز هي النَّظريات الكونية، ومع أنَّ هذا باطلٌ، إلَّا إنَّهُ في كتابه المذكور قرَّرَ أنَّ النظريات المُتعلِّقَةَ بالطِّبِ هي من الإعجاز، وقَرَّرَ أنَّ النَّظريات في الحيوانات إعجازٌ أيضًا، وهَلُمَّ جرًّا، وعلى هذا فقد انخرط العقد على الزنداني وصار في أمرٍ مريج.

❑ **ومما جعله الزنداني في كتابه المذكور من المعجزات: اكتشاف الحاجز بين البحرين** مستدلًّا بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾[النمل:٦١]، ومعلوم أن الحاجز موجود منذ أن خلق الله البحار، وقد بيَّن الله في كتابه وجود هذا

الحاجز، فصار معلومًا منذ نزول القرآن عند كل مَن يفهم القرآن، وكون أصحاب النظريات لم يعلموا بهذا إلا في عصرنا فهذا بسبب بقائهم على الكفر، ولو دخلوا في الإسلام لأدركوا ذلك، فإدراكهم لهذا الحاجز وأمثاله مما وصلوا إليه حسب زعمهم يدل على تأخرهم في العلوم عنا، فالحمد لله الذي جعلنا أعلم منهم.

وإذا كان ذكر القرآن والسنة للحاجز ليس بمعجزة عندنا قبل اكتشافهم له، فكذلك ليس بمعجزة عندنا بعد اكتشافهم له، فكيف يتجاسر الزنداني على تسميته معجزة؟! وإذا كان الزنداني يريد أنه معجزة عندهم ولهم، فكيف جعله معجزة للقرآن والرسول والمؤمنين؟! ألا يقبل الزنداني الاعتدال والتوسط، فيقول لأصحاب الاكتشافات: أدركتم شيئًا معروفًا لدينا؛ فلا إعجاز؟!

وعلى كل: إن أصرّ الزنداني على موقفه فلن يكون الحاجز معجزة للمسلمين قط، فضلًا عن أن يكون معجزة للقُرآن والسنة، فإن شاء جعله معجزة للكفار ولا قائل بهذا. وكون الجيولوجيين اكتشفوا مكان الحاجز وصفته فهذا لا يزيد عن وصولهم إلى مرتبة من مراتب العلم ألا وهي عين اليقين، والذين لم يروا الحاجز فهم يعلمونه من القرآن علم اليقين، فكيف جعل الزنداني الفرق بين المرتبتين معجزة؟ فهل هذا إلا من أعظم الاضطراب في العلم؟!!

❑ **ومما جعله الزنداني في كتابه المذكور إعجازًا**: أنه ذكر عند قول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾[الأنعام:٩٩] قال: (اكتشفوا أن المادة الحضراء "الخضر" هي التي تقوم بامتصاص الطاقة الضوئية، وتحويلها إلى طاقة كيماوية، ينتج عنها تكوين الثمار المختلفة).

فالنظرية عند الزنداني: أنهم اكتشفوا أن المادة الخضراء هي التي تقوم بامتصاص الطاقة الضوئية وتحويلها إلى طاقة كيماوية، ينتج عنها تكوين الثمار، وهذا لا علاقة له بالإعجاز على فرض صحة النظرية للآتي: أن هذه المادة الخضرة موجودة في النبات من

قبل الإسلام وبعده، فاكتشافها كاكتشاف مناجم الذهب، فكما أننا متفقون على أن اكتشاف مناجم الذهب ليس بمعجزة، وهو مما أخبر القرآن بوجوده، قال تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾[فصلت:١٠] فكذلك اكتشاف المادة المذكورة، فلا تفريق بين الاكتشافين؛ لأنهما متماثلان، فضلًا عن أن يكون في ذلك إعجاز.

من المعلوم أن تكوين الثمار ينتج بعوامل أخرى كالشمس والهواء وغير ذلك، كما هو معلوم، فكيف قبل الزنداني حصر أصحاب النظرية تكوين الثمار في المادة الضوئية فقط؟!!

❑ **ومما جعله الزنداني إعجازًا قرآنيًا: نزول الحديد من السماء.** انظر (ص١٠٧) من الكتاب المذكور.

والكلام على الاكتشاف المذكور من جهتين الجهة الأولى: من جهة صحة النظرية وعدمها، فالناظر إلى ما بنوا عليه صحة النظرية يرى بُعْدَ ذلك؛ لفساد ما بنوا الصحة عليه، فقد بنوا الصحة على دعوى اكتشافهم قطعًا من النيازك والمذنبات النجومية المتصادمة قبل أربعة بلايين ونصف، وأن هذه النيازك كانت تقصف الأرض بشدة، ثم دخلت بعد ذلك في الأرض، فيقال: إثبات هذا التصادم والقصف والدخول في الأرض غير ميسور، بدليل قوله تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الكهف:٥١] فعجزهم عن شهود القصف والتصادم والدخول في الأرض حاصل ومسلم به قطعًا، فهذا إيضاح عن نظرية لا تصح نقلًا ولا عقلًا ولا حسًّا؛ لأن القصف المذكور وقع قبل خلق الإنسانية ووجودها.

الجهة الثانية: لا يصح تسمية الاكتشاف المزعوم إعجازًا؛ لأن غير واحد من المفسرين من السلف وغيرهم قد قالوا بنزول الحديد من السماء، ولم يقل أحد منهم ولا من بقية العلماء: إن هذا إعجاز، فيلزم الزنداني أن يسلم بأن قول هؤلاء المفسرين إعجاز، فإن ادعى بطلان الإعجاز فيه لزم بطلان الإعجاز في الاكتشاف المذكور؛ إذ لا فرق بين مضمون القولين.

وكتب الزنداني مليئة من مثل ما ذكرنا من الجزم بصحة النظريات وجعلها إعجازًا قرآنيًا ونبويًا، ولا يغرنك كثرة مؤلفات الزنداني في هذا الباب، فكثيرًا ما يكون فيها تغيير العناوين وتقديم وتأخير، وأمَّا محتوى الكتاب فهو تكرار؛ فلا تفرح بها. ومما ابتلي به هذا الرجل: الإصرار على هذه النظريات المتناقضة، بالرغم من أن كثيرًا ممن ولجوا هذا المولج قد تراجع من تراجع منهم، وقد كنا نأمل من الزنداني أن يكون أسبق من هؤلاء في التراجع، ولكن ظهر منه ما يدل على شدة افتتانه بهذه النظريات، فقد نزل له كتاب جديد بعنوان "تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة" أتى فيه بقواعد عقلانية وتأصيلات فاسدة، أسأل الله أن ييسر بمن ينقض هذه القواعد والتأصيلات، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

بعض أصحاب النظريات من المنتسبين للإسلام يطعنون في القرآن

لقد سبق أن ذكرنا الصنف الذي يرى أن الاكتشافات العصرية معجزات قرآنية ونبوية وقد أوضحنا بطلان هذا وضلال القائلين به، وأنهم حرفوا معاني القرآن والسنة لأجل ذلك، وذكرنا صنفًا آخر وهو من أبناء جلدتنا ممن قبلوا نظريات الكفار وردوا المعجزات القرآنية والنبوية، وفريق ثالث ضرب بسهمه طاعنًا في القرآن، ومنهم:

❑ **محمد بن أحمد بن خلف الله** وهو يتحدث عن أمثال القرآن: (والأمثال لا يلزم أن تكون من الحقائق فقد تكون من المتخيلات ومن الأساطير والأوهام) "الفن القصصي في القرآن الكريم" المقدمة (ص٩).

وقال أَيْضًا: (وإذا كان القرآن ودور الأساطير فيه إنما ينفي أن تكون هذه الأساطير هي الدليل على أنه من عند محمد ﷺ وليس من عند الله).

❑ وأخبث من هذا المقال مقال **طه حسين** حين قال: (للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضًا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلًا عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل وإبراهيم إلى مكة).

ثم يقول: (ونحن مضطرون إلى أن نزف في هذه القصة نوعًا من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهود والتوراة والقرآن من جهة أخرى) نقلًا من كتاب "تحت راية القرآن" للرافعي (١٦٨-١٦٩).

❑ وقال **حسن حنفي** وهو يفسر الوحي: (إنما هو حديث نفسي حدث به النبيُّ، انعكاسًا من واقع المجتمع والأقدار) "شبهات وشطحات منكري السنة" (٣٩).

ونلخص طعون هؤلاء الزنادقة في القرآن الكريم في الآتي:

١) **جعل الأمثال التي ضربها الله في القرآن من التخيلات والأساطير والأوهام**، كما في مقال محمد بن أحمد خلف الله.

٢) **التشكيك في بعض القصص الموجودة في القرآن**، كقصة إبراهيم وإسماعيل، كما في مقال طه حسين.

٣) **الحيلة في إثبات الصلة بين التوراة والقرآن**، كما في مقال طه حسين أَيْضًا.

٤) **دعواهم أن الوحي حديث نفسي**، كما في مقال حسن حنفي.

وكم أقوال لهؤلاء وأمثالهم من المنحرفين كهذه الأقوال.

وعلى كل: هذا الإلحاد هو من ثمار التأثر بعلوم الكفار من نظريات وغيرها، فماذا أبقت النظريات للمقبلين عليها، فعلم آخره الضلال والتزندق، بل والإلحاد علمُ سوءٍ، منذرٌ بشرٍّ مستطيرٍ لا يبقي ولا يذر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.



الدافع للقول بأن الاكتشافات العصرية معجزات قرآنية ونبوية

من المعلوم أن النظريات ظهرت في بلاد أوربا، واستغلها أصحابها لمحاربة الديانة النصرانية، فحصل أن النظريات انتصرت على أرباب الكنائس، وكان من أعظم الأسلحة المتخذة بيدي أصحاب النظريات قولهم: إن أصحاب الكنائس يحاربون العلم المتطور، فنفر الناس عن الديانة النصرانية، وأقبلوا على النظريات تسليمًا منهم أنها إعجاز علمي تجريبي؛ لأنها قد غلبت دين أصحاب الكنائس، ثم حصل بعد ذلك أن انتقلت دعوى الإعجاز المذكور إلى بلاد المسلمين، عن طريق من ذهب من أبناء المسلمين للدراسة في بلاد الكفار، فتلقوا عنهم الإعجاز المذكور، فنقلوه إلى بلادهم، ومن ثَمَّ أخذوا يحاكمون بهذه النظريات القرآن والسنة، مدعين -بلسان الحال أو المقال- أنها قد غلبت القرآن والسنة، قياسًا على غلبتها دين الكنائس، فانبرى بعض من الكتاب والمثقفين من أبناء المسلمين، من باب الدفاع عن الإسلام، معلنين أن القرآن الكريم والسنة المطهرة يقبلان النظريات بدون تعارض، ولم يعبئوا بسياق الأدلة المستشهد بها، ولا ما قبلها ولا ما بعدها، ولم يرجعوا إلى ما قاله أهل العلم من المفسرين والشراح لهذه الأدلة، فجرهم هذا إلى تحريف معانيها، وتأويلها تأويلًا فاسدًا، وظنوا أنهم بهذا السّعي قد أحسنوا، حيث قبلوا النظريات، ولم يردوا الباطل منها، وجعلوا القرآن والسنة يتفقان معها، وهم بصنيعهم هذا كمثل الفلاسفة ابن سينا وغيره، حينما سعوا إلى التوفيق بين الشريعة الإسلامية وما جاء به فلاسفة اليونان، فحينما سلك ابن سينا وأمثاله هذا المسلك اتهموا بالزندقة.

فحذار من سلوك الطريق الذي سلكه مصححو النظريات، وبجهل كثير من المسلمين قبلت النظريات المصححة من قبل المذكورين، واعتمدت، حتى صارت

تدخل في المناهج الدراسية الحكومية وغيرها، واتسع الخرق على الراقع، فصار بعضهم يجعلها قسمًا للإيمان، كما هو حال مؤسس جامعة الإيمان: عبدالمجيد الزنداني، فقد جعل جامعته أربع كليات، الرابعة منهن: علم النظريات، الذي يسمونه بعلم الإعجاز، ونحن نسميه علم العجز، ومما زاد الطين بلة، أن صاروا يقيمون المحاضرات في بيوت الله، دفاعًا عن نظريات الكفار، ويشرحونها بعرضها على الناس عن طريق آلات التصوير، وقد تنكر لهم الناس حتى عوامهم، فيا له من علم يضيع من اشتغل به، ويضل من اعتقد صحته!!

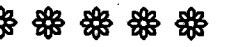

قول الكُتَّاب: إن الإعجاز العصري يتناسب مع من لا يؤمن بالمغيبات الشرعية، دليل على بطلان دعوى الإعجاز

هنا أمر يحتاج منا إلى إدراك، ألا وهو: أن من دواعي القول: إن الاكتشافات العصرية ليست إعجازًا للقرآن والسنة، قولهم: إن هذا يتناسب مع عقلية الفلاسفة والعقلانيين المنتسبين للإسلام، ويتناسب مع عقيدة أسيادهم من قادة الإلحاد اليهودي والنصراني، وهي الإيمان فقط بالمحسوسات، وعلى هذه الرؤيا الخاسرة قام أصحابها بالدعوة سرًّا أو جهارًا إلى التحرر من الإيمان بالمغيبات التي جاء بها الوحي المحمدي، إلا بقدر ما تشهد لها النظريات.

قال الشيخ مصطفى صبري في كتابه "موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين": (وصفوة القول: إن الرجل العصري يجب أن ينبذ العقلية الغيبية ويطاردها في كل مكان، حتى تستوي له عقلية علمية من هذا الطراز الذي نشاهده في معامل العلماء).

وقال الدكتور كامل عباد: (إن طريقة البحث العلمي جعلتنا لا نتقيد إلا بالواقع الذي تدركه الحواس، وأن نتحرر من العقائد الغيبية). نقلًا من كتاب "الاتجاهات العقلانية الحديثة" (١٢٤-١٢٥).

وقال زكي مبارك: (سيأتي يوم قريب أو بعيد يثور فيه الناس على الأمور الغيبية، ولكنهم لا يستطيعون أن يثوروا على عبقرية محمد). المصدر الأول.

وقال الدكتور حسن صعب وهو يعبر عن العصور الإسلامية: (عصر الغيبية والتجريد) ويقول عن عصرنا الحالي: (عصر الإيجابية والعلمية). "الإسلام وتحديات العصر" (ص٦٦).

ويقول أبو شادي: (والدين الإسلامي يتميز بأنه يدعو إلى المعرفة بالبحث والتحقيق التجريبي، ولا يطلب الإيمان بدون اقتناع، ولا يفترض الاقتناع بغير برهان، فهو يختلف عن الأديان الأخرى، وإن تفرع عن بعضها أو على الأصح استوعبه، يختلف من حيث إنه لا يتعرف الحقيقة بالمغيبات). نقلاً من كتاب «الاتجاهات العقلانية الحديثة» (ص١٢٦).

وقد سبق في ردنا على كثير من النظريات بيان أن هذه النظريات وأمثالها تقر إنكار وجود الله، وإنكار ربوبيته وألوهيته، وإنكار وجود العرش والجنة والكرسي والسماوات السبع، وهلم جرًّا، فوا أسفاه! أيقال: إنها معجزات قرآنية؟! ألا ساء ما يقررون!.





٧

الفصل السابع

الرد على
من فسَّر القرآن والسنة النبوية
بالنظريات الكفرية





اعتماد النظريات في تفسير القرآن فتح لباب الضلال والزندقة والإلحاد

أيها القارئ الكريم، قبل أن أثبت ما تضمنه عنوان هذا الباب، أنقل لك من الأدلة وأقوال السلف وأهل العلم، ما يُجَلِّي لك عظيم الانحراف في تفسير القرآن بالرأي، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[الأعراف:٣٣] إلى قوله: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[الحاقة:٤٤-٤٧].

وروى أبوعبيد القاسم بن سلام بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: (كنا عند عمر فقرأ: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾[عبس:٣١] فقال: هذه الفاكهة، فالأبُّ؟! ثم رجع على نفسه، فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر). وسنده صحيح.

وجاء عن أبي بكر، عند ابن عبد البر في "الجامع" رقم (١٥٦١) أنه قال: (أي أرضٍ تقلني، وأي سماءٍ تظلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟!).

روى أبوعبيد القاسم بن سلام، عن الشعبي، عن مسروق، أنه قال: (اتقوا التفسير؛ فإنما هو الرواية عن الله)، وسنده حسن.

وصح عن عبيدالله بن عمر قال: (أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير، منهم سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع).

وصح عن إبراهيم النخعي أنه قال: كان أصحابنا يهابون التفسير ويتقونه. قال ابن كثير في مقدمة "تفسيره" بعد أن أورد آثارًا كثيرة: (فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف، محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به).

فهؤلاء علماء السلف، وهم من هم، ومع ذلك يتهيبون أن يتكلموا في كلام الله

بالاجتهاد والرأي، فما بالك بمن يجعل أفكار الأعداء وتخرصاتهم ميزانًا لكلام الله ورسوله، بل وحاكمًا عليهما، اللهم سلِّم! سلِّم!.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "مجموع الفتاوى" (١٣/ ٢٤٣): (من فسر القرآن أو الحديث أو تأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين، فهو مفترٍ على الله، ملحد في آيات الله، محرف للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزندقة، والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام).

وقال في نفس المصدر (١٣/ ٣٦٢): (ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم، وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ، فمن خالف قولهم، وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم، فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعًا).

وقال أيضًا في نفس المصدر (١٣/ ٢٨-٢٩): (وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا برأيه ولا بذوقه ولا معقولة ولا قياسه ولا وجده؛ فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات، والآيات البينات، أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم... ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقلٍ ورأي وقياس، ولا بذوقٍ ووجد ومكاشفة، ولا قال قط قد تعارض في هذا العقل والنقل، ولا فيهم من يقول إن له ذوقًا أو وَجْدًا أو مخاطبة أو مكاشفة تخالف القرآن والحديث...).

وقال النووي في "المجموع": (الإجماع على أن تفسير القرآن من العلماء حسن، وأنه يحرم تفسيره، والكلام في معانيه لمن ليس من أهله). نقلًا من "موسوعة الإجماع" (٣/ ٩١٠).

وقال: (اتفقوا على أن كل ما ورد في القرآن من خبر ما مضى أو ما يأتي، حق صحيح، وصدق لا شك فيه، فمن كذب بشيء مما جاء به القرآن من حكم أو خبر، أو نفى ما أثبته أو أثبت ما نفاه أو شك في شيء من ذلك وهو عالم به فقد أجمعوا

على كفره). نقلًا من المصدر السابق (٣/ ٩٠٣).

وقال الزركشي: (لطالب التفسير مآخذ كثيرة أمهاتها أربعة:

الأول: النقل عن رسول الله ﷺ، وهذا هو الطراز الأول، لكن يجب الحذر من الضعيف والموضوع؛ فإنه كثير، وإن سواد الأوراق سواد في القلب.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين.

الرابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام، والمقتضب من قوة الشرع... ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصلٍ، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[الإسراء:٣٦]) «البرهان في علوم القرآن» (٢/ ١٥٦-١٦١).

وللشاطبي كلام عظيم يرد به على من أجازوا تفسير القرآن بعلوم الطبيعة والمنطق وعلم الحروف وغير ذلك، انظره في «الموافقات» (٢/ ٧٢١).

تأمل -أيها القارئ-: ما تضمنته هذه النقولات من قواعد وضوابط لابد من اعتبارها والعمل بها، لمن يريد أن يفسر كلام الله، فمن لم يحتكم إلى هذه الأصول والضوابط في تفسير كتاب الله العزيز، فقد عرَّض نفسه للولوج في الضلال، وفتح بابًا إلى الإلحاد في آيات الله، ويا سبحان الله! كم وقع أصحاب التفسير للقرآن بالنظريات في كثير من الانحرافات، بحسن قصد، أو بسوء قصد، وحسن القصد لا يشفع لمن وقع في التحريف والتبديل لكلام الله، فهاهو المدعو مصطفى محمود في تفسيراته العصرية يصور للناس أن القرآن الكريم إذا لم يقدم للناس علوم الطب والتشريح والرياضيات والفلك والذرة وغير ذلك من علوم الهيئة فليس صالحًا لزماننا ولا جديرًا به. وهاهو علي الطنطاوي يؤلف كتابًا بعنوان «الجواهر في تفسير القرآن الكريم» حشاه بالنظريات، وأنواع علوم الدنيا، وجعل تعلم ذلك فرض عين على القادرين، ولقد قال غير واحد من علماء العصر في تفسيره المذكور: (كل شيء فيه إلا التفسير) انظر كلام العلماء على تفسيره في كتاب «اتجاهات المفسرين في القرن الرابع

عشر» (٢/ ٦٧٢-٦٧٧) وقد منع علماء أرض الحرمين دخول كتابه المملكة العربية السعودية. وألف أيضًا محمد بن أحمد الإسكندراني كتابًا بعنوان «كشف الأسرار النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية» وصاحب التفسير المذكور مغرم بالنظريات قديمًا وحديثًا.

فالله الله في الدفاع عن تفسير القرآن، ورد هجمات هؤلاء، قال سعد الحصين في كتابه «الحكم بما أنزل الله فرض عين على كل مسلم» (ص٣٧): (... فليس من المستبعد أن يحدث في الإسلام ما حدث في النصرانية، عندما أرادت اللحاق بركب العصر العلمي، فأدخلت في تفسير الأناجيل دراسات في الفلك، وفي الرياضة، والعلوم الطبيعية، والفنون التطبيقية، ولما تغيرت النظريات مع الزمن، كما يحدث دائما في النظريات الظنية، فقد الدين النصراني احترامه بين أكثر أهله).

ومما يدل على الإلحاد في آيات الله من قبل أصحاب التفاسير المذكورة: ما سبق ذكره في مواضع كثيرة، ومن ذلك: إنكار وجود سبع سماوات طباقًا وسبع أرضين، وإنما يزعمون وجود فضاء فوقنا لا نهاية له، ويلزم من ذلك عدم وجود العرش والكرسي والجنة، واحتقارهم للكون العلوي، الذي أخبر الله عنه في كتابه في عشرات الآيات، ومدح نفسه سبحانه بذلك، واحتقارهم للأرض، كما بينا ذلك في موضعه، وأيضًا بعضهم تشكك في صدق ما أخبر به الرسول ﷺ، حتى جاءت هذه النظريات العصرية، فأثبتت صدقه لديهم فإذا كان اعتمادهم على النظريات أدى إلى زعزعة ثقتهم بدينهم، وبما جاء به رسولهم ﷺ، وبما كان عليه السلف الصالح، فهذا فتح باب للزندقة باسم الإعجاز العصري أو التفسير العلمي، ونحن نسميه العجز العصري.

فخلاصة الكلام: أنه لا يجوز تفسير القرآن بأي نظرية من النظريات، ولو ادعي أنها قطعية الثبوت، فإن صحت النظرية صحة لا مرية فيها، فالقرآن في غنًى عنها، وحسب القرآن أنه يقبلها، أما أن تكون عمدة في تفسيره، فلا. وقد قام كثير من العلماء المعاصرين بالتحذير من هذا العدوان على القرآن والسنة المطهرة.

أهل العلم يمنعون من تفسير القرآن بالنظريات

دونك -أيها المسلم- كلام أساطين علماء الشريعة الإسلامية على تحريم ومنع تفسيرات القرآن بالنظريات:

❑ **فقد سئلت اللجنة الدائمة بهذا السؤال:** ما حكم الشرع في التفاسير التي تسمى بالتفاسير العلمية وما مدى مشروعية ربط آيات القرآن ببعض الأمور العلمية التجريبية، فقد كثر الجدل حول هذه المسائل؟

فأجابت بقولها: (الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله، وعلى آله وصحبه، وبعد: إذا كانت من جنس التفاسير التي تفسر قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ﴾[الأنبياء:٣٠] بأن الأرض كانت متصلة بالشمس، وجزءًا منها، ومن شدة دوران الشمس انفصلت عنها الأرض، ثم برد سطحها وبقي جوفها حارًّا، وصارت من الكواكب التي تدور حول الشمس، إذا كانت التفاسير من هذا النوع، فلا ينبغي التعويل ولا الاعتماد عليها، وكذلك التفاسير التي يستدل مؤلفوها بقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ﴾[النمل:٨٨] على دوران الأرض، وذلك أن هذه التفاسير تحرف الكلم عن مواضعه، وتخضع القرآن لما يسمونه نظريات علمية، وإنما هي ظنيات، أو وهميات وخيالات، وهكذا جميع التفاسير التي تعتمد على آراء جديدة ليس لها أصل في الكتاب والسنة ولا في كلام سلف الأمة؛ لما فيها من القول على الله بغير علم). "فتاوى اللجنة الدائمة" (٤/ ١٤٥) رقم الفتوى (٩٢٤٧).

❑ **وقد وجه سؤال للعلامة ابن عثيمين رحمه الله هذا نصه:** هل يجوز تفسير القرآن الكريم بالنظريات العلمية الحديثة؟

فأجاب كما في كتاب «العلم» (ص١٥٠-١٥١) بقوله: (تفسير القرآن بالنظريات العلمية له خطورته، وذلك أننا إذا فسرنا القرآن بتلك النظريات ثم جاءت نظريات أخرى بخلافها فمقتضى ذلك أن القرآن صار غير صحيح في نظر أعداء الإسلام، أما في نظر المسلمين فإنهم يقولون: إن الخطأ من تصور هذا الذي فسر القرآن بذلك، لكن أعداء المسلمين يتربصون به الدوائر، ولهذا أنا أحذر غاية التحذير من التسرع في تفسير القرآن بهذه الأمور العلمية، ولندع هذا الأمر للواقع إذا ثبت في الواقع، فلا حاجة إلى أن نقول القرآن قد أثبته، فالقرآن نزل للعبادة والأخلاق والتدبر، يقول عز وجل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[ص:٢٩]، وليس لمثل هذه الأمور التي تدرك بالتجارب ويدركها الناس بعلومهم، ثم إنه قد يكون خطرًا عظيمًا فادحًا في تنزيل القرآن عليها، أضرب لهذا مثلًا: قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾[الرحمن:٣٣]، لما حصل صعود الناس إلى القمر، ذهب بعض الناس ليفسر هذه الآية ونزَّلها على ما حدث، وقال: إن المراد بالسلطان العلم، وإنهم بعلمهم نفذوا من أقطار الأرض، وتعدوا الجاذبية. وهذا خطأ، ولا يجوز أن يفسر القرآن به، وذلك لأنك إذا فسرت القرآن بمعنى فمقتضى ذلك أنك شهدت بأن الله أراده، وهذه شهادة عظيمة ستسأل عنها، ومن تدبر الآية وجد أن هذا التفسير باطل؛ لأن الآية سيقت في بيان أحوال الناس، وما يئول إليه أمرهم...).

❑ **وقال العلامة ابن باز في «الأدلة النقلية...»** (ص٧٤) وهو يتحدث عن النظريات: (وأما قبولها مطلقًا من غير فحص ولا نظر بل بمجرد التقليد لهم فأمر لا يجوز؛ لما يترتب عليه من الأخطاء الكثيرة، والقول على الله وعلى خلقه بغير علم، في مسائل كثيرة مما يقولون).

قال بعض العلماء المعاصرين: (وما من نظرية علمية إلا وهي عرضة للنقد أو للنقص، إن لم يكن اليوم فغدًا؛ إذ العلم المنظور متجدد لا تقف نظرياته عند حد،

فماذا يكون موقف هؤلاء لو وجد في المستقبل ما يهدم النظريات العلمية المسلَّم بها الآن؟).

بل قد حصل الآن النَّقض لكثير من النظريات التي كانت قبل النصف الثاني من القرن العشرين تُعَدُّ صحيحة، وهذا موضحٌ في كثيرٍ من النظريات التي ذكرتها في هذا السفر.

❑ **وقال محمود شلتوت في "تفسيره"**: (إن طائفة أخرى هي طائفة المثقفين الذين أخذوا بطرف من العلم أو تلقوا شيئًا من النظريات العلمية والفلسفية والصحية وغيرها، أخذوا يستندون إلى ثقافتهم الحديثة، ويفسرون آيات القرآن على مقتضاها، نظروا في القرآن فوجدوا الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[الأنعام:٣٨] فتأولوها على نحوٍ زيَّن لهم أن يفتحوا في القرآن فتحًا جديدًا؛ ففسروه على أساس من النظريات العلمية المستحدثة، وطبقوا آياته على ما وقعوا عليه من قواعد العلوم الكونية، وظنوا أنهم بذلك يخدمون القرآن، ويرفعون من شأن الإسلام، ويدعون له أبلغ دعاية في الأوساط العلمية والثقافية...).

❑ **وقال الشيخ مصطفى المراغي**: (يجب ألَّا نجر الآية إلى العلوم كي نفسرها، ولا العلوم إلى الآية، ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها). نقلًا من كتاب "التفسير والمفسرون" (٢/ ٥٦٩).

❑ **وقال سعد الحصين في كتابه** "الحكم بما أنزل الله فرض عين على كل مسلم" (ص٣٥): (ومن أسوإ الأمثلة على ذلك، ربط كلام الله اليقيني بالنظريات الحديثة في الكون والحياة، وكلها ظنية قابلة للتغيير والتبديل).

وخلاصة القول: أنه لا يجوز أن يفسر القرآن بالنظريات، فليتق الله أولئك المفتونون بآراء الكفار وظنونهم!! وإذا كان العلماء يُحذِّرون غاية التحذير من تفسير القرآن بالنظريات، فمن باب أولى أن يحذروا ويمنعوا من الادعاء أنها إعجاز قرآني أو نبوي.

فتفسير القرآن بما يتجدد من علوم إنسانية ونظريات لا يجوز؛ لأن التجدد الحاصل جهود بشرية، قابلة للنقص والزيادة، والقبول والرد.

تنبيـــهٌ: أجاز بعض العلماء العصريين تفسير القرآن والسنة بالنظريات بعشرة شروط، انظرها في "أصول التفسير وقواعده" (ص٢٢٤) والذي أراه عدم فتح هذا الباب؛ لما فيه من التلاعب بالقرآن تحت مبرر شروط وقيود؛ لأنه يحصل كثيرًا عدم الالتزام بالشروط حقيقة، وإن ادُّعِيَ ذلك، وأيضًا ما هناك حاجة ماسة إلى تجويز هذا، وقد رأينا بأم أعيننا ماذا عمل أصحاب النظريات بتفاسير القرآن من شر عظيم!!!



مفاسد تفسير القرآن بالنظريات

إن مفاسد تفسير القرآن بنظريات الفلكيين كثيرة، وسأذكر منها ما تيسر لي:

الأولى: محاكمة القرآن والسنة إلى النظريات، كما صرح بهذا الزرقاني، وقد ذكرنا في الفصل الأول أن أرباب النظريات يرون أنها قادرة على حل جميع المشكلات، وأنها الوحي العصري المتطور، وأن الوحي الإلهي أساطير وأوهام، وأنت تعلم -يا عبد الله- أن القرآن الكريم هو المهيمن على جميع الكتب السماوية والمقالات الأرضية، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[المائدة:٤٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٤٣-٤٥): (فالسلف كلهم متفقون على أن القرآن هو المهيمن المؤتمن، الشاهد على ما بين يديه من الكتب، ومعلوم أن المهيمن على الشيء أعلى منه مرتبة، ومن أسماء الله (المهيمن) ويسمى الحاكم على الناس القائم بأمورهم المهيمن... وهكذا القرآن، فإنه قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر... وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل كلهم وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين، وبيَّنَ عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها، وبيَّنَ ما حرف منا وبدل وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبين أيضًا ما كتموه مما أمر الله ببيانه، وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن، فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة، فهو شاهد بصدقها وشاهد بكذب ما حُرِّفَ منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله، ونسخ ما نسخه، فهو شاهد في الخبريات حاكم في الأمريات... ثم إنه معجز في نفسه، لا يقدر الخلائق أن يأتوا

بمثله، ففيه دعوة الرسول، وهو آية الرسول وبرهانه على صدقه ونبوته، وفيه ما جاء به الرسول وهو نفسه برهان على ما جاء به).

الثانية: التلاعب بإعجاز القرآن، مما يؤدي إلى الطعن فيه، في نظر أعداء الإسلام والمنافقين والضُّلَّال، بل هذا يؤدي إلى أن يكون عندهم برهان قاطع في نظرهم على عدم تصديق القرآن، كما قال هذا الدكتور الذهبي وغيره، وقد نقلنا كلامه في كلام أهل العلم على بطلان الإعجاز العصري المزعوم.

الثالثة: تجهيل الصحابة، ومن المعلوم أن أعلم الناس بالقرآن ومعانيه صحابة رسول الله ﷺ؛ لأنهم شاهدوا التنزيل، وتعلموا التأويل من النبي ﷺ، وعايشوا الأحداث، ورباهم الرسول ﷺ على الفهم السديد، والعمل الرشيد، فكانوا على ذلك، ولا خلاف عند أهل السنة أن الصحابة أعلم أتباع النبي ﷺ بما جاء به النبي ﷺ ممن جاء من بعدهم، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فتجهيل حملة نظريات الكفار للصحابة ناقض للإجماع، وطاعن في اختيار الله لهم، ومدح الرسول ﷺ إياهم، والتجهيل لهم أيضًا داعٍ إلى نبذ ما قاموا به من عناية عظيمة من نشر الإسلام، علمًا، وعملًا، والذَّبِّ عنه، ونابذ لما قاموا به من مواجهة أهل البدع والتحزب، بل والزندقة والإلحاد، وهذا النبذ حاصل عند المتهوكين في تفسير القرآن بالنظريات، وأما العلوم الدنيوية التي عند الكفار فهذه لا ندعي أن الصحابة كانوا أعلم بها من الكفار؛ لأنها أحقر من أن يشتغل بها حملة الإسلام، فكلما ازداد الكفار تعمقًا وإقبالًا عليها زادت حقارتهم عند الله وعند أوليائه، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٧].

الرابعة: تجهيل علماء المسلمين من مفسرين ومحدثين، من عهد السلف إلى عصرنا هذا، ومقتضى هذا: أن هؤلاء العلماء تتابعوا عصرًا بعد عصرٍ وجيلًا بعد جيل، خلال القرون الماضية على الأخطاء، فلم يفهموا حقيقة معاني الآيات الكونية، حتى جاءت النظريات الكونية، وكشفت لهم ما جهلوا، ولا يخفى عليك: أن الآيات

القرآنية كثيرة تبلغ المئات، وفهمها ميسرٌ لعموم الناس، فضلًا عن أهل العلم. فوا أسفا! أيكون جهابذة المفسرين جاهلين بمعاني هذه الآيات؟!!

وعلى كل: هؤلاء المقلدون لأصحاب الهيئة جندوا أنفسهم لمحاربة علماء الإسلام، حتى قال قائلهم: (كيف يعترض علينا هؤلاء المحنَّطون؟!) بل إن الرمي لهم بالكلمات المليئة بالسخرية والاحتقار تفوق الحصر، كرميهم إياهم بالجمود والتقليد والبلادة والأفهام السقيمة والمعتوهين، بل قد بلغ ببعضهم أن قال: (إن من رد هذه العلوم يعني النظريات، فهو من جنس أرباب الكنائس). سبحانك هذا بهتان عظيم!!

الخامسة: ربطوا توحيد الله بمعرفة النظريات، فمن لم يدرس النظريات وسلَّم لها كما يريدون فهو عندهم غير موحد لله، بل جاهل بالله، ألا ترى أن الزنداني ألَّف كتابه "توحيد الخالق" وحشاه بهذه الترهات، وصاحب كتاب "توحيد الخالق" أكثر في كتابه من الدعوة إلى توحيد الربوبية الذي يعرفه المشركون، متجاهلًا لتوحيد الألوهية الذي هو الغاية الكبرى من بعثة الرسل، وإنزال الكتب، وهو أول واجب وآخر واجب أوجبه الله على العباد، ومن أجله قامت السماوات والأرض، وخلق الموت والحياة، والجنة والنار، وشرع الجهاد.

السادسة: الإهمال لتلقي العقيدة من القرآن والسنة وما كان عليه سلف الأمة، وفتح الباب لتلقيها عن أصحاب النظريات والفلاسفة، قال صاحب كتاب "الاتجاهات العقلانية الحديثة" (ص١٤٣): (لذلك نجدهم -أي: العقلانيين- لا يتورعون عن التلقي عن المستشرقين والمفكرين الغربيين، حتى في قضايا العقيدة والأصول الإسلامية، التي لا يجوز للمسلم استمدادها إلا عن الله ورسوله).

السابعة: رفعوا من قدر علوم أحسن ما يقال فيها: إنها دنيوية، وقد قال الله في علوم الكفار: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾[الروم:٧]، فهم رفعوا ما وضع الله، ومدحوا ما ذمه الله، وعظموا ما حقر الله، فبئس ما صنعوا!! وتبًّا لهم على ما فعلوا!! وكم كانت هذه العلوم التي هي أشبه بالأساطير، حائلًا بين

تعلم الإسلام والإقبال عليه وعلى أهله؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون!!

الثامنة: إثبات النقص في الشريعة المحمدية، فإن المتوغلين في قبول نظريات الأفلاك يصرحون أن آيات من القرآن وهي بالمئات لم تفهم إلا عن طريق نظريات الكفار، فصارت الأحكام الشرعية بحاجة إلى نظريات أعداء الإسلام في نظر أذنابهم، ومن تأثر بهم، كذبوا والله؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣].

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال كما في "مجموع الفتاوى" (٩/ ٢١٥): (فنحن قد بينا أن شريعة الإسلام ومعرفتها ليست موقوفة على شيء يتعلم من غير المسلمين أصلًا، وإن كان طريقًا صحيحًا).

ورحم الله العلامة الشوكاني حيث قال في "القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد" (ص٣٨): (فإذا كان الله قد أكمل دينه قبل أن يقبض نبيه ﷺ فما هذا الرأي الذي أحدثه أهله بعد أن أكمل الله دينه؟!! إن كان من الدين في اعتقادهم فهو لم يكمل عندهم إلا برأيهم، وهذا فيه رد للقرآن، وإن لم يكن من الدين فأي فائدة في الاشتغال بما ليس من الدين؟! وهذه حجة قاهرة، ودليل عظيم، لا يمكن صاحب الرأي أن يدفعه بدافعٍ أبدًا، فاجعل هذه الآية الشريفة أول ما تصك به وجوه أهل الرأي، وترغم به آنافهم، وتدحض به حججهم).

فخلاصة القول: أن نظريات الملاحدة في المخلوقات لا تخرج عن أنها معامل، ومختبرات، ومناظير، وكيماويات، وفيزيائيات، والمتعصبون لها مصرون على أنها قواعد وأصول للإسلام، ومعجزات للقرآن، وأعمدة لسنة سيد الأنام. وشر البليات ما كان بعد إقامة البينات!!

التوفيق بين الإسلام والنظريات طريقة الباطنية الزنادقة

لقد قام الزنادقة بمحاولة التوفيق بين القرآن والفلسفة قديمًا وحديثًا، أما حصوله قديمًا فقد قال صاحب كتاب "تاريخ الفلسفة العربية" نقلًا من كتاب "موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة" (ص٣٢٢-٣٢٣): (والكندي أول الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام، لجأ إلى تأويل الكثير من الآيات القرآنية، التي رأى فيها تعارض مع آراء الفلسفة اليونانية، والفارابي حينما رأى معارضة أهل السنة المنطق اليوناني الذي كان مستغرقًا في نقله ودراسته، كتب كتابًا جمع فيه جملة من أقوال النبي ﷺ يشير فيها بزعمه إلى صناعة المنطق، وابن طفيل عرض لقضية التوفيق بين الفلسفة والدين، في رسالته "حي بن يقظان" وذلك حينما جعل ما وصل إليه بطل قصته حي بن يقظان بالنظر العقلي والتأمل لا يخالف تعاليم الدين).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "دقائق التفسير" (٦/٤١٦) وهو يتكلم عن الفلاسفة: (كما لا يعرفون النبوات، ولا يتكلمون عليها بنفي ولا إثبات، وإنما تكلم متأخروهم كابن سينا وأمثاله الذين أرادوا أن يجمعوا بين النبوات وبين الفلسفة، فلبَّسوا ودلَّسوا).

وأما حديثًا فأصحاب (العجز العصري) والتوجُّه الفرعي سلكوا مسلك ابن سينا وابن الفارابي وغيرهما، فقد قال أحمد بن أمين في كتابه "فجر الإسلام" (ص٩٣): (وقانون الفرس والقانون الروماني امتزجا بالأحكام التي وضحها القرآن والسنة).

قلت: كذبت يا عدو الله، لم تمتزج أحكام الإسلام بقوانين الكفرة. وقال المجرم الكبير طه حسين في تقديمه لكتاب أحمد أمين "فجر الإسلام" والموجود في آخر الكتاب: (وما رأيك في حياة عقلية للعرب تجد فيها أثر الحياة الجاهلية، وهو كثير

بعيد، وتجد فيها أثر الإسلام، وهو مركب غير بسيط، وتجد فيها أثر المسيحية، وفيها السَّامي واليوناني، وتجد فيها أثر المجوسية الفارسية، كما تجد فيها أثر الديانات الهندية على اختلافها).

وقال أحمد أمين في «فجر الإسلام» أيضًا (ص٩٤): (حتى العقيدة الإسلامية لم تخل من تأثر بهذا الامتزاج، أتظن أن الفارسي أو السوري أو النصراني أو الرومي أو القبطي إذا دخل الإسلام انمحت منه كل العقائد التي ورثها من آبائه وأجداده قرونا، وفهم الإسلام كما يريد الإسلام من تعاليمه؟ كلا، لا يمكن أن يكون ذلك...) إلى قوله: (حتى المخلصون منهم في اعتناقهم الإسلام) نقلًا من كتاب «الاتجاهات العقلانية الحديثة» (ص٣٤٧-٣٤٨).

وقال محجوب بن ميلاد وهو يتحدث عن العقيدة الإسلامية: (فبعد أن كانت آيات ترتل، وأحاديث تروى في أيام الرسول العربي، وفي عهد الخلفاء الراشدين، وفي أوائل الدولة الأموية، إذا بها تصبح صرحًا فلسفيًّا شامخًا) «في سبل السنة الإسلامية» (ص٢٩).

ولا يخفى عليك أن هؤلاء الكتاب يغترفون هذه الأقاويل من كتب المستشرقين؛ فلا غرابة إذن أن يقرروا ما قرره أحبار ورهبان اليهود والنصارى.

ومن يكن الغراب له دليلًا ... يمر به على جيف الكلاب

ولم تقف هذه البلية على التوفيق بين مجموعة مسائل، بل ذهبت إلى أبعد، حيث ألفت الكتب الكثيرة قديمًا وحديثًا، الداعية إلى إخضاع القرآن والسنة لكلام أعداء الله وأعداء رسله، بل قد تجد للواحد من هؤلاء عشرات الكتب، وعلى سبيل المثال: ابن رشد له أكثر من ثلاثين ما بين كتاب ومقالة في هذا، ومن ذلك كتابه «فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال» انظر «سير أعلام النبلاء» (٢١/٣٠٨-٣٠٩) و«كشف الظنون» و«موسوعة الفلسفة»، وأما في عصرنا فقد ألفت كتب كثيرة حشدت فيها النظريات، وجعلت بعناوين دالة بل صريحة في هذا

التلفيق، كالكتب التي عناوينها: "الإعجاز الإلهي والقرآني والنبوي" "التوحيد"، "الإيمان"، "العلم طريق الإيمان"، "سنريهم آياتنا في الآفاق"، وقد سبق ذكر هذه كثيرًا، وأيضًا ككتاب "ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة" لمحمود شكري الألوسي، و"معجزة القرآن العددية" لصديق البيك، و"القرآن والعلم الحديث" لعبد الرزاق نوفل، و"شواهد العلم في هدي القرآن" لمحمد بن سعد المقدم، وغير هذه من الكتب كثير.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

النظريات أحقر من أن تقدس وتعظم





أيها القارئ الكريم، اقرأ وتأمل ما في هذه النقولات الآتية من انحراف يقشعر منه جلدك، وتتفتت له أكبادك، قال محمد فريد وجدي: (لقد أصبح القول الفصل للعلم -يقصد العلم الغربي المادي الحديث- العلم الذي اتفق قادة الفكر الإنساني على تسميته بهذا الاسم، وهو جملة المقررات اليقينية على الوجود وكائناته، مما سرت عليه أصول الدستور العلمي، فكل قول لا يحصل على تأييد هذا العلم، أو على الأقل لا يماشي أسلوبه، ويرتسم حدوده، لا ينال من العقلية العصرية المكانة التي يراد أن تكون له، وقد رفض هذا العلم كل ما عُرض عليه من أساطير الأولين، حتى العقائد التي بادت في سبيل الدفاع عنها أم برمتها، وهذا العلم اليوم واقف لنا بالمرصاد؛ ليفعل بعقائدنا مثل ما فعل بعقائد الذين سبقونا إليه، والأمم الإسلامية اليوم محفوزة إليه بحكم التربية العصرية) «الاتجاهات العقلانية الحديثة» (ص٣٧٨-٣٧٩).

وقال محمد حسين هيكل: (وقد تأخذ القارئ الدهشة إذا ذكر ما بين دعوة محمد، والطريقة العلمية الحديثة من شبه قوي، فهذه الطريقة تقتضيك إذا أردت بحثًا أن تمحو من نفسك كلَّ رأيٍ، وكل عقيدة سابقة لك في هذا البحث... وهذه الطريقة العلمية هي أسمى ما وصلت إليه الإنسانية، في سبيل تحرير الفكر، وهاهي ذي طريقة محمد وأساس دعوته، فكيف اقتنع الذين اتبعوه بدعوته وآمنوا بها، نزعوا من أنفسهم كل عقيدة سابقة، وبدؤوا يفكرون فيما أمامهم). المصدر السابق (ص٣٧٩-٣٨٠).

وقال الدكتور أحمد زكي أبو شادي، وهو يشيد بالتفسير الأمريكي للإسلام عن طريق أفكارهم: (هذا هو الإسلام كما يفهم ويفسر ويبشر به في العالم الجديد بين المتعلمين، وكما حاولنا بيانه بأحاديثنا العربية والإنجليزية على السواء، وعلى الأخص

بالنسبة لتفاعله مع الحضارة الأمريكية ومع الديمقراطية الأمريكية، فاسترعت تلك الأحاديث -وما زالت- أسماع الآلاف في العالم الإسلامي بأسره... ولذلك قلنا مرارًا: إن مبادئ الإسلام نظريًّا وعلميًّا هي أقرب ما تكون المبادئ للحضارة الأمريكية والحياة الأمريكية تفكيرًا وسلوكًا، فهل ينتبه المسلمون إلى هذه الحقيقة الراسخة فيفلحوا؟). «الاتجاهات العقلانية الحديثة» (٣٨١-٣٨٢).

وقال سلامة موسى: (يجب أن نرتبط بأوربا، وأن يكون رباطنا بها قويًّا... نأخذ عنها كل ما يجد فيها من اكتشافات واختراعات، وننظر للحياة نظرها... ونجعل فلسفتنا وفق فلسفتها). «أعلام وأقزام» (١/ ١٨٧).

وقال أبوريَّة: (بأن الناس سيصلون -إن شاء الله- بعلومهم وعقولهم إلى مرتقى تزول فيه الجنسيات الدينية، وتختفي العصبيات المذهبية، ويجتمعون على دينٍ واحدٍ يشمل الناس جميعًا، وهذا الدين يقوم على ثلاث قواعد: ١- إيمان بالله ٢- عمل صالح في الحياة ٣- إيمان باليوم الآخر. أما ما وراء ذلك مما هو خارج عن علمهم فأمره مفوضٌ إلى ربهم، وبذلك يعيشون الحياة تحت السعادة ظليل متحابين، متعاونين على عمل ما فيه الخير لكل قبيل). «الاتجاهات العقلانية الحديثة» (ص٤٠٩).

وقال خالد محمد خالد في كتابه «أفكار في القمة» (ص٨): (وحين نغادر هذه القمة فنلتقي «بلاويش» و«كونفوشيوس» و«منشيس» عمالقة يستطبون الحكمة من أعماقها، ويهدون سواء السبيل) المصدر السابق (ص٣٨٤).

وقال قاسم أمين: (... وتيقنا أنه من المستحيل أن يتم إصلاح ما في أحوالنا إذا لم يكن مؤسسًا على العلوم العصرية الحديثة). نقلًا من كتاب «أعلام وأقزام» (١/ ٩٩).

وقال محمد خلف الله: (يجب أن نغير من أفكار هذا الإنسان ومن اتجاهاته وأساليب معيشته، وأن نستبدل قيمه السلفية بقيم أخرى جديدة، تمكنه من السير في مضمار الحياة، على أسس من الحضارة العلمية). نقلًا من كتاب «الاتجاهات العقلانية الحديثة» المصدر السابق (ص٢٨٥).

بل وصل الأمر من قِبَلِ بعض متابعي النظريات إلى جعلها أصولاً عامة لوحدة الأديان، فقد ألف وهبة الأخيلي كتابه بعنوان «الأصول العامة لوحدة الدين الحق» وقد حشد في كتابه هذا نظريات، ومن ذلك النظرية القائلة: (إن أصل الحياة الإنسانية الشرك والوثنية، ثم تطورت حتى وصلت إلى التوحيد). (ص١٥-١٦).

وجعلها أحد شعراء المصريين فوق النبوة، قال:

قـــام في النـــاس نـــبي إنمـــا ... شـــأنـــه لـــيس شـــأن المرســـلين

وحَّـــد النـــاس وقـــد فرقـــهم ... كافـة الرسـل عـلى مـر السـنين

جـــاءهم مـــن غـــير إنجيـــل ولم ... يـــأتهم بـــالوحي جبريـــل الأمـــين

معجـــزات العـــلم أوفـــت عـــلى ... معجـزات الـدين مـاضي للقـرون

نقلاً من كتاب «الاتجاهات العقلانية الحديثة» (٢٠٣).

قلت: ادعاء هؤلاء أنهم لا يريدون الإسلام أن يتحكم في عقولهم؛ لأنَّهم قد سلموها كما رأيت للغرب الكافر، وأشربوها من معينهم الآسن، فاعتبر يا عبد الله!!

وإليك كلمة عظيمة لشيخ الإسلام ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ١٨٧-١٨٨) يبيِّن فيها من هم أزكى العقول وأفضلها، قال: (والفلاسفة متفقون كلهم على أنه ما قرع العالم ناموس أعظم من الناموس الذي جاء به محمد ﷺ، وأمته أكمل عقلاً وديناً وعلماً باتفاق الفلاسفة حتى فلاسفة اليهود والنصارى، فإنهم لا يرتابون في أن المسلمين أفضل عقلاً وديناً، وإنما يمكث أحدهم على دينه إما اتباعًا لهواه، ورعاية لمصلحة دنياه في زعمه، وإما ظنًّا منه أنه يجوز التمسك بأي ملة كانت).

وعلى كل: لما اتصلت عقول هؤلاء المنبهرين بما عند الأعداء من فلسفة مرضت قلوبهم؛ فصاروا لا يستنيرون بنور الوحي من الله، ولا يقدرون على تدبره والتفكر فيه، فاستغاثوا بما عند الأعداء، فحالهم كما قيل:

كـالعِيْسِ في البيـداء يقتلهـا الظـما ... والمـاء فـوق ظهورهـا محمـول

من أشهر من دعا إلى تفسير القرآن بما يتفق مع الأفكار الغربية

الذين قبلوا نظريات الكفار بدون الشروط المعتبرة، والقواعد المسطرة، والضوابط المحررة؛ وقعوا في أمر مريج، ألا وهو تفسير كلام اللطيف الخبير الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، بنظريات الملاحدة، وقد اشتهر بذلك غير واحدٍ منهم، قال أصحاب «الموسوعة الميسرة» (٢/ ١٠١٥) وهم يتحدثون عن تجديد مناهج النظر والاستدلال قالوا: (وتتمثل في تفسير القرآن الكريم بما يتوافق مع المعارف الغربية السائدة في العصر، ومن أشهر من قال بهذا المبدإ الشيخ محمد بن عبده ومحمد أسد).

وقال صاحب كتاب «الاتجاهات العقلانية الحديثة» (ص٢٩٣): (إن الشيخ محمد عبده المصري يعتبر من أوائل العلماء المسلمين الذين تعرضوا في العصر الحديث لتأويل نصوص القرآن مع النظريات الغربية، خاصة ما يتعلق بأمور الغيب، كالملائكة، والجن، والقصص، والمعجزات).

قلت: محمد عبده المصري: هو أساس الانحرافات في عصرنا؛ لأنَّهُ مرجعيَّةُ العلمانيين والمُنصِّرين، ولهذا كَثُرَت ضلالاته ، وله أقوالٌ مريبةٌ، من ذلك ما قاله صاحب كتاب «الاتجاهات العقلانية الحديثة» وهو يتحدث عمن يدعون إلى الأفكار الحديثة عند الغرب: (ويرددون أن الشيخ محمد عبده حين زار الغرب إذ قال ما معناه: وجدت في الغرب إسلامًا بلا مسلمين، ووجدت في الشرق مسلمين بلا إسلام).

وذكر غازي النوبة في كتابه «الفكر الإسلامي الحديث» أن محمد عبده المصري قال: (إن كان لي حظ في العلم الصحيح، فإنني لم أحصل عليه إلا بعد أن مكثت عشر سنين أكنس من دماغي ما علق من وساخة الأزهر، وهو إلى الآن لم يبلغ ما أريد من النظافة).

وأما انحرافاته بالتفصيل فقد ذكرها صاحب كتاب «الاتجاهات العقلانية الحديثة»

في مواضع متعددة فارجع إليه.

وقال الدكتور ناصر العقل في المصدر السابق أيضًا (ص٣٨١): (يقول الدكتور أحمد زكي أبو شادي بعد أن نوه بمدرسته الأمريكية الإسلامية، التي خطت في زعمه في تفسير الإسلام خطوات واسعة، جاوزت تفسير الأفغاني، ومحمد عبده، ومن تبعهما، والتي لا تعتمد في رأيه إلا على القرآن، والقلة الضئيلة من الحديث، وعلى الأصول العلمية، أيًّا كان مصدرها).

فقال بعد ذلك: (هذا هو الإسلام، كما يفهم ويفسر ويبشر به في العالم الجديد بين المتعلمين، وكما حاولنا بيانه بأحاديثنا العربية والإنجليزية على السواء، وعلى الأخص بالنسبة لتفاعله مع الحضارة الأمريكية مع الديمقراطية الأمريكية، فاسترعت تلك الأحاديث، وما زالت أسماع الآلاف في العالم الإسلامي بأسره).

فانظر -يا من وفقك الله للاستقامة على الدين- إلى عظيم انحراف هؤلاء؛ حيث تلقوا تفسير القرآن والسنة عن الكفار، وفرحوا بذلك، واعتمدوه، وتركوا تفسير القرآن بالقرآن، وعن الرسول، والصحابة، والتابعين، وأئمة الإسلام، فياله من تنكر للإسلام وأهله!! وممن فتنوا بما عند الغرب، والمشهورين منهم: جمال الدين الإيراني، المشهور زورًا بالأفغاني، والسيد أحمد خان، وعبد الرحمن الكواكبي، ومحمد فريد وجدي، وأحمد أمين، وعبده المتعالي الصعيدي، وحسن صعب، ومحمد بن فتحي، وأحمد بن كمال أبو المجد، والجارودي، وأبو رية، وخالد محمد خالد، ومحمد بن حسين هيكل، وطه حسين الملحد الكبير، ومحمد بن أحمد خلف الله، ومصطفى محمود، وتوفيق الحكيم، ومحمد الغزالي، ومحمد عمارة، والترابي، ومحمد رشيد رضا، وسيد أمير بن علي، وراشد الغنوشي، وعباس بن محمود العقاد، ومحمد إقبال، ومحمد ابن سليم العوا، وليس شرهم مقصورًا على ما ذكرنا -وكفى به شرًّا- بل كثير منهم دعاة إلى وحدة الأديان، وتطور الأديان، تبعًا لتطور المجتمعات، ويقولون بتجديد أصول الدين على ضوء الفلسفة الغربية.

الرد على المدعين أن قبول نظريات الكفار من باب دعوتهم إلى الإسلام

من جملة ما يبرر به المفتونون بنظريات الكفار من أبناء جلدتنا قولهم: ومما دفعنا إلى قبول نظريات الكفار سعينا لإدخالهم في الإسلام. اهـ ولا شك أن المسلمين مطالبون بدعوة الكفار إلى الدخول في الإسلام، وقبل أن نرد على هذه الشبهة نذكر كيفية دعوة الكفار من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإليك بيان ذلك:

١) **إقامة الأدلة على اليهود والنصارى الدالة على صدق نبينا ﷺ** وأنه رسول الله ومن تلك الأدلة أوصاف رسول الله ﷺ في التوراة والإنجيل، والتبشير ببعثته، كما صرح بذلك القرآن والسنة، وأن علماء اليهود والنصارى يعلمون ذلك، وأيضًا استفتاح اليهود ببعثة الرسول، كما أخبر الله به في كتابه، أيضًا أخبر الله بأن القرآن الكريم مصدق للكتب التي أنزلها الله على موسى وعيسى وغيرها ومهيمنًا عليها.

٢) **مجادلتهم بالتي هي أحسن** قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "نقض التأسيس" (٢/ ٢٩٤): (فما يرفع الله به الدرجات كما رفع درجات إبراهيم ويوسف -عليهما السلام- أن يحتج عليهم بالحجج الدافعة لهم، وأن يُكادوا كيدًا حسنًا لدفع كيدهم وعدوانهم على الإيمان وأهله، فلا يمكنون من القدح في الإيمان بما يسلمه لهم المؤمنون).

٣) **دعوتهم إلى كلمة سواء أن لا نعبد إلا الله**، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران:٦٤].

٤) **إظهار ما كتموه من دينهم** كما بين ذلك القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ

﴿ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[المائدة:١٥].

٥) **المباهلة لهم** كما أخبر الله بذلك في كتابه، قال تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[آل عمران:٦١].

٦) **إخبارهم بأن الله لا يقبل إلا الإسلام** وأن غير الإسلام من يهودية ونصرانية وغيرها لا يقبل منها شيء؛ لوجود التحريف والتبديل فيها وما لم يحرف فقد نسخ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥].

فهذه الطرق والوسائل وأمثالها هي التي جعلها الإسلام نافعة في دعوة اليهود والنصارى إلى الإسلام، ومؤدية إلى الغرض المطلوب، ففيها كما ترى إيضاح الحق، وفيها إزهاق الباطل، ودمغهم بالحجج والبراهين، وترغيبهم في الحق والإسلام، وتهديدهم بالعذاب والخسران إن أصروا على كفرهم.

والواقع خير شاهد أن الدعوة لليهود والنصارى بالطرق المعتبرة والوسائل المشروعة قد تقع كثيرًا في هذا العصر، فقد دخل في الإسلام من اليهود والنصارى مئات الآلاف بل ملايين، والحمد لله.

وأما طريقة الكُتَّاب المعاصرين في دعوة اليهود والنصارى عن طريق قبول نظرياتهم فطريق مبتدع؛ لأنه يخالف منهاج النبوة، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ومهما كانت نوايا بعض هؤلاء حسنة فإنها لا تجعل البدعة السيئة حسنة، وأحسن ما يقال في هذا الصنف:

رام نفعًا فضرّ من غير قصد ومن البرّ ما يكون عقوقا

ولعلك تدرك جليًا سوء صنيع هؤلاء، عند أن ذهبوا إلى ملاحدة الأفلاك وغيرهم من أرباب الكفر، وتلقوا نظرياتهم بِعُجَرِهَا وبُجَرِهَا، وقالوا لهم: الإسلام يقبل

اكتشافاتكم، ويجعلها معجزات للقرآن والسنة. فهل تتوقع أن الملاحدة هنا سيبادرون إلى الدخول في الإسلام؟

الجواب: لا، بل سيحصل لكثير منهم العكس؛ لأن منهم من هو متشكك في بعض النظريات غير مسلم بها، فيستريب من هذا الإسلام الذي يصحح الأوهام والخيالات، بل بعضهم يعلم أنهم افتروا نظريات ليتوصلوا إلى أغراض شخصية، فعندما يسمعون أو يعلمون أن الإسلام قبل أكاذيبهم فهم ما بين من يستغل الإسلام دعاية لقبول نظرياتهم وبين من يشمئز من الإسلام؛ إذ كيف يصحح كذب الكاذبين، وكلا الفريقين قد ذهبت هيبة الإسلام من نفسه، وأيضًا يحصل لكثير منهم الكبر إلى كبرهم والغرور إلى غرورهم، فيشعرون بنخوة علمية تناطح الجبال، ويتصورون أنهم قد سبقوا الأنبياء بل والقرآن، فأنى لهم أن يقبلوا الإسلام ويدخلوا فيه، وهذه الموانع حاصلة؟!! وإن قبله أفراد منهم، فلا يسوغ ذلك أبدًا قبول نظرياتهم، ولَيُّ الآيات القرآنية من أجلها.

وعلى كل: دعوة الكفار إلى الإسلام مطلبٌ شرعي، ولكن بالضوابط الشرعية، لا بالطرق البدعية، كطريقة أصحاب النظريات.

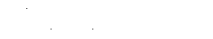

الرد على كتاب مسلمين يدعون إلى تعلم النظريات





لقد أوجب وكلاء أعدائنا على المسلمين أن يتعلموا علم النظريات، فقد قال بعضهم: (إن القرآن يثبت العلم كما أن العلم يفسر القرآن، فمن أعرض عن العلم الثابت في تفسيره فقد ابتعد عن الحقيقة ما ابتعد عن القرآن، إن هذا الكنز الثمين من إعجاز القرآن العلمي لابد أن يعرفه كل مسلم وأن يستنير به كل قلب، لا قلب المسلم وحسب، بل قلب كل إنسان في الوجود؛ ليؤمن بالقرآن وخالق السماوات والأرض وما بينهما).

وقال محمد بن حسين هيكل: (وليس من ريب في أن الشرق اليوم في حاجة أشد الحاجة إلى النهل من وِرْدِ الغرب في التفكير، وفي الأدب والفن) "حياة محمد" (ص٣٦).

ويقول محمد غلاب: (لهذا يجب على كل مثقف من المسلمين أن يضع دراسات المستشرقين في طليعة بحوثه، بل في الصف الأول من شواغله العقلية) "نظرات استشراقية في الإسلام" (ص٤).

وقال محمد بن خلف الله في كتابه "القرآن ومشكلاتنا المعاصرة" (ص٨١): (القرآن الكريم ينهي وصاية السماء على الأرض بإنهاء النبوة والرسالة، والقرآن يدعو العقل البشري إلى تقوية نفسه عن طريق البحث والتحري والكشوف العلمية). نقلًا من "الاتجاهات العقلانية الحديثة" (ص١٨١).

قلت: هذه الأقوال تقطر ضلالًا وإلحادًا، وهي من جنس دعوة الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام قديمًا، من الدعوة إلى النظر في كتب الفلاسفة، فقد قال ابن رشد الحفيد: (النظر في كتب الفلاسفة واجب بالشرع). نقلًا من كتاب "موقف شيخ

الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة» (ص٣٢٣).

فأقول: لله در شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال في رده على الفلاسفة والمنطقيين: (ليست شريعة الإسلام موقوفة على شيء من علومهم، فنحن قد بينَّا أن شريعة الإسلام ومعرفتها ليست موقوفة على شيء يتعلم من غير المسلمين أصلًا، وإن كان طريقًا صحيحًا). «الرد على المنطقيين» (ص٢٥٨).

وقال ابن الصلاح: (وليس بالأحكام الشرعية -والحمد لله- افتقار إلى المنطق أصلًا، وما يزعمه المنطقي للمنطق من أمر الحد والبرهان فقاقع قد أغنى الله عنها كل صحيح الذهن، لاسيما من خدم نظرية العلوم الشرعية، ولقد تمت الشريعة وعلومها، وخاض في بحر الحقائق والدقائق علماؤها، حيث لا منطق ولا فلسفة ولا فلاسفة) «فتاوى ابن الصلاح» (١/ ٢١١).



الرد على دعاة التنقيب عن آيات الله الكونية

لقد دعا الله عباده إلى النظر في الآيات الكونية؛ لأخذ العبرة والتفكر فيها؛ لتظهر لهم القدرة الإلهية والعظمة الربانية، قال تعالى مادحًا أولي الألباب: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ * ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[آل عمران:١٩٠-١٩١]، وقال تعالى مخاطبًا الإنسان: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾[الطارق:٥]، وقال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[الذاريات:٢١]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾[الأعراف:١٨٥].

قال ابن العربي المالكي عند هذه الآية: (أمر الله تعالى بالنظر والاعتبار بمخلوقاته في أعداد كثيرة من آي القرآن، أراد بذلك زيادة في اليقين وقوة في الإيمان، وتثبيتًا للقلوب على التوحيد...) "أحكام القرآن" (٢/ ٨١٦).

وقال العلامة ابن القيم كما في "مفتاح دار السعادة" (٢/ ٥): (وإذا تأملت ما دعا الله سبحانه في كتابه عباده إلى الفكر فيه، أوقعك على العلم به سبحانه وتعالى بوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله، من عموم قدرته وعلمه وكمال حكمته، ورحمته وإحسانه، وبره ولطفه، وعدله ورضاه، وغضبه وثوابه وعقابه، فبهذا تعرف إلى عباده، وندبهم إلى التفكر في آياته).

وقال أيضًا في نفس المصدر (٢/ ٢٩-٣٠): (والنظر في هذه الآيات وأمثالها نوعان: نظر إليها بالبصر الظاهر، فيرى مثلًا زرقة السماء ونجومها وعلوها وسعتها، وهذا النظر يشارك الإنسان فيه غيره من الحيوانات، وليس هو المقصود بالأمر.

والثاني: أن يتجاوز هذا النظر بالبصيرة الباطنة فتفتح له أبواب السماء، فيجول في أقطارها وملكوتها وبين ملائكتها، ثم يفتح له باب بعد باب حتى ينتهي به سير القلب إلى عرش الرحمن، فينظر سعته وعظمته وجلاله ومجده ورفعته، ويرى السماوات السبع والأرضين السبع بالنسبة إليه كحلقة ملقاة في أرض فلاة، ويرى الملائكة حافين من حوله لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتقديس والتكبير، والأمر ينزل من فوقه بتدبير الممالك والجنود التي لا يعلمها إلا ربها ومليكها، فينزل الأمر بإحياء قوم وإماتة آخرين، وإعزاز قوم وإذلال آخرين، وإسعاد قوم وشقاوة آخرين، وإنشاء ملك وسلب ملك، وتحويل نعمة من محل إلى محل، وقضاء الحاجات على اختلافها وتباينها وكثرتها، من جبر كسير، وإغناء فقير، وشفاء مريض، وتفريج كرب، ومغفرة ذنب، وكشف ضر، ونصر مظلوم، وهداية حيران، وتعلم جاهل، ورد آبق، وأمان خائف، وإجارة مستجير، ومدد لضعيف، وإغاثة لملهوف، وإعانة لعاجز، وانتقام من ظالم، وكف لعدوان، فهي مراسيم دائرة بين العدل والفضل والحكمة والرحمة، تنفذ في أقطار العوالم... لا إله إلا هو العزيز الحكيم، فحينئذ يقوم القلب بين يدي الرحمن مطرقًا لهيبته، خاشعًا لعظمته، عان لعزته، فيسجد بين يد الملك الحق المبين، سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم المزيد، فهذا سفر القلب، وهو في وطنه وداره ومحل ملكه، وهذا من أعظم آيات الله وعجائب صنعته).

وقال أيضًا في «إعلام الموقعين» (١/ ١٣٢): (وكذلك كل موضع أمر الله سبحانه وتعالى فيه بالسير في الأرض، سواء كان السير الحسي على الأقدام والدواب أو السير المعنوي بالتفكر والاعتبار، أو كان اللفظ يعمهما وهو الصواب، فإنه يدل على الاعتبار، والحذر أن يحل بالمخاطبين ما حل بأولئك، ولهذا أمر الله أولي الأبصار بالاعتبار بما حل بالمكذبين).

فهذه طريقة القرآن والسنة في الانتفاع بالآيات الكونية، ليس فيها دعوة إلى التنقيب المزعوم، وإنما تدعو إلى التفكر والاعتبار.

المنصفون من علماء الغرب يشهدون للقرآن بالشمولية والسبقية للكتب السابقة والنظريات اللاحقة

قال خليل بن أحمد -كان قسيسًا فأسلم- في كتابه «قالوا عن الإسلام» (٤٩): (يرتبط هذا النبي ﷺ بإعجاز أبد الدهر بما يخبرنا به المسيح عليه السلام في قوله عنه «ويخبركم بأمور آتية»، هذا الإعجاز هو القرآن الكريم معجزة الرسول الباقية ما بقي الزمان، فالقرآن الكريم يسبق العلم الحديث في كل مناحيه من طب وفلك وجغرافية وجيولوجيا وقانون واجتماع وتاريخ، ففي أيامنا هذه استطاع العلم أن يرى ما سبق إليه القرآن بالبيان والتعريف).

وقال أيضًا: (أعتقد يقينًا أني لو كنت إنسانًا وجوديًا... لا يؤمن برسالة من الرسالات السماوية، وجاءني نفر من الناس وحدثني بما سبق به القرآن العلم الحديث في كل مناحيه، لآمنت برب العزة والجبروت خالق السماوات والأرض، ولن أشرك به أحدًا).

وقال «إيرفنج» كما في كتاب «قالوا عن الإسلام» (ص٥٠): (كانت التوراة في يوم ما هي مرشد الإنسان وأساس سلوكه، حتى إذا ظهر المسيح عليه السلام اتبع المسيحيون تعاليم الإنجيل، ثم حل القرآن مكانها، فقد كان القرآن أكثر شمولًا وتفصيلًا من الكتابين السابقين، كما صحح القرآن ما قد أدخل على هذين الكتابين من تغيير وتبديل، حوى القرآن كل شيء وحوى جميع القوانين؛ إذ إنه خاتم الكتب السماوية).

وقال «بوتر»: (عندما أكملت القرآن الكريم غمرني شعور بأن هذا هو الحق الذي يشمل على الإجابات الشافية حول مسائل الخلق وغيرها، وأنه يقدم لنا الأحداث بطريقة منطقية نجدها متناقضة مع بعضها في غيره من الكتب الدينية، أما القرآن

فيتحدث عنها في نسق رائع، وأسلوب قاطع، لا يدع مجالًا للشك بأن هذه هي الحقيقة، وأن هذا الكلام هو من عند الله لا محالة). "قالوا عن الإسلام" (ص٥٥).

وقال أيضًا: (إن القرآن يجد الحلول لجميع القضايا، ويربط ما بين القانون الديني والقانون الأخلاقي، ويسعى إلى خلق النظام والوحدة الاجتماعية، وإلى تخفيف البؤس والقسوة والخرافات، إنه يسعى إلى الأخذ بيد المستضعفين، يوصي بالبر ويأمر بالرحمة، وفي مادة التشريع وضع قواعد لأدق التفاصيل للتعاون اليومي، ونظم العقود والمواريث، وفي ميدان الأسرة حدد سلوك كل فرد تجاه معاملة الأطفال والأرقاء والحيوانات والصحة والملبس). "قالوا عن الإسلام" (ص٦٦)

وقال أحد علماء أوربا: (إن العالم هو أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمد هذا النبي الذي أحل دينه في موضع الاحترام والإجلال؛ فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات خالد خلود الأبد، وإني أرى كثيرًا من بني قومي قد دخلوا في الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة -يعني أوربا- وإذا أراد العالم النجاة من شروره فعليه بهذا الدين، إنه دين السلام والعدالة والسعادة في ظل شريعته متمدينة محكمة، لم تنس أمرًا من أمور الدنيا إلا رسمته ووزنته بميزان لا يخطئ أبدًا). نقلًا من كتاب "أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية" (ص١٠٣).

قلت: وكما أن هذا الإنصاف حاصل عند هؤلاء وأمثالهم، فقد حصل أيضًا عند بعض الفلاسفة القدامى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "منهاج السنة النبوية" (١/ ٣٢١): (والمقصود أن النصارى بعد تبديل دينهم، كان ناموسهم ودينهم خيرًا من دين أولئك اليونان أتباع الفلاسفة، فلهذا كان الفلاسفة الذين رأوا دين الإسلام يقولون: إن ناموس محمد ﷺ أفضل من جميع النواميس، ورأوا أنه أفضل من نواميس النصارى والمجوس وغيرهم؛ فلم يطعنوا في دين محمد ﷺ كما طعن أولئك المظهرون للزندقة من الفلاسفة، ورأوا أن ما يقوله أولئك المتكلمون فيه ما يخالف صريح المعقول، فطعنوا بذلك عليهم، وصاروا يقولون: من أنصف ولم يتعصب ولم

يتبع الهوى لا يقول ما يقوله هؤلاء في المبدإ والمعاد).

وقال أيضًا كما في «مجموع الفتاوى» (٤/٢٠٣): (... اليهود والنصارى يعترفون بأن دين المسلمين حق، وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وأن من أطاعه منهم دخل الجنة، بل يعترفون بأن دين الإسلام خير من دينهم، كما أطبقت على ذلك الفلاسفة، كما قال ابن سينا وغيره: أجمع فلاسفة العالم على أنه لا يقرع العالم ناموس أعظم من هذا الناموس).

فالنصيحة لكل مسلم، أن يوطن نفسه على سماع الحق والأخذ به، ودعك من الشغب والتخبط، وأما الذين ذهبوا يفضلون كلام الفلاسفة على كلام الله وكلام رسوله ﷺ، أو يسوون بينهما، فهؤلاء جرتهم زندقتهم إلى هذا؛ فلينقلبوا خاسئين.



المنصفون من أصحاب النظريات يعترفون بأن ما عارض القرآن من النظريات فهو بسبب النقص في علومهم

قال "إيرل تفستر ريكي": (إنني أجد بوصفي من المشتغلين بالعلوم أن النتائج التي وصلت إليها بدراستي العلمية عن الكون وعن الله، تتفق كل الاتفاق مع الكتب المقدسة التي أومن بها وأعتقد في صدق ما جاءت به عن نشأة الكون، وتوجيه الله له، وقد يرجع ما نشاهده أحيانا من التعارض بين ما توصلت إليه العلوم وبين ما جاء في هذه الكتب المقدسة إلى نقص في معلوماتنا). نقلاً من كتاب "قصة الخلق" (ص٤٣).

وقال "موريس بوكاي" في كتابه "دراسة الكتب المقدسة": (وتناولت القرآن متنبهًا بشكل خاص إلى الوصف الذي يعطيه عن حشد كبير من الظاهرات الطبيعية، لقد أذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظاهرات، وهي لا يمكن أن تدرك إلا في النص الأصلي، صحة القرآن لا تقبل الجدل...) المصدر السابق (ص٥٠-٥١).

وقال "إيرتشتر ريكس" بأمانة: (النظريات الحديثة التي تفسر نشأة الكون والسيطرة عليه بصورة تخالف ما جاء في الكتب السماوية، تعجز عن تفسير جميع الحقائق وتزج بنفسها في ظلمات اللبس والغموض، وإنني شخصيًّا أومن بوجود الله، وأعتقد في سيطرته على هذا الكون) المصدر السابق (ص٩٢).

قلت: وكيف لا يعترف هؤلاء بما ذكرته عنهم وحال علومهم ما قاله أحدهم، وهو "ميريت ستانلي كوجدت" قال: (إن العلوم حقائق مختبرة ولكنها مع ذلك تتأثر بالخيال الإنساني، وبأوهام الإنسان، ومدى بعده عن الدقة في الملاحظة، وعدم الدقة في أوصافه واستنتاجاته، ونتائج العلوم مقبولة داخل هذه الحدود، فهي بذلك مقصورة على الميادين الكمية في الوصف والتنبؤ، وهي تبدأ بالاحتمالات وتنتهي

بالاحتمالات كذلك، وليس باليقين، ونتائج العلوم بذلك تقريبية وعرضة للأخطاء المحتملة في القياس والمقارنات، ونتائجها اجتهادية وقابلة للتعديل بالإضافة والحذف، وليست نهائية، وإننا لنرى أن العالم عندما يصل إلى قانون أو نظرية يقول: إن هذا هو ما وصلنا إليه حتى الآن، ويترك الباب مفتوحًا لما يستجد من التعديلات) المصدر الأول (ص٣٨).

قلت: لو سلك المحتجون للنظريات بالقرآن والسنة كما سلك هؤلاء المذكورون وأمثالهم، من أن النظريات عرضة للنقد والرد، ولا يصلح الاحتجاج لها بالقرآن والسنة، لكانوا على قسط من السداد، ولكن للأسف وقعوا في المكابرة والمعاندة والتحريف للقرآن والسنة، حينما جزموا بصحة النظريات؛ اعتمادًا منهم على أنها لا تتعارض مع القرآن، وأنه لا يداخلها الكدر البشري، ولم يكونوا ناقدين حتى يكون قولهم هذا سديدًا، بل كانوا ملفقين فعظمت الجناية منهم على الإسلام.





٨

الفصل الثامن

حقائق متفرقة





بطلان إجماعات أصحاب الأفلاك قديمًا وحديثًا

كثيرًا ما يدعي أصحاب الهيئة اتفاقاتهم على كذا وكذا، وإجماعهم على كذا وكذا، فما قيمة هذه الاتفاقيات والإجماعات في ميزان الحقائق الواقعية؟ سترى من خلال نقل كلام أهل العلم أنها لا تقوم لها قائمة، قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في "مفتاح دار السعادة" (٣/ ٦٢-٧٣): (ومن ذلك اتفاقهم عندما تم بناء بغداد سنة ست وأربعين ومائة، أن طالعها يقضي بأنه لا يموت فيها خليفة، وشاع ذلك حتى هنأ الشعراء به الخليفة المنصور، حتى قال بعض شعرائه:

يهنيك منها بلدة تقضي لنا ... أن المنيات بها عليك حرام

لما اقتضت أحكام طالع وقتها ... أن لا يرى فيها يموت إمام

وأكد هذا الهذيان في نفوس العوام موت المنصور بطريق مكة، ثم المهدي بماسبذان، ثم الهادي بعيساباذ، ثم الرشيد بطوس، فلما قتل بها الأمين بشارع باب الأنبار انخرم الأصل الباطل الذي أصلوه، وظهر الزور الذي لفَّقوه، حتى رجع إلى الحق الأول، فقال من؟

كذب المنجم في مقالته التي ... نطقت به كذبًا على بغدانِ

قتل الأمين بها لعمري يقتضي ... تكذيبهم في سائر الحسبانِ

ثم مات ببغداد جماعة من الخلفاء، مثل: الواثق، والمتوكل، والمعتضد، والمكتفي، والناصر، وغير هؤلاء. ومن ذلك: اتفاقهم في سنة ثلاث وعشرين ومائتين في قصة عمورية أن المعتصم إن خرج لفتحها كانت الدائرة عليه، وأن النصر لعدوه، فرزقه الله التوفيق في مخالفتهم، ففتح الله على يديه ما كان مغلقًا... وكان ذلك من

أعظم الفتوحات المعدودة... ومن ذلك اتفاقهم سنة اثنتين وتسعين ومائتين في قصة القرامطة، على أن المكتفي بالله إن خرج لمقاتلتهم كان هو المغلوب الملزوم... فعزم المكتفي على الخروج إليهم بنفسه... وأقام المكتفي بالرقة، حتى أخذ أعداء الله جميعًا وسقيت جموعهم بكأس السيف نجيعًا... ثم لما عاد أمر القاسم بن عبيد الله الوزير بإحضار رئيس المنجمين وصفعه الصفع الكثير، بعد أن وقفه ووبخه على عظيم كذبه وافترائه، وتبرأ منه ومن كل من يقول برأيه... ومن ذلك: اتفاقهم سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة على خروج ريح سوداء تكون في سائر أقطار الأرض عامة، فتهلك كل من على ظهرها إلا من اتخذ لنفسه مغارة في الجبال... فأذن الله رب العالمين مسخر الرياح ومدبر الكواكب أنه لما كان ذلك الوقت الذي حدوه، والأجل الذي عدوه، قل هبوب الرياح عن عادتها حتى أهم الناس ذلك، ورأوا من الكرب بقلة هبوب الرياح ما هو خلاف المعتاد، فظهر كذبهم للخاص والعام... ومن ذلك اتفاقهم في الدولة الصلاحية -أي: دولة صلاح الدين الأيوبي- لا يموت فيها من الغزوال، فلما مات بها الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب بن شاذي سنة خمس وسبعين وخمسمائة، ثم واليها فخر الدين قراجا بن عبد الله سنة تسع وثمانين، ثم واليها سعد الدين سودكين بن عبد الله سنة خمس وستمائة، انخرمت هذه القاعدة أصلًا، وبطل قولهم فرعًا وأصلًا... ومن ذلك: اجتماعهم في سنة خمس عشرة وستمائة لما نزل الفرنج على دمياط، على أنهم لا بد أن يغلبوا على البلاد، فيتملكوا ما بأرض مصر من رقاب العباد، وأنهم لا تدور عليهم الدائرة إلا إذا قام قائم الزمان وظهر براياته الخافقة ذلك الأوان، فكذب الله ظنونهم، وأتى من لطفه الخفي ما لم يكن في حساب، ورد الفرنج بعد القتل الذريع فيهم والأسر على العقاب).

وقال أيضًا (٦٧-٦٨) من نفس المصدر: (ومن ذلك اتفاقهم سنة خمس وتسعين وثلاثمائة في أيام الحاكم، على أنها السنة التي ينقضي فيها بمصر دولة العبيديين، هذا مع اتفاق أولئك على أن دعوتهم لا تنقطع من القاهرة، وذلك عند خروج الوليد بن هشام المعروف بأبي ركوة الأموي، وحكم الطالع له بأنه هو القاطع لدعوة العبيديين،

وأنه لا بد أن يستولي على الديار المصرية، ويأخذ الحاكم أسيرًا، ولم يبق بمصر منجم إلا حكم بذلك... فلما وثق بما قالوه -أي: أبوركوة- وخفي عليه ما احتالوه، زحف بعساكره حتى نزل بريسم على ثلاثة فراسخ من مصر، فخرجت إليه العساكر الحاكمية فهزمته). اهـ

تنبيـــهٌ: كان الحاكم بأمر الله من ملاحدة العبيديين في مصر، وقد اعتنى بالتنجيم إلى أن عمل له الزيج الحاكمي، وحصل منه الوثوق بالمنجمين، فسيروا وفاته وساعاته على مقتضى التنجيم، وحكموا له بركوب الحمار على كل حال، وألزموه أن يتعاهد جبل المقطم في أكثر الأيام، وينفر وحده هناك، ويخاطب زحل بما علموه، وحكموا أنه ما دام على ذلك فهو سالم النفس، فلزم ذلك، وداوم عليه، فاستعد له بعضهم بسكاكين تقطر منها المنايا فقطعوه وأعدموا جثته، فلم يعلم له خبر، فصار أتباعه الملاحدة يقولون: إنه الغائب المنتظر، والحمد لله رب العالمين. انظر "مفتاح دار السعادة" (٣/ ٧٠).

وأما ادعاء الإجماعات والاتفاقات العصرية من قبل دعاة التنجيم والأفلاك، مع ظهور بطلانها، فهي كثيرة، ومن ذلك ما قاله صاحب كتاب "توحيد الخالق" (ص٣٦٤): (من الخطإ اعتقاد أن الأرض مركز الكون، أو أنها شيء هامٌّ في هذا الملكوت، مع إجماع علماء الفلك على أن الأرض بين النجوم لا تساوي نقطة ماء في المحيط...).

قلت: بالنسبة للإجماع المذكور هو منقوض بما سبق ذكره في فصل نظريات الأرض، فالأمم من قبل الإسلام على القول بوقوف الأرض، واستمرت هذه الأمم على هذا إلى عهد قريب، فتأثر بالقول بدورانها كثير من اليهود والنصارى في القسم الأول من القرن العشرين تقريبًا، وبعد ذلك دخلت الفتنة هذه بلاد المسلمين في النصف الثاني من القرن العشرين، فأين هذا الإجماع؟ أليس العكس هو الصحيح؟ وهذا الكلام على قوله: (مركز الكون) وأما قوله: (وأنها شيء هام) فدعوى الإجماع فيه

أبعد وأبعد؛ لأن المسلمين الذين تأثروا بنظرية دوران الأرض لا يعني هذا أنهم صاروا جاهلين بعظمة الأرض، وأنهم سلموا للمحقرين للأرض، وإن كان الزنداني يعني بالإجماع إجماع الفلكيين والمقلدين لهم فهذا أيضًا ليس متحققًا؛ لكثرة اختلافهم في نظريات كثيرة عن الأرض.

وعلى كل: قوله: (إن الأرض ليست شيئًا هامًّا... ولا تساوي نقطة ماء في المحيط) انحراف واضح عن المشاهد من الأرض، وعن الأدلة الدالة على عظمتها، والذي جعل صاحب المقال يصل إلى هذه المجازفة هو ربط عقله بعقول الملاحدة، وله من هذه الزلات كثير!!

ومن دعواه الإجماع أيضًا ما قاله في كتابه «العلم طريق الإيمان» تحت عنوان «انشقاق القمر...» (ص١٢٨): (...وعلماء الفلك اليوم يرون أن القمر قد تصدع، ويجمعون على هذه الحقيقة).

قلت: علماء الفلك القدماء مجمعون على عدم انشقاق القمر وغيره من الأفلاك، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في «الفتح» مع أننا نقول: قد انشق القمر معجزة لرسول الله ﷺ، فكيف أطلق صاحب المقال إجماع علماء الفلك على تصدعه؟! وأيضًا دعوى تصدع القمر في عصرنا دعوى باطلة، كما سبق بيان ذلك. ولأصحاب النظريات العصرية أقوال كثيرة متضاربة متناقضة حول القمر، ذكرت بعضًا منها عند ذكر القمر، فكيف يدّعى الإجماع مع التناقض والاختلاف؟!

ومن دعواهم الإجماع أيضًا: ما قاله صاحب كتاب «تكنولوجيا الفضاء الكوني» (ص٣٧٤): (ومن المتفق عليه أن هناك من مائة ألف إلى مليون حضارة تكنولوجية في الطريق اللبني، وتبعد كل حضارة عن الأخرى بعدد من مئات السنين الضوئية، وكل واحدة تستطيع أن ترسل إلى الأخرى إشارة لاسلكية مفهومة). فقوله: (من المتفق عليه) هذا الاتفاق كسابقيه بل أشد فسادًا وأعظم بطلانًا؛ لأن دعوى الحضارات المذكورة إنما قبلت قريبًا من قبل أفراد، وكأن هؤلاء إذا رأوا نظرية قال

بها فلان أنها صارت مجمعًا عليها بمجرد وجودها، ألا وليعلموا أن قضية حضارة الكواكب والمجرات قضية في غاية السقوط، لا يقبلها عقل ولا يقرها، ولا يسلم بها حس، بل هي من أشنع كذبهم، وهي من الشطحات العصرية لهؤلاء واختلافهم في هذه الحضارة المزعومة اختلاف واسع أستطيع أن أجمع من أقوالهم المتناقضة في هذه المسألة أقوالًا كثيرة. وقد شحن الدكتور عبدالعليم خضر كتابه "تكنولوجيا الفضاء الكوني" بذلك.

ومن إجماعاتهم العجيبة إجماعهم على أمر وإجماعهم على نقيضه، فقد ذكرنا في الفصل الثاني نقل بعضهم الإجماع على تمدد الكون، والإجماع على إنكماشه، والحقيقة أنه لا تمدد ولا انكماش، والتمدد فيهم لا في الكون، والانكماش في عقولهم، ولكن أصحاب الأفلاك أصحاب حيل، ومن حيلهم: أن يأتي المتأخر بنقيض ما جاء به المتقدم؛ ليشتهر ويعرف!!

وعلى كل: كثرة ادعاءات أصحاب الأفلاك الإجماع لا تدل على صحة ذلك، وحتى لو صح أنهم أجمعوا على أمر فهم مجمعون على باطل، فالإجماع منهم وعدمه سواء، مادام أنه مخالف للكتاب والسنة.

والذي عليه السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان أن إجماعات أهل الضلال لا يعتد بها، قال العلامة ابن القيم في "مفتاح دار السعادة" (٢/٢٥٧): (والمقصود أن المتكلمين لو أجمعوا على شيء لم يكن إجماعهم حجة عند أحد من العلماء، فكيف إذا اختلفوا).

وقال العلامة ابن باز في رسالته "الأدلة النقلية والعقلية على جريان الشمس وسكون الأرض" (ص٦٦): (... إن إجماع الفلكيين لو سلم وقوعه ليس بحجة إذا خالف الأدلة النقلية أو الحسية؛ فتنبه واحذر الغلط، والله ولي التوفيق).

أصحاب الأفلاك العصريون ينسبون إليهم أشياء قد وجدت عند من سبقهم

إن ملاحدة الأفلاك في عصرنا توسّعوا كثيرًا في دعوى الاكتشافات، حتى نسبوا إليهم من الاختراعات ما هو معلوم من قبل عصرهم بقرون، بل بعضها معلومة من قبل بعثة محمد ﷺ، **وإليك إيضاح ذلك:**

- **ادعاؤهم أن ضوء القمر مأخوذ من الشمس**، مع أن هذه النظرية قديمة فقد ذكرها ابن القيم في "مفتاح دار السعادة" (٣/ ٢١٥).
- **ادعاؤهم اكتشاف كروية الأرض** مع أن الإجماع على كرويتها قائم فقد نقله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "المجموع" وابن المنادي وغيرهما.
- **ادعاؤهم اكتشاف أن الشمس مركز الكون** مع أن هذه النظرية من عهد فيثاغورس، وقالها ابن الشاطر وغيره، وهو من أصحاب القرن الثامن الهجري، وهي باطلة قطعًا.
- **ادعاؤهم أنهم اكتشفوا أن الرياح تلقح الأشجار والثمار**، وأنهم لم يسبقوا إليه، قال مستر أجنيري وهو يرد عليهم: (إن أصحاب الإبل قد عرفوا أن الريح تلقح الأشجار والثمار قبل أن يعلمها أهل أوربا بثلاثة عشر قرنًا) "تفسير المنار" (١/ ٢١٠).

فدعواهم أن هذه المذكورات وأمثالها مما لم أذكره اكتشافات لهم، دليل على جهلهم بمن سبقهم، أو أنهم يعلمون ذلك، ولكنهم يجحدون ذلك؛ ليتكثروا بها، ويستطيلوا بها على الناس.

أكثر إصابة النظريات في الظواهر المحسوسة والحساب والطب




إن الناظر إلى ما يمكن إثباته من علوم النظريات يرى أنها في أشياء محسوسة ومشاهدة كالجمادات والنباتات وأمثال ذلك، فيصح تنزيل جملة من النظريات عليها ويقع التوافق بينها وبين الحقائق الواقعية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٣٣٥): (فإن الفلاسفة كلامهم في الإلهيات والكليات العقلية كلام قاصر جدًا، وفيه تخليط كثير، وإنما يتكلمون جيدًا في الأمور الحسية الطبيعية وفي كلياتها، فكلامهم فيها في الغالب جيد).

وقال أيضًا في «الصفدية» (٢/ ٢٩٣): (وعلم القوم الذين كانوا يعرفونه هو الطب والحساب، فلهم من الطبيعيات كلام كثير جيد، والغالب عليه الجودة، وكذلك في الحساب في الكم المنفصل والكم المتصل).

وقال أيضًا في «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ١٥٧-١٥٨) وهو يتحدث عن أصحاب الهيئة: (والهيئة علم رياضي حسابي، هو من أصح علومهم، فإذا كان هذا اختلافهم فيه، فكيف باختلافهم في الطبيعيات أو المنطق؟!).

قال «بوكاي»: (تناولتُ القرآن منتبهًا بشكلٍ خاص إلى الوصف الذي يعطيه عن حشد كبير من الظاهرات الطبيعية، لقد أذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظاهرات، وهي تفاصيل لا يمكن أن تدرك إلا في النص الأصلي، أذهلتني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن نفس هذه الظاهرات...) «قالوا عن الإسلام» (ص٥٧).

وقال الدكتور ناصر العقل في كتابه «الاتجاهات العقلانية الحديثة» (ص٣٨١): (نعم إن العلم التجريبي الذي يقوم على البراهين المحسوسة علم محترم وصحيح، لكنه

لا شأن له بالوحي والغيب والدين وأصوله والأحكام الشرعية وحكمها؛ فإنه إن لم يؤيد، فلا يملك أن يعارض أو ينفي شيئًا مما ثبت في القرآن والسنة، لكن ذلك ليس من مجالات العلم الذي يزعمون أنه يحكم على الدين، ولو كان لهذا العلم لسانًا لكذبهم، ولو كان يملك فعلًا وقوةً وصولًا، لأقام عليهم حد الشرع بافترائهم على الله تعالى، وعلى رسوله ﷺ، وعلى العلم نفسه).

قلت: ومما يدل على أن النظريات في الأبواب المذكورة فيها حقائق جزئية لا كلية، هو أن النظرية تتحدث عن أشياء هي موجودة من قبل النظرية أو أصلها موجود، فالطب مثلًا وجد قبل النظريات العصرية بعشرات القرون، وما جدد فيه فهو جزئي، فليس هناك مادة طوروها إلا وأصلها موجود أو أصلها وفرعها.

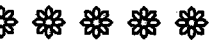

المشهورون بقبول علم الأفلاك والنظريات من أمة الإسلام قديمًا وحديثًا الغالب عليهم الضّلال والزنادقة

رأينا من باب الفائدة سرد بعض أسماء المشتغلين بالنظريات الفلكية قديمًا وحديثًا؛ ليعلم القارئ أن الله قد خذلهم بسبب ولوجهم في هذا الاتجاه المظلم، وسأذكر من كان مشهورًا منهم:

١) **السّرخسيُّ وهو أحمد بن الطيب**، قال الذهبي في «السير» (١٣/ ٤٤٨-٤٤٩): (من بحور العلم الذي لا ينفع... ثم إن المعتضد انتخى لله وقتل السّرخسيَّ لفلسفته وخبث معتقده).

٢) **البتاني وهو محمد بن جابر بن سنان الحراني**، قال الذهبي في «السير» (١٤/ ٥١٨): (الحاسب المنجم، له أعمال وأرصاد وبراعة في فنه، وكان صابئًا ضالًّا، فكأنه أسلم وتسمى بمحمد، وله تصانيف في علم الهيئة).

٣) **أبو زيد البلخي أحمد بن سهل**، قال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (١/ ٢٨٩): (... وكان يسلك طريق الفلاسفة، ويقال له: جاحظ زمانه، وكان يرمى بالإلحاد... -إلى أن قال:- ويظهر في غضون كلامه مما يدل على الانحلال، من الازدراء بأهل العلوم الشرعية وغير ذلك). وذكر صاحب كتاب «رواد علم الفلك» (ص٦٨) كتابًا له بعنوان: «ما يصح من أحكام النجوم»، وكتاب «السماء والعالم» (ص٦٨).

٤) **أبوالحسن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي المصري**، قال الذهبي في «السير» (١٧/ ١٠٩): (المنجم الكبير، مصنف الزيج الحاكمي... وأهل التنجيم يخضعون لفضيلة هذا التأليف). وقال الذهبي في «الميزان» (٣/ ١٣٢): (لا يحل الأخذ

عنه، فإنه منجمٌ ساحرٌ، وهو مصنف "الزيج الكبير").

٥) **سند بن علي أبوالطيب المنجم**، قال صاحب كتاب "روّاد علم الفلك": (يعتبر من أوائل علماء العرب والمسلمين الذين عملوا جداول فلكية تتعلق بحركة النجوم (الزيج)... -إلى أن قال:- نال سند بن علي شهرة عظيمة بين معاصريه في علم الهيئة، وعلم الأزياج). **قلت**: كان سند بن علي يهوديًّا فدخل في الإسلام عن طريق إقناع الخليفة المأمون له بالدخول فيه).

٦) **محمد بن إبراهيم الفزاري**، قال صاحب كتاب "روّاد علم الفلك" (ص٤٢-٤٣): (وكان محمد بن إبراهيم الفزاري من المغرمين في علم الهيئة، فنظم قصيدة في علم النجوم... فالفزاري وزملاؤه درسوا وتفهموا جيدًا أعمال الهنود واليونان والفرس في علم الفلك). **قلت**: معنى كلامه أن الفزاري نقل العلوم الفلكية والرياضية من كتب الهنود واليونان والفرس إلى المسلمين، فما أعظمها من خيانة وجناية على المسلمين!!

٧) **أمية بن أبي الصلت الداني**، قال الذهبي في "السير" (١٩/ ٦٣٤): (وكان رأسًا في النجوم والوقت والموسيقى، عجبًا في لعب الشطرنج، رأسًا في المنطق وهذيان الأوائل). وقال صاحب كتاب "روَّاد علم الفلك" (ص١٠٢): (وله كتاب وهو "الوجيز في علم الهيئة"، ورسالة سماها: "رسالة العمل بالأسطرلاب").

٨) **بديع الزمان هبة الله بن الحسين**، قال الذهبي في "السير" ٢٠/ ٥٢-٥٣: (يضرب به المثل في عمل الأسطرلاب وآلات النجوم، وله نظمٌ جيدٌ وخلاعة ومجون).

٩) **أبوالحسن الصوفي عبدالرحمن بن عمر**، قال صاحب كتاب "رواد علم الفلك" (ص٧٢): (اعتمد الصوفي في دراسته لعلم الفلك في بادئ الأمر على كتاب المجسطي لـ"بطليموس"... وحاز الصوفي مكانة مرموقة في علم الفلك بأرصاده الدقيقة لآلاف النجوم التي رصدها نجمًا نجمًا، وحدد أماكنها بدقةٍ، كما صور الكثير منها بالألوان، مما يدل على مهارته، وذوقه الفن الرفيع). وذكر له كتابًا بعنوان: "الكواكب الثابتة"،

وكتابًا بعنوان: "صور الكواكب الثمانية والأربعين".

١٠) **البيروني أبوالريحان محمد بن أحمد الخوارزمي** المنجم الكبير المشهور، له كتب كثيرة في التنجيم.

١١) **سبط المارديني وهو محمد بن محمد الغزال الدمشقي** توفي سنة (٩٠٧هـ) قال صاحب كتاب "روّاد علم الفلك" (ص١٢٩): (تفنن سبط المارديني في علم الفلك... وقد صنف في هذا الميدان مصنفات كثيرة منها "حاوي المختصرات في العمل بربع المقنطرات").

وقد قال الخبير بهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في "الرد على البكري" (١/ ٢٤١): (إن هؤلاء المتفلسفة المتأخرين في الإسلام من أجهل الخلق عند أهل العلم والإيمان، وفيهم من الضلال والتناقض ما لا يخفى على أذكياء الصبيان؛ لأنهم لما التزموا ألا يسلكوا إلا سبيل سلفهم الضالين، وألا يقروا إلا بما يبنونه على تلك القوانين، وقد جاءهم من النور والهدى والبيان ما ملأ القلوب والألسنة والآذان، صاروا بمنزلة من يريد أن يطفئ نور الشمس بالنفخ، أو يغطي ضوءها بالعباءة).

وقال أَيْضًا: (قلَّ أن رأيت أو سمعت معرضًا عن الكتاب والسنة مقبلًا على مقولاتهم إلا وقد تزندق، أو صار على غير يقين في دينه واعتقاده). كما في "الأعلام العلية" (٣٤).

وضلال المتهوكين بالنظريات في عصرنا كثيرون جدًّا، قد ذكرنا مجموعة منهم بأسمائهم في ثنايا الكتاب، ونقلنا من أقوالهم كثيرًا، ومن تلك الأسماء: طنطاوي جوهري، ومنصور حسب النبي، ومحمد أحمد الإسكندراني، ومحمد بن أحمد الغمراوي، وعلي فكري، ومحمود أبو الفيض، والصواف، ومحمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية، ومحمود شكري الألوسي، وحنفي أحمد، ومحمد سعدي المقدم، وأحمد ابن عبدالسلام الكرداني، ويوسف مروة، وعبد الكريم عثمان، ونعمت صدقي، ومحمد ابن إسماعيل بن إبراهيم، وخليفة بن عبدالسميع خليفة، ورشاد خليفة، وصدقي

لبيك، ويعقوب بن يوسف، وحمزة بن سالم الصيرفي، ومحمد عفيفي الشيخ، وعبد الله شحاتة، وعبد العزيز بن إسماعيل، وعبدالمجيد الزنداني، والسبيعي، وعبد الرزاق نوفل، وأمثالهم كثير، وإن كانوا متفاوتين في الإقبال على النظريات العصرية والتأثر بها، إلا أن أقلهم شرًا لا ينجو من الضلال، وقد نقلنا من أقوال الفلكيين المتأخرين شيئًا في ثنايا هذا الكتاب فلا حاجة للإعادة.



المنتصرون لنظريات الكفار قربوا المؤمنين إلى الضّلال والتعطيل

يزعم فريق الغلاة في نظريات الكفار أنه حريص على هداية الكفار، فأقبلوا على نظرياتهم دراسةً وترويجًا؛ من أجل أن تكون سببًا في هداية الكفار -على حد زعمهم-، وما الذي تحقق؟ لقد تحقق أن أوقعوا من المسلمين في الضلال، بل في الإلحاد، وأما صناديد هذه النظريات ومن إليهم، فالغالب عليهم أنهم باقون على ما هم عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "درء تعارض النقل" وهو يتحدث عن هذا الصّنف: (وهؤلاء أهل الكلام المخالفون للكتاب والسنة الذين ذمهم السلف والأئمة، لا قاموا بكمال الإيمان ولا بكمال الجهاد، بل أخذوا يناظرون أقوامًا من الكفار وأهل البدع الذين هم أبعد عن السنة منهم بطريق لا يتم إلا برد بعض ما جاء به الرسول ﷺ، وهي لا تقطع أولئك الكفار بالمعقول، فلا آمنوا بما جاء به الرسول حق الإيمان، ولا جاهدوا الكفار حق الجهاد).

وقال الدكتور ناصر العقل في كتابه "الاتجاهات العقلانية" (ص٢٩٣): (إن الشيخ محمد عبده يعتبر من أوائل العلماء والمسلمين الذين تعرضوا في العصر الحديث لتأويل نصوص القرآن؛ لتتفق مع النظريات العربية، خاصة ما يتعلق بأمور الغيب كالملائكة والجن والقصص والمعجزات، وأحس أنه إذا عرض لتفسير هذه الأمور خاصة في تفسيره الذي نقله عنه تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا في "تفسير المنار"، أحس أنه يقع في تناقض واضطراب، ومراوغة بين الالتزام والتأول، وكأنه يشعر برقيب من العلم الحديث، أو لعله كان يريد المصالحة والتقريب بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، لكنه كما عبر الشيخ مصطفى صبري في كتابه "موقف العقل":

قرب المؤمنين إلى الإلحاد خطوات، ولم يقرب الملحدين إلى الإيمان خطوة).

فإلى الله المشتكى من هؤلاء الذي فسدوا وأفسدوا وانحرفوا وحرفوا، أيكون أمرًا هينًا أن يقرب المؤمنون من الإلحاد خطوات؟ اللهم سلم! سلم!

وإذا كان الواحد من هؤلاء يقرب المؤمنين إلى الإلحاد فمن باب أولى أن يكون تقريب المؤمنين إلى الإلحاد عن طريق جماعة منهم أكثر وأكثر، والواقع شاهد. فإن عددًا من المسلمين ليسوا بالقليل قد تأثروا بأقوال أصحاب النظريات، واعتقدوا صحتها وأحقيتها، وصاروا يقولون بقول المعطلين في الربوبية والألوهية وأمور الغيب، ويطعنون في القرآن والسنة وعلماء الإسلام من حيث يشعرون أو لا يشعرون؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله.



تقديس أبناء جلدتنا المفتونين بالنظريات لملاحدة الأفلاك

لقد استدل المغرمون بنظريات الكفار على مدحهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[فاطر:٢٨] أي: أن علماء النظريات هم المعنيون بهذه الآية، وممن استدل بها على ذلك الشعراوي، واستدلوا على مدحهم أيضًا بقوله تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[سبأ:٦] انظر كتاب "توحيد الخالق" (ص٣٤١).

وقال صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء" (ص٤٧): (... فالجيولوجيون والرياضيون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا على تشييد صرح العلم... وهو صرح عظمه الله وحده).

وقال أيضًا (ص٤٧): (وقد رأينا كثيرًا من العلماء الراسخين المنصفين هداهم علمهم إلى أن وراء هذا الكون قوة عليا، تدبره وتنظمه وترعى كل شيء فيه بميزان وحساب ومقدار).

وقال أيضًا (ص٤٥): (ونعتقد أن الذين درسوا علوم الكون في السماوات والأرض وما بينهما، لو تتبعوا آيات القرآن الكريم التي تعرضت لذكر الكون، لوجدوا حقائق كثيرة مما وصل إليه العلم الحديث...).

والملاحظ أن المعجبين بأصحاب الأفلاك قد أنزلوهم فوق منزلة علماء الإسلام. وانظر إلى هذا الغلو عند أن سموهم علماء الكون، والكون يشمل كل مكوَّن أي: مخلوق. فانظر إلى بشاعة هذا الغلو، وأيضًا هل يقبل عاقل أن يستدل مستدل بالآيتين المذكورتين على ما استدل بهما هؤلاء؟! فعلى هذا الاستدلال الرسول ﷺ

وورثته من بعده لا تعنيهم الآية، ومعنى هذا: أن معنى الآية لم يتحقق إلا على أيدي ملاحدة الأفلاك، والذي أود أن يفهمه القارئ من مضمون كلامهم هذا، أنهم جعلوا أصحاب العلم الحديث مقدمين على ما يقوله علماء الإسلام.

وعلى كل: الآيتان تتحدثان عن علماء الإسلام العارفين بالحلال والحرام الراسخين في علم الشريعة المتدبرين كلام الله والمتفكرين في مخلوقات الله، وعلى هذا المفسرون كافة. فما ذكرته من تقديس هؤلاء لأصحاب العلوم الفلكية والكونية ليس إلا قطرة من مطرة، كما يقال، وإلا فقد ملئت كتب الكتَّاب المعاصرين بمثل ما ذكرت؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله.



ردود أهل العلم على أصحاب الأفلاك قديمًا وحديثًا

لما رأى أرباب البصائر من أهل العلم ما عند أصحاب الهيئة من الإلحاد والتعطيل للحق، قاموا بواجب البيان قال العلامة ابن القيم في "مفتاح دار السعادة" (٣/ ٢٦٣-٢٦٤) وهو يتحدث عن الردود على أهل التنجيم: (فقد رأينا نحن وغيرنا ما يزيد على مائة مصنف في الرد على أهله وإبطال أقوالهم، وهذه كتبهم بأيدي الناس، وكثير منها للفلاسفة الذين يعظمهم هؤلاء، ويرون أنهم خلاصة العالم، كالفارابي، وابن سينا، وأبي البركات الأوحد، وغيرهم، وقد حكينا كلامهم، وأما الردود في ضمن الكتب حين يرد على أهل المقولات فأكثر من أن تذكر، ولعلها أن تزيد على عدة الألف، تجد في كل كتاب منها الرد على هؤلاء، وإبطال مذهبهم، ونسبتهم إلى الكذب والزَّرْق... ولقد رأينا من الردود القديمة قبل قيام الإسلام على هؤلاء، ما يدل على أن العقلاء لم يزالوا يشهدون عليهم بالجهل وفساد المذهب، وينسبونهم إلى الدعاوي الكاذبة والآراء الباطلة، التي ليس مع أصحابها إلا القول بلا علم).

قلت: كفى بكلام العلامة ابن القيم هذا دلالة على أن أصحاب الأفلاك والأجرام السماوية مطرودون مدحورون بالردود عليهم في الأزمان سابقها ولاحقها، ولقد تصدى الغيورون على الإسلام من علماء ودعاة للرد على أصحاب الهيئة في عصرنا، فقد بلغت الردود عليهم عن طريق المقالات والأشرطة والفتاوى المئات، بل قد ألفت كتب كثيرة في الرد عليهم نقلنا بعضها في كتابنا هذا، وما لم أنقل منه، ولم يصل إلى متناولي أكثر وأكثر.

وإني لأدعو علماء الإسلام المتبعين لهدي سيد الأنام إلى التأمل والتدبر أكثر، لما تضمنته كتب المقلدين لملاحدة الشرق والغرب من فساد عظيم، من تعطيل،

وتحريف، وتبديل، وتجهيل لأئمة السلف والهدى، ثم الرد عليها؛ إذ لولا الردود المفحمة لأصحاب الباطل لصيروا باطلهم دينًا بديلًا عن الإسلام، فكل راد على هؤلاء وأمثالهم على ثغرة من ثغور الإسلام، وهو مجاهد الجهاد الأكبر، قال تعالى مخاطبًا رسوله: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[الفرقان:٥٢]، فإن دس النظريات في العلوم الشرعية مما يؤدي إلى التشكيك في القرآن والسنة.

أهل العلم يفتون بإتلاف كتب الفلاسفة

إن كتب الفلاسفة وكتب أهل الكلام المنتسبين إلى الإسلام قد خلطت الحق بالباطل، واعتمد أهلها الباطل وأظهروا للناس أنه الحق ودعوهم إلى ذلك؛ فعظم الضرر بسبب ذلك، فاستدعى هذا إنقاذ المسلمين والحماية لعقائدهم وقلوبهم وعقولهم من هذا الانحراف واستخدام الوسائل التي شرعها الله لصد وكف الباطل من الفروض الدينية والواجبات الكفائية، وقد استخدم القائمون بالدفاع عن منهاج النبوة الوسائل المشروعة في مواجهة المبطلين والفلاسفة الكلاميين، ومنها:

الدعوة إلى إحراق كتب الضلال من فلسفة وغيرها، فقد ذكر بعض المؤرخين أن عمر بن الخطاب أمر بإحراق كتب الحكمة في الإسكندرية وغيرها. وقال الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية" (١١/ ٥١) في حوادث سنة (٢٧٩هـ): (وفيها نودي... وألَّا تباع كتب الكلام والفلاسفة والجدل بين الناس، وذلك بهمة أبي العباس المعتضد سلطان الإسلام). اهـ

وقال السكوني في "لحن العوام" (١٤٩) بعد ذكره أشعار فيها مخالفة للشريعة: (وهذا كله وما أشبهه حرام إطلاقه وإقراره، وإحراقه واجب، ولا يحل بيعه في الأسواق).

وأحرقت كتب ابن رشدٍ المتعلقة بشروح كتب الفلاسفة انظر كتاب "تاريخ الإسلام" للذهبي سنة ٥٩٥هـ وقد أحرق "إحياء علوم الدين" للغزالي لما تضمنه من ضلالات وانحرافات، كما ذكرت ذلك في كتابي "القول المبين في أصناف المبدلين". وقال العلامة ابن القيم: (... وكذلك لا ضمان في تحريق الكتب المضلة وإتلافها). نقلاً من "كتب حذر منها العلماء" (١/ ٣٩).

ومنعت كتب ابن عربي الملحد والحلاج الزنديق وأمثالها، قال العلامة الشوكاني رحمه الله في "الصوارم الحداد" بعد أن ذكر إجابة مجموعة من العلماء الحافظ البلقيني وابن حجر وابن عرفة وابن خلدون: (وأما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة وما يوجد من نسخها بأيدي الناس مثل: الفصوص والفتوحات لابن عربي، والبدّ لابن سبعين، وخلع النعلين لابن قسي، وعين اليقين لابن برخان، وما أجدر الكثير من شعر ابن الفارض، والعفيف التلمساني، وأمثالها أن يلحق بهذه الكتب، وكذا شرح ابن الفرغاني للقصيدة التائية من نظم ابن الفارض، فالحكم في هذه الكتب كلها وأمثالها إذهاب أعيانها متى وجدت، بالتحريق بالنار، والغسل بالماء، إلى آخر ما جاء به). "الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني" (٢/ ١٠٢٩-١٠٣٠).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله كما في "الطرق الحكمية" (٢٧٥-٢٧٧) وهو يتحدث عن كتب الضلال: (وكل هذه الكتب المتضمنة لمخالفة السنة غير مأذون فيها، بل مأذون في محقها وإتلافها، وما على الأمة أضر منها... والمقصود أن هذه الكتب المشتملة على الكذب والبدعة يجب إتلافها وإعدامها، وهي أولى بذلك من إتلاف آلات اللهو والمعازف وإتلاف آنية الخمر، فإن ضررها أعظم من ضرر هذه، ولا ضمان فيها كما لا ضمان في كسر أواني الخمر أو شق زقاقها).

وبهذا الإيضاح الجلي يدرك المسلمون عظيم خطر كتب أهل الكلام، كالذين يروجون للنظريات المضلة، ويحرفون القرآن والسنة من أجل ذلك، ومن أعظمها إبطالاً للقرآن الكريم والسنة المطهرة كتب الإعجاز العصري، وإليك سرد مجموعة منها:

١) "توحيد الخالق".

٢) "العلم طريق الإيمان".

٣) "طريق الإيمان".

٤) "إنه الحق".

٥) «بيانات الرسول ومعجزاته». وهذه الكتب الخمسة كلها للزنداني.

٦) «الإعجاز الإلهي».

٧) «الإعجاز العلمي».

٨) «الإعجاز الإلهي في خلق الإنسان».

٩) «الله يتجلى في عصر العلم».

١٠) «من علم الفلك القرآني».

١١) «فيض الرحمن».

١٢) «من أسرار عظمة القرآن».

١٣) «الإعجاز العلمي للقرآن الكريم».

١٤) «العلم والإيمان في الفضاء والطيران».

١٥) «هداية القرآن في الآفاق والأنفس».

١٦) «الجواهر في تفسير القرآن الكريم».

١٧) «كشف الأسرار النورانية القرآنية».

١٨) «الكون والإعجاز الحسي في القرآن».

١٩) «الإعجاز العددي للقرآن».

٢٠) «مع الطب في القرآن الكريم».

٢١) «الإسلام في عصر العلم».

٢٢) «القرآن والعلوم العصرية».

٢٣) «القرآن ينبوع العلم والعرفان».

٢٤) «القرآن والعلوم الحديثة».

٢٥) «الإسلام والطب الحديث».

٢٦) «ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة البرهان».

٢٧) «التفسير العلمي الآيات الكونية في القرآن».

٢٨) «شواهد العلم في معجزات القرآن».

٢٩) «معجزات القرآن شهد بها العلم الحديث».

٣٠) «العلوم الطبيعية في القرآن».

٣١) «القرآن ونهاية العالم».

٣٢) «رحلة عبر الغيب بين آيات القرآن وصفحات الأكوان».

٣٣) «معجزات القرآن الكريم في العلم والسياسة والاجتماع باللغتين العربية والإنجليزية».

٣٤) «معجزة القرآن».

٣٥) «القرآن وإعجازه العلمي».

٣٦) «البرهان من القرآن والعلم الحديث».

٣٧) «القرآن والعلم الحديث».

٣٨) «الرياضيات في القرآن الكريم».

٣٩) «معجزة القرن العشرين في كشف سباعية وثلاثية القرآن الكريم».

٤٠) «الإعجاز الحسابي في القرآن الكريم».

٤١) «تسعة عشر دلالات جديدة في إعجاز القرآن».

٤٢) «معجزات القرآن العددية».

٤٣) «لغات علمية من القرآن».

٤٤) "الإعجاز العلمي من القرآن".

٤٥) "القرآن والغلاف الجوي".

٤٦) "تفسير الآيات الكونية".

٤٧) "القرآن والطب".

٤٨) "الإعجاز الطبي في القرآن".

٤٩) "تكنولوجيا الفضاء الكوني".

٥٠) "مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية".



الجهل بالنظريات لا يضر المسلم في دينه

لو كان العلم بالنظريات واجبًا؛ لأمر الله به وأمرنا به رسوله ﷺ ولكن لم يحصل هذا، مع العلم أن الأدلة كثيرة على وجوب تعلم المسلم أمور دينه، بل لقد ذم الله ورسوله ﷺ العلم الذي لا يخدم الدين ولا يخدم الدنيا خدمة توافق ما يريده، قال الله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾[الروم:٧] فالآيات عامة في كل علم ليس فيه نفع صحيح ديني أو دنيوي، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[غافر:٨٣].

قال القاسمي في تفسيره «محاسن التأويل» (١٤/ ٢٥٢): ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أي: الخالي عن نور الهداية والوحي، ورضوا بها عن قبول هداية الرسل ومعارفهم).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٣٢٣) وهو يتحدث عن الخوارق: (وإذا تقرر ذلك، فاعلم أن عدم الخوارق علمًا وقدرة لا تضر المسلم في دينه، فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات، ولم يُسَخّر له شيء من الكونيات، لا ينقصه ذلك في مرتبته عند الله، بل قد يكون عدم ذلك أنفع له في دينه، إذا لم يكن وجود ذلك في حقه مأمورًا به أمر إيجاب ولا استحباب، وأما عدم الدين والعمل به فيصير الإنسان ناقصًا مذمومًا، إما أن يجعله مستحقًّا للعقاب، وإما أن يجعله محرومًا من الثواب؛ وذلك لأن العلم بالدين وتعليمه والأمر به ينال به العبد رضوان الله وحده وصلاته وثوابه، وأما العلم بالكون والتأثير فيه فلا ينال به من ذلك إلا إذا كان داخلًا في الدين...).

وقال أيضًا: (فصل في جماع الفرقان بين الحق والباطل والهدى والضلال والرشاد والغي وطريق السعادة والنجاة وطريق الشقاوة والهلاك، أن يجعل ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو الحق، الذي يجب اتباعه، وبه يحصل الفرقان والهدى والعلم والإيمان، فيصدق بأنه حق وصدق، وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فهو باطل، وإن لم يعلم هل وافقه أو خالفه لكون ذلك الكلام مجملًا لا يعرف مراد صاحبه، أو قد عرف مراده، ولكن لم يعرف هل جاء الرسول بتصديقه أو تكذيبه، فإنه يمسك فلا يتكلم إلا بعلم، والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول، وقد يكون علم من غير الرسول، لكن في أمور دنيوية مثل الطب والحساب والفلاحة والتجارة، وأما الأمور الإلهية والمعارف الدينية، فالعلم فيها مأخوذ عن الرسول، فالرسول أعلم الخلق بها، وأرغبهم في تعريف الخلق بها، وأقدرهم على بيانها وتعريفها، فهو فوق كل أحد في العلم والقدرة والإرادة، وهذه الثلاثة بها يتم المقصود، ومن سوى الرسول إما أن يكون في علمه بها نقص أو فساد، وإما ألا يكون له إرادة فيما علمه من ذلك، فلم يبينه إما لرغبة وإما لرهبة، وإما لغرض آخر، وإما أن يكون بيانه ناقصًا ليس بيانه البيان عما عرفه الجنان).

قال العلامة الشنقيطي في «أضواء البيان» (٦/ ٤٧٧-٤٧٨): (اعلم أنه يجب على كل مسلم في هذا الزمان أن يتدبر آية الروم هذه تدبرًا كثيرًا ويتبين ما دلت عليه لكل من استطاع بيانه له من الناس، وإيضاح ذلك أن من أعظم فتن آخر الزمان التي ابتلى الله بها ضعاف العقول من المسلمين شدة إتقان الإفرنج لأعمال الحياة الدنيا، ومهارتهم فيها، على كثرتها واختلاف أنواعها، مع عجز المسلمين عن ذلك، فظنوا أن من قدر على تلك الأعمال أنه على الحق، وأن من عجز عنها متخلفٌ وليس على الحق، وهذا جهلٌ فاحشٌ وغلط فادح، وفي هذه الآية الكريمة إيضاح لهذه الفتنة، وتخفيف لشأنها، أنزله الله في كتابه قبل وقوعها بأزمان كثيرة، فسبحان الحكيم الخبير! ما أعلمه، وما أعظمه، وما أحسن تعليمه!! فقد أوضح جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن أكثر الناس لا يعلمون، ويدخل فيهم أصحاب هذه العلوم

الدنيوية دخولًا أوليًّا؛ فقد نفى عنهم جل وعلا اسم العلم بمعناه الصحيح الكامل؛ لأنهم لا يعلمون شيئًا عمن خلقهم فأبرزهم من العدم إلى الوجود، ورزقهم وسوف يميتهم ثم يحييهم ثم يجازيهم على أعمالهم، ولم يعلموا شيئًا عن مصيرهم الأخير الذين يقيمون فيه إقامة أبدية في عذاب فظيع دائم، ومن غفل عن جميع هذا فليس معدودًا من جنس من يعلم، كما دلت عليه الآية القرآنية المذكورة، ثم لما نفى عنهم جل وعلا اسم العلم بمعناه الصحيح الكامل أثبت لهم نوعًا من العلم في غاية الحقارة بالنسبة إلى غيره، وعاب ذلك النوع المذكور من العلم بعيبين عظيمين: أحدهما: قلته وضيق مجاله؛ لأنه لا يجاوز ظاهرًا من الحياة الدنيا، والعلم المقصود على ظاهر من الحياة الدنيا في غاية الحقارة وضيق المجال، بالنسبة إلى العلم بخالق السماوات والأرض جل وعلا، والعلم بأوامره وبنواهيه وبما يقرب عبده منه وما يبعده منه، وما يخلد في النعيم الأبدي من أعمال الخير والشر. الثاني منهما: دناءة هدف ذلك العلم وعدم نيل غايته؛ لأنه لا يتجاوز الحياة الدنيا، وهي سريعة الانقطاع والزوال، ويكفيك من تحقير هذا العلم الدنيوي أن أجود أوجه الإعراب في قوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا﴾ أنه بدل من قوله قبله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ فهذا العلم كلا علم لحقارته). اهـ

وعلى هذا فليس المسلم ملومًا على جهله بالنظريات، بل إن كان مقبلًا على العمل بدينه فهو ممدوحٌ، وإن كان مقبلًا عليها مع الجهل بما فيها من أضرار فهو ملوم على ذلك، فالناس في هذه المسألة على ثلاثة أقسام:

❁ **قسم أقبل على النظريات وغلا فيها** إلى حد يذم عليه شرعًا، وهم الذين يقبلونها مطلقًا ويصححونها، ويحاكمون القرآن والسنة إليها، فتلك إحدى الكبر.

❁ **وقسم ردوها مطلقًا** وهذا تفريط.

❁ **وقسم عرضوها على شرع الله**، فقبلوا منها ما قبله وردوا منها ما رده فأصابوا، وهذا هو الوسط المطلوب والعدل المرغوب. وهذا الذي نرتضيه ونسير عليه، بإذن الله.

التمسك بالإسلام لا يمنع من الاستفادة مما عند الكفار مما يعود على المسلمين بالنفع المعتبر شرعًا وعقلاً

إن مما ينبغي التفطن له وإدراكه جيدًا أن الإسلام لا يمنع من التقدم في العلوم والأحوال الدنيوية، بل إن الإسلام ينعش ما كان صالحًا للتقدم من أمور الدنيا، فقد قال أمير المؤمنين في الحديث: ابن شهاب الزهري، وهو يتحدث عن العلم الشرعي: (كان مشايخنا يقولون: العلم فيه نعش للدين والدنيا) أخرجه ابن المبارك في "الزهد" (ص٨١٧)، وابن عبدالبر في "جامع بيان العلم وفضله" رقم (١٠١٨)، وهو صحيح إلى ابن شهاب.

وقال العلامة ابن القيم في "مفتاح دار السعادة": (فقوام الدين والدنيا إنما هو بالعلم).

وللشنقيطي كلام نفيس يجلي هذه المسألة، قال في "أضواء البيان" (٣/ ٣٢٢-٣٢٤): (ومن هدي القرآن للتي هي أقوم، هديه إلى أن التقدم لا ينافي التمسك بالدين، فما خيله أعداء الدين لضعاف العقول ممن ينتمي إلى الإسلام من أن التقدم لا يمكن إلا بالانسلاخ من دين الإسلام باطل لا أساس له، والقرآن الكريم يدعو إلى التقدم في جميع الميادين التي لها أهمية في دنيا أو دين، ولكن ذلك التقدم في حدود الدين والتحلي بآدابه الكريمة وتعاليمه السماوية، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال:٦٠] الآية وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ * أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾[سبأ:١٠-١١] الآية، فقوله: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾[سبأ:١١] يدل على الاستعداد لمكافحة العدو، وقوله: ﴿وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾[المؤمنون:٥١] يدل على أن ذلك الاستعداد لمكافحة العدو في حدود الدين الحنيف، وداود من أنبياء سورة

الأنعام المذكورين فيها في قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ﴾[الأنعام:٨٤] الآية وقد قال تعالى مخاطبًا لنبينا ﷺ وعليهم بعد أن ذكرهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[الأنعام:٩٠] وقد ثبت في "صحيح البخاري": عن مجاهد، أنه سأل ابن عباس رضي الله عنهما، من أين أخذت السجدة في (ص)؟ فقال: أوما تقرأ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ﴾[الأنعام:٨٤] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[الأنعام:٩٠] فسجدها داود فسجدها رسول الله ﷺ، فدلّ ذلك على أنا مخاطبون بما تضمنته الآية مما أمر به داود. فعلينا أن نستعد لكفاح العدو مع التمسك بديننا، وانظر قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾[الأنفال:٦٠] فهو أمر جازم بإعداد كل ما في الاستطاعة من قوة ولو بلغت القوة من التطور ما بلغت، فهو أمر جازمٌ بمسايرة التطور في الأمور الدنيوية، وعدم الجمود على الحالات الأول، إذا طرأ تطور جديد، ولكن كل ذلك مع التمسك بالدين. ومن أوضح الأدلة على ذلك، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ﴾[النساء:١٠٢] الآية. فصلاة الخوف المذكورة في هذه الآية الكريمة تدل على لزوم الجمع بين مكافحة العدو وبين القيام بما شرعه الله جل وعلا من دينه، فأمره تعالى في هذه الآية بإقامة الصلاة في وقت التحام الكفاح المسلح يدل على ذلك دلالة في غاية الوضوح، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[الأنفال:٤٥] فأمره في هذه الآية الكريمة بذكر الله كثيرًا عند التحام القتال، يدل على ذلك أيضًا دلالة واضحة، فالكفار خيلوا لضعاف العقول أن النسبة بين التقدم والتمسك بالدين -والسمت الحسن والأخلاق الكريمة- تباين مقابلة كتباين النقيضين كالعدم والوجود، والنفي والإثبات، فخيلوا لهم أن التقدم والتمسك بالدين متباينان تباين مقابلة، بحيث يستحيل اجتماعهما، فكان من نتائج ذلك انحلالهم من الدين رغبة في التقدم، فخسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين. والتحقيق أن النسبة بين التقدم والتمسك بالدين بالنظر إلى

العقل وحده وقطع النظر عن نصوص الكتاب والسنة إنما هي تباين المخالفة وضابط المتباين تباين المخالفة أن تكون حقيقة كل منهما في حد ذاتها تباين حقيقة الآخر، ولكنها يمكن اجتماعها عقلًا في ذات أخرى كالبياض والبرودة والكلام والقعود والسواد والحلاوة فحقيقة البياض في حد ذاتها تباين حقيقة البرودة، ولكن البياض والبرودة يمكن اجتماعهما في ذات واحدة كالثلج، وكذلك الكلام والقعود فإن حقيقة الكلام تباين حقيقة القعود، مع إمكان أن يكون الشخص والواحد قاعدًا متكلما في وقت واحد وهكذا. فالنسبة بين التمسك بالدين والتقدم بالنظر إلى حكم العقل من هذا القبيل، فكما أن الجرم الأبيض يجوز عقلًا أن يكون باردًا كالثلج، والإنسان القاعد يجوز عقلًا أن يكون متكلمًا، فكذلك المتمسك بالدين يجوز عقلًا أن يكون متقدمًا؛ إذ لا مانع في حكم العقل، من كون المحافظ على امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه مشتغلًا في جميع الميادين التقدمية، كما لا يخفى، وكما عرفه التاريخ للنبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان. أما بالنظر إلى نصوص الكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾[الحج:٤٠] الآية، وقوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم:٤٧] وقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[الصافات:١٧١-١٧٣] وقوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[المجادلة:٢١] وقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[غافر:٥١] الآية وقوله: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾[التوبة:١٤] ونحو ذلك من الآيات، وما في معناها من الأحاديث).

ولا تنس -أخي القارئ- أن للمسلمين دورًا عظيمًا في صناعة الحضارة النامقة، حتى شهد بذلك الأعداء قبل الأصدقاء، قال المؤرخ الفرنسي «غوستاف لوبون» في كتابه «حضارة العرب»: (إن فلاسفة العرب والمسلمين هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين) نقلًا من كتاب «أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية» (ص١١٧).

ويقول: "تولستوي" الأديب الروسي الكبير: (... إن هذا النبي من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة، ويكفيه فخرًا أنه فتح لها طريق الرقي والتقدم وهذا عمل عظيم، لا يفوز به إلا شخص أوتي قوة وحكمة وعلمًا) المصدر الأول (ص١٠٦).

قلت: ومما يدعو أمة الإسلام إلى استخدام الوسائل الدنيوية النافعة ما قصه الله علينا في كتابه الكريم عما مكن الله النبيين الكريمين: داود وسليمان عليهما السلام من العناية بالصناعات العظيمة الدنيوية الحربية وغيرها من الصناعات الدنيوية النافعة، وما قصه الله علينا عن عبده الصالح ذي القرنين، فقد قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ... ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ... ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾[الكهف:٨٣-٩٣] أي: أعطاه الله من الأسباب الموصلة ما يستعين على قهر البلدان وسهولة الوصول إلى أقاصي العمران، وعمل بتلك الأسباب التي أعطاه الله إياها.

وهذه شهادة بعض علماء الاستشراق أن الرقي الأوربي في القرون الوسطى كان سببه تلقي حضارة المسلمين قال المؤرخ "جورج سارتون": (المسلمون عباقرة الشرق في القرون الوسطى، لهم مأثرة عظمى على الإنسانية، يتمثل في أنهم تولوا كتابة أعظم المؤلفات والدراسات قيمة، وأكثرها أصالة وعمقًا، مستخدمين في ذلك لغتهم العربية، التي كانت بلا مراء لغة العلم للجنس البشري، في الفترة الواقعة بين منتصف القرن الثامن الميلادي حتى نهاية القرن الحادي عشر، لدرجة أنه كان يتحتم على الشخص الذي كان يريد الإلمام بثقافة عصره، وبأحدث ما يجري من علوم أن يتعلم اللغة العربية) نقلًا من كتاب "أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية" (ص١١٠-١١١).

وقال البروفسور "إدوارد بروني" وهو يتحدث عن الفتوحات الإسلامية: (وانجلى

غبار الفتح عن إمبراطورية جديدة لا أوسع، وعن حضارة لا أسطع، وعن مدنية لا أروع، عول عليه الغرب في تطوره ورقيه البنَّاء) المصدر نفسه (ص١٣١).

بل لقد ألفت الكاتبة الألمانية «هوتكة» كتابًا بعنوان: «شمس العرب تسطع على الغرب» المصدر نفسه (ص٢١٠).

قلت: فهذه الأدلة الساطعة واضحة المعالم شامخة المباني، تثبت ما وصل إليه المسلمون من تقدم، مع تمسكهم بدينهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[الحج:٤١]. فحريٌّ بملوك الإسلام وزعماء الأمة الإسلامية وقادتها أن ينهضوا بالأمة نهضة حقيقية، كما نهض بها سلفهم الصالح، وأما ربط حكامنا تقدمنا تبعًا لأعداء الله، خصوصًا الغرب الكافر في عصرنا، فهذا استسلام لهم، وتقديم الأمة ضحية بين أيديهم فبئس ما صنعوا! وويل لهم مما اكتسبوا!

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

موقف المسلم الحصيف من الحضارة الغربية

يقول الله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ * مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[آل عمران:١٩٦-١٩٧] وقال تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[التوبة:٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[طه:١٣١] وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ * وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[الزخرف:٣٣-٣٥]، فلحقارة الدنيا عند الله أعطاها الكافرين يتمتعون فيها، ويأكلون كما تأكل الأنعام، ولعظمة الآخرة عند الله ادخرها للمتقين، وقد فتن أفواج من المسلمين بما عند الغرب من متاع الدنيا، وسال لعاب بعضهم، فدعت الحاجة إلى بيان ما يقبل من تلك المصالح الدنيوية، وما لا يقبل منها.

قال العلامة الشنقيطي في «أضواء البيان» (٤/ ٣٨١-٣٨٣): (إن الاستقراء التام القطعي دل على أن الحضارة الغربية المذكورة تشتمل على نافع وضار، أما النافع منها: فهو من الناحية المادية، وتقدمها في جميع الميادين المادية أوضح من أن أبينه، وما تضمنته من المنافع للإنسان أعظم مما كان يدخل تحت التصور؛ فقد خدمت الإنسان خدمات هائلة، من حيث إنه جسد حيواني. وأما الضار منها: فهو إهمالها بالكلية للناحية التي هي رأس كل خير، ولا خير البتة في الدنيا بدونها، وهي التربية الروحية للإنسان، وتهذيب أخلاقه، وذلك لا يكون إلا بنور الوحي السماوي، الذي يوضح

للإنسان طريق السعادة، ويرسم له الخطط الحكمية في كل ميادين الحياة الدنيا والآخرة، ويجعله على صلة بربه في كل أوقاته، فالحضارة العربية غنية بأنواع المنافع من الناحية الأولى، مفلسة إفلاسًا كليًّا من الناحية الثانية، ومعلوم أن طغيان المادة على الروح يهدد العالم أجمع بخطر داهم وهلاك مستأصل، كما هو مشاهد الآن، وحل مشكلته لا يمكن البتة، إلا بالاستضاءة بنور الوحي السماوي، الذي هو تشريع خالق السماوات والأرض؛ لأن من أطغته المادة حتى تمرد على خالقه ورازقه لا يفلح أبدًا، والتقسيم الصحيح يحصر أوصاف المحل الذي هو الموقف من الحضارة الغربية في أربعة أقسام لا خامس لها، حصرًا عقليًّا لا شك فيه:

الأول: ترك الحضارة المذكورة نافعها وضارها.

الثاني: أخذها كلها وضارها ونافعها.

الثالث: أخذ ضارها وترك نافعها.

الرابع: أخذ نافعها وترك ضارها.

فنرجع بالسبر الصحيح إلى هذه الأقسام الأربعة فنجد ثلاثة منها باطلة بلا شك، وواحدًا صحيحًا بلا شك.

أما الثلاثة الباطلة:

فالأول منها: تركها كلها ووجه بطلانه واضح؛ لأن عدم الاشتغال بالتقدم المادي يؤدي إلى الضعف الدائم والتواكل والتكاسل ويخالف الأمر السماوي في قوله جل وعلا: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال:٦٠].

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

القسم الثاني من الأقسام الباطلة: أخذها، لأن ما فيها من الانحطاط الخلقي وضياع القيم الروحية والمثل العليا للإنسانية أوضح من أن أبينه. ويكفي في ذلك ما فيها من التمرد على أحكام الله، وعدم طاعة خالق هذا الكون جل وعلا: ﴿ءَآللَّهُ

﴿آذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[يونس:٥٩] ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾[الشورى:٢١].

والقسم الثالث من الأقسام الباطلة: هو أخذ الضار وترك النافع، ولا شك أن هذا لا يفعله من له أقل تميز فتعينت صحة القسم الرابع بالتقسيم والسبر الصحيح، وهو أخذ النافع وترك الضار. وهكذا كان ﷺ يفعل فقد انتفع بحفر الخندق في غزوة الأحزاب مع أن ذلك خطة عسكرية كانت للفرس أخبره بها سلمان، فأخذ بها ولم يمنعه من ذلك أن أصلها للكفار، وقد هم ﷺ بأن يمنع وطء النساء المراضع خوفًا على أولادهن؛ لأن العرب كانوا يظنون أن الغيلة (وهي: وطء المرضع) تضعف ولدها وتضره، ومن ذلك قول الشاعر:

فوارس لم يغالوا في رضاع فتَنْبُو في أكفهم السيوف

فأخبرته ﷺ فارس والروم بأنهم يفعلون ذلك ولا يضر أولادهم فأخذ ﷺ منهم تلك الخطة الطبية ولم يمنعه من ذلك أن أصلها من الكفار، وقد انتفع ﷺ بدلالة ابن الأريقط الدؤلي له في سفر الهجرة على الطريق، مع أنه كافر. فاتضح من هذا الدليل أن الموقف الطبيعي للإسلام والمسلمين من الحضارة الغربية هو: أن يجتهدوا في تحصيل ما أنتجته من النواحي المادية، ويحذروا مما جنته من التمرد على خالق الكون جل وعلا؛ فتصلح لهم الدنيا والآخرة. والمؤسف أن أغلبهم يعكسون القضية فيأخذون منها الانحطاط الخلقي والانسلاخ من الدين والتباعد من طاعة خالق الكون، ولا يحصلون على نتيجة مما فيها من النفع المادي؛ فخسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل). اهـ

وقال العلامة السعدي في "القواعد الحسان" (١٠٥-١٠٦) وهو يتحدث عن إقامة المصالح الدينية والدنيوية بين المسلمين: (وقد اتفق العقلاء أن الطريق الوحيد للصلاح الديني والدنيوي هو طريق الشورى، فالمسلمون قد أرشدهم الله إلى أن يهتدوا إلى

مصالحهم وكيفية الوصول إليها بأعمال أفكارهم مجتمعة، فإذا تعينت المصلحة في طريق سلكوه وإذا تعينت المضرة في طريق تركوه، وإذا كان في ذلك مصلحة ومضرة، نظروا أيها أقوى وأولى وأحسن عاقبة... ثم نظروا بأي شيء تدرك تلك الأسباب، وبأي حال تنال على وجه لا يضر، وإذا رأوا مصالحهم تتوقف على الاستعداد بالفنون الحديثة والاختراعات الباهرة، سعوا لذلك بحسب اقتدارهم، ولم يملكهم اليأس والاتكال على غيرهم الملقي إلى التهلكة، وإذا عرفوا -وقد عرفوا- أن السعي لاتفاق الكلمة وتوحيد الأمة هو الطريق الأقوم للقوة المعنية، جدوا في هذا واجتهدوا، وإذا رأوا المصلحة في المقاومة والمهاجمة، أو في المسالمة والمدافعة بحسب الإمكان، سلكوا ما تعينت مصلحته، فيقدمون في موضع الإقدام ويحجمون في موضع الإحجام. وبالجملة لا يدعون داخلية ولا خارجية، دقيقة ولا جليلة، إلا تشاوروا فيها، وفي طريق تحصيلها وتنميتها ودفع ما يضادها وينغصها).

أخي القارئ، تأمل ما في هذه المقالات العظيمة من بيان شافٍ كافٍ في هذه المسألة المهمة، فيا ليت قومنا يعلمون ما يقوله علماء الإسلام الداعون إلى كل خيرٍ، المحذرون من كل ضيرٍ!! فعند علماء السنة الخبر اليقين فيما يشكل على الناس، والحلول التي بسببها تعود الأمة إلى حظيرة العز والقوة، ولكن مع الأسف ترى أن كثيرًا من المثقفين والكُتَّاب أخذوا الحضارة الغربية بِعُجَرِهَا وَبُجَرِهَا فضلوا وأضلوا.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

تنافس الدول الكبرى سياسيًا على دعوى غزو الكون الأعلى زعموا

لقد قامت التنافسات بين أمريكا وبين الاتحاد السوفييتي على القيام بغزو الكون الأعلى -كما يزعمون- قال صاحب كتاب "تكنولوجيا الفضاء الكوني" (ص١٥٥): (برزت في الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي في الستينات صناعة جديدة، الغرض منها الهبوط بسفن فضاء قوية فوق سطح القمر، والرحلة إلى القمر ليست مجرد مغامرة فحسب، بل هي من المشروعات الصناعية الجبارة التي ظهرت فجأة في تاريخ البشرية، ولاسيما في الدولتين الكبيرتين، ففي الولايات المتحدة الأمريكية وحدها عملت أكثر من عشرين ألف شركة في (٤٧) ولاية، ونقلت جبالاً من المادة من مكان إلى آخر استعدادًا لغزو القمر والهبوط على سطحه، واستعد (٣١٥.٠٠٠) رجل للعمل في مشروع (أبوللو) أو برنامج القمر، وأنفقت الحكومة بسخاء بلايين الدولارات لإنجاز هذا المشروع).

وقال أيضًا (ص١٧٣-١٧٤) تحت عنوان "صراع العمالقة للوصول إلى القمر": (يمكن القول: إن البداية الحقيقية لعملية غزو الفضاء كانت سنة (١٩٥٧م) عندما أطلق الاتحاد السوفييتي السفينة "سبوتنيك" لتدور حول الأرض، وقد أثر ذلك الحدث العلمي تأثيرًا كبيرًا على مشروعات وأبحاث الفضاء الأمريكية، فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد أعدت مشروعًا لإطلاق صواريخ إلى الفضاء، ولم يكن هذا المشروع قد بدأ بعد، فقامت حركة نشيطة جدًّا في الولايات المتحدة... وبدأت الولايات المتحدة تستعد جديًّا لدخول عصر الفضاء، واستقر الرأي على إعداد مشروع (أبوللو) لغزو القمر... ولماذا القمر بالذات؟! لأنه كان هناك اعتقاد بأن علماء الاتحاد السوفييتي سوف يفكرون -بعد إطلاق السفينة "سبوتنيك" إلى الفضاء- في غزو

القمر، والوصول إليها).

قلت: لم يدم البقاء للاتحاد السوفييتي، فقد دمره الله، وخلفه في المنافسة الاتحاد الأوربي وروسيا والصين الشعبية، فالقضية قضية تنافس سياسي؛ لإظهار التغلب والقهر على الآخرين، وهذا تصوير شيطاني للمتنافسين أن من غلب في الفضائيات فهو الغالب في ميدان القتال في الأرض، ومعلوم أن المنافسات هذه تقوم على استعمال الدعايات والكذب والتلبيس والخدع والتضليل، وما الذي يرد هؤلاء عن ذلك، وقد ذكرنا عشرات النظريات المزيفة عن الأفراد منهم، فمن باب أولى أن يحصل هذا من هذه الدول.

وعلى كل: استغل النظريات (حمران العيون) استغلالاً سيئًا من جهات عدة، وأعظم تلك الجهات استخداما له الجهات السياسية الدولية؛ إذ المسألة ليست اكتشافات، وإنما تهافتات على الدعاوى والشطحات، أي اكتشاف يحصل عن طريق استخدام الشركات التي تبحث عن أعمال لعملها كيفما كان.

دعوى الانتصارات على الكواكب عجب وغرور وزور والدائرة عليهم تدور

لقد قام المفتونون بعلم الأفلاك العصرية من أبناء جلدتنا، بالتعبيرات السيئة التي تدل على قلة حيائهم، وطيشان عقولهم، وامتلائهم بالغرور بالنظريات المزيفة، ومن ذلك ما قاله صاحب كتاب «تكنولوجيا الفضاء الكوني» (ص٧): (ولا يمكننا أن نظل قابعين بدور المتفرجين المستهلكين المتواكلين، والآخرون يرسمون الطريق لحرب النجوم...).

وقال أيضًا: (... ومرت السنوات والإنسان يتدرج في مدارج العلم، حتى أصبح خليقًا بالحقبة الزمنية التي نعيش فيها أن تسمى بأهم ما تحقق فيها، وهو الانتصار في غزو الفضاء).

وقال أيضًا (ص٢٤): (ولا شك أن العلم في القرن العشرين قد حقق عدة انتصارات يقف على قمتها النجاح، في سبر غور المجهول عن الفضاء والإفلات من الجاذبية الأرضية، وإطلاق الأقمار الصناعية وسفن الفضاء والرسو على القمر، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن بعض الكواكب والأجرام السماوية).

وقال أيضًا (ص١٥٥): (ففي الولايات المتحدة الأمريكية وحدها عملت أكثر من عشرين ألف شركة في (٤٧) ولاية ونقلت جبالًا من المادة من مكان لآخر استعدادًا لغزو القمر).

وقال أيضًا: (ص١٤١): (ولعل «أليكسي ليونوف» لم يكن يعلم أن الإنسان قد حول مساحة الحرب من على سطح الأرض إلى الفضاء؛ فإن كثيرًا من وسائل الإعلام قد تناقلت ذلك تحت اسم «حرب الكواكب» أو «حرب النجوم» وهي تسمية غير معبرة؛ لأن حقيقة الأمر أن المقصود هو تحول رقعة الصراع من على وجه الأرض وفي غلافها الجوي إلى أغوار الفضاء السحيقة، يرتكز العمل الأساسي في المشروع الأمريكي عن «حرب الفضاء»).

وقال بعد أن ذكر الأقمار الصناعية (ص١٣٥): (وبعد ذلك دخل الإنسان في مجال «غزو الفضاء» مراحل متقدمة). وذكر تلك المراحل.

فهذه الأقوال كافية في دلالتها على قلة أدب هؤلاء؛ حيث يعتبرون الصعود على المراكب الفضائية حربًا على النجوم والفضاء، وعجبهم هذا وغرورهم يذكرنا بتشبههم بقوم يأجوج ومأجوج، فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٧٧) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يَفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ يَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ... وَفِيهِ: حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَحَدٌ فِي حِصْنٍ أَوْ مَدِينَةٍ قَالَ قَائِلُهُمْ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ قَدْ فَرَغْنَا مِنْهُمْ بَقِيَ أَهْلُ السَّمَاءِ قَالَ: ثُمَّ يَهُزُّ أَحَدُهُمْ حَرْبَتَهُ ثُمَّ يَرْمِي بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ إِلَيْهِ مُخْتَضِبَةً دَمًا لِلْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ**».

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند أحمد أيضًا (٢/ ٥١٠) قال: قال رسول الله ﷺ، وهو يتحدث عن خروج يأجوج ومأجوج: «**... وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ فَيُنْشِفُونَ الْمِيَاهَ، وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ وَعَلَيْهَا كَهَيْئَةِ الدَّمِ، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ...**».

قلت: لم يدر في خلد المسلمين أن الصعود إلى جو السماء غزو وحرب، فضلًا عن تصور انتصار الصاعدين من الأرض على أهل السماء. ألا ما أقبح الجهل بهؤلاء الممسوسين بالغرور.

والذي أراه: أن دعوى الانتصار على الكواكب تهدف إلى أمر قل من يتنبه له، ألا وهو إلقاء الرعب في قلوب المنبهرين بضخامة دعايات الاكتشافات الكونية، حتى ينغرس في قلوبهم أن هذه الدول قد قهرت كل شيء، وأحاطت بكل شيء؛ فلا جدوى في الاعتراض على أخطائها، ولا قدرة على المواجهة لها ولأباطيلها. فحقيقة الأمر أنها حرب إعلامية رهيبة، علمَ ذلك من علمَهُ، وجهل ذلك من جهله!

وبنهاية هذا الفصل أكون قد انتهيت من كتابي «نقض النظريات الكونية».

سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلَّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

الفهرس الموضوعي

المقدمة..... ٥

الفصل الأول: علم الأفلاك وقواعده وأصوله..... ٩

الأصول التي يقوم عليها علم الأفلاك والهيئة قديمًا وحديثًا..... ١١

قواعد مستجدَّة عند أصحاب النظريات..... ١٦

دسيسة إدخال علم الأفلاك على المسلمين في الماضي..... ١٩

تمكين الخليفة العباسي المأمون لعلم التنجيم..... ٢٠

جريمة نسبة علم الأفلاك إلى الأنبياء والرسل وأتباعهم..... ٢٤

العلم بالنجوم على قسمين: أحدهما ممنوع، والآخر مباح..... ٢٦

حقيقة علوم الكفار التي برزوا بها في عصرنا..... ٢٨

أقسام العلم الدنيوي الحديث والحذر من قبوله بدون تمحيص..... ٢٩

أشرف العلوم الدنيوية..... ٣٠

تعريف النظريات..... ٣٢

مولد النظريات ونشأتها وانتشارها..... ٣٣

كلمة عامة عن النظريات العصرية..... ٣٥

النظريات في بدئها لعبة، ثم صارت دينًا وملةً..... ٣٦

ذكر عدد من الملاحدة المؤسسين للنظريات..... ٣٧

دخول النظريات بلاد المسلمين..... ٣٩

القواعد التي صار عليها مُصَحِّحُو نظريات الكفار من كُتَّاب المسلمين..... ٤٠

الطريق الذي سلكناه في نقض النظريات وإبطالها..... ٤٢

نظريات (بطليموس) أكثر النظريات قبولًا عند المنتسبين إلى الإسلام..... ٤٥

بعض قواعد بطليموس..... ٤٧

اعتقاد "بطليموس" أن للنجوم والكواكب تأثيرًا على الأبدان والنفوس، وهذا الاعتقاد شرك..... ٤٧

قول "بطليموس": إن طبائع الأجرام السماوية واحدة..... ٤٧

(بطليموس) يرى أن الكواكب الدالة على الصناعات ثلاثة: المريخ وَالزُّهَرَة وَعُطَارِد..... ٤٨

ومن مقررات "بطليموس": القول بثبات الأرض، وجريان الشمس..... ٤٨

نبذة عن "الموسوعة الفلكية" التي اعتمدتها في نقل النظريات..... ٤٩

الصعوبات التي يواجهها الصاعدون إلى الفضاء والدارسون للكون الأعلى..... ٥١

تصريحهم بأن صعودهم إلى الفضاء لإجراء أبحاث تجريبية ٥٥
الفصل الثاني: النظريات المتعلقة بالكون الأعلى ٥٧
تعريف الكون عند أهل اللغة وعند الفلكِيِّين ٥٩
تحدث القرآن والسنة عن خلق الكون ونشأته ٦١
المادة الأولى: الماء ٦١
المادة الثانية: الدخان وهو من الماء ٦٣
المادة الثالثة: النور ٦٤
المادة الرابعة: النار ٦٤
المادة الخامسة: التراب ٦٥
خاصية خلق الله للخلائق التي جهلها الفلاسفة ٦٧
كثرة النظريات الكونية ٧١
العلوم بالكونيات له أسباب متعددة ٧٣
نظريات نشأة الكون وصفة الكون الأعلى ٧٥
نظرية نشأة الكون عند أصحاب الهيئة ٧٥
نظرية أن أصل الكون الذرة ٧٨
نظرية أن الأصل الثاني للكون: السديم ٨٠
نظرية أن الكون انفجر انفجارًا، فصار كونًا ٨٢
نظرية أن الكون كله متحرك ٨٤
نظرية أن الكون الأعلى كله فضاء لا نهاية له ٨٦
نظرية أن الكون في تمدد رهيب واتساع مخيف والإجماع على ذلك ٨٨
نظرية مركز الكون وتناقضهم فيها ٩٠
نظرية سعة الكون المزعوم واحتقار الكون المعلوم ٩٢
نظرية أن الكون مجرات ٩٤
نظرية أن الكون الأعلى كله يخضع لقانون التَّحرك الزاوي السَّرمدي ٩٧
نظرية الجاذبية للكون وأنها أزلية ٩٩
نظرية أن للكون الأعلى سَلَالِيمَ ١٠٣
نظرية عمر الكون وأيامه ١٠٥
نظرية أن الكون أكثره مجهول ١٠٨
نظرية انكماش الكون الأعلى ١١١
نظرية شموس الكون ١١٢
نظرية أقمار الكون ١١٣
نظرية نجوم الكون ١١٥
نظرية وجود سكان في الكون الأعلى من الإنس ١١٨
نظرية أن سكان الأجرام السماوية لهم لغات ولهجات ويتجسسون على أهل الأرض ... ١٢١
نظرية أن النجوم والكواكب زاخرات بالسكان العاقلة والحضارات المليونية ... ١٢٢

نظرية وجود الأمراض في سكان الأجرام السماوية ١٢٣
نظرية أن سكان الكون الأعلى بشر أذكياء ١٢٣
نظرية وجود البحار والجبال والأحجار والأشجار في الكون الأعلى ١٢٤
نظرية السماح بالتجول في الكون الأعلى دون الإصابة بأي ضرر ١٢٦
نظرية نفي السماوات السبع ١٢٧
نظريات أخر تنفي وجود السماء الدنيا وما فوقها ١٢٩
لا وجود للعرش والكرسي وغيرهما في نظر أصحاب النظريات ١٢٩
نظرية أن السماء هي الانطباع البصري ١٣١
نظرية أن السماوات بلايين البلايين ١٣٢
نظرية أن السماء الدنيا هي لمعان من تشتت أشعة الشمس ١٣٤
إثبات استدارة السماوات ١٣٥
نظرية أن الكرة السماوية والقبة السماوية هي مساقط النجوم ١٣٦
نظرية أن في السماء نجومًا نارية ١٣٧
نظرية الأجرام السماوية ١٣٨
نظرية عمر الضوء ١٣٩
نظرية تقدير المسافة بين الأجرام السماوية بالسنين الضوئية ١٣٩
نظرية حارس السماء ١٤٠
النظريات المتعلقة بالشمس ١٤١
تمهيد ١٤١
نظرية نشأة الشمس ووجودها ١٤٢
نظرية أن الشمس ثابتة ١٤٣
نظرية أن الشمس تجري حول درب التبانة وفي داخلها ١٤٤
نظرية الحركة الذاتية للشمس ١٤٥
نظرية جاذبية الشمس ١٤٦
نظرية أن كثيرًا من الحوادث الأرضية بسبب الشمس ١٤٧
نظرية أن الشمس أكبر من الأرض ونظرية أن الأرض قزم ١٤٨
نظرية أن حركة الشمس تنشأ بسبب دوران الأرض حولها ١٥١
نظرية أن الشمس تبتلع الأرض لأنها تتطور ١٥٢
نظرية أن الشمس مركز الأرض وبقية المجموعة الشمسية ١٥٣
نظرية أن الشمس تدور حول الأرض ١٥٤
نظرية شموس الكون ١٥٤
خمس عشرة نظرية في الشمس من جنس ما سبق ١٥٧
الأولى: نظرية حركة الشمس الشاذة ١٥٧
الثانية: نظرية أن حركة الشمس تفاوتية ١٥٧
الثالثة: قولهم: (إن الشمس تشابه النجوم الثوابت، وهي واحد من حوالي مائة

بليون نجم في مجرة سكة التَّبانة) ١٥٧
الرابعة: نظرية تركيب الشمس ١٥٨
الخامسة: نظرية ضغط الشمس ١٥٩
السادسة: نظرية أن في الشمس طاقة نووية ١٥٩
السابعة: نظرية التحبب الشمسي ١٦٠
الثامنة: نظرية خطوط امتصاص أشعة الشمس وردها إليها ١٦٠
التاسعة: نظرية بعث الشمس بإشعاع راديوي ١٦٠
العاشرة: نظرية المغناطيس الشمسية ١٦١
الحادية عشرة: نظرية البقع الشمسية ١٦٢
الثانية عشرة: نظرية الرياح الشمسية ١٦٢
الثالثة عشرة: نظرية الطفح الشمسي ١٦٣
الرابعة عشرة: نظرية أن الشمس ستكف عن إضاءتها ١٦٣
الخامسة عشرة: نظرية أن الشمس تتحكم في العالم ١٦٣
السادسة عشرة: نظرية أن الشمس آهلة بالسكان ١٦٤
مسألة: مكان الفلك الذي تسبح فيه الشمس والقمر ١٦٦
النظريات المتعلقة بالقمر ١٦٨
نظرية تكوُّن القمر ونشأته ١٦٨
نظرية أرض القمر وأنواع تضاريسها ١٦٩
نظرية أن القمر يتصدع ١٧٠
نظرية اضطراب القمر في سيره ١٧٢
نظرية دوران القمر حول نفسه وحول الأرض وحول الشمس ١٧٤
نظرية الحياة على القمر والتناقض فيها ١٧٥
نظرية جاذبية القمر ١٧٦
أكذوبة الوصول إلى سطح القمر ١٧٧
النظريات المتعلقة بالنجوم والكواكب ١٨٩
نظرية نشأة الكواكب والنجوم وكيفية وجودها ١٨٩
نظرية حركات النجوم والكواكب واضطرابات مدارها ١٩٠
نظرية المجموعات النجومية وما يتعلق بها ١٩١
تقسيم المجموعات النجمية عند الفلكِيِّينَ ١٩٢
عدد المجاميع النجومية ١٩٢
المجموعات النجومية المريضة ١٩٣
تحديد المسافات بين المجامع النجومية: ١٩٣
نظرية أعمار النجوم والكواكب ١٩٤
نظرية المجامع النجومية ١٩٥
نظرية الكتل النجومية ١٩٧
نظرية تطور النجوم وتغيرها ١٩٨

نظرية أن النجوم لها أعمدة داخلية فيها معدة للجذب ١٩٨
نظرية النجوم العمالقة والأقزام البيضاء والسوداء ٢٠٠
نظرية النجوم المزدوجة والنجوم المتغيرة ٢٠١
نظرية الفجوات الخالية من النجوم ٢٠٢
ذكر عدد من أسماء مكتشفي النجوم ٢٠٢
النظريات عن المجرات ٢٠٤
نظرية نشأة المجرات واكتشافها ٢٠٥
نظرية مجرة سكة التبانة ٢٠٦
ذكرهم مرور الرسول ﷺ ليلة المعراج بالمجرات المزعومة حيلة لعدم ذكر السماوات ٢٠٧
دعوى أن المجرات تسبح في الكون الفضائي ٢١٠
نظرية الأرض ومن عليها والشمس وما عداها من الكواكب داخل المجرة ٢١١
المجرات محكومات بالجاذبية ٢١١
نظرية السحب السدمية والسدم المجرية ٢١٢
سحابة مجلان: ٢١٢
السحب الداكنة: ٢١٣
سحابة نجومية: ٢١٣
السدم الغازية: ٢١٣
السدم المجرية: ٢١٤
السدم العاكسة: ٢١٤
السديم المجري: ٢١٤
السدم الخارجية: ٢١٥
السديم الكوكبي: ٢١٥
سديم الجبار: ٢١٥
سديم حلزوني: ٢١٥
سديم المرأة المسلسلة: ٢١٦
سديم مجالي: ٢١٦
السديم الأهليجي: ٢١٦
سديم أمريكا الشمالية: ٢١٧
سديم انبعاثي: ٢١٧
نظريات النيازك والمذنبات ٢١٨
تعريفهم للنيزك ٢١٨
نظرية أن بعض النيازك تساوي الشمس ٢٢٠
نظرية المذنبات واكتشافها ٢٢٠
نظرية تقسيم المذنبات ٢٢١
المذنبات منها النيازك وتيار الشهب ٢٢١
نظرية أن المذنبات بالملايين والمليارات والبلايين ٢٢١
نظرية أعمار المذنبات ٢٢٢

المذنبات وعلاقتها بالشمس ٢٢٢
جاذبية الشمس للمذنبات ٢٢٣
نظرية أن في الفضاء مناطق معدنية ثقيلة ومواد خام ٢٢٣
نظرية أن الفضاء ملىء بغاز ما بين النجوم ٢٢٣
نظرية أن الفضاء ملىء بالغبار ٢٢٥
نظرية التراب في الفراغ الفضائي ٢٢٥
نظرية أن السفن الفضائية تدور حول الأرض ٢٢٦
النظريات عن الغلاف الجوي الداخلي والخارجي ٢٢٧
نظرية الغلاف الجوي الأرضي ٢٢٧
نظرية أن الشهب تتكون من الغلاف الأرضي ٢٢٨
نظرية أن الغلاف الجوي الأرضي يرد عنا النيازك ٢٢٩
نظرية أن الغلاف الجوي الأرضي والغلاف الخارجي متصلان بالفضاء اللانهائي ٢٢٩
نظرية الغلاف الجوي الخارجي ٢٣٠
الغلاف الجوي النجمي ٢٣١
الفصل الثالث: النظريات حول الأرض ٢٣٣
نظريات تتحدث عن خلق الأرض ٢٣٥
نظرية تركيب الأرض من المواد الكيماوية ٢٣٧
نظرية أن الأرض كوكب سيَّار والرد على ذلك ٢٣٨
الأدلة على أن الأرضين سبع ٢٤١
الأدلة على أن الأرضين السبع وجدت قبل السماوات ٢٤٤
بداية إحياء القول بدوران الأرض ومركزية الشمس ٢٤٧
زملاء الفلكيين والفلاسفة يردُّون عليهم ٢٤٨
القول بدوران الأرض مبني على أصلين فاسدين ٢٤٩
الكلام على دوران الأرض الباطني ٢٥٠
يتفرع عن القول بدوران الأرض أشياء أخر ٢٥١
مقاومة الأوربيين لنظريات «كوبرنيكوس» و«جاليليو» في الأرض والشمس مما أدى ذلك إلى عدم انتشارها لمدة ثلاثة قرون ٢٥٢
انتشار القول بدوران الأرض ووقوف الشمس ومركزيتها في آخر القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين عم بلاد المسلمين ٢٥٤
قبول المسلمين القول بدوران الأرض أقنع الغربيين بذلك ٢٥٥
نظرية دوران الأرض حول الشمس وحول الكون وحول نفسها وغير ذلك وبيان تناقض ذلك ٢٥٦
نظرية أن دوران الأرض ينتج عنه الحركة اليومية والسنوية ٢٥٧
التناقض الأكبر في قولهم بدوران الأرض حول الشمس ٢٥٩
نظرية أن دوران الأرض ينتج عنه الليل والنهار ٢٦٠

نظرية أن دوران الأرض ينتج عنه فصل الشتاء والربيع والصيف والخريف ٢٦١
نظرية كف الأرض عن الدوران ٢٦٤
الأدلة من القرآن الكريم على ثبوت الأرض وعدم دورانها ٢٦٦
قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِۦٓ﴾ ٢٦٦
قوله عز وجل: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ ٢٦٨
قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ ٢٦٩
قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ ٢٧١
قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾ ٢٧٢
قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا * لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ...﴾ ٢٧٣
قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ ٢٧٤
قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ ٢٧٥
قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ ٢٧٦
قوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ ٢٧٧
قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ ٢٧٨
قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ ٢٧٩
قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ٢٧٩
قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا * وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ ٢٨٠
قوله تعالى: ﴿لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ ٢٨١
قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ ٢٨١
قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ ٢٨٢
قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ ٢٨٢
قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ ٢٨٣
قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ ٢٨٣
قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ ٢٨٣
مسألة: هل دك الأرض ونسف الجبال قبل حشر الخلائق أم بعد ذلك؟ ٢٨٤

أدلة أخرى على ثبات الأرض ٢٨٦
الإجماع على ثبوت الأرض وعدم دورانها ٢٨٦
الأرض مركز الكون وهذا يدل على قرارها ٢٨٧
الأدلة العقلية على استقرار الأرض ٢٨٨
الأدلة المشهودة على استقرار الأرض ٢٩٠
الأدلة المحسوسة تدل على ثبوت الأرض ٢٩٠
أحوال الجبال يوم القيامة دليل على ثبوت الأرض قبل ذلك ٢٩١
الهواء الذي بين السماء والأرض دليل على ثبوت الأرض وعدم تحركها ٢٩٣
تحرك بعض أماكن الأرض دليل على ثبوت الأرض كلها ٢٩٤
ومن الأدلة على سكون الأرض جريان الشمس ٢٩٦
ومن الأدلة على سكون الأرض سير القمر طلوعًا وغروبًا ٣٠٠
ومن الأدلة على سكون الأرض سير النجوم طلوعًا وغروبًا ٣٠٠
ومن الأدلة على ثبوت الأرض دوران الليل والنهار ٣٠١
ومن الأدلة على ثبوت الأرض ما يقوله الإنسان عند أن تبدل الأرض غير الأرض: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ ٣٠٢
ذكر شبه القائلين بدوران الأرض والرد عليهم ٣٠٣
ردود الفلكيين والكُتَّابِ المتأخرين على من قال بدوران الأرض ٣١١
كروية الأرض ٣١٥
الأدلة على كروية الأرض من النقل والعقل والإجماع ٣١٥
الفرق بين إثبات كروية الأرض بالأدلة الشرعية وإثباتها بأقوال الفلكيين ٣١٨
نظريات أخرى عن الأرض ٣٢٠
نظرية أن الأرض معلقة بالسلاسل الجاذبية ٣٢٠
نظرية الجاذبية هي التي جذبت الناس إلى التمكن من الأرض ٣٢٢
نظرية زحف الأرض بعضها على بعض بسبب التطور المستمر ٣٢٣
نظرية تحرر الأرض من الحرارة الداخلية ٣٢٥
صغر حجم الأرض في نظريات ملاحدة الشرق والغرب ٣٢٥
نظرية أن الأرض محاطة بالغلاف الجوّي الأرضي ٣٢٧
نظرية نهاية الأرض ٣٢٨
نظرية المد والجزر في الأرض ٣٢٩
نظرية أن الأرض كُمَّثْرِيَّةُ الشكل ٣٣٠
الفصل الرابع: تسخير الآيات القرآنية للدفاع عن النظريات الشيطانية ٣٣٣
قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ ٣٣٥
قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ ٣٣٨
قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ ٣٤٠

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ ٣٤٢
قوله تعالى: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ ٣٤٤
قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾ ٣٤٦
قوله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ ٣٤٩
قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ ٣٥٢
قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ٣٥٥
قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ ٣٥٧
قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ ٣٥٩
قوله تعالى: ﴿أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ ٣٦٠
قوله تعالى: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ ٣٦١
قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ٣٦٤
قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ ٣٦٤
قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ ٣٦٦
قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ ٣٦٩
قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٣٧١
قوله تعالى: ﴿أَتَىٰهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ ٣٧٤
قوله تعالى: ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ﴾ ٣٧٥
قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ ٣٧٦

الفصل الخامس: بيان الإلحاد الذي عند أرباب النظريات ٣٧٩

آفة علم ملاحدة الأفلاك ٣٨٢
تعريف الإلحاد في آيات الله الشرعية والكونية ٣٨٥
أنواع الإلحاد ٣٨٦
الرد على من أنكر وجود الله من أصحاب النظريات وغيرهم ٣٨٦
الرد على منكري ألوهية الله من أصحاب النظريات وغيرهم ٣٩٠
الرد على من أنكر ربوبية الله من أصحاب النظريات وغيرهم ٣٩٢
الرد على من ألحد في أسماء الله وصفاته من أرباب النظريات وأمثالهم ٣٩٩
الرد على من أنكر دين الإسلام وادعى أنه من النظريات الإنسانية ٤٠٠
الرد على من أنكر معجزات الرسول ﷺ وبيان ما في إنكارها من ضلالات.. ٤٠٢
وضعت النظريات من أول يوم لمحاربة ألوهية الله وربوبيته بل وإنكارها ٤١٠
استغلال ملاحدة الشرق والغرب النظريات لنشر إلحادهم ٤١١
شرح الآية الدامغة لأرباب النظريات: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ ٤١٣
أرباب الكنائس يواجهون ملاحدة الأفلاك ٤١٥

أنواع النهايات السحيقة التي وصل إليها ملاحدة الاكتشافات الكونية ٤١٧
النوع الأول: إلغاء عبودية الله وعدم الاعتراف بوجوده..... ٤١٧
النوع الثاني: وصلوا إلى الحيرة..... ٤١٨
النوع الثالث: وصلوا إلى مادة مظلمة مجهولة هي أعظم ما في الكون ٤١٩
النوع الرابع: وصلوا إلى أشعة كونية لا يدرون ما هي ٤٢٠
النوع الخامس: استصغار الكون اللانهائي الذي ادَّعَوه..... ٤٢١
حقيقة النظريات أنها استدراج للكافرين..... ٤٢٢
عقلاء الفلاسفة يردون على أصحاب الأفلاك قديمًا وحديثًا..... ٤٢٤
أمهات النظريات آل أمرها إلى البطلان ٤٢٨
أكثر النظريات ينقض بعضها بعضًا..... ٤٣٢
نظرية الحياة الإنسانية على سطح القمر ٤٣٢
نظرية الحياة على المريخ ٤٣٢
نظرية الأطباق الطائرة ٤٣٢
نظرية مقومات الحياة على كواكب المجموعة الشمسية وكواكب النجوم الأخرى.... ٤٣٣
نظرية نشأة الكون ٤٣٣
افتضاح أصحاب الأفلاك قديمًا وحديثًا..... ٤٣٤
تناقض أصحاب النظريات في النظرية الواحدة..... ٤٣٨
تصريحهم بالنقص في آلات الاكتشافات..... ٤٤٠
الفصل السادس: الرَّد على من زعم أن النظريات معجزات قرآنية ونبوية..... ٤٤٣
تعريف المعجزة لا يدخل فيه تعريف النظرية..... ٤٤٥
النظريات ليست قسمًا من أقسام المعجزة ٤٤٧
ضوابط المعجزة ٤٤٩
قواعد صحيحة في معجزات الأنبياء لا تقبل النظريات..... ٤٥١
فوارق شرعية بين المعجزة وبين ما يدعيه السحرة والكهان والفلكِيُّوْنَ..... ٤٥٤
ما عند مخترعي النظريات هو من جنس ما عند السحرة والكهان ٤٥٦
ما تحقق من المعجزات النبوية بعد موت الرسول عليه الصلاة والسلام لا تدخل فيه النظريات.. ٤٥٧
كلام أهل العلم على بطلان الإعجاز في العلم الحديث ٤٦١
نقد كتاب «بينات الرسول ومعجزاته» لمؤلفه عبد المجيد الزنداني..... ٤٦٤
بعض أصحاب النظريات من المنتسبين للإسلام يطعنون في القرآن..... ٤٦٨
ونلخص طعون هؤلاء الزنادقة في القرآن الكريم في الآتي:..... ٤٦٩
الدافع للقول بأن الاكتشافات العصرية معجزات قرآنية ونبوية..... ٤٧٠
قول الكُتَّاب: إن الإعجاز العصري يتناسب مع من لا يؤمن بالمغيبات الشرعية، دليل على بطلان دعوى الإعجاز..... ٤٧٢

الفصل السابع: الرد على من فسر القرآن والسنة النبوية بالنظريات الكفرية..... ٤٧٥
اعتماد النظريات في تفسير القرآن فتح لباب الضلال والزندقة والإلحاد..... ٤٧٧
أهل العلم يمنعون من تفسير القرآن بالنظريات..... ٤٨١
مفاسد تفسير القرآن بالنظريات..... ٤٨٥
التوفيق بين الإسلام والنظريات طريقة الباطنية الزنادقة..... ٤٨٩
النظريات أحقر من أن تقدس وتعظم..... ٤٩٢
من أشهر من دعا إلى تفسير القرآن بما يتفق مع الأفكار الغربية..... ٤٩٥
الرد على المدعين أن قبول نظريات الكفار من باب دعوتهم إلى الإسلام..... ٤٩٧
الرد على كتاب مسلمين يدعون إلى تعلم النظريات..... ٥٠٠
الرد على دعاة التنقيب عن آيات الله الكونية..... ٥٠٢
المنصفون من علماء الغرب يشهدون للقرآن بالشمولية والسبقية للكتب السابقة والنظريات اللاحقة..... ٥٠٤
المنصفون من أصحاب النظريات يعترفون بأن ما عارض القرآن من النظريات فهو بسبب النقص في علومهم..... ٥٠٧
الفصل الثامن: حقائق متفرقة..... ٥٠٩
بطلان إجماعات أصحاب الأفلاك قديمًا وحديثًا..... ٥١١
أصحاب الأفلاك العصريون ينسبون إليهم أشياء قد وجدت عند من سبقهم..... ٥١٦
أكثر إصابة النظريات في الظواهر المحسوسة والحساب والطب..... ٥١٧
المشهورون بقبول علم الأفلاك والنظريات من أمة الإسلام قديمًا وحديثًا الغالب عليهم الضّلال والزنادقة..... ٥١٩
المنتصرون لنظريات الكفار قربوا المؤمنين إلى الضّلال والتعطيل..... ٥٢٣
تقديس أبناء جلدتنا المفتونين بالنظريات لملاحدة الأفلاك..... ٥٢٥
ردود أهل العلم على أصحاب الأفلاك قديمًا وحديثًا..... ٥٢٧
أهل العلم يفتون بإتلاف كتب الفلاسفة..... ٥٢٩
الجهل بالنظريات لا يضر المسلم في دينه..... ٥٣٤
التمسك بالإسلام لا يمنع من الاستفادة مما عند الكفار مما يعود على المسلمين بالنفع المعتبر شرعًا وعقلًا..... ٥٣٧
موقف المسلم الحصيف من الحضارة الغربية..... ٥٤٢
تنافس الدول الكبرى سياسيًا على دعوى غزو الكون الأعلى زعموا..... ٥٤٦
دعوى الانتصارات على الكواكب عجب وغرور وزور والدائرة عليهم تدور..... ٥٤٨
الفهرس الموضوعي..... ٥٥٠